

محمد البعثة لاوي

# ابن هانئ المغربي لأندلسي

[ 973/362 - 931/320 ]

شاعر الدولة الفاطمية

دار الفَرَبِ الإِسْلَامِيِّ





ابن هانى المخزنى لأندسى

[ ٩٧٣/٣٦٢ - ٩٣١/٣٢٠ ]



# ابن هانى المغزى الأندلسى

[ 973/362 - 931/320 ]

## شاعر الدولة الفاطمية

تأليف

### محمد اليعنلوي

أستاذ بطبية الأداب بالجامعة التونسية



مكتبة لسان العرب  
[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٥ - ١٩٨٥ م

دار الغرب الإسلامي  
ص ٢٣٦ / ٥٧٨٧  
بَيْرُوْث - لِبَنَان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تَمْهِيد

ترتكز شهرة الشاعر المغربي محمد بن هانئ على أساس متنوعة . فقد شهد له المغاربة ، ومن بعدهم أهل المشرق ، بالشاعرية الفائقة ، بل رفعه أهل المغرب ، حسب عبارة ابن خلkan ، الى المرتبة التي بلغها في المشرق معاصره المتني<sup>(١)</sup> .

هذا الجمع بين الرجلين لا يعني بالضرورة أنهما صنوان ندان متشابهان ، أو أن صاحبنا مدين لآخر بالتبعية والتلمذة والتقليد . فالفارق بينهما كثيرة ، في السلوك وفي الطريقة الشعرية ، كما سُبّيَّن في الفصل العاشر من هذا الكتاب . بل الحكم ، هذا الحكم الذي جعل عبارة « متني الغرب » لقباً لاصقاً الى اليوم بابن هانئ ، ناتج في رأينا عن أمرتين : أولاً ، ميل الناس الى الاختصار ، وذلك بصوغ المقارنة السريعة في العبارة الوجيزة ، أو الجمع بين المتلازمين في الواحدِ منهما ، فقالوا : العمran والحسنان والقمران . ثانياً ، ميل أهل الأندلس والمغرب قدِيماً إلى مطاولة المشارقة في ميادين الحضارة والفنون والأدب ، حتى يقارعوهم فرداً بفرد ، وعلمـاً بعلم ، كلما افخر المشرق بشاعر أو أديب ، او أعتزَّ بملك مُظفِّر أو أمير ، او تباهى بمعنى زاهر أو قصر منيف . على أن هذا التفسير لأسس المقارنة بينهما لا يمنع

---

(١) وفيات الأعيان ، ترجمة 640 : « وهو عندهم كالمتني عند المشارقة » .

من التماس النواحي المشتركة في شعرهما ، كما فعل المستشرق إ. فارنيا - فوميت في تعليقه على القصيدة الحادية والعشرين<sup>(1)</sup> من ديوان ابن هانىء ، وهي بالذات القصيدة التي تعرض فيها شاعرنا المغربي الى ديوان معاصره الكبير<sup>(2)</sup> .

فجدير بنا إذن أن نهتم بهذا الرجل الذي اعتبره ابن خلkan «أشعر المغاربة على الإطلاق» ، فقدّمه على السابقين منهم والمتّاخرين ، وأن نحلّل عناصر شاعريّته وعوامل ذيوع شعره ذيوعاً تشهد به كثرة النسخ المخطوطة من ديوانه ، وقد بلغت فيما عرفنا ، الثلاثين .

وحتى تلك «المنافسة الثقافية» التي كانت تحرك الأندلسّيين في وجه الأفارقة وإزاء الشرق ، والتي خفت حدتها اليوم فصار كلّ إقليم يهتمّ بأعلامه أولاً وبالذات وأمجاده ، هذه الإقليمية الثقافية قد تدعونا الى توضيع ما غمض من شخصية ابن هانىء ، وإنارة ملامح هذا الأندلسي الغريب الذي «تغرب» إلى إفريقيّة وانبرى لخدمة الدولة الشيعيّة .

ذلك أن محمد بن هانىء لم يكن «أشعر المغاربة» فحسب ، فهو أيضاً شاعر متّحّذب للعقيدة الإسماعيلية ، متّطوع لخدمة الأئمة الفاطميّين ، يُعلّي بشعره كلمتهم ويحضر احتجاج خصومهم ، فتصبح دراستنا له ، بفضل انتماهه هذا ، متّجاوزة لحدود الدراسة الأدبية ، فتتعلّق بالجوانب التاريخيّة من القصائد ، وخاصة بمقومات الدعاية الشيعيّة أثناء القرن الرابع ، ذلك العصر الذي أسماه لويس ماسينيون «القرن الإسماعيلي للإسلام» .

وبالفعل ، يمتاز ابن هانىء عن شعراء البلاط العاديين : فليس يحرّكه

---

(1) نعني القصائد من الآن فصاعداً ، بالأرقام الترتيبية التي أنسدّها إليها زاهد علي في شرحه للديوان .

(2) المتّبّي وابن هانىء ، بحث بالفرنسية ضمن مجموعة فصول على شرف ولIAM مرسي ، باريس

رجاء الرفد ، ولا طمع في جاه . بل تحدوه عقيدة دينية وسياسية قوية جعلته يتعلّق بأحفاد المهدي عبيد الله تعلقاً تلقائياً نهائياً ، وميّزته حتى عن غيره من شعراء آل البيت ، سواء كانوا مغاربة مغمورين كعلى الإيادي التونسي وسعدون الورجيلي ، أو مشارقة مشهورين كالسيد الحميري أو دعبدل الخزاعي .

وهناك ظاهرة أخرى تدعو إلى الانكباب على شعر ابن هانئ : وهي « خفوت المغربية » عند هذا الشاعر المغربي ، يعني قلة ظهور البيئة الأندلسية ، والإفريقية ، بل انعدامهما ، من شعره ، وهو الذي قسمت حياته نصفين بين الأندلس والمغرب : فلن تجد في كامل ديوانه ذكرأ لمدينة إفريقية<sup>(1)</sup> أو جبل مغربي أو نهر أندلسي . بل ، إذا مسّت الحاجة ، يتوجه إلى الشرق البعيد ، ويفضل النيل والفرات ، ويؤثر رضوى وثبيراً ، ويدرك بغداد وحلب ويعرض تماماً عن إشبيلية والقيروان ، فينصرف عن البيئة الحقيقة إلى بيئه مجتبية بالحفظ والتحصيل . وإن هذا الانعتاق من البيئة والنشأة لجدير أيضاً بالدراسة .

كما سنجاول أن نبدد الغيم التي لا تزال تكتنف شخصية هذا الشاعر وتغشّي ديوانه أيضاً : فهو شاعر « واقع » لا يشك أحد في وجوده ، وديوانه انتشر في العالم العربي الإسلامي منذ القرن الخامس ، ولا يخلو كتاب أدب من مختارات من شعره ، لكن ، بالرغم من هذا الذيع ، فإن الضباب يغطي فتراتٍ شاسعةً من حياته ، ولا سيما الفترة الأندلسية ، فهي لغز محير : سبعة وعشرون عاماً قضتها بالأندلس ولا نجد لها صدى في شعره ، ولا حتى بيتاً واحداً ! وكذلك وفاته ببرقة : فما هي ظروفها وأسبابها ؟ أكان ذلك اغتيالاً سياسياً أو انتقاماً شخصياً ؟ أم كان حادثاً عادياً وموتاً طبيعياً ؟

ثم هناك لغز آخر يختص بالديوان : فعلى الرغم من انتشار هذا الشعر

(1) ذكر مرة رقاده وأحياناً إقليم الزاب دون قصبه المسيلة .

شهرة صاحبه في حياته وبعد مماته ، وعلى الرغم من حظوظه عند الأئمة الفاطميين ، لم يتطرق الشرّاح لدرسه ولا المعلّقون لشرح غوامضه . كما تستغرب أيضاً اختلاف نسخه ، وتفاوت مادتها : هذا مخطوط يتضمن قصائد ومقطوعات يخلو منها مخطوط آخر . وهذه نسخة اقتصرت على كبرى المدائح ، وتركت باقي شعره ، علاوة على التناقض الكبير في عزو المدائح إلى أصحابها ، واختلاف الترتيب من أبجدية الروي إلى التوبّب على المدحّين . وهي أمور تحتاج إلى محاولة تفسير .

هذه هي إذن الدوافع التي تدعونا للاهتمام بابن هانىء الأندلسي المغربي ، على قلة « مغريّته » وانعدام أندلسّيته ، وتحدونا للبحث في آثار هذا الشيعي الذي جعلته العاطفة الحزبية القوية الصادقة مثلاً للشعراء المناضلين الذين يهبون للدعوة فَتُهُمْ وعَقِرُّهُمْ ، بَلْ أَنفَاسُهُمْ وحِيَاةُهُمْ<sup>(10)</sup> .

---

(1) الكتاب الذي نقدمه هو ترجمة متأخرة للرسالة التي تقدّمنا بها إلى جامعة السربون بباريس يوم 19 ماي 1973 فأبانت علينا بها شهادة دكتوراه الدولة . وقد طبع الكتاب سنة 1976 في لغته الفرنسية ضمن مشورات كلية الآداب بالجامعة التونسية . وشرعونا في تعریفه منذ ذلك التاريخ وحالت مشاغل التدريس والمسؤوليات دون إنجاز الترجمة قبل اليوم .

الفصل الأول

## مَصَادِر ترْجِمَةِ ابْنِ هَانِيٍّ

لو وصلتنا ترجمة مدققة لحياة الشاعر أو شرح مفصل لديوانه ، لأمكنا  
أن نتبع كافة مراحل حياته بدقة وأن نتعرف على مَدْوِحِيه وعلى الأشخاص  
الذين ذكرهم في شعره ، قصداً أو عَرَضاً ، وأمكنا بالخصوص أن نقف على  
الظروف التي نظمت فيها القصائد والمقاطعات فبَدَدَ الغيوم التي تحول دون  
فهم قسم وافر من شعره .

وازاء هذا الفقر ، فسيلنا أن نستعين بكتب الطبقات والترجم ، المغربية والشرقية ، وأن ننظر في كتب التاريخ ، وبالخصوص في الأقسام التي تتعلق بخلافة المعز الفاطمي ، وأن نستقرئ ، أيضاً كتب الأدب والمختارات الشعرية ، ولا سيما المجموعات المغربية : فقد تنقل إلينا شيئاً من شعره ، وتردفه ، إلى جانب الأحكام التقييمية التي لا تهمّ ترجمته مباشرة ، ببعض المعلومات أو التعليقات التي تساعد على سدّ الفراغ في بنائنا لترجمته .

ونستعين كذلك بما قد يرد في مخطوطات الديوان من تعليق وتوطئات .  
بعض النسخ تتضمن مقدمة في حياته ، وتمهد للقصائد أحياناً بتوطئة في  
ظروف نظمها ، فلعل هذه الإشارات تساعد على فهم شعره ، ولا سيما  
القصائد العقادية النضالية .

ولا يخفى أننا سنضطرّ أخيراً ، بعد مقابلة هذه الجزئيات ونقدّها وقبول

بعضها وطرح بعض ، الى الافتراض الشخصي في شأن فترة ما من حياته ، أو في التعريف بأحد ممدوحيه أو تأويل إشارة غامضة في بعض أبياته . على أننا كلّما تجاسرنا على مثل هذا التدخل ، نَهَا إلَيْهِ القارئ ، في انتظار أن يأتينا ما يخالف الرأي الذي ذهبنا إليه .

## كتب الرجال الأندلسية

لقد ألف علماء الأندلس كتباً كثيرة جمعوا فيها تراجم الأعلام وأخبارهم ، وتدرج هذه القواميس في سلسلتين من الكتب عمل أصحابها على متابعة مجدهم سابقيهم باصلاح خطئهم وتدارك سهوهم وإكمال نقصهم .

فالسلسلة الأولى تترکب من كتاب ابن الفرضي (1013/403)<sup>(1)</sup> « تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس » وقد خصصه للفقهاء ورجال الدين أولاً وبالذات ، وتتواصل بقاموس ابن بشكوال (1182/578) ، الذي سمّاه « كتاب الصلة » لأنّه صاغه كـ « صلة » ، أي متابعة ومواصلة لتاريخ ابن الفرضي ، ويأتي بعدهما ابن الآبار (1260/658) فيؤلّف « تتمة » لصلة ابن بشكوال ويسميها لهذا الغرض « التكميلة لكتاب الصلة » .

وهذه الكتب الثلاثة تهتم برواية الحديث وعلماء الدين وأهل الجاه والسلطان أكثر منها بأهل الأدب والشعر ، لذلك لا نجد ذكرًا لابن هانىء عند ابن الفرضي ، رغم قصر الفاصل الزمني بينهما - أقل من خمسين عاماً - ولا عند ابن بشكوال ، وأول من يذكره هو ابن الآبار فيخصص له ترجمة من تراجم التكميلة<sup>(2)</sup> .

---

(1) نذكر سنة الوفاة بالتاريخين الهجري والميلادي .

(2) الترجمة رقم 350 .

أما السلسلة الثانية فتترَكَب من كتاب الحميدي (1095/488) « جذوة المقبس في ذكر ولادة الأندلس »، ومن تكميلته « بغية الملتمس في رجال الأندلس » للضبي (599/1203)، وهما كتابان يتضمنان أخبار الشعراء والكتاب أيضاً، إلى جانب الولادة وأصحاب السلطان، كما يصرّح به كلا المؤلفين في التوطئة، إلا أنَّ الضبي أتى موافقاً لترجم الحميدي، وقد وقفت عند حدود سنة 450 للهجرة، فلذلك لا نجد فرقاً كبيراً بين الكتابين فيما نقلاه من أخبار محمد بن هانىء، رغم ما صرَّح به الضبي من أنه « زاد ما أغفله الحميدي وغادره ». .

ومهما يكن موقف الضبي من الحميدي، فإنه اكتفى، فيما يخص ترجمة شاعرنا، بنقل نص الجذوة بحذافيره، حتى المختارات الشعرية لم يزد عليها شيئاً. وهذه الترجمة وردت في غاية الاختصار: « محمد بن هانىء شاعر أندلسي، خرج عن الأندلس فشهر شعره في الغربة، وصاحب المعز صاحب المغرب ومدحه وغالى ... ». مما هو سبب هذا الاقتضاب؟ لأنَّ الحميدي لم يعتبره أندلسيّاً بحقّ، نظراً لهجرته إلى المغرب؟

لكنَّ الحميدي صرَّح في خطبة الكتاب بأنه يعتزم الحديث عن كل من نَبه له ذكر بين الأندلسيين، حتى من وفد عليهم أو خرج عنهم .

أم لأنَّ الحميدي - وقد ألف الجذوة وهو مهاجر بيغداد - لم تكن لديه معلومات أخرى، بسبب انقطاعه عن المصادر الأصلية؟

هذا التفسير، إنْ صَحَّ في شأن الحميدي، فإنه لا ينطبق على الضبي، لأنَّ صاحب بغية ألف كتابه بعد قرن تقريباً من كتاب الحميدي، فكان لديه من المادة في خصوص الأعلام الذين ترجمت لهم الجذوة، ما لم يكن لسابقه، كما تدلُّ عليه ترجمة ابن دراج القسطلاني<sup>(1)</sup> وقد زاد فيها الضبي على

---

(1) في بغية ، ترجمة رقم 342 . وترجمة ابن هانىء تحمل رقم 301 .

ما وجده في الجذوة<sup>(1)</sup> .

فلا بعد ، والحال هذه ، إن نحن عزونا هذا الاقتضاب في نقل أخبار محمد بن هانئ ، إلى شيء من التحفظ لدى كتاب ستين ، إزاء شاعر اعتبره الأندلسيون مارقاً عن الدين ، نظراً لخروجه عن سلطان الأمويين ودخوله في خدمة العبيديين ، وهو في نظرهم خروج عن عقيدة السنة والجماعة إلى فرقاً كافرة ضالة .

هذا ، بقطع النظر عما نسب إليه من تحدّ للقيم الأخلاقية في شبابه بإشبيلية ، وانسياق مع نزوات الهوى وتجرؤ على الدين في شعره آنذاك .

ومعلوم أن الإفراط في التعصّب العقائدي قد يؤدي إلى مثل هذه العداوات الفكرية ويجري إلى تضييق الخناق على حرية الفكر والمعتقد ، ولقد كبت السلطان الفاطمي كافة خصومه وأرهق هل السنة بالخصوص وحملهم على أتباع طقوس ضالة في نظرهم ، فلا تستغرب أن يردّ أهل السنة بالمثل ، بعد انهيار الدولة الشيعية ، بل أن يضاعفوا النكمة والنكال ، بقدر ما صبروا على التعذيب والإرهاق طيلة السنوات والأجيال : انفجرت نكمة أهل القيروان بعد قطع الولاء الفاطمي بأفريقية ، فانقلب تقليلاً ذريعاً للـ « مشارقة » ، وستعرض إليها بشيء من التفصيل في الفصول القادمة<sup>(2)</sup> . وانفجرت نكمة المصريين بعد قهر الأيوبيين للحكم الفاطمي ، فامتدت الأيدي ، لا إلى الأرواح والمال فحسب ، بل إلى المباني والمكتبات ، فهدمت القصور وأحرق الأثاث ، وأنتفت المكتبات الفاطمية ومزقت أسفارها لتُصنَّع من جلدتها النعال للعساكر ، يقول المقرizi (1441/845) رأياً مستنكرةً : « ... وأحرق ورقها تأولاً منهم أنها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره ، وأن فيها كلام المشارقة (الشيعة) الذي يخالف مذهبهم ، سوى ما غرق وتلف وحُمل إلى

(1) في الجذوة : ابن دراج : ترجمة رقم 186 . وترجمة ابن هانئ : رقم 157 .

(2) انظر الفصل الخامس .

سائر الأقطار . وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب ، فصار تللاً باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب<sup>(1)</sup> .

فلا غرابة ، إزاء تصاعد العادات أن نسب إلى هذا أو ذاك شيئاً من التحفظ إزاء شاعر المعز ، فهذا مؤرخ الأيوبيين ، العmad الأصفهاني (1201/597) تحدثه نفسه بـ « تطهير » كتابه من تراجم شعراء الفاطميين أمثال ابن الصيف<sup>(2)</sup> فيقول : « ... و كنت عازماً لفرط غلوه على حطه ، لأنه أساء شرعاً وإن أحسن شعراً ، بل أظهر فيه كفراً ، فلم يستحق لإساءته كفراً ولا غمراً » .

وهو ، إن لم يطرحه برؤمه ، فقد « طهر » الأبيات التي نقلها له من كل إشارة إلى الخلفاء الفاطميين .

وقد تعرّضت بعض النسخ المخطوطة من ديوان الشاعر إلى عملية التطهير هذه ، فالنسخ يطرحون القصائد التي تبدو لهم مغرقة في الإشادة بفضائل المعز ، وخصوصاً القصيدة الرابعة والعشرين .

وبعد ، قد لا تستغرب من الحميدى تحفظه إزاء ابن هانىء ولا استنكاره لمغالاته في أوصاف المعز التي « أنكرت واستعظمت » كما يقول ، فهو فقيه سنى ، وربما ظاهري ، إليه يُنسب كتاب « الجمع بين الصحيحين » في التوفيق بين مسلم والبخاري ، فلا يتضرر منه أن يكون من محبّذى الشعر الشيعي !

ومثل هذا الاستنكار نجده عند أندلسى آخر ، وهو الفتح بن خاقان (1334/529) . فقد خصّص لابن هانىء إحدى تراجم كتابه « مطعم

(1) المقرizi : خطط ج 2 ص 254 ، انظر محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص 29 .

(2) العmad الأصفهاني : الخريدة ج 1 ص 285 (القسم المصري) .

محمد كامل حسين : في أدب ... ص 138 .

«الأنفس»، فمزج فيها، وراء بهرج اللفظ وكلفة السجع، بين الاستنكار لمروق الشاعر عن جادة الدين وغلوه في مدح المعز، والاستحسان لبلاغته في نظمه الذي «تتميّث الثريّا أن تتوّج به وتقلّد ، ويودّ البدر أن يكتب فيه ما اخترع وولد»<sup>(1)</sup>. ويفيدنا نص المطعم ببعض المعلومات ، كاشتراك ابن هانىء وأمراء المسيلة في الأصل الأندلسي ، كما يمدّنا ببعض من أسباب خروج الشاعر من الأندلس إلى العدوة .

ولم يُعد الفتح بن خاقان إلى شاعرنا في كتابه الثاني ، «قلائد العقيان» ، ولا غرابة في ذلك ، فالقلائد تكمّلة للمطعم ومواصلة له .

ونقل المقري (1041/1631) نص المطعم بدون زيادة ولا نقصان في «نفح الطيب» .

أما ترجمة التكمّلة ، فهي أكثر تفصيلاً من سبقاتها ، وخصوصاً من نصّ الجذوة الذي صرّح ابن الأبار بأنه نقله ، فقد زاد عليه تفاصيل أخرى ، مثلًا في اتصال نسب الشاعر بنسب آل المهلب بن أبي صفرة ، وزنوج أبيه هانىء من المهدية إلى الأندلس واستقراره نهائياً بإليسيرة ، وتلقي الشاعر «أكثر تأدبه بقرطبة» ، ثم خروجه من الأندلس إلى العدوة واتصاله بأميري المسيلة جعفر ويحيى ابن الأندلسية ، ثم مصاحبه للمعز وأخيراً موته ببرقة سنة 361 هـ . ويظهر أن ابن الأبار لم يفتح لهذا التاريخ فأضاف : «... . وذكر أبو الحسن ابن رشيق في «قراضة الذهب» من تأليفه أنه توفى سنة 362 ... . ولكن هذه الرسالة النقدية لا تذكر ، في صورتها التي وصلت بها إلينا<sup>(2)</sup> ، سنة وفاة الشاعر .

وتلفت انتباها ، في كلام ابن الأبار ، عبارة «غلب عليه ذلك» إثر لقب

(1) الفتح بن خاقان : مطعم الأنفس 84 .

(2) ابن رشيق : قراضة الذهب - الطبعة القديمة ضمن «الرسائل النادرة» ، القاهرة 1926 والطبعة الجديدة من تحقيق الشاذلي بوبحبيس تونس 1972 .

الشاعر « الأندلسي » ، فكأنه لا يقر استحقاق ابن هانىء لهذا اللقب ، أما لخروجه عن الأندلس وأما لأنضمامه إلى الدعوة الشيعية .

ونجد ترجمة قصيرة عند أندلسي آخر ، استقرَّ مثل الحميدي بالشرق ، وهو ابن دُحْيَة (663/1265) في كتابه : « المطرب من أشعار أهل المغرب » ، ولكنها لا تمدنا بشيء جديد ، حتى استنكارها لغلو الشاعر صار أمراً معروفاً معهوداً .

ومن الكتب المغربية والأندلسية التي ترجمت لصاحبتنا ، نذكر أخيراً كتاب « المغرب في حل المغارب<sup>(1)</sup> » لابن سعيد المغربي (685/1286) ، وكتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة<sup>(2)</sup> » للسان الدين بن الخطيب (776/1375) .

في « المغرب » نجد ترجمة صالحة مفيدة في بعض التفاصيل التي لا يذكرها ابن خلkan ، وسنستمر هذه المعلومات في الفصل الرابع من هذا الكتاب ، حين نعيد بناء حياة الشاعر ، معتمدين أولاً وبالذات على نص « الوفيات » . ولكن ابن سعيد أفسد كلامه بما ارتضى نقله من خبر دخول ابن هانىء على أمير الزاب ، جعفر بن حمدون ، وهي حكاية سخيفة وضعفت ولا شك للتفكّه على حساب الشاعر الفاطمي كما وضفت خرافات مماثلة في شأن أبي نواس وغيره .

أما نص الإحاطة ، ففيه أولاً ترجمة وجيبة لا جدّة فيها إلا بما ينسبه ابن الخطيب إلى شاعرنا من « المشاركة في العلوم والتفوز في فك المعنى » أي في علوم الطلاسم والألغاز . ثم ينقل لسان الدين نصاً من رسالته المسماة « تخليص الذهب » وهي رسالة لم تصلنا ضمن آثار الأديب الغرناطي ، وهذا النص المزخرف المسجّح على عادة ما يكتبه لسان الدين ، يتضمّن حكمًا أدبياً

---

(1) ابن سعيد : المغرب ، ترجمة رقم 409 .

(2) ابن الخطيب : الإحاطة 2/212 .

في شعر ابن هانىء نقله ابن الخطيب من « مقامات » ابن شرف القيرواني التي تعرف بعنوان « مسائل الانتقاد » .

## كتب الرجال الشرقية

ترجم لصاحبنا ، من المؤلفين المشارقة ، ياقوت (1230/627) في معجمه « ارشاد الأريب »<sup>(1)</sup> وابن خلّكان (1262/681) في « وفيات الأعيان » ؛ الترجمة عندهما مفصلة فيها معلومات جديدة بالنسبة الى نصّ ابن الأبار في التكملة ، فقد ذكرها مسقط رأسه بتدقيق : اشبيلية ، وفصلاً الحديث عن علاقته المتبينة بأمير المدينة ، واضطرار هذا الوالي إلى إقصائه لما تأليب أهل البلد على الشاعر بسبب مجونه واستهتاره بالدين في شعره . ثم لخضا حكايته مع القائد جوهر بالمغرب وحاولا ضبط سنّ الشاعر عند وفاته ببرقة يوم 23 رجب 29/362 أبريل 973 : إما 36 سنة وإما 42 سنة ( بحسب تاريخ ولادته إن كان سنة 320 أم سنة 326 ) .

ويقول ابن خلّكان انه خرج من الأندلس في سنّ السابعة والعشرين . وهو خبر سيدركه ابن الخطيب في ترجمته بالإحاطة . وقد صرّح ابن خلّكان أنه اعتمد على قراصة الذهب لابن رشيق لضبط تاريخ وفاته ، كما اعتمد على كتاب « أخبار القيروان » ، وهذا الكتاب النفيس يظهر أنه تاريخ ابن شداد (1186/582) أحد أمراءبني زيري ، المعونون بـ « الجمع والبيان في أخبار القيروان » ، وهو كتاب مفقود .

أما الكتب المتأخرة كـ « مرآة الجنان »<sup>(2)</sup> لليافعي (1367/768) و « شذرات الذهب »<sup>(3)</sup> لابن العماد الحنبلي (1089/1678) فهي تنقل نصّ الوفيات ، وتزيد عليه خرافة مماثلة للحكاية التي نقلها ابن سعيد في شأن

(1) ياقوت : ارشاد الأريب ، 19/92 .

(2) اليافعي : مرآة الجنان مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس عدد 13443 ورقة 230 وج 2/375 من المطبوع .

(3) ابن العماد : شذرات ... سنة 362 ، 3/42 .

اتصال ابن هانئ بصاحب المسيلة : ويفهم من هذه الحكاية أن المتنبي (الشرقي) قصد أمير قابس بجنوب أفريقيا لينال رفده ، فتصدى له ابن هانئ فلقيه بجانب البحر فأحبط عزائمه بحيلة مضحكة ، ويرفض البافعي الحكاية وينكر أن يكون وقع لقاء بين الشاعرين .

وبعد ، فمن تحليلنا لهذه المصادر المختلفة ، المغربية والشرقية ، يظهر أن أضفى ترجمة لشاعرنا ، هي ترجمة الوفيات . فهي لهذا السبب ، حقيقة بأن نتحذّرها أصلًا ومنطلقاً في محاولة تخطيط حياة ابن هانئ : ولعلها اكتسبت هذه التفاصيل من هذا المصدر التفيس المفقود الذي اطلع عليه كثير من المؤرخين واستثمروه ونقلوا عنه : أخبار القبروان لابن شداد الصنهاجي <sup>(١)</sup> .

## كتب التاريخ

قد تمدنا كتب التاريخ بعض الإرشادات الصالحة لاستكمال معلوماتنا عن حياة الشاعر ، وذلك بفضل الفقرات التي تخصّصها للأشخاص الذين اتّصل بهم ، كالمعزّ الفاطمي وكبار قواده وأمراء دولته ، أو للحوادث التاريخية التي نجد لها صدى في شعره ، كحرروب الفتوحات في أرض الإفرنج أو في مصر ، أو الفتنة التي تحذّثها القبائل البربرية الثائرة ضدّ السلطان الشيعي .

وهكذا يحدّثنا أقدم المؤرخين الأندلسيّين ، ابن حيان (469/1076) في كتابه «المقتبس»<sup>(٢)</sup> عن خروج أمير المسيلة جعفر بن حمدون عن المعز وإعلان ولائه لل الخليفة الأموي ، الحَكَم الثاني ، ووصول موكيه إلى قرطبة ،

(١) ابن شداد : فيما يخصّ هذا المؤرخ ، انظر فصل الاستاذ محمد الطالبي بدائرة المعارف الإسلامية . وانظر كذلك : لويس ماسينيون : قائمة ... عدد 31 . ويبدو أن الباحث خلط بين الأمير الصنهاجي وأمير زيدتي توفي عام 1115/509 .

(٢) المقتبس (حجي) 32 .

وهذا الحديث يأتي عرضاً لأنَّ كتاب المقتبس هو ملخص لخلافة الحكم المستنصر ، فلا يتصل بافريقيَّة والمغرب إلَّا بقدر مشاركة السياسة الأمويَّة في شؤونهما .

وكذلك ابن الأثير (1233/630) في «الكامل»<sup>(1)</sup> ، يفيدنا عن ظروف مقتل الشاعر أثناء حديثه عن هجرة المعز إلى مصر ، فيقول ، خلافاً لما سيدكره ياقوت وابن خلَّakan ، انه لقي حتفه أثناء تشيعه للمعز في طريق مصر ، لا بعد توديعه للمعز ورجوعه إلى افريقيَّة لاستصحاب عياله ثم السفر نهائياً إلى القاهرة ، العاصمة الجديدة .

أما المؤرخ الصنهاجي ، ابن حمَّاد (1230/628) فيفيدنا ، في كتابه «تاريخ ملوك بنى عبد»<sup>(2)</sup> ، بعض الملاحظات في خصوص مراسيم البلاط الفاطمي ، علاوة على الحوادث والفتن والحروب التي تخللت خلافة الأئمة الفاطميين بدأية من انتصاب عبد الله المهدي إلى خروج المعز إلى مصر .

وكذلك ابن عذاري (1312/712) ، يلقي في «البيان المغرب» أضواء على بعض الأعلام الذين خالطُهم شاعرنا ، مثلاً ، أمير الزاب جعفر بن حمدون ، فيقصّ علينا بالتفصيل تقسيمه بين طاعته للمعز وصداقته القديمة للثوار الزناتيين وشقّه عصا الطاعة أخيراً في وجه المعز ، ثم دخوله في خدمة خلفاء قرطبة إلى أنَّ كاد له الحاجب ابن أبي عامر فدسَّ له من قتله<sup>(3)</sup> .

ونجد لسان الدين بن الخطيب مؤرخاً في كتاب «أعمال الأعلام» فتتضح لنا بفضلِه بعض الجوانب من الصراع السياسي والحربي الجهادي الذي دار في جنوب إيطاليا وفي جزيرة صقلية بين الفاطميين والروم البيزنطيين ، كما يقدم لنا الكتاب عرضاً لولاية الأمراء الكلبيين على صقلية ،

---

(1) الكامل 7/46 ، سنة 361 .

(2) ص 28 .

(3) 242/2 و 280 .

وملخصاً لخلافة المعز .

أما ابن خلدون (1406/808) ، فإنَّ الفصول التي خصصها في تاريخه ، للدول والإمارات التي قامت بالمغرب ، وبالخصوص إمارات صنهاجة وزناته وإمارة بني حمدون بالمسيلة ، هذه الفصول تساعدنا كثيراً على فهم الحروب والفتن التي تغذّيها العصبيات القبلية ، والعداء السياسي بين الأمويين والفاتميين . وهي حوادث كثيرة ما يشير إليها الشاعر في مدائنه للمعز أو قواده .

وفي ما يتعلق بخلافة المعز بالذات ، فإننا نجد عرضاً مفصلاً لها عند مؤرخي مصر : المقرizi (1441/845) وابن تغري بردي (1470/874) اللذين يفصلان كذلك أعمال القائد جوهر في سياسته لمصر بعد فتحها ، وأعمال بعض مساعديه من القواد الأفارقة ، مثل جعفر بن فلاح الكتامي<sup>(1)</sup> .

أما بقية المؤرخين المشارقة ، مثل أبي الفداء (732 / 1831)<sup>(2)</sup> ، والذهبى<sup>(3)</sup> (1363/764) والصفدي<sup>(4)</sup> (1848/748) ، فإنهما لا يفيدوننا إلا بما يدخلونه من تففيحات على ترجمة شاعرنا كما أثبتها ابن خلkan : فالصفدي مثلاً ، في « الوافي بالوفيات » ، رغم أنه ينقل نص ابن خلkan ، يؤرّخ وفاة الشاعر سنة 365 ، وهو تاريخ غريب لم نقف عليه عند غيره ، ولعله خلط بين تاريخ وفاة المعز (976/365) وتاريخ وفاة شاعره ، وعلاوة على هذا الخطأ ، فهو يسميه محمد بن ابراهيم بن هانئ ، وفي هذا أيضاً ، يخلط الصفدي بين شاعرنا محمد بن هانئ ، وشاعر مصري من أهل القرن السادس يرجع نسبة إلى صاحبنا ، ويسمى ابن هانئ الحفيد أو محمد بن ابراهيم بن هانئ .

---

(1) اتعاظ الحنفاء 136-134 . - الخطط 2/155 .

النجم الزاهر 28/4 .

(2) مختصر ... 212/2 .

(3) تاريخ الإسلام ورقة 300 ب .

(4) الوافي ترجمة عدد 240 .

ويخبرنا الذهبي في « تاريخ الإسلام » أن عداء أهل اشبيلية لابن هانىء كاد يودي بحياته ، فلم ينج منهم الا بالهروب الى بر العدوة .

بقيت الكتب المتأخرة ، مثل « المؤنس » لابن أبي دينار (1110/1698) ، و « الحلل السنديّة » للوزير السراج (1149/1736) ، و « كتاب الاستقصاء » للسلاوي الناصري المغربي (1312/1895) ، فمادتها مقتولة عن المصادر الأصلية التي استعرضناها ، فلا نرجي منها حيثنة اكتشافات جديدة .

ولنفس السبب ، فإننا لا نذكر كتب المعاصرين ، من عرب ومستعربين ، لأنهم يستمدون مادتهم أيضاً من هذه المصادر القديمة التي بنينا عليها معرفتنا بحياة ابن هانىء وبالبيئة التي عاش فيها . ولكن ، اذا ما احتجنا الى مقارنة المصادر ومقابلة المعلومات ، فإننا نعتمد على هذه البحوث المعاصرة ، حتى نغلب فكرة على أخرى ونرجح مصدرأ على مصدر . وبهذا الصدد لا بد من الإشارة إلى الفائدة التي جنيناها من بحوث ثلاثة من العلماء الأوروبيين : أولاً ، ج . شلمبرجي<sup>(1)</sup> في رسالته الضخمة عن الأمبراطور البيزنطي نقولور فقاوس عدو الإسلام في الشرق والغرب ، فقد وصف بالتفصيل القتال بين أسطول الروم وأسطول الفاطميين في مضيق مسينا وبحر صقلية . ثانياً ، م . أماري<sup>(2)</sup> الذي جمع كل النصوص العربية القديمة المتعلقة بجزيرة صقلية واهتم خاصة بالطاحن بين النفوذ الإسلامي فيها والنفوذ المسيحي . وأخيراً ، ماريوس كانار الذي قادته بحوثه عن البيزنطيين الى التنقيب عن كل من لاصقهم وقاومهم من أمراء الإسلام ، فألف رسالته القيمة في سيف الدولة الحمداني وجمع كل النصوص الخاصة بإماراة حلب ، ثم اهتم بالخلافة الفاطمية فكتب فصولاً عديدة في علاقاتها مع الروم ، ومراسيم البلاط ، وأحوال بعض الولاية الفاطمية كأسرةبني حمدون بالمسيلة ، ويكفينا دليلاً

. G. Schlumberger: Un empereur ...  
. M. Amari: B.A.S.

على سعة معرفته بالميدان الفاطمي ، ترجمته لـ «سيرة الأستاذ جوذر» مع ما تضمنته من تعليقات وتوضيحات نفيسة .

## كتب الأدب

قد نعثر في كتب المختارات الأدبية ، وفي كتب النقد ، على أبيات لابن هانىء ، ينقلها المؤلفون للاستدلال على غرض شعري ما ، أو الاستشهاد بصورة بلاغية ، أو للمقارنة بينه وبين شعراء آخرين من الشرقيين خاصة . ولا تأتي هذه الشواهد منفردة جافة ، بل تصحبها عادة تعليقات من المؤلفين وأحكام تقييمية ، وأحياناً ، إشارات تتعلق بترجمة الشاعر فتزیدنا تعریفاً مثلاً ببعض ممدحیه أو بعض من عرفهم وذکرهم في شعره .

فالحضری (1061/453) مثلاً ، يقارن في «زهر الأدب»<sup>(1)</sup> بين شاعرنا وشاعر أفريقي آخر معاصر له يسمى «علي بن محمد الإيادی» ، في وصفهما للأسطول الفاطمي ، كما يمتدنا بقسم مجهول من قصيدة لابن هانىء في مدح أمیر الزاب .

كذلك ابن رشيق (1063/456) يروي لنا خبراً عن الإيادی هذا وابن هانىء ، فيقول في «العمدة»<sup>(2)</sup> ان ابن هانىء دُعي الى مهاجة شعراء إفريقية ، فقال : لن أهجو الا الإيادی اذا هجاني فقال الإيادی : كيف أهجوه بعد أن رفعني على الشعراء كافة ؟

وقد عرّجنا على ما كتبه ابن شرف (1067/460) في إحدى مقاماته الأدبية<sup>(3)</sup> في خصوص غلو شاعرنا وتنكبه الجادة القوية ، وهو الحكم الذي

. 133/1 (1)

. 111/1 (2)

(3) مسائل الانتقاد ، 40

نقله ابن الخطيب في الإحاطة وأضاف اليه ترجمة وجيبة لفت انتباها بتاريخها  
لوفاة الشاعر بسنة 361 عوض 362 .

ولكن لا تغُرّنا كثرة هذه المصادر وتنوعها ، فالمعلومات التي تستقيها منها لا تتمكن من ترجمة صحيحة مدققة للشاعر ، نملاً فيها مثلاً فراغ الفترة الأندلسية من حياته ، وهي فترة طويلة دامت سبعاً وعشرين سنة ، ونقدر فيها المدة التي لازم فيها أمير المسيلة ، ونتحقق ظروف وفاته أو مقتله ببرقة ، كما لا تسمح هذه المعلومات بالوقوف على هوية كثير من ممدوديه .

فلذلك تتجه الى الديوان نفسه ، والى نسخه المخطوطة لنستمد منها ما قد يساعد على مزيد من الفهم والتعرف ، وذلك ضمن ما نجده من مقدمات للقصائد أو تعليقات عليها ، وأحياناً ضمن ما نكتشفه من قطع مجهلة لم يسبق نشرها .

## المخطوطات

نجد في الديوان المطبوع أو في النسخ المخطوطة منه تقديماً لبعض القصائد والمقطوعات ، ولكنه لا يفيد كثيراً لأنَّه لا يذكر الشخص الذي أهدىت اليه القصيدة ، وإن يذكره ، فلا يعرفه بل يقتصر على اسمه ، مثلًا : أبو الفرج الشيباني ، ولا يتعرض الى ظروف النظم الآنادراً ولا يذكر تاريخ النظم بتأثٍ . وما دمنا لا نعرف من الشيباني الا اسمه ، ونجهل مهنته أو وظيفته ، والظروف التي مدحه فيها الشاعر ، والصنع الذي استحق به هذا المدح ، وما دامت القصيدة نفسها بمهمة غامضة لا يضبط فيها زمان ولا مكان ولا حادث معروف تاريخياً ، قلنا : ما دمنا في هذا الغموض ، فانتا مضطرون الى الافتراض والتتخمين في تقسيم حياته الى ثلاث فترات : أندلسية ومغربية وأفريقية ، وفي التعريف بممدوديه ، وضبط علاقاته بالبلاط الفاطمي . ولعلنا كما نستفيد كثيراً من تاريخ ابن شداد المفقود ، أو من شرح الديوان الذي نسبه ح. ح. عبد

الوهاب<sup>(1)</sup> إلى التيفاشي القفصي بعنوان : « الدبياج الخسرواني في شرح ديوان ابن هانىء » ، ونستفيد على الأقل ظروف النظم ، كما نستفيد اليوم من شروح ابن جنى والواحدى والعكبرى على ديوان المتنبى ومن تعلقات ابن خالوته على شعر أبي فراس الحمدانى .

هذه النسخ المخطوطة تُفتح أحياناً بترجمة للشاعر منقوله عن ابن خلّكان غالباً ، الا أنها تنفرد في بعض المخطوطات بإشارات جديدة ، مما يدلّ على أنّ مادتها أخذت من نصّ الوفيات ومن غير الوفيات . فهذه مثلاً مخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس التي رقمناها بـ « تونس ١ » - وهي أوفر مادة من جميع النسخ المعروفة - تفيدنا بأمررين :

1 - الإشارة الأولى تتعلق بدخول الشاعر في خدمة أمير المسيلة : فتقول ، نفلاً عن فقيه يدعى « الزهراني » - الزهراني لا الوهري كاتب الأمير - أنّ جعفر بن حمدون سمح لابن هانىء بالانتفاع من مكتبه . فهذا يوهم بأنّ الشاعر قد استكمل تعلّمه عند ممدوحه الأندلسىين بالمسيلة ، ونحن نميل إلى رفض هذا الخبر لأنّ المؤرّخين لم يلفتوا انتباها إلى وجود مثل هذه المكتبة بعاصمة الزاب . غير أنّ الاشارة قد تدلّ على أنّ مُقام الشاعر بالمسيلة لم يكن قصيراً ، مما يفسّر كثرة القصائد التي نظمها هناك في مدحبني حمدون .

أما الإشارة الثانية ، ففيها تبرير لطيف للغلو الذي تسمّ به مدائع الخليفة فيطبعها بطابع الكفر ، يقول صاحب التصّر : « ... وله فيه غلو عظيم كفر فيه ، اذ كان لا يجوز عند المدح الا به ... » .

ففهم أن ابن هانىء ما كان يرتضي هذا الإغراق في إجلال الامام ، وأنه كان يُدفع إليه دفعاً . وهي فكرة خاطئة ، فالمعنى وأساليب التي يعبر بها شعراء الشيعة - ولا سيما صاحبنا - عن احترام الأئمة ومحبتهم والتعلق بهم ،

---

(1) الورقات ، تونس 458/2 ، 1966 .

تبدو لجمهور السنين كفراً محضاً واغرافاً في الضلال ، فلذلك راح صاحب المخطوطه يلتمس له الأعذار حيث لا موجب للاعتذار .

هذا المخطوط الذي نحن بصدده ، يتضمن كل القصائد والمقطوعات التي نجدها في الطبعات الثلاث للديوان ، ولا سيما في الثالثة منها ، وهي أكملها وأتقنها ، وتعنى بها الشرح الصافي الذي نشره الباحث الاسماعيلي زاهد علي الحيدر آبادي بالقاهرة سنة 1352/1933 عنوان : « تبيان المعاني في شرح ديوان ابن هانىء ». الآأن مخطوطنا يحتوي على مجموعة أخرى من القصائد والمقطوعات لم تبلغ الى علم الباحث الهندي ، وقد نشرناها بعددين من « حوليات الجامعة التونسية »<sup>(1)</sup> .

ونجد ، من بين هذه الأبيات التي تنفرد بها نسخة تونس 1 ، مقطوعتين غزليتين نظمهما الشاعر في « غلام فائق الجمال » يدعى عبد الله بن سليمان ، والمقطوعتان تسترعيان الانتباه من ناحيتين :

1 - فهما تصوّران جانباً مجهولاً من شخصية الشاعر ، وهو جانب الانحراف الجنسي والمجون والعربدة ، الذي يغاير تماماً الصورة « الرسمية » التي أفناناها لشاعر المعز في تعلقه بالدعوة الاسماعيلية وانصرافه الى الدفاع عنها بشعره الجندي القوي . هذا الجانب المجهول ، إن تحقق وجوده ، لا يتنافي اذ ذاك مع الرأي القائل بأنّ موته ببرقة كان قتلاً إثر خصومة فاحشة : « ... وقتل ببرقة في مشربة على صبيّ »<sup>(2)</sup> .

2 - هذا الغلام المختى كان يعشّقه أيضاً الأمير تميم بن المعز ، وإنما نظم ابن هانىء القطعتين ليغrieve الأمير . هذا ما تصرّح به المخطوطة . ولئن كان تميم معروفاً بفسقه وميله عن شؤون الدولة الى الشعر واللهو والشراب ،

(1) العدد السادس 1969 ، والتاسع 1972 .

(2) ابن سعيد : المغرب ، ترجمة رقم 409 .

مما أدى إلى عزله عن ولاية العهد<sup>(1)</sup> فأن خبر هذه المنافسة بينه وبين شاعرنا ، أي خبر منافسة غرامية ، وربما شعرية ، لم يبلغنا إلا عن طريق هذه المخطوطة ، وعن طريق أحد مؤرخي الفاطميين ، وهو الدواداري (1335/736) الذي يقول إن قتل ابن هانىء كان بإيعاز من تميم<sup>(2)</sup> .

ولا وجه لدفع هذه الصورة الماجنة عن شاعرنا ، فالمجان والمُنحرفون ، من الشعراء ومن غير الشعراء ، كثيرون ، في القديم وال الحديث ، عند العرب وغير العرب . ولعلنا نرجحها ونقبلها اذا ما دققنا النظر في قصیدتين من الديوان المنشور مدح بهما القائد الفاطمي المجهول الذي يدعى « أبا الفرج الشيباني » . فقد استهلَ المدح على عادة القدماء ، بالنسبة التقليدي ، إلا أنه خلط فيه بين المعاني الغزلية والصور الحربية خلطاً يحمل القارئ على التساؤل في هذا الممدوح : أبطل مغوار هو ، أم عذراء خجول ؟

ففي الأولى ، بعد أن يستغرب من قدرة الممدوح على حمل الرمح ، مع رقة قوامه ولين قدمه ، قائلاً : [كامل]

17/4 وَيُكَلِّفُ الأَرْمَاحَ لِبَنَ قَوَامِهِ قَيْلُمْ ذَا يَزِنِ وَيَظْلِمْ قَعْضَبَا  
يتمنى لنفسه سيفاً مثل لحظ الممدوح قاتلاً ، وقلباً مثل دلالة جريئاً  
فاتكاً :

24/4 .. قُمْ فاخترطْ لي مِنْ حَوَاشِي لَحْظِي سيفاً يكونُ ، كما علمت ، مجرّباً  
25 وَأَعْرِزْ جَنَانِي فتكةً من دَلِهِ كيْ ما أكونَ بها ، الشجاع المحرّباً  
اما استهلال الثانية ، فأمره أغرب ، اذ يبادر فيه الشاعر ، من البيت  
الأول ، الى تشبيه الممدوح بالغزال اللطيف الذي ليس من شأنه أن يحمل

(1) سيرة الأستاذ جوزر 115 و 123 . والترجمة الفرنسيّة 181 .

(2) الدرة المضيّة (من كنز الدرر) 254 .

(3) ذويزن : أحد أقىال اليمن - وقُعْضَبَ : جاهليٌّ يصنع الرماح .

1/60 فَوْلَا لِمُعْتَقِلِ الرَّمْحِ الرَّدِينِيِّ  
وَالْمُرْتَدِيِّ بِالرَّدَاءِ الْهَنْدُوَانِيِّ  
2 ضَعِ السِّلَاحَ ! فَهَلْ حَدَثَتْ عَنْ رَشْمَا  
فِي مَشْرَفِيِّ صَقِيلٍ أَوْ رُدِينِيَّ ؟

هذا المعنى الغريب ، وهذه المقابلة عند الغلام ، بين الجسم الناعم وال الحديد الصارم ، كثيراً ما يعود اليهما الشاعر ، كأنه يتذوقهما أو يساير بهما ذوق الجمهور ، ويستخدم لهما كل وسائل الصنعة ، مثلما نراه في المقطوعة التالية ، وهي من زواائد مخطوط تونس 1 : [كامل]

كُمْ قَلْتُ اذ نَزَهْتُ فِي وَجْنَاتِهِ طَرْفِي ، فَمَا رَجَعْتُ إِلَيْ مَحَاجِرِي  
ذَا - وَيَحْكُمْ ! - مَاءُ وَجْمَرُ مُخْرِقٍ فَقَدِ احْتَرَقْتُ ، وَمَا تَرَوْيَ نَاظِرِي !<sup>(1)</sup>

فاستعارة الروض للخد المورد ، والمطابقة بين ماء البشرة الصافية والتهاب الوجنة ، كل هذا معروف ، إنما الطريق هو هذا التساؤل الكاذب ، أو ما يسمى عند أهل البلاغة بـ «تجاهل العارف» : كيف يدوم الاحتراق مع توفر الماء ؟ كيف يستمر الظماء والماء متدافق ؟

وفي مقطوعة أخرى من زيادات تونس 1 ، نراه يدافع ، في غير ما احتشام ، عن هذا المذهب الجنسي ، فيفضل الصلة بالذكر على الصلة العادمة بين أجناس مختلفة ، ويحتاج لها فيعدّ مزاياها : لا حيض ، ولا نسل ولا حجاب ! وممّا يزيد الأبيات جرأة ، أنها موجهة إلى امرأة : [سريع]

لَمْ تُضِّنِّي هَنْدًا وَلَا زَيْنَبَ !  
فِيهِ خَصَالٌ جَمِّةٌ تُرْغَبُ :  
لَا تَلْحِنِي يَا هَذِهِ ! إِنِّي  
لَكَئِنِي أَصْبُو إِلَى شَادِنَ  
لَا يَرْهَبُ الطَّمَثُ ، وَلَا يَشْكِي

(1) حلويات 9/1972 ص 84 .

(2) حلويات 9/1972 ص 78 . وقد أورد ابن سعيد الأبيات الثلاثة ، وسها عنها زاهر علي .

وفي قطعة أخرى ، نراه يدعو صيقلاً يصنع السيف إلى الائتار له من « غلام ملبع » قام بين يديه يختبر سيفاً ، ولكن يتسلل إليه أن يصون مواطن حسنه الأربع ، ولا سيما العجيبة : [ بسيط ]

... خذة بثاري جزاء بالذي فعلاً واقتله عني ، فإني بعض من قتلاً أخذة بي ! وتجئ منه أربعة : الجيد ، والخد ، والاحاظ ، والكفلاء<sup>(١)</sup>

هذه القطع التي لم تنشر في الديوان تكشف لنا كما قلنا عن صورة مجهولة لابن هانىء : صورة شاعر له « غنائية » ككل الشعراء الحقيقيين ، إلا أنها غنائية خرجت عن الغزل التقليدي الجاف الذي لا يترجم عن واقع ، إلى غزل تعودت التقاليد الأخلاقية أن تبذه . فالشعور بالجمال ، والإحساس بالفتنة ، والأنسياق مع العاطفة القوية ، كل هذا اتخذ في قلب الشاعر طرقاً شاذة ، فلذلك عمل على إخفائها في جل شعره ، ولم يظهرها إلا في بعض الاستهلالات الملتوية أو بعض المقطوعات شبه السرية التي لم تتجاوز الندامي والخلان في مجلس الأنس ، فلذلك غابت عن جامعي الديوان ولم تظهر إلا في نسخ قليلة ، كنسختنا هذه النفيسة التي فتحت لنا بفضل زوائدها ، هذه الأفاق المجهولة من شخصية ابن هانىء .

وكما وجدنا في الديوان هذه النماذج المكشوفة من الغزل بالمذكور ، فإننا نجد كذلك نماذج من الشعر الخمرى ، تمثل في مقدمات خمرية لقصائد المدح ، على غرار استهلالات الأعشى أو أبي نواس . هذه الاستهلالات توجد حتى في القصائد « الجدية » مثل مدائح المعز ، وتتمثل أيضاً في مقطوعات قصيرة تصف مجالس الطرف والشراب ، مثل هذه الأبيات التي يقترن فيها وصف الخمرة بالشره الجنسي : [ وافر ]

وليل بث أسقاها سلافاً معتقة كلون الجلائر

---

(١) حوليات 9/ 1972 ص 89 .

كَانَ حُبَابِهَا خَرَّاتُ دَرِ  
بِكْفِ مُقْرْطَقِي يُزْهَى بِرِدِ  
أَقْمَثَ لَشَرِبَهَا عَيْنًا، وَعِنْدِي  
وَنَجْمُ اللَّيلِ يَرْكُضُ فِي الْدِيَاجِي  
عَلَثَ ذَهَبًا بِأَقْدَاحِ النَّضَارِ  
يَضِيقُ بِحَمْلِهِ وَسُعْدُ الْإِزارِ  
بَنَاتُ اللَّهُو تَعْبُثُ بِالْعَقَارِ  
كَانَ الصُّبْحَ يَطْلُبُهُ بِشَارِ<sup>(1)</sup>

وقد نظم الشاعر أيضاً مطولة على غرار قصص أبي نواس إلا أنها وحيدة من نوعها ، كأنها « تمرين » قدّ في أبي نواس وأمثاله<sup>(2)</sup> .

وكما لم ندفع عن شاعرنا صفة الشذوذ الجنسي ، لا يسعنا أن ندفع عنه تهمة التعلق بالخمر ومستلزماتها : فالميل الى اللهو أمر طبيعي ، ولا سيما عند الشعراء ، وهذا الميل لا ينقص شيئاً من موقفه كشاعر رسمي للبلاط الفاطمي . فالجانب الرسمي من شعره يتمثل في القصائد السياسية النضالية . أما هذه المقطوعات وهذه المقدمات ، فهي فرصة يتهزها الشاعر ليعبر عن غنائمه المكبوتة .

ولا يخفى أن هذا الشعر الخمري يدعّم هو الآخر ما روّي عن شبابه الماجن باشبيلية أو عن ليلته الأخيرة ببرقة .

هذا ما استفدناه من مخطوط تونس 1 . أما بقية النسخ التي تحتوي على مقدمة ، فلا نجد فيها ما يلفت النظر ، إلا ما نقله مخطوطا بباريس<sup>(3)</sup> ومدريد<sup>(4)</sup> في شأن سن الشاعر عندما قُتل : الخامسة والثلاثين ، ولكنهما يقلان نص ابن خلكان الذي لم يذكر إلا امكانيتين : 36 سنة أو 42 سنة ؛ فهذا الرقم سهوٌ حينئذ أو غلط .

وتزيد مخطوطة مدريد على نسخة باريس - رغم تشابه نص المقدمة -

(1) ص 334 من طبعة زاهد على .

(2) القصيدة 34 .

(3) باريس رقم 3108 .

(4) مدريد رقم CCX 5271 .

بنقلها لخراقة اللقاء بين ابن هانئ والمتنبي ، وروايتها لحكم المعز بين الشاعرين ، وهو يفضل طبعاً شاعره على شاعر سيف الدولة .

\*

وبعد ، فهذه هي المصادر التي نستقي منها معلوماتنا عن ابن هانئ وبيئته ومدوحه ، وهي كما يلاحظ القارئ ، معلومات جزئية غير ثابتة ، ولا سيما في القضايا الأساسية من حياته ، كنشأته الأندلسية وأحوال أسرته ، وتكونيه وتعلمه ، وأحواله العائلية ، وظروف وفاته .

بقي لنا أمل العثور على شيء من الإرشادات المفيدة خلال استعراضنا لشعره ، في محاولة لضبط تاريخ القصائد والتعريف بالأعلام المذكورين فيها وبالأحداث التي تشير إليها : فإذا تم لنا ذلك - وهو محور الفصل الثاني والثالث من هذا الكتاب - فاننا سنقترح بعد ذلك ترجمة مفصلة للشاعر .



## الفصل الثاني

### ديوان ابن هانىء

يبلغ عدد النسخ المخطوطة من ديوان ابن هانىء ثمانى وعشرين نسخة ، بين كاملة وجزئية . هذا العدد يضبط المخطوطات المعروفة ، أي المحفوظة في كبريات المكتبات في العالم ، أو الباقية على ملك بعض الخواص من رجالات الشيعة الاسماعيلية في بلاد الهند .

ولا يخفى أن هذا العدد قد يرتفع بما قد يكشف من مخطوطات مخبأة مجهرة .

وقد أطلعنا منها على نحو عشر نسخ ، بما فيها مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس وهي خمس نسخ . أما البقية ، فعرفناها بالوصف : إما من الفهارس التي تسجل فيها المكتبات الوطنية كنوزها ، وإما من نقل الدارسين ، كوصف ناشر الديوان ، زاهد علي ، للنسخ الهندية التي يحتفظ بها رؤوس طائفة البهرة في سرت وحيدرآباد بالهند<sup>(1)</sup> ويغارون عليها ويضيّون بها على عامة الدارسين ، ولئن تمكّن المرحوم زاهد علي من الإطلاع عليها ، فلأنه كان

---

(1) انظر فصل «البهرة» في دائرة المعارف الإسلامية 2 ، كتبه آساف فيضي وهو أيضًا اسماعيلي ، وانظر كذلك ما يقوله المرحوم محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية . . . المقدمة ص

اسماعيلياً ، بل كان أحد رجالات هذه النحله في بلاده<sup>(1)</sup> .

وستتحدث في هذا الفصل ، عن النسخ التي عرفناها بالمارسة الفعلية ، ثم نقابلها والتي عرفناها بالوصف والرواية ، وبعد ذلك ، نحاول أن نرتّب كافة النسخ ترتيباً زمنياً ، أي بحسب تاريخ نسخها . وفي قسم ثان نتحدث عن طبعات الديوان .

### النسخ المخطوطة :

يظهر أن أقدم النسخ المخطوطة هي النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية سخطوط (ب) بباريس تحت رقم 3108 . ويرجع تاريخ صنعها إلى سنة 858 للهجرة / 1455 للميلاد ، حسب ما يذكره الناسخ في نهاية المخطوطة .

يتربّك المخطوط من 189 ورقة ، والقصائد مرتبة فيه بحسب حرف الرويّ ، الهمزة ، الألف ، الباء ، التاء . . . . ويتضمن مقدمة نجد فيها ، بعد الحمدلة ، ترجمة للشاعر يظهر أنها ، كما قلنا ، نقلت عن نصّ الوفيات ، وإن كانت تختلف عنه بعض الجزئيات ، كحكاية اللقاء بين ابن هانيء والمتنبي ، تلك الخرافة التي نقلها اليافعي ، وينقلها ابن العماد الحنبلي ، مما يبعث على الاعتقاد بأن كلاً من مؤلف هذه المقدمة وهذين المؤرخين قد أخذوها من مصدر واحد .

ونلاحظ أخيراً أن القصيدة 24 من ترتيب زاهد عليّ - وهي مدحه للمعز لا يزال الناس يستنكرون غلوّها - قد طرحت أصلاً من هذه المجموعة ، فكان أيدي « التطهير » قد امتدت إلى هذا المخطوط فحذفت منه ما قد يُستعظم .

---

(1) زاهد علي : تبيان المعاني . . . . ص 14 من المقدمة ، وراجع ما ذكره عنه فيضي في الفصل المذكور عن « الهرة » .

تفتح هي أيضاً بمقيدة مماثلة ، ولكن ترتيب القصائد مختلف : فهو ترتيب بحسب الممدوحين : القصائد الأولى هي مدائح المعز ، بدون أن يكون ترتيبها خاضعاً لنظام ما : فالقصيدة الأولى لامية ، والثانية نونية ، والثالثة يعود فيها اللام الخ ... ولم يذكر تاريخ النسخ ، على أنه ذكر تاريخ التملك باسم شخص يدعى عبد الرحمن الحسيني . التاريخ متأخر : 1668/1080 ، ونسبة « الحسيني » توهم بأن صاحب المخطوط هذا ، كان من نسل فاطمي أو كان على الأقل شيعياً .

وهذه النسبة نفسها ، يتصنف بها صاحب مخطوط الاسكوريات الآتي الذكر ، وهو رجل يدعوه الناسخ باسم « زيد ابن أمير المؤمنين المنصور بن أحمد الحسيني » ، فهل كان هؤلاء أمراء وملوكاً ، أو أفراداً من أسرة مالكة ؟ لعلها إحدى الأسر العلوية التي حكمت البقاع المقدسة قبل حركة الوهابية<sup>(١)</sup> .

واسم الحسيني هذا أكثر انتشاراً في الزمان والمكان من أن نستطيع معرفة عبد الرحمن الحسيني معرفة صحيحة .

ومهما يكن من أمر المالك ، فإن المخطوط لا يجمع كامل شعر ابن هانئ ، بل تنقصه أربع قصائد ، علاوة على القصيدة 24 التي أشرنا إليها ، ولا يمكن هذه المرة ، أن نتهم « المحافظين » بتطهير المجموعة : فمن هذه القصائد المطروحة - وهي المرتبة عند زاهد علي تحت أرقام 21 و 26 و 32 و 35 - ما لا يتصل أصلاً بالمذهب الشيعي ولا بالحكم الفاطمي ، كالقصيدة 21 التي يتعرض فيها الشاعر إلى ديوان المتني . ونجد على هامش القصائد الأولى من النسخة ، بعض الشرح اللغوية المقضبة .

مخطوط (م. ب)

أما نسخة المتحف البريطاني<sup>(1)</sup> ، فلئن ذهبت منها ورقة البداية والنهاية ، فهي تزيد على النسختين السالفتين بالقصيدتين 61 و 62 من ترتيب زاهد علي ، اللتين تخلو منها جل المخطوطات : فلذلك لم تردا في الطبعات الأولى من الديوان ، وأول ظهورهما كان في طبعة الباحث الهندي الذي اعتمد هذا المخطوط فيما اعتمد .

ويقول زاهد علي ، معتقداً على نوع الورق ، ان تاريخ نسخها يرجع الى القرن السابع / الثالث عشر ، وبذلك يكون مخطوط المتحف البريطاني أقدم نسخ الديوان ، ولكننا نحتفظ بفكرةنا في أسبقية نسخة باريس التي ضبط تاريخ نسخها .

في هذه النسخة ، لا تبين ترتيباً واضحاً للقصائد ، فلا هو بحسب الممدوحين ، ولا على الأبجدية : فالقصيدة الأولى قافية وهي في مدح ابن أمير المسيلة ، والثانية ثانية في مدح جعفر ، والأخيرة فائية في مدح المعز .

وكذلك الأمر بالنسبة الى مخطوط مكتبة الاسكورتال باسبانيا<sup>(2)</sup> ، فهو يبدأ بالقصيدة رقم 13 الدالية ، ولا نعرف كذلك تاريخ انجاز هذه النسخة التي لا تتضمن مقدمة ولا خاتمة .

## النسخ التونسية

ونصل بعد هذا الى نسخ دار الكتب الوطنية بتونس التي لم يطلع عليها زاهد علي . هذه النسخ الخمس تتفاوت قيمتها ، فأهمها هو المخطوط رقم

مخطوط (ت 1) . B. M. 3767

. (2) عدد 443

13746 الذي لقبناه «تونس 1» ويتألف من 124 ورقة رتبت عليها القصائد ترتيباً بجدياً على حرف الرويّ.

ولهذا المخطوط ميزتان : قدم العهد أولاً ، فقد نسخ سنة 1004/1594 ، وهو تاريخ قريب نسبياً ، إلا أنَّ الأصل الذي نقل عنه يرجع تاريخه إلى سنة 1211/608 ، وهو أقدم تاريخ يشهد بوجود ديوانٍ مصنَّف لشِعر ابن هانىء . فالمخطوط يعتمد على نسخة قديمة جداً ، وإن كانت مفقودة ، من ديوان ابن هانىء .

والميزة الثانية هي اشتتماله على 8 قصائد و 18 مقطوعة غير مذكورة في بقية النسخ المعروفة . فالقصائد مهداة إلى ممدوحين ، منهم المعروف كال الخليفة المعز وأمير المسيلة ، ومنهم المجهول كالكاتب «أحمد بن زائدة» . أما المقطوعات ، فقد لفتت انتباها بما كشفت لنا من مخبَّيات ميل الشاعر وطباعه . هذه الزيادات التي ينفرد بها مخطوط تونس 1 تضييف إلى طبعة زاهد علي - وهي أكمل من سبقاتها ومن لاحقاتها كما سنرى - 368 بيتاً من شِعر ابن هانىء .

وقد صرَّح ناسخ المخطوط بأنه نقل هذه القطع الإضافية «من غير الأصل المنقول عنه» : يعني هذا أنه اعتمد أصلين : الأصل العادي إن صح التعبير ، وهو مخطوط سنة 608 الذي تتوقع أنه لا يختلف عن النسخ الموزعة اليوم في العالم ، والتي كانت مصدراً لطبعات الديوان ، ثم الأصل المجهول الذي فُقد هو الآخر ، وبقيانا نجهل في شأنه هل كان يتضمن كلَّ شِعر ابن هانىء أم هو يقتصر على هذه الإضافات لا غير ، والأقرب إلى الظن أنه كان نسخة كاملة من الديوان ، أو على الأقلَّ نسخة أكمل من نسخة سنة 608 .

هذا ، وقد أشرنا إلى المعلومات الطريفة التي أفادتنا بها الترجمة الواردة في ذيل المخطوط ، مما يبعث على الاعتقاد بأنها ترجمة سابقة حتى لنصَّ ابن الأبار في التكميلة ، نظراً لقدم الأصل المعتمد .

وختامة القول في مخطوط ت 1 ، أنه صالح ، بفضل هذه الزيادات أولاً ، وبفضل وجوده في تونس أي افريقيا موطن الشاعر ثانياً ، أن يكون أصلاً يعتمد لطبعة جديدة للديوان ، تجمع كامل الشعر المعروف حتى اليوم . وسنحاول تحقيق هذه الأمنية ان شاء الله .

مخطوط (ت 2) المخطوط الثاني - ونسميه ت<sup>(1)</sup> - نُقل سنة 1264/1847 عن ت 1 ، الذي كان قد حبس على مكتبة الجامع الأعظم ، أي جامع الزيتونة ، ابتداء من سنة 1256/1839 ، كما يشهد به عقد التوقف المثبت في صدر نسخة ت 1 . غير أن هذه النسخة ت 2 تقطع عن نقل ت 1 ابتداء من ورقة 74 وجه ، فلا تنقل اضافات ت 1 الواردة ابتداء من قافية اللام ، وقد أهمل الناسخ كذلك المقدمات التي تعلو القصائد ولم يحسن خطّه ، كأنه أتقن العمل في أول النسخ ، فاعتمد نسختين ، منها ت 1 ، ثم أوجله أمر فطّرخ النسخة الطويلة - ت 1 - واكتفى بنقل الأصل القصير الذي لا يتضمن اضافات ، بهذا يمكننا أن نبرر وجود بعض زيادات ت 1 في هذه النسخة وفقدان الأخرى .

ثم نجد ، في مخطوطات دار الكتب التونسية ، نسختين متشابهتين وان اختلافنا عن السابقتين : أولاًهما - ونسميهما ت<sup>(2)</sup> نقلت سنة 1107/1695 ، وقد كانت على ملك الفقيه التونسي الشيخ ابراهيم الرياحي (ت 1266/1849)، ولعله كان اقتناها بالشرق أثناء احدى سفراته - أو سفاراته - لأن خطّ النسخة مشرقي واضح أنيق مطعم بالمداد الأحمر ، وان كان ناسخها - واسمها محمد الشرائي - نسب في المقطوعة التي نظمت بمناسبة اختتام النسخ ، الى المغرب . ويبدو أن المخطوطة كانت ، قبل وصولها الى الشيخ ابراهيم الرياحي ، على ملك رجل يدعى « أحمد الدنجاوي » ، تقول المنظومة إنه

---

(1) ت 2 : رقم 2231 قديم .

(2) ت 3 : رقم 15850 .

هو الذي قام بتزيين المخطوطة بالتزاويق الحمراء . وأحمد الدلنجاوي هذا ليس مجهولاً تماماً ، فقد كان على ما يقول بروكلمان ورضا كحالة<sup>(1)</sup> ، شاعراً مصرياً ، عاش حتى سنة 1711/1123 ، وخلف ديوان شعر طبع ببلاط سنة 1885/1303. فتكون المخطوطة مرت بأيدي شاعرين ، الدلنجاوي والشيخ الرياحي الذي كان ينظم الشعر في المناسبات ، ولا سيما السفارات لدى الباب العالي .

خطوط (ت ٤) النسخة الأخرى - ت ٤ - نقلت بحذافيرها عن ت ٣ ، سنة 1250/1834 ، فقد نقلت حينئذ في حياة الشيخ ابراهيم الرياحي صاحب النسخة المنقول عنها ، وأوقفت هي الأخرى على مكتبة الجامع الأعظم ابتداء من صفر 1873/1291 ، ويفهم من الاشارة الواردة في ذيل المخطوطة أنها كانت على ملك المؤرخ التونسي أحمد بن أبي الضياف المتوفى في شعبان من نفس السنة / اكتوبر 1873 ، فيكون صاحب الاتحاف قد تخلى عنها لغيره أو جعلها من أحباس الزيتونة خمسة أشهر قبل وفاته .

خطوط (ت ٥) أما بقية المخطوطات التونسية ، فهي جزئية لا تجمع كامل الشعر ، بل مختارات منه ، فالنسخة التي ورثتها دار الكتب عن العلامة التونسي ح . ح . عبد الوهاب قبيل وفاته سنة 1968 ، وتحمل رقم 18624<sup>(2)</sup> ، هذه النسخة تنقل بعض المطولات فقط برمتها ، أما بقية القصائد ، فتشير إليها باليت الأول منها الذي يصبح هكذا عنواناً لها ، فالقصيدة 24 مثلاً لا يعرف وجودها إلا بيتها الأول : [كامل] .

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار  
ورأى صاحب النسخة في خصوص هذه القصيدة بالذات أن يبرر

(1) بروكلمان 260/2 والملحق 2/388 . كحالة : 1/220 .

(2) انظر قائمة المخطوطات المهدأة الى دار الكتب الوطنية في الحوليات 7/1970 .

اقتصاره على هذا المطلع بما يوجد في القصيدة من شرك ، فنقل لنا حكماً قاسياً لابن شداد صاحب تاريخ القيروان على كفر ابن هانىء . فهذه فرصة أخرى نتحسّر فيها على فقد هذا الكتاب .

ونسخة ح . ح . عبد الوهاب هذه - ت 5 - صنفت سنة 1859/1275 : وتشتمل على 102 ورقة تتقدّمها بعض الاشارات في ترجمة الشاعر وبعض الأحكام في شعره ، منقوله عن مطعم الأنفس لابن خاقان ، وعن الوفيات ، وعن « عيون التواریخ » لابن شاکر الكتبی ( 1362/764 ) .

أما النسخ الموالية ، فتكتفي بنقل بعض القصائد المختارة ولا تنقلها كاملة، وهكذا نجد في مخطوط ( ت 6 )<sup>(1)</sup> فقرات من القصائد: 31 و 40 و 48 و 53 ، جمعت مع فقرات أدبية أخرى مختلفة المناهج والأغراض ، ضمن « كشكول » نسخه أو انتسخه سنة 1862/1279 الفقيه التونسي محمد بيرم الثاني . والقصيدة الأولى من هذه المجموعة اشتهرت عند القدماء والمحدثين بوصفها للترجم الذي يستهلّ الشاعر بقوله : [ طوبيل ]

أَلْيَلَّتَا إِذْ أَرْسَلْتَ وَارِدًا وَحْفًا  
وَبِتُّنَا نَرَى الْجَوْزَاءِ فِي أَذْنِهَا شَنْفًا  
فصاروا يتناقلونها ويتمثلون بها .

فلا بدّع حيث إنّ لا نجد في ثلاثة كنائش إلاّ هذه القصيدة « الفلكية » من شعر ابن هانىء ، إلى جانب مختارات مختلفة من شعراء وأدباء آخرين<sup>(2)</sup> .

وشبيه بهذه المجموعات التونسية ، مجموع تحفظ به مكتبة

(1) ت 6 : رقم 436 .

(2) ت 7 و ت 8 و ت 9 : رقم 3920 و 18768 و 18458 .

الأمبروزيانة بميلانو<sup>(1)</sup> ، الا أنه لا يتضمن الأبيات الفلكية ، بل فقرات من القصيدتين 20 و 26 ، مع متنقيات لغير ابن هانىء .

## النسخ الأخرى

هذه هي النسخ التي تستنى لنا أن نطلع عليها بِتَفَسِّنَا ونمارسها ممارسة فعلية . ولم نتمكن من الاطلاع على بقية المخطوطات التي بنى عليها زاهد علي طبعته للديوان سنة 1352/1933 ، فاضطررنا إلى الاكتفاء بما نقلته عنها الفهارس المختصة كفهرست أهلوارت أو روزين ، أو ما وصفها به زاهد علي في مقدمته<sup>(2)</sup> . هذه الأصول الأخرى تتوزع كما يلي :

- نسخة بالمتحف البريطاني ، وهي غير التي عرفناها .
- نسختان باكسفورد .
- نسختان بالمتحف الأسيوي بلينغفورد .
- نسختان ببرلين .
- نسختان بدار الكتب بالقاهرة .

هذا الى جانب النسخ الأربع التي يملكونها جماعة من البهرة بُسرت وحیدرآباد ، ومنهم بعض أقارب الناشر .

ولنذكر أخيراً مخطوطاً آخر تحتفظ به المكتبة الوطنية بباريس ، مع كتش يتضمن قطعة مختارة من شعر ابن هانىء<sup>(3)</sup> .

## ترتيب القصائد في المخطوطات :

هذه النسخ كلها حديثة العهد نسبياً ، وقد رتبت القصائد في معظمها

(1) رقم 118 من فهرست قرييني ج 1 ص 593 .

(2) تبيان المعاني ... ص 12-16 من المقدمة .

(3) رقم : 6031 و 6034 من فهرس Blochet .

بحسب الممدوحين ، ولا نجد ترتيباً أبجدياً مثلما هو الشأن في (ت 1) و  
(ب) غير أن بعض النسخ تفتح بالقصيدة الثالثة عشرة : [ طويل ]

1/13 **أَلَا طَرَقْشَا وَالثَّجُومُ رَكُودٌ** وفي الحي أيقاظ ، ونحن موجود  
على غرار مخطوط (م . ب) .

هذا ونحاول ، في الجدول الذي نقدمه في آخر هذا الفصل ، أن نرتّب  
المخطوطات ترتيباً زمنياً تقريرياً ، بالاعتماد على تاريخ التصنيف كلما ذكر ، أو  
على تاريخ الوقف أو التملّك ان وجد : في الوادي الأول والوادي الثاني ،  
نعرف المخطوط بمصدره وعلامته ، ونذكر التواريχ في الواديين الثالث  
والرابع ، ونشير في الوادي الخامس إلى أنواع الترتيب ، وهي في الواقع  
متباينة لا تجمع بينها وحدة . أما الوادي السادس فخصصناه لللاحظات :  
نلتفت الانتباه إلى كون المخطوط كاملاً يجمع كل الشعر ، أو جزئياً يقتصر على  
محاترات منه ، والتي وجود مقدمة مثلما في (ب) و (م) . وإن وجود هذه  
المقدمة لا يشكل حجة على تشابه المخطوطات وانحدارها من أصل واحد :  
يشترك (ب) و (م) مثلاً في المقدمة ولكنهما يختلفان في الترتيب .

وحتى الترتيب لا يشكل حجة : ف « ب » و « ت 1 » يتبعان الترتيب  
الأبجدي ، ولكنهما يفترقان بالنقص والزيادة . والترتيب بحسب الممدوحين لا  
يخلو نفسه من بعض الفوضى : هناك نسخ تبدأ بمدائح المعز ، ثم تتركه إلى  
مدائح بنى حمدون ، ثم تعود إلى الخليفة في أواسط الديوان او حتى في  
نهايته . وكذلك الأمر بالنسبة إلى أمراء المسيلة : بعض مدائحهم يرد في  
المرتبة 20 من الديوان ، (أي القصيدة العشرون من النسخة تكون في  
مدحهم ) ، ثم تقطع فتعود في المرتبة 51 ، وتقطع من جديد ، فتعود في  
القصيدة 63 . فلا تتميّز بين هذه الأنواع من التنظيم ، ترتيباً يراعي مثلاً أفضلية  
الخليفة فيقدم مدائحه على مدائح ولاته وقواده . ولئن توسمنا في بعض النسخ  
مثل هذا الترتيب ، فسرعان ما يخيب الطّن فنلاحظ الخلل .

ولا نتميز كذلك ترتيباً ما ، أبجدياً أو تاريخياً ، ضمن القصائد الموسومة باسم الشخص الواحد : نعني أن مدائح المعز مثلاً ، اذا وردت مجموعه متتابعة ، فإنها لا تتالي بتوالي حرف الروي ولا بتوالي الأحداث والزمان ، بل ترتب كما يطيب للناسخ أن ينقلها أو يرتبها .

غير أنها نجد أحياناً ، ضمن الترتيب الأبجدي المتبع في (ت ١) و (ب) تبوبياً ثانوياً يعتمد الاشتراك في الممدوح ؛ نعني أن القصائد الهمزية ، أو البائية ، أو الدالية ، اذا اجتمعت في نسخة ، فقد تقدمها مدائح المعز ، ثم تليها مدائح جعفر بن حمدون ، وهلم جرا ، ولكن هذا التبوب سرعان ما يختل فتعود الحرية المطلقة ابتداء من قافية الراء .

وواضح ، إزاء هذا الاختلاف في الترتيب ، أنه يتعدّر علينا أن نعيّن للقصائد وللمخطوطات تاريخاً صحيحاً ولا مصدراً ثابتاً ، فنجزم بأن قصيدة كذا نظمت في بلد كذا وفي تاريخ كذا ، وأن المخطوط الفلاي نسخ في تونس أو في مصر . وإنما نضطر ، في كل هذا ، إلى الافتراض والتخمين ، وغاية ما نتجاسر عليه ، في البحث عن أصول المخطوطات ، هو أن نرجح أن النسخ التي تفتح بمدائح المعز هي نسخ فاطمية أو منقوله عن أصل فاطمي ، لأنها تقدم الخليفة فتجعله في الديوان ، أول الممدوحين ، وإن لم يكن في الترتيب التاريخي الا ثالثهم أو رابعهم .

### طبعات الديوان :

لقد طبع ديوان ابن هانىء ثلاثة مرات قبل الطبعة المحققة التي قام بها زاهد علي سنة 1352/1933. طبع أول مرة ببولاق سنة 1274/1857 ، ثم طبع بيروت سنة 1886 ، وظهرت الطبعة الثالثة بيروت أيضاً سنة 1326/1907 .

### طبعة بولاق :

تألف من 160 صفحة مسبوقة بترجمة للشاعر منقوله عن ابن خلkan ،

ويقول الناشر انه رأى من الصالح أن يرتب القصائد ترتيباً أبجدياً ، مما يبعث على الاعتقاد بأنَّ الأصل الذي بنى عليه طبعته لم يكن مرتبًا بمثل هذا الترتيب : ولعله انطلق فعلاً من السختين المحفوظتين اليوم بدار الكتب بالقاهرة : فهما مختلفتا التبويب بعيدتان كلَّ البعد عن الترتيب الأبجدي .

والآيات فيها غير مشكولة ، وقد تكلَّف الناشر نقل بعض الشروح اللغوية في الهوامش ، الا أنَّ الطباعة ردية جدًا لا تقاد تتضمن حروفها ، والديوان بعد هذا حال من كل فهرسة .

### طبعه بيروت الأولى :

ظهرت سنة 1886 في 232 صفحة ، والطبع أقلَّ احتلالاً منه في السابقة ، وبالرغم من إلغاء التعاليل الهماسية ، فإنها منقوله عن طبعة بولاق : فالترتيب هنا أيضاً أبجدي وعنونة القصائد مماثلة وكذلك القراءات الخاطئة . إلا أنها تزيد عليها بفهرس للغلط المطبعي .

وقد صرَّح ناشرها « شاهين عطيَّة » بأنَّ طَبعَ الديوان على نفقة « لطفي الزهار » و « عمر هاشم » وهما رجالان يحترفان تجارة الكتب بدمشق ، ولا شيء في الاشارة يبعث على الظن بأنَّ هذين الكتبَيين كانوا شيعيين وأنَّ طبع الديوان كان بداعِي مذهبِي .

### طبعه بيروت الثانية :

طبعت سنة 1326/1907 على مطبع جريدة « الإقبال » وهي إحدى الصحف الإسلامية الثلاث التي كانت تصدر آنذاك بيروت<sup>(1)</sup> ، ولا تختلف عن السابقتين الا بِرجوعها الى الشروح اللغوية القليلة التي كانت نقلتها طبعة بولاق .

---

(1) ف . طَرازي : تاريخ الصحافة العربية . . . ص 9-8 من الفهرس العام .

## شرح زاهد علي

هذه النقائص المنجراً عن فقدان كل عمل تحقيقي منطبعات الثلاث وبالخصوص عن انعدام المقابلة بين المخطوطات حملت أحد أساتذة المعهد النظامي بجعيرآباد بالدنك في القطر الهندي ، على الشروع في تحقيق الديوان وشرحه ، والتقديم له بمقدمة ضافية . أنسجز هذا الباحث - واسمه زاهد علي ، وهو سليل أسرة شيعية اسماعيلية بجعيرآباد - عمله ، فشفعه بترجمة انجليزية للديوان ، تقدم بهما سنة 1350/1932 لـ نيل شهادة الدكتوراه البريطانية من جامعة اكسفورد . ثم نشر الديوان بالقاهرة سنة 1352/1933 تحت عنوان : « تبيان المعاني في شرح ديوان ابن هانئ » ، فالعمل ليس ضبطاً للنص فحسب بل هو أيضاً شرح وتقديم .

بني الشارح تحقيقه على طبعات الديوان الثلاث ، وعلى عدد كبير من المخطوطات ، واعتمد منها خاصة نسخة المتحف البريطاني التي تحدثنا عنها ( م . ب ) : فقد اتخذها أصلاً لضبط النص نظراً لما ارتأه فيها من قدم العهد واقتمال المادة . واعتمد أيضاً النسخ المحفوظة في الهند عند طائفة البهرة بسرت ، وعند بعض أفراد عائلته ، واستخدم بالخصوص شرحاً للقصائد المعزيزات - أي مدائح ابن هانئ للمعز - صنته على النهج الباطني أحد أقاربه ، الشيخ حميد الدين علي ، فقال انه اعتمد عليه كثيراً لفهم الأبيات المتعلقة بالعقيدة الاسماعيلية وبألقاب الأئمة وصفاتهم ، ثم شرحها<sup>(1)</sup> وأضاف إلى مادة الديوان بعض المقطوعات وأبياتاً منفردة اكتشفها في مطعم الأنسون لابن خاقان وفي نفح الطيب .

وبهذا كانت تكون طبعته أكمل طبعات الديوان وأجمعها لشعر ابن هانئ ، لو لا اغفاله للمخطوطات التونسية ، ولا سيما ( ت 1 ) بزيادتها

(1) زاهد علي : تبيان - ص 9 من المقدمة .

الهامة ، وانا لستغرب هذا السهر من زاهد علي ، وقد كان رحمة الله باحثاً رصيناً وأديباً عارفاً ، اذ كان عليه ، أثناء استقرائه للنسخ المخطوطة ، أن يتوجه أولاً وبالذات الى تونس وارثة الحضارة الافريقية التي زانها مجد الشاعر . ونستغرب كذلك أن يسمو أستاذ المشرف على بحثه - وهو المستشرق مرغليوث المعروف بحملته على الشعر الجاهلي - عن النسخ التونسية فلا يدعوه الى التحقق من وجودها .

هذا الشرح الضخم يتألف من 818 صفحة من الحجم الكبير ، مصداً بمقدمـة ذات 61 صفحة . في هذه المقدمة ، يشرح الناشر أولاً دوافعه الى هذا العمل ، ثم يصف الطبعات الثلاث التي سبقت الـديوان ، وكذلك المخطوطات التي حقق بها طبعته ، وهي ثمانية عشر مخطوطاً ، تأتي بعد ذلك ترجمة للشاعر مستوحاة من كلام ابن الأثير وابن خلـكان وابن الخطيب ، وتليها جملة من الأحكـام في قيمة الشاعر للقدماء وبعض المستشرقـين يشفـعـها زاهـد على برأـيه هو في ابن هـانـيـء مع مقارنته بالـمـتنـيـ .

وفي قـسم ثـانـ من هـذا التـصـدـيرـ ، يـتـرـجـمـ النـاـشـرـ لأـهـمـ مـمـدوـحـيـ الشـاعـرـ وـيـبـيـطـ أـبـرـزـ الأـحـدـاثـ التـيـ تـخـلـلتـ خـلـافـةـ المـعـزـ . ثـمـ يـشـرـحـ عـنـاصـرـ العـقـيـدةـ الإـسـمـاعـيـلـيـةـ مـسـتـشـهـدـاـ بـأـبـيـاتـ مـنـ الـدـيـوـانـ ، مـبـرـراـ مـاـ اـعـتـبـرـهـ السـتـيـونـ غـلـوـاـ مـنـ الشـاعـرـ وـمـرـوـقاـ عـنـ الدـيـنـ ، وـمـبـرـراـ سـاحـتـهـ مـنـ تـهـمـةـ الـكـفـرـ .

ولـاـ يـخـفـيـ أـنـ هـذـاـ الـبـاحـثـ الـإـسـمـاعـيـلـيـ مـعـجـبـ بـابـنـ هـانـيـءـ ، فـهـوـ يـعـادـلـ بـأـعـظـمـ الشـعـرـاءـ ، وـلـاـ سـيـماـ المـتنـيـ .

ويختـمـ المـقـدـمـةـ بـقـامـوسـ قـصـيرـ جـمـعـ فـيـهـ ثـلـاثـيـنـ كـلـمـةـ مـنـ غـرـبـ الـدـيـوـانـ ، مـمـاـ لـاـ يـخـضـعـ حـسـبـ رـأـيـهـ لـمـقـايـيسـ الـلـغـةـ ، وـيـنـقـلـ أـخـيـرـاـ نـصـ المـقـدـمـةـ الـتـيـ تـتـصـدـرـ نـسـخـتـيـ (ـبـ وـ مـ)ـ .

أـمـاـ الشـرـحـ ، فـقـدـ صـرـحـ النـاـشـرـ نـفـسـهـ بـأـنـهـ اـحـتـذـىـ فـيـهـ حـذـوـ الـعـكـبـيـ (ـ1219/616ـ)ـ شـارـحـ دـيـوـانـ الـمـتنـيـ . هـذـهـ الـمـجـارـةـ تـظـهـرـ مـنـ عـبـارـةـ الـعـنـوانـ :

«البيان في شرح الديوان» عند العكريّ ، و «تبين المعاني في شرح ديوان ابن هانىء» ، أي في مشابهة «بيان» و «تبين». غير أن المشابهة لا تقف عند هذا الحد : فهو يتبع منهج العكري في الاهتمام أولاً بـ «الغريب» أي باللفظ الذي يحتاج إلى شرح معجمي ، غير أنّ شرح المادة يجرّ ، كما هو شأن عند العكري وغيره من الشرّاح القدامى ، إلى الاستشهاد الكثير على معانيها واستعمالاتها بشواهد من القرآن والحديث والأمثال والشعر القديم ، وبالتالي يتضخّم هذا القسم الأول من الشرح ، على حساب القسم المولى الذي يبدو هزيلاً أحياناً .

في هذا القسم الثاني يأتي بسط الفكرة والتعليق عليها ، ويقدمه الشارح بعنوان «المعنى» : هذا الشرح المعنوي كثيراً ما يقتصر على تلخيص الفكرة أو إعادتها بعبارة أخرى ، دون ما تعمق ولا إفهام حقيقي : وربما غاب المعنى عن فطنة الشارح تماماً ، فينبئنا تارة إلى تعدد التأويل متّهماً التحريف في البيت ، وتارة يسكت عن المعنى أصلًا ويكتفي بالغريب ، ويلتجئ أحياناً إلى الشرح الإجمالي ، ولا سيما في القصائد الأخيرة ، فيجمع خمسة أبيات وحتى ستة فيقدم تأويلاً لها إجمالياً . وإذا وقعت في البيت قراءات مختلفة ، فهو يذكرها مع الرمز إلى مظانّها من المخطوطات ، ويشبّهها على سطر خاص بين نصّ القصيدة والشرح . ولم يحاول الشارح تأريخ القصائد ، وإنما اكتفى بنقل الاشارات القليلة الواردة في المخطوطات . فلا تنفعنا هذه الطبعة في تبويب القصائد بحسب تاريخ نظمها ، ولا تنفيانا عن محاولة الترتيب الزمني التي نُقدم عليها في الملحق الثاني من هذا الفصل . الترتيب في هذا الديوان أبجدي والأبيات مشكولة كلّها ، والطباعة حسنة واضحة أنيقة . ويتّهي الكتاب بفهرس ثلاثة : للأعلام ثم للأماكن ثم للمراجع ، ولكنها تقريرية لا تفي بكلّ الأسماء المذكورة في المقدمة أو في الشعر وشرحه . أمّا فهارس المقدمة وفهارس الديوان فتتصدر الكتاب ، على الطريقة الانجليزية ، عوض أن تذيله .

ولكن ، بالرغم من هذا النقص المتمثل في انعدام الترتيب التاريخي للقصائد أولاً ، وفي استمرار الغموض في شأن بعض الممدوحين والأشخاص وبعض الأحداث التي تشير إليها الأبيات ، ثم في إغفال الشعر الإضافي الذي تضمنه مخطوط (ت 1) ، بالرغم من كلّ هذا ، فإنّ طبعة زاهد علي هي أتقن طبعة ظهرت حتى اليوم .

ولعلّ محاسنها الكثيرة هي التي أغرت الناشرين المتأخرین بنقلها مع شيء من الحيطة ، دون ما إشارة الى الناشر الهندي فضلاً عن الاعتراف بجميله : وهكذا فإنّ طبعة بيروت التي ظهرت سنة 1952 ثم تكرّرت كما هي مراراً ، لتن احتفظت في الظاهر بالترتيب المتبّع في طبعة سنة 1886 ، واقتصرت على المادة المنشورة فيها ، بدون استيلاء على إضافات زاهد علي ، فهي في الواقع تستثمر مجهوداته ، في شكل الأبيات وفي تصحيح القراءات وحتى في الشرح ، على قلة عنايتها هنا ، دون أن تذكر اسمه ولومرة واحدة .

### محاولة ترتيب القصائد ترتيباً زمنياً :

لا تتوقع من هذا العمل أن يفضي بنا إلى نتائج ثابتة يوثق بها . ذلك أن ندرة الاشارات التاريخية في ديوان ابن هانىء وفي مقدمات النسخ ، تحول دون معرفة تاريخ القصائد بصفة مضبوطة . ولكن هذه القلة لا تصدّنا عن الاجتهاد في استنطاق الأبيات والتعليقـات المبثوـة هنا وهناك ، ومقابلتها بما عرفناه في مصادر أخرى عن الشاعر وبيته ، لتمكّنـ من وضع هذاـ الشـعرـ فيـ المراـحلـ الثـلـاثـ أوـ الأـرـبعـ التيـ مـرـتـ بـهاـ حـيـةـ ابنـ هـانـىـءـ القـصـيرـةـ .

ولنقرّ أولاً حقيقة لا مناص منها ، لتصبح لنا الأمور في محاولة ترتيب الشعر وتبويه بحسب مراحل حياة الشاعر . هذه الحقيقة هي أنّ جميع شعر الشباب ، أي الشعر الذي نظم بالأندلس قد ضاع وتلاشى أو أهمل وأغلى ، ولا أدّل على هذه الحقيقة من سكوت أصحاب الترجم ، وجامعي الشعر ،

ومؤلفي المختارات الأدبية ، سواء كانوا أندلسيين أو مشارقة : فلا أحد منهم يروي بيتاً وينسبه إلى الفترة الأندلسية ، فكأنَّ حياة ابن هانئ الأدبية قد بدأت بأرض المغرب ، حوالي سنة 958/347 ، عند بلوغه السابعة والعشرين من عمره .

وعندما وطئت قدماء أرض العدوة ، شرع في التنقل عبر أقطار المغرب ، فمرَّ بفاس حيث كان جوهر الصقلَى يحاصر آخر الأدارسة ، ثم انتقل إلى المغرب الأوسط فاستقر مدة بالمسيلة عاصمة الزاب ، ثم دخل أفريقية في خدمة البلاط الفاطمي ، وانتهى به المطاف فجأة ببرقة قرب بنغازى الحالية .

إذا أتضح لنا هنا الخطَّ المنطلق من الغرب نحو المشرق ، وتعينت لدينا منه نقط الاستقرار أمكننا أن نقدر تقديرًا أوليًّا تاريخ بعض القصائد :

فتكون أولًا في التاريخ ، أي أولى قصائد الديوان إن رتبناه ترتيباً زمنياً ، هي القصيدة رقم 10 التي مدح بها جوهرًا أثناء حملته بالمغرب الأقصى بين سنة 347 و 348 - 59/958. ذلك أن أصحاب التراجم يتفقون على أن أول من مدحه الشاعر عنه وصوله إلى المغرب هو القائد الفاطمي . ثمَّ أن هذه القصيدة تذكر الشَّوار الذين قهرهم جوهر ، وتسمِّيهم بأسمائهم فنُسِّمُ « ابن واسول » الذي تمرَّد على المعز وأعلن استقلاله بسجلماسة : [ طويل ] 33/10 وأدرْكْت سَوْلَا في ابن واسول عنْوَةٍ وَرَحْزُحَتْ مِنْهُ يَذْبُلَا فَتَرْحَزَحَا

ومنهم رئيس قبائل مكناسة حليف الأمويين ، موسى بن أبي العافية :

وفي آل موسى قد شنتَ وقائعاً أهْبَثْ لهم تلك الزعازع لُقَحَا 56/10 ثمَّ تأتي فترة الزاب ابتداء من سنة 959/348. إلى هذه الفترة يمكن أن نعزِّو نحو 29 قصيدة تتصل كلها بأمراء المسيلة ، ولكن لا يمكن أن نجزم بأنها نظمت كلها بالمسيلة : فالقصيدة 16 يبدو أنها نظمت سنة 967/356 ، أي بعد

انقطاع الشاعر عن خدمةبني حمدون بثلاث سنوات ، فلعل الشاعر نظمها بالقيروان وأرسلها الى جعفر : ثم إن أمير المسيلة ، حسب ما تنقله توطئة القصيدة 15 ، كان يتردد على عاصمة الخلافة : فالاتصال بين الشاعر وممدوحه السابق ممكן اذن ، ولعل ابن هانىء نفسه كان يتردد على المسيلة وربما كان له بها مقر ثابت كما سترى .

كتنا نخاطر اذن لو وضعنا كل هذه القصائد في فترة المسيلة ، خصوصاً وأنه يصعب علينا أن نضبط حدود هذه الفترة ، فلئن أمكن أن نعرف بدايتها بفضل لقاء الشاعر مع جوهر بالمغرب الأقصى ، فلا يمكن أن نحدّد نهايتها إلا بالافتراض والترجح .

وكان من المتظر أن تدلّنا هذه القصائد على أزمنتها ، لما تتضمنه من إشارات الى الحروب التي يخوضها الأخوان جعفر ويحيى ضد القبائل المتمردة ، ومن تفصيل للحوادث السارة أو المؤلمة التي تقع بالبلاد الحمدونية ، ولكنها إشارات ، لشن تدخل فيها خيال الشاعر ، فعظم الحقير وفخم التوافة ، وصعد بالعادي المبتذر الى أجواء الزلازل والخوارق ، فهي لا تملك من التدقيق ما يسمح بتحديد زمانها : فلا المكان يذكر بالضبط ، ولا الزمان يدقّق ولا حتى اسم الخصم .

ولا نلوم الشاعر في إيهامه هذا : فوظيفته حين يمدح ، أن يزيّن ويضخم ، لا أن يعلم ويتحقق ويتسلّط كما يفعل المؤرخون .

على أن هؤلاء - وحتى المختصين منهم بأخبار الفاطميين مثل ابن حمّاد - لم يغيروا بلاطبني حمدون اهتماماً كبيراً حتى يفضلوا نشاطهم العسكري أو يتفرّجعوا على وفاة أمّهم أو يتهجّوا بتشييد قصر لإبراهيم ، كما يفعل ابن هانىء .

فكيف نحدّد اذن نهاية إقامة الشاعر بالزاب ؟ قد نحدّدها ببدء اقامته بافريقيـة عند المعـز ، أي بـبدء نـظم المـدائـع في الخليـفة . ولكن من مـدائـع

المعز ما نظم على ما نرجح سنة 961/350 . فهل نقول أن الشاعر انتقل إلى أفريقية سنة 350 ، أي بعد سنتين فقط من دخوله في خدمة أمراء الزاب؟ لو قبلنا هذا التاريخ ، لحضرنا هذه القصائد التسع والعشرين في فترة لا تتجاوز العامين ، أي بنسبة 15 قصيدة في العام ، وهي نسبة ضخمة لا تتفق مع ما نعرفه من عادات الأمراء ومادحיהם .

فالأغلب على الظن أن اقامة الشاعر بالزاب تواصلت أكثر من سنتين ، ولعله ترك المسيلة في غضون سنة 964/353 كما سرى ، ولكن مهد لدخوله في خدمة المعز بأن أرسل إليه من المسيلة مدحتين : القصيدة 9 التي تتفق النسخ المخطوطة على أنها « أول شعر مدح به المعز » دون أن تصرح بأنه أنشدها بين يديه ، والقصيدة 11 ، والمرجح عندنا أنه نظمها سنة 961/350 .

وسيقع مثل هذا المدح بالمراسلة بعد أن يستقر الشاعر ببلاد الخليفة ، فينظم في أميري الزاب القصيدتين 15 و 16 .

ولئن تعذر علينا أن نحدّد تاريخاً لهذه القصائد الحمدونية ، فقد يمكن أن نرتّبها بالنسبة إلى بعضها بعضاً ، وذلك باستثمار ما يرد فيها من اشارات ، كالأخبار بالوفيات مثلًا : نفهم من القصائد 14 و 19 و 59 أن أمير الزاب أصيب ، أثناء اقامة الشاعر عنده ، في حفيده ، ثم في والدته ، ويسهل أن نقدم القصيدة الرابعة عشرة على الآخرين ، أي وفاة الطفل على وفاة الجدة ، ذلك أن الشاعر يشير في الأولى إلى فقيدين : والد الأمرين ، علي بن حمدون ، ووفاته قديمة نعرفها من المؤرخين (945/334) . ثم الطفل ، ابن إبراهيم بن جعفر : [ رمل ]

58/14 أي مفروذك تبكيه : أب هبرزيٌّ أنت منه ، أم ولد؟ في حين أنه يذكر في القصيدة التاسعة والخمسين ، ثلاثة أموات ، لأن الجدة التحقت في الأثناء بزوجها وبالحفيد : [ متقارب ]

## قبورُ الْثَلَاثَةِ فِي مَصْرَعٍ أَمَا كَانَ فِي وَاحِدٍ مَا كَفَى؟

الى هذا المقياس الممكن في ترتيب القصائد ، يمكن أن نضيف معيارين آخرين : الأول يعتمد أصداء العقائد الشيعية فيها ، والثاني ينظر الى ما قد تتضمنه من اشارات شخصية خاصة بالشاعر .

فالمعيار الأول يمكن أن نلخصه كما يلي : اذا بدت تعاليم الشيعة ضعيفة خاتمة في قصيدة ما ، فهي من أول ما نظم ، وان تبُدُ لنا القصائد مفعمة بالمعتقدات الاسماعيلية مغالبة في تقدس الأئمة الفاطميين ، فهي متاخرة في الزمن ، وهو معيار يفترض فكرة قد تُقبل وقد تُدفع : وهي أن ابن هانىء أول دخلوه المغرب كان حالياً الذهن تقريباً من المبادئ الشيعية ، وأنما تعلّمتها شيئاً فشيئاً أثناء اتصاله بولاة المعز وقواده أولاً ، ثم أثناء خدمته المباشرة للخليفة . فإذا قبلنا هذا الافتراض ، يمكن أن نؤخر القصائد 50 و 69<sup>(1)</sup> و 28 فنعتبر أنها نظمت في آخر اقامته بالزارب ، لأن العقيدة الشيعية فيها أظهر منها في القصائد الأخرى .

أما المعيار الثاني ، فليس أكثر ثباتاً من السابق : لا نجهل أن الشكاوى التي يضمّنها الشاعر أبياته ، من تحسّر على الشباب الصائغ ، وتذمر من الدهر القاسي ، وتألم من الحساد الكثرين وبكاء على العبيب القليل ، قد لا تترجم عن حالات واقعة ، وأنما تكون أغراضاً تقليدية يسترحم بها الشعراء ممدوحهم ، كما يفعلون في النسب التقليدي بالبكاء على الأطلال والتفرج على فقد الأحبة ، والتعظيم لمتابع السفر نحو المدروج . نعلم هذا ولا ننكره ، ولكن ما دمنا مضطرين الى الافتراض ، فاقددين للوسائل الثابتة ، فلتتبّع هذا المقياس أيضاً ، ولنقل أن التصريحتين 50 و 52 قد تؤخّران أيضاً الى

(1) إن الأرقام 63 إلى 70 تعين القصائد الإضافية التي نشرناها سنة 1969 بالحوالات ، وهي موصلة لترقيم زاهد على الذي انتهى الى 62 . هذا ، ونفصل بين رقم القصيدة ورقم البيت بخط مائل

آخر المُقام بالمسيلة ، لأنَّ الشاعر يبدو متألِّماً شاكياً من الجفوة التي أقصته عن بلاط الأمير : [ متقارب ]

- 73/50 وَأَنِي وَانْ تَرَنِي قاپضًا جناحي إِلَيْهِ ، كظيمًا وَجْنَمْ  
74 أَقْلَلُ مِنْ هَفَوَاتِ الْمَزَارِ وأَبْدِي الْغَنَاءَ وَأَخْفِي الْعَدْمَ  
75 فَإِنِي مِنْ الْعَرَبِ الْأَكْرَمِينَ وَفِي أَوَّلِ الدَّهْرِ ضَاعَ الْكَرْمَ

وما دمنا بصدق تاريخ شعر ابن هانئ ، فلا يفوتنا أن نتعرض إلى فكرة أبداها منير ناجي في دراسته عن الشاعر<sup>(1)</sup> : توقف عند القصيدة الرابعة والثلاثين ، وهي قطعة لا مدح فيها ولا هجاء ، بل هي تصف رحلة ليلية إلى بعض الخamarات على طريقة أبي نواس ، فرأى أنها قد تكون من بقايا إنتاجه الأندلسية ، ودعم رأيه بما لاحظه في بعض مدايا يحيى بن حمدون من هذه المعاني الخمرية ، كان هذه القصائد الحمدونية ، لقرب عهدها بالفترة الأندلسية من حياته ، لا تزال متأثرة بأغراض الشباب والغواية .

ويظهر أن هذا الباحث قد حيره هو الآخر السؤال الذي طرحناه وما زلتنا نطرحه في خصوص مصير شعره الأندلسية ، كيف أمكن هذا الانتاج الذي حمل عليه الرواة والمؤرخون ؟ أين ذهب هذا الشعر الذي استعظم الأندلسيون زندقتهم فأطربوا صاحبه من أجله ؟ فراح يبحث في الديوان فاتخذ هذه المقطوعة الباهتة شاهداً على شعر اللهو والبهتان . وإنما هي في نظرنا « تمرين » نواسى قدّ في محمد بن هانئ الحسن بن هانئ ، كما يقدّم اللاحقون السابقين فيما يُعرف بـ « المعارضات » .

ثمَّ ان المعاني الخمرية لم تنقطع فيما بعد من انتاج شاعرنا . فلا يمكننا أن نرى في هذه الفقرات من قصائد المسيلة صدى بعيداً لسلوك ابن هانئ باشبيلية ، بل الحديث عن مجالس اللهو يتواصل إلى ما بعد فترة المسيلة ،

(1) منير ناجي : ابن هانئ ص 56 .

حتى قصائده الى المعز تستهل أحياناً بمقدمة خمرية ووصف لآلة الخمرة مثلما في القصيدة الخامسة والثلاثين . أليس الأصوب حينئذ أن نعتبر هذه المعاني غرضاً تقليدياً يطرقه الشعراء ، كما يطروقون بباب النسبي أو الوصف أو الشعر الحكمي ؟

يتضح بعد هذا ، أنه يتعدّر على الباحث أن يؤرخ لهذه القصائد الحمدونية ، فيوزعها على السنوات الخمس التي قضتها ابن هانىء بيلات المسيلة . وإن أقصى ما يمكن أن نقرره في شأنها ، يتعلّق بالقصيدة الأولى التي ألقاها الشاعر بين يدي جعفر بن حمدون : لقد عيّنها لنا ابن سعيد<sup>(1)</sup> وغيره ، فقالوا إنها القصيدة الحادية والثلاثون ، أي القصيدة « الفلكية » . فلذلك ، لشن أقدمنا على ترتيب هذه القصائد التسع والعشرين في الجدول النهائي ، فمع كامل الحذر والاحتياط .

### القصائد الافريقية<sup>(2)</sup>

هذه اثنان وعشرون قصيدة نظمها الشاعر ببلات الفاطمي ، منها ما يمكن تأريخه بفضل ما يتضمن من اشارات الى أحداث كبرى معروفة في التاريخ كوقعة الخليج سنة 354/965 بين الاسطولين الفاطمي والبيزنطي ، او فتح مصر على يد القائد جوهر سنة 358/969 او انتقال الخلافة الى الشرق سنة 973/362 . ومنها ما يتعدّر معرفة تاريخه لخلوه من مثل هذه الاشارات او لأن الشاعر يصف فيه أعياداً ومواكب تتكرّر كلّ عام فلا تختص بها سنة دون سنة . هذا القسم المبهم يبقى على غموضه ، مثل أغلب قصائد المسيلة .

و قبل استعراض الانتاج الافريقي بالتفصيل ، يجدر بنا ان نبرّر تاريخنا

(1) ابن سعيد : المغرب ترجمة 409 .

(2) نعني بافريقيّة مقرّ الخلافة بالقبروان أصلًا وما يليها مباشرة ، وان كانت ولاية الزاب وولاية طرابلس داخلتين في حدود افريقيّة القديمة .

مستندنا في ذلك هو القصيدة الأربعون التي أشاد فيها بانتصار الجيش الفاطمي برمطة بصفلية<sup>(1)</sup> ذكر فيها موت القائد البيزنطي منويل فقاوس<sup>(2)</sup> : [كامل]

26/40 سُلْ رَهْطَ مَنْوِيلٍ ، وَأَنْتَ غُرْتَهُ فِي أَيِّ مَعْرِكَةٍ ثُوى مَنْوِيلُ ؟

وتاريخ موت القائد البيزنطي في هذه المعركة معروف في المصادر البيزنطية والاسلامية : سنة 964/353 . فلذلك قلنا ان الشاعر كان موجوداً بالبلاط الفاطمي في هذا العام ، ومما يدعم رأينا ، أنه يصف بالتدقيق موقف الخليفة عند وصول بشير النصر اليه : لقد خر ساجداً يحمد الله على نصره لجيوش الاسلام ، وقتل الأرض تواضعاً وعبادة وعفر وجهه بالتراب : [كامل] 13/40 لَهُ عَيْنَا مَنْ رَأَى إِخْبَاتَهُ لَمَّا أَتَاهُ بَرِيدُهَا الإِجْفِيلُ 14 وسجوده حتى التقى عفر الئرى وجبيشه ، والنظم والإكليل

غير أنا ، لمن أرخنا هذه القصيدة بسنة 353 ، وأرخنا بها وجود ابن هانىء بيلات المعز ، فلا يعني ذلك أنها أول مدحنة نظمها في الخليفة ، فقد سبقتها قصيدتان على الأقل : القصيدة التاسعة التي يذكر فيها الشاعر خطباً لحق بنى أمية بالأندلس ، ولا نخاله الا وفاة عبد الرحمن الناصر يوم 2 رمضان 15/350 أكتوبر 961 : [كامل]

43/9 لَيْسُوا مَعَايِهِمْ وَرُزْءَ فَقِيدهِمْ كاللَّابِسَاتِ عَلَى الْحِدَادِ مُسْوِحًا وكذلك القصيدة العادية عشرة التي تبدو معاصرة للسابقة ، لأنها تشير هي الأخرى الى هذا المصاب الذي قهر « أصنام » قرطبة ، أي بنى مروان : [طويل]

---

(1) رمطة Rametta قرب طبرمين Taormine في الجنوب الشرقي من الجزيرة .

. Manuel Phocas (2)

33/11 **لَقَدْ سَارَتِ الرُّكَبَانُ بِالنَّبِيِّ الَّذِي  
صَدَىٰ مِنْ بَنِي مُرْوَانَ حَرَانَ يَصْرُخُ**  
34 **وَضَجَّتْ لَهُ الْأَصْنَامُ إِنْ ضَجَّجَهَا**

وقد رجحنا أن نظمهما وقع بالمسيلة ، فتخلصنا من المشكلة التي تجعل القصيدة التاسعة والقصيدة الثالثة والخمسين متنافستين في الأسبقية : ذلك أن النسخ المخطوطة تقول في أحدهما أنها أولى مدائح المعز ، وفي الأخرى أنها أول قصيدة أنشدها أمام الخليفة بالقيروان ، فقلنا أن القصيدة التاسعةنظمت سنة 350 بالزاب وأرسلت إلى المعز ، وأن القصيدة الثالثة والخمسيننظمت بافريقيا بعد سنة 353/964 وأن الشاعر أنشدها بنفسه أمام الخليفة .

والذي نرجحه في شأن القصيدة الثالثة والخمسين ينطبق أيضاً على القصيدة الخامسة والثلاثين ، نظمها بمناسبة عيد الفطر : [خفيف]

26/35 **وَجَلَّا الْفِطْرُ مِنْهُ عَنْ نَبَوِيِّ أَبِيسِ الْوَجْهِ أَبِيسِ الْأَخْلَاقِ  
وَلَكُنْ مِنْ أَيِّ سَنَةٍ؟ غَيْرُ أَنْ تَرَدَّ الْمَعْانِي الاسماعيلية فِيهَا ، وَاشارة  
الشاعر إِلَى « مَظَلَّةً » الْخَلِيفَةِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ :**

32/35 **فَوَقَهُ خَيْطَةُ الْلَّجِينِ تَهَادِي بِيَدِي كُلَّ بُهْمَةٍ مَصْدَاقِ  
تَحْمِلُنَا عَلَى وَضْعِهَا فِي بَدَائِي مُقَامِهِ بافْرِيقِيَّةِ .**

والي المدة نفسها نرجع المدحتين السادسة والعشرين ، والثالثة . في الأولى تهجم على بنى أمية خلفاء قرطبة ، وفي الثانية تشنيع على العباسيين ببغداد لأنهم لم يتحولوا دون احتلال « الجاثليق » - أي الدمستق البيزنطي - لحلب ونهبها : [ طويل ]

32/35 **وَلَكُنْ لَعْلَ الْجَاثِلِيَّقَ يَغْرِيُ عَلَى حَلْبٍ تَهَبُّ هَنَالِكَ مَهْوُبٌ**

---

(1) أنصاب ( صوت ) : استوى بعد انحناء ، الأجلخ : الضعيف الفائز .

وعلمون أنَّ وطاة الأباطرة البيزنطيين على التغور الشامي تفاقمت ابتداءً من سنة 962/351.

كذلك القصيدة رقم 1 ، تحمل هي الأخرى على بنى العباس ، ولكنها تتضمن إشارة شخصية من الشاعر : بحثه الطويل عن ممدوح أبيض الوجه والأيدي ، ونُصّحُ الناس له بالتوجه إلى المعز : [كامل]

27/1 وطفقتْ أَسْأَلُ عَنْ أَغْرِيَ مُحَجَّلٍ فَإِذَا الْأَنَامُ جَبَّلَةَ دَهْمَاءَ  
28 حتى دُفِعْتُ إِلَى الْمَعْزَ خَلِيفَةَ فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَطْلَبَ الْخَلْفَاءَ  
فهي إذن من المدائح الأولى التي نظمها بعد اتصاله بالمعز .

وتأتي بعد ذلك مدحتان - رقم 12 و 44 - يعرض فيهما إلى وقعة الخليج ، أي معركة المضيق الذي يفصل صقلية عن جنوب إيطاليا ، ويسمى اليوم مضيق مسينا . دارت هذه المعركة بين الأسطولين الفاطمي والبيزنطي سنة 965/354 ، أي بعد انتصار رمطة مباشرة ، فكان النصر حليف المراكب الأفريقية ، ويهكم الشاعر بالامبراطور البيزنطي : [بسط]

50/12 فَقُلْ لَهُ : حَالَ مِنْ دُونِ الْخَلِيجِ فَنَا سُمَرُّ ، وَأَذْرَعُ أَبْطَالٍ مَنَاجِيدٍ  
ويجعل الموج حليف الأسطول الإسلامي في هذا النصر : [كامل]

88/44 وَالْمَوْجُ مِنْ أَنْصَارٍ بِأَسِكَّ خَلْفَهَا فَالْمَوْجُ يُغْرِقُهَا ، وَسَيْفُكَ يَقْتَلُ  
أما القصيدة الحادية والأربعون ، فتصف مراسم عيد النحر ، ولكن بدون أن تعين العام ، مثلما في القصيدة رقم 35 . وهي ، إن لم تقدنا في ضبط تاريخها ، أفادتنا بشيء من المعلومات عن حياة البلاط الداخلية . ونظراً لاستحالة تاريχها ، فانتنا نضطر إلى وضعها ، مع كثير من المدائح الأخرى ، في الفترة بين 965/354 و 969/358 ، أي في مدة لم يسجل فيها المؤرخون حوادث هامة في حياة الدولة الفاطمية بالمغرب ، وهكذا نفترض - أضطراراً لا اعتباطاً - وجود مدة خالية من الحوادث ، فتحشر فيها ما لا نستطيع له تاريخاً .

يُيد أن بعض هذه القصائد ، على قلة وضوح ظروفها ، تلوّح لنا فيها إشارات إلى أحداث بعيدة كمسيبة بيضة الإسلام بالجيوش الرومية في الشام . من هذه التلوّحات ، ما نجده في القصيدة الثالثة عشرة من تلهّف على محاصرة الدمستق لأنطاكية وتوجّله في منطقة « العواصم » : [ طويل ]

61/13 غَضِبْتَ لَهُ أَنْ ثُلَّ بِالشَّامِ عَرْشَهُ      وَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْعَوَاصِمِ عِيْدُ<sup>(1)</sup>

أو في القصيدة رقم 58 التي يعود فيها إلى التشنيع على العباسين ، غاصبي الخلافة من مستحقها وتاركي الدفاع عنها ، فخمولهم هو الذي أطمع الأباطرة في الإسلام ، فكالوا له الضربات المتواتلة ، وهكذا يفسّر سلسلة الانهزامات التي عرفتها الإمارة الحمدانية بين 355 و 68/357 .

وقد نستتّجع من إشارة وردت في هذه القصيدة ، أنّ الشاعر ، في هذه المدة ، أي حوالي سنة 357 ، قد بدأ يحسّ بوطأة السنّ ، ولعله قارب الأربعين : [ مقارب ]

4/58 لِبِسْتُ رِداءَ الْمَشِيبِ الْجَدِيدِ      وَلَكُنَّهَا جِلَّةً لِلْبَلَى  
ونلحق بهذه الفترة أيضاً القصيدين رقم 37 و 67 . في الأولى يتزلّف الشاعر إلى الأئمة بتشنيع لهم قديم جعله عرضة لنقمة الأندلسين : [ طويل ]  
49/37 وَمَا نَقَمُوا إِلَّا قَدِيمٌ تَشْيِيعٌ      فَنَجَى هِزْبُرًا شُدُّهُ الْمَتَدَارِكُ  
وفي الثانية يحرّض الخليفة على اقتحام الأراضي العباسية ويتبنّا له بالدخول إلى بغداد : [ طويل ]

27/67 بَنِي الدُّولَةِ الْغَرَاءِ شَيْمُوا سِيَوْفَكُمْ      فَانِي لَهَا الْمُلْكُ الْعَرَاقِيُّ شَائِمُ<sup>(2)</sup>

(1) العواصم هي منطقة الثغور بشمال الشام ، التي تعصم دار الإسلام من الخطر البيزنطي . والعيد هنا ما يعتاد الإنسان ويعاوده من همٍ وفكّ وخفّ .

(2) حوليات 6/1969 ص 103 .

فقد اقتربت اذن ساعة الفتح ، فهذه مصر مشارقة الى المعز ، خصوصاً بعد  
وفاة كافور ( 21 جمادى الأولى 357 / 29 ماي 968 )

37/67 بمصر صبابات اليك ، وطالما صرمث ، ولهفي من حبيب يصارم  
فلا مانع اذن من أن نؤرخ هذه القصيدة بسنة 357/968 .

ونصل بعدها إلى سنة 358/969 ، سنة استيلاء جوهر على مصر . خصص  
ابن هانئ لهذه الحملة أربع قصائد، بحسب مراحلها المختلفة : القصيدة 27  
تصف مرحلة التعبئة للانطلاق نحو الشرق ، وقد شيع الشاعر بنفسه هذا  
الجيش العمرم وقاده حين تحرك يوم السبت 14 ربيع الأول 358/5 فيفري  
969 : [طويل]

1/27 رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع      وقد راغني يوم من الحشر أروع  
4      وكيف أخوض الجيش ، والجيش لجة      واني بنْ قد قاده الدَّهْرَ مُولَعَ  
وقد عنونها رواة الديوان بـ « مدح جوهر » ، وهي في الواقع مدح مشترك  
للقائد الصقلي وال الخليفة مولا ، فلذلك اعتبرناها من المدائح المعزيات ،  
وهي ، على كل ، من الانتاج الافريقي ، بل هي من الشعر القليل الذي يمكن  
ضبط تاريخه بشيء من الدقة .

ثم تأتي القصيدة رقم 46 ، يصف فيها للمعز تشيعه للجيش الفاتح  
ويذكر له ما رأه فيه من بوادر النصر .

وتليها مباشرة القصيدة رقم 22 التي تعلن عن تحقق النصر ، ونجاح  
جوهر في حملته ، إلا أن الشاعر يتلطّف فيجعل الهزيمة لا للمصريين ، بل  
لحكمائهم العباسين : [طويل]

1/22 تقول بنو العباس : هل فتحت مصر؟      فقل لبني العباس : قد قضي الأمر!  
فهذه ثلاثة مدائح تؤرخ بسنة الفتح ؛ أما الرابعة - وهي القصيدة رقم

23 - فنورّخها بالسنة الموالية 359/970 ، لأنّ الشاعر يعده فيها الهدايا التي أرسلها جوهر إلى الخليفة بعد استقراره بمصر . هذا ترجيحة لظروفها وتاريخها ، إذ لا عبرة في نظرنا بما تقوله توطئات القصيدة من أنه « . . . يذكر هدية وصل بها جوهر الكاتب من المغرب إلى الحضرة»<sup>(1)</sup> أو أنه « . . . يصف هدية القائد جوهر ، وذلك بعد تسخير القائد بلاد المغرب ، وانتهائه إلى البحر المتوسط سنة 348»<sup>(2)</sup> .

ونبني رفضنا لهذه النسبة على حجج داخلية مستقاة من القصيدة نفسها ، وحجج خارجية تتصل بما نقله لنا المؤرّخون والرواية عن هذه الفترة من تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب . فمن الحجج الداخلية أمران :

1 - يظهر من البيت 42 أن هذه الهدايا قد نقلت إلى صاحبها بحراً وبراً ، وتم نقلها على أقسام نظراً لكثرتها :

42/ ولَنْ لَمْ يُعِجلْ بَعْضَهَا دُونَ بَعْضِهَا لِضَاقَ التَّرَى وَالْمَاءُ طُرْقاً وَمَعْبِراً

وقد أفاد المؤرّخون في وصف هدايا جوهر من مصر ، ولا سيما المقرizi الذي يقول<sup>(3)</sup> إنها نقلت إلى الإسكندرية بحراً ، ومنها إلى القيروان براً ، وقد يكون عنى بالبحر نهر النيل الذي يسميه المصريون « بحر النيل » كما هو معروف ، أو البحر الحقيقي ، فتكون المراكب أقلعت من الشام التي تم فتحها على يد جعفر بن فلاح ، أو من موانئ شرقى مصر ، إلى الإسكندرية متتهى الخط البري بين إفريقية ومصر ، كما سبق أن قرره ابن هانيء في قصيدة الفتح :

2/22 وقد جاوزَ الاسكندريةَ جوَهْرَ تطالعُهُ البشري ويقدمُهُ التصرُّ

(1) ت 1 ورقة 46 ب .

(2) توطئة القصيدة 3 .

(3) اتعاظ 171 .

هذا ، وما علمنا لدى المؤرخين أنه كانت بين إفريقية والمغرب الأقصى صلة بحرية ، بل هذا جدّ مستبعد ، نظراً لتوفر الخطوط البرية أولاً وتبصرها تحت النفوذ الفاطمي الموحد من المهدية إلى فاس ، ونظراً أيضاً إلى تسلط الأعداء الأمويين على جلّ المناطق الساحلية من المغرب الأقصى ، وعلى الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط .

2 - آهتم الشاعر ، من بين هدايا جوهر ، بالخيل خاصة فخصص لها فقرة من أبدع الوصف<sup>(1)</sup> وذكر النوق كذلك ، ويتفق في هذا مع ما يذكره المقرizi .

أما الهدايا التي توجت حملة سنة 347-8 بالمغرب ، فتمثلت على ما نقله المؤرخون<sup>(2)</sup> في بضعة أسماك من المحيط الأطلسي أرسلها جوهر في جرة من ماء البحر إلى الخليفة ، وهي هدية رمزية بالمعنى الصحيح ، ترمز إلى وضع البحر المحيط أيضاً تحت نفوذ الإمام الفاطمي . وأرسل معها أسرى من رؤوس الثوار في أقفاص من القصب .

ولا نجد ذكراً في القصيدة للأسماك ولا للأقفاص ، فخرجت بذلك عن أن تكون من منظوم سنة 348 ، كما تقول التوطئات .

أما الحجّة الخارجية ، فهذه :

لو كانت القصيدة تصف هدايا المغرب لا هدايا مصر وهي مع ذلك تمدح المعزّ ، لترتّب عليها أن يكون الشاعر قد عرف المعزّ منذ سنة 348 ، أي تقريباً منذ وضع قدميه على أرض المغرب ، أو أن يكون على الأقلّ قد راسلها بالمدح منذ ذاك التاريخ . وهذا ينافي تماماً ما علمناه من المترجمين والرواة ، من أنّ اتصاله بال الخليفة كان خاتمة طوافه بأقطار المغرب ، لا بدايته .

---

(1) الآيات 4 إلى 23 من القصيدة 23.

(2) الناصري السلاوي : الاستقصاء 1/199 . وابنطر كذلك : المقرizi : اتعاظ 135 .

فلا شك عندنا إذن في أن هذه القصيدة 23 إنما تصف هدايا مصر ،  
فتؤرخ إذن بسنة 970/359 كما قلنا .

وينفس هذا التاريخ ، 970/359 ، نورخ القصيدة الثلاثين التي يشكو  
فيها الشاعر ذهاب الشباب ووصوله الى منتصف العمر ، أي الأربعين حسب  
المُتَعَارِفُ : [كامل]

إنْ لَا أَكُنْ بَلَغْتُ بِي السِّنُّ الْمَدْئِي فَلَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الطَّرِيقِ الْمَنْصَفَا  
وليس معتمدنا فيها على هذه الاشارة ، بدعوى أنه ان يكن بلغ الأربعين  
أو قاربها ، وهو المولود في سنة 320 ، فلا تكون القصيدة الأولى سنة 360 أو  
ما قاربها . ولكن معتمدنا هو اشارة أخرى : ففي البيت 17 ، نجد صدى  
لحصار أنطاكية وسقوطها بأيدي الروم في آخر سنة 358 / أكتوبر 969<sup>(1)</sup> :

فَكَائِنَا وَقَعَ الصَّرِيخُ إِلَيْهِمَا بِحِصَارِ أَنْطَاكِيَّةٍ فَاسْتَرْجَفَا  
ولا شك عندنا في أنه لا يعني الحصار الأول الذي دار سنة 355 ،  
بل حصار سنة 358 ، لأن البيت 39 يشهد بأن احتلال مصر قد تم بعد ، إذ  
أصبح الشاعر يحرض المعز على استبقاء جوهر بمصر ودفع جيوشه نحو  
بغداد :

فِإِلَى الْعَرَاقِ! وَذَرْ لَمَنْ قَدَّمْتَهُ مَصْرًا، فَهَذَا مُلْكُ مَصْرٍ قَدْ صَفَا!  
وتناسب السنة المowالية ، سنة 360/971 ، القصيدة رقم 43 ، لأن الشاعر  
يعرض فيها إلى نهاية القائد الزناتي محمد بن خزر ، الذي ظفر به بعد لأبي  
زيري بن مناد الصنهاجي وأبنته بلقيس ، ونعلم أن قتل ابن خزر تم في غضون  
هذا العام 360 : [بسيط]

لَقَدْ قَصَمْتَ مِنْ أَبْنَاءِ الْخَزْرَ طَاغِيَّةً صَعَبَ الْمَقَادِيْهُ أَبَاءَ عَلَى الْجَدَلِ

وكذلك القصيدة رقم 24 ، تلك التي استُعْظِمَتْ غلوّها حتى طرحت من بعض نسخ الديوان . نضعها أيضاً في سنة 360 لأنها تشير إلى غزوة بـ « فواقس » : ولا نخال فواقس هذه إلا تحريفاً لـ « فرقلس » وهي قرية بالشام ، فتصبح الإشارة متعلقة بحملات الجيش الفاطمي في جنوب الشام ضدّ فرق القرامطة<sup>(١)</sup> : [كامل]

للهِ غزوَتُهُمْ غداةَ فَرَاقِسٍ وَقَدِ اسْتُبْثِثُ لِلكرِيَهَةِ نَارٌ!  
وقد يستغرب في البيت 61 منها ، ما يفهم من استقرار المعز بمصر ونحن نعلم أن الخليفة لم يدخل مصر إلا في رمضان 362/973 ، أي بعد شهرين من وفاة الشاعر ببرقة :

هَا انَّ مصَرَّ غَدَاءَ صِرْتَ قَطِينَهَا أَحْرَى لِتَحْسِدَهَا بِكَ الأَقْطَارُ!  
ولا إشكال في البيت إذا فهمنا أن الشاعر آتى بتباً بحلول المعز الوسيك بمصر ، بعد أن تمّ الفتح ، وأسست العاصمة الجديدة ، فاستعمل صيغة الأمر المقصيّ لما لا يزال في النية .

ونصل أخيراً إلى القصيدة رقم 47 ، أطول قصائد الديوان اذ تبلغ مائتي بيت . يُجمع رواة الديوان على أنها آخر شعر ابن هانئ ، وأنهنظمها بالمغرب وبعث بها إلى المعز بالقاهرة . لقد فارق الشاعر الخليفة ببرقة في رجب سنة 362 فواصل المعز سيرته نحو مصر ، وعاد الشاعر إلى إفريقيا أو إلى الزاب لأخذ عياله ومتاعه استعداداً لللحاق بمولاه في القاهرة ، هذا هو رأينا في المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر ، كما سيتضمن من ترجمته . وعلى أساس هذا الافتراض ، يكون الشاعر قد فرغ من القصيدة وهو ببرقة ، إما في طريقه إلى إفريقيا ، وإما في طريقه إلى مصر ، ولا نظنه إلا راجعاً إلى الزاب حسب ما نجد في البيت 186 من احتجاج بالأهل « القطبين في القصي من التوى » :

(١) المقرizi : اتعاظ الحنفاء 139 . وفرقلس يجعلها ياقوت قرب سلمية وكذلك البكري في معجمه . وانظر خطط الشام للمرحوم كرد علي ، 1/224 حيث ذكر أن جعفر بن فلاح وصل إلى حمص .

وعلى كل ، فإن ارتبنا في شأن شهر النظم ، فلا شك في سنة النظم : 362 ، وان في طولها المفرط لشاهدًا على أنها دججت للقراءة المتأنية لا للإنشاد أمام الخليفة .

وهكذا يتبيّن القارئ أنَّ من بين هذه المدائح الثلاث والعشرين ما يستعصي كذلك على التاريخ المدقق ، شأنه في الإبهام شأن جل قصائد المسيلة ، هذا بالرغم من أنها تتصل بال الخليفة وسياسته ، وواقع دولته ، مما أطمعنا في امكانية تعيين تاريخها بدقة .

ويزداد الطين بلة ويتكاشف الضباب في خصوص بقية القصائد التي مدح بها بعض رجالات الدولة ، المذكورين قليلاً عند الأخباريين كأفلح الناشر قاضي برقة أو واليها ، أو المسكون بهم تماماً كالقائد أبي الفرج الشيباني والكاتب أحمد بن زائدة .

### مدحنا أفلح الناشر

هذا الممدوح يعرَّف عند الاخباريين بأنه « والي » برقة ، وفي توطئة القصيدة 55 بأنه « قاضيها » ، وفي متن القصيدة بأنه قائد مغوار ساعد على توطيد التفوذ الفاطمي بالصعيد المصري وبالدلتا ، أثناء حملة جوهر وبعدها ؛ وفي الحقيقة ، تضارب نسبة القصيدين ، فالمدحنة 55 منسوبة إليه ، أمّا المدحنة 5 ، فمنسوبة إلى الشيباني ، غير أنهما تصفان نفس الأعمال البطولية في مصر ، وتشيران إلى نفس الرجل ، فلذلك أرجعنا القصيدة 5 إلى أفلح الناشر كذلك .

وبعد هذا ، لا نخالفهما نظمتا في نفس الوقت ، فالنونية (ق . 55) تتحدث عن فتح مصر بعد وقوعه واستتاب الأمان في وادي النيل ، أمّا القصيدة

البائمة (ق . ٥) ، فتتحدث عن الفتح كامر وشيك : [بسيط]

٣/٥ ولَوْ أَشْرَتَ إِلَى مِصْرِ بِسْوَطَكَ ، لَمْ تُخْوِجْكَ مِصْرُ إِلَى رَكْضِيٍّ وَلَا خَبَبِ  
٤ ولَوْ ثَبَثَتَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ يَدًا أَلْفَتَ الْيَكَ بِأَيْدِيِ الْذَّلِّ عَنْ كَثَبِ  
فَلَذِلْكَ رَجَحْنَا أَنْ تَكُونَ الْبَائِهَةُ نُظِّمَتْ سَنَةَ الْفَتْحِ ، أَيْ ٣٥٨ وَالنُّونِيَّةُ فِي  
آخِرِ حَيَاةِ الشَّاعِرِ ، أَيْ عِنْدَ مَرْوِهِ الْأَخِيرِ بِرِّقَةَ سَنَةِ ٩٧٣/٣٦٢ .

## مدائح الشيباني

القصائد ٤ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ٦٠ و ٦٦ .

يظهر ، من المدائح السَّتَّ التي نظمها الشاعر في هذا القائد ، أنه كان مكلفاً بإخماد الثورات الخارجية بال المغرب الأوسط ، وباستخلاص الجباية من المتلذدين ، وهو عربي ينتهي إلى بكر بن وائل ، وقد فَخَمَ الشاعر نشاطه العسكري وعظمته وأطال في تفصيله . يشهد بذلك وفرة القصائد التي مدحه بها . فلذلك نتعجب من سكتوت جميع المترجمين والمؤرخين عن هذا الرجل ، كأنه لم يُوجَدْ قطًّا . وبالتالي لا يمكن أن نؤرخ لهذه المدائح ، وغاية ما نقدرها في شأنها ، أنها نظمت أثناء الفترة الافريقية ، لأنَّ هذا الممدوح يتصل بال الخليفة مباشرة ، على ما يبدو ، لا بواسطة أحد ولاته . ولا مانع أيضاً من تبني رأي معاكس : وهي أنها نظمت في الفترة المغربية ، بين حائمة جوهر (ق ١٠) وقصائد المسيلة ، كما سترى في الفصل الثامن .

## القصيدة ٦٥ في أحمد بن زائدة

وهذا ممدوح آخر مجهول تماماً ، نفهم من المدحه ومن المقطوعتين اللتين وُسِّمتا باسمه<sup>(١)</sup> أنه من أصل يمني ، مثل بني حمدون ومثل الشاعر

(١) حلقات ١٩٧٢ . ص . ٧٩ و ٩٠ ( مقطوعة ٤ و ١٣ ) .

نفسه . ولا نعلم شيئاً بعد هذا . وهو مجهول حتى في الديوان المطبوع ، أي في كل النسخ المخطوطة ، عدا نسخة (ت 1) : فمنها استقينا الشعر الموجه اليه .

### القصيدة 48 في أبي عبد الله بن المهدّب

للشاعر مع هذا الموظف مطارحة أدبية ، ويظهر أنه كان ساهراً على بيت المال ، وقد ذكر المقرizi موظفاً ببيت مال المعز ، اسمه ، لا أبو عبد الله بل «أبو جعفر حسين ابن المهدّب»<sup>(1)</sup> .

### أغراض أخرى

استعرضنا في هذا الفصل خمساً وستين قصيدة من السبعين التي يتضمنها الديوان الموسع ، أي الذي تضاف إليه زيادات (ت 1) . وهي مدائح كلّها ، الا المراثي الثلاث . والمراثي عادةً تشد أمام عظيم أو أمير . وحتى ان غالب فيها الحديث عن الفقيد ، فهو تعداد لمحامده ، أي مدح له .

أما القصائد الخمس الباقية فمنها واحدة - القصيدة 29 - في هجاء كاتب لجعفر بن حمدون يدعى الوهراني ، ورغم تعلّقها بأمير الزاب ، ينبغي أن نؤرّخها بسنة 971/360 أي قبيل خروج جعفر عن طاعة المعز ، لأنّها تشعرنا بدبيب الشناق بين الأمير وال الخليفة .

وتتوزّع الأربع الباقي بين أغراض مختلفة : المغامرة الغرامية (رقم 49) أو الخمرية (رقم 34) ، والوصف الساخر (رقم 56 ، في أكول) ، والنقد الأدبي (رقم 21 في ديوان المتنبي) . وهي تخلو من كل اشارة زمانية ، فلا يمكن تاریخها ، فلذلك نضمّها ، في الجدول النهائي ، الى جملة الشعر الذي لم تتمكن ، في الظرف الراهن ، أي فيما بلغ اليه علمنا بحياة ابن هانئ وبشعره ، من ضبط تاريخ نظمه .

---

(1) المقرizi : اتعاظ ... ص . 138 .

١  
ملحق

**مخطرات الديوان مرتبة ترتيباً زمنياً تقريراً**

علامة المخطوط	تاريخ نسخه	مصدره ورقمه	تاريخ الرقف أو التملك	نوع الترتيب	ملاحظات
المدروس	13746	تونس 1 - ت 1	(1211/608)	أبي أول قصائده	مقدمة خاصة به
باريس 2 - ب .	3108	تونس 2 - ب .	(1256/1839)	أبجدي	مقدمة مشتركة
3 - م . ب	3767	باريس 3 - م . ب	(الفرن 7/13)	قصيدة 32 بالفاف	أبجدي
4	21	اكتفورد 4	1592/1002	في إبراهيم بن جعفر	ناسخها الجوزي شيعي ؟
5	280	لينتغراد 5	1610/1020	في المعرّ	قر. 13 دالية ترجمة من الوفيات
6	212	برلين 6	1621/1041	في المعرّ	قر. 40 مقدمة مثل ب .
7	527	برلين 7	1655/1067	في المعرّ	قر. 40 مقدمة مثل ب .
8	1870	القاهرة دار الكتب 8	1660/1072	في المعرّ	قر. 12 دالية

ملاحظات	نوع الترتيب أو أول قصائده	تاريخ نسخه	مصدره ورقمه في الفهرس	علامة المخطوط المدورس
مقدمة مثل ب.	ف. 40	1668/1080	مadrید 210 (فهرست رویلس)	٩ - ٣ .
ملكتها زيد الحسيني	ف. 13		الاسکوریال 443	١٠ - اس .
	ف. 40	1851/1268	1695/1107 تونس 15850	٢ - ت ١١ .
	ف. 40	1697/1109	لبنغراد 281	١٢ .
	ف. 13	1730/1127	المتحف البريطاني 3161	١٣ .
	ف. 40	1712/1147	برلين 211 7585	١٤ .
	ف. 40	1770/1185	القاهرة دار الكتب 2204	١٥ .
	ف. 40	1291/1878	تونس 15890	١٦ - ت ١٧ .
ينقل ت ١ إلى قافية اللام.	أبجدي	1847/1264	تونس 2231	١٧ - ت ٤ .
مقدمة مثل ب.	ف. 13	1852/1269	حیدر آباد. الدکن	١٨ - عدد من قائمة زاهر على

سرت بالمند	17 - عدداً من قائمة زاهد على	ملوكها الشقيق عبد العلوي (ت. 1857/1274)	ف. 40
تونس	5 . ت . 20	تفصه بعض الفحائل منها في . 24	ف. 13 . ق.
تونس	6 . ت . 21	فيه 5 ق. فقط: 48- 53- 31- 40- 41	ق. 41 . لامية في المعرّ.
سررت (بهرة)	18 - عدد 22	يقتصر على المغزيات	
سررت (بهرة)	15 - عدد 23	بشرح الشیخ حمید الدین علی (ت. 1300)	ملکها محمد علی (1880/1300)
سررت (بهرة)	16 - عدد 24	الحمدانی (ت 1315/1896)	ف. 13 . ق.
سررت (بهرة)	17 . ت . 25	نفس المالك	ف. 47 . ق.
تونس	7 . ت . 25	فيه ق . 31 فقط .	
تونس	8 . ت . 26	ق . 31 فقط .	
تونس	9 . ت . 27	مخترات فقط .	
میلانو 118	28 . میلا .	مخترات من 10 و 26 فهرست فرنجی	

**قصائد الديوان مرتبة بالتقريب ترتيباً زمنياً**

**ملحق 2**

العنوان المطلع	المدد الرئيسي عند زاهر	طبعة صادر عام 1964	عدد الأبيات	المندوح أو ما شاشه للتقريري ومكان النظم	ملاحظات
١ توسيخاً ٢ شفناً ٣ نهذ	علي	١٠	٦٧	جواهر العقلاني ٩٥٨-٩/٣٤٧-٨	أشدتها بالغرب
		٣١	٧٥	طويل	
		٦١	٧١	طويل	أول مدائح جعفر
		/	٣٥	منسج	توجد بـ «م. ب.» و «ات ١» فقد
٤ ركباً ٥ نافت ٦ مُستقر ص ٢٥ ٧ مقارب	٤	٤٩	٦١	كامل	شباب الشاعر بالبيت ٧
		٦			جعفر
		٧			٩٦٠/٣٤٩ المسيلة
		٣٦			جعفر
		٦١			٩٦٠/٣٤٩ المسيلة
		١٧٩			بخي بن حدرون ٩٦٠/٣٤٩ المسيلة
		٢٥			٩٦١/٣٥٠ المسيلة
		٦٤			بخي بن حدرون ٩٦١/٣٥٠ المسيلة
٨ عجمٌ ٩ غراءٌ	٢	٣٣٥	١٧	بسيط	جعفر
		٥١			ممرض جعفر
		١٨	١١	كامل	٩٦١/٣٥٠ المسيلة
		٢			بحبي

10	كثير	62	جعفر	90	طويل	1	الشاعر مع بحثي؟ إشارة إلى عيد الفطر. القصيدة فيت ١ و٢٠٠٤ فقط
11	ضيقها	9	الغز	59	كامل	69	اشارة الى موت عبد الرحمن الناصر
12	مضمنة	11	الغز	64	طويل	82	961/350 من المسيلة
13	مشروق	63	جعفر	90	طويل	/	10 أبيات في (بـ . ٣) الباقي من (ت ١) (بعيداً عن المسيلة)
14	البيد	17	جعفر	50	كامل	110	قطنْد بحثي 962/351 المسيلة
15	كتعبانها	57	ابراهيم بن جعفر	100	كامل	361	وصف فصر ابراهيم 962/351 المسيلة
16	دونية	54	ابراهيم (و جعفر)	36	كامل	358	جعفر في حلة حرية 962/351 المسيلة
17	الشرف	36	جعفر	76	سرير	228	962/351?
18	فيك	39	جعفر	43	كامل	252	962/351?
19	حُلَاجِل	45	ابراهيم	114	كامل	292	جعفر بالغيروان؟ 963/352?
20	نديم	70	ابراهيم	13	كامل	/	من ت ١ فقط ، وعية بزهرا الأدب ح ١ ص . 312
21	بُورقة	32	جعفر (وابراهيم) 963/352?	62	طويل	222	(أبيات ٤٣ و ٥٣)

العنوان	الموضوع أو النطاق التعرّify	الموارد أو مكان النظم	عدد الأيات	السجرا ما شاله	طبعة الرتبى صدر عند زامد 1964	المدد قافية المطلع عند زامد على
أو القبروان؟	بعض في بحثي؟ (بيت 72-73)	المسيلة 963/7352	14	طويل	/	69 نظم 28
من ت. 1 فقط	بعض في بحثي؟ المسيلة 963/7352	بعض	14	طويل	65	حاكم 52 طبول 337
شكوى الشاعر	بعض في بحثي؟ المسيلة 964/353?	بعض	75	متقارب	329	البهم 50 طبول 30
تجذيره من الأمرين؟	بعض في بحثي؟ المسيلة 967/356?	بعض	35	طبول	188	(أو 41) رذيع 28

أول شعر أنشده إيه المتصوريه 964/353	الغز	87	كامل	350	53 العين
المنصوريه 964/353	الغز	41	خفيف	218	35 الأحداد
المتصوريه 964/353	الغز	113	كامل	256	40 حبجول
المتصوريه 964/353	الغز	73	طويل	34	34 ماريب
المتصوريه 964/353	الغز	35	بسيط	184	35 يلتقط
المتصوريه 964/353	الغز	99	كامل	9	1 السيراء
وقدة الفصيي أو الخليج 965/354	الغز	110	كامل	283	44 يتهيل
الخليج أيضآ المتصوريه 965/354	الغز	78	بسيط	89	12 عاديـد
عبد الإضـسي 966/355	الغز	1122	كامل	265	41 ذيولا
من القـبروان ذكر قلعة كـيانـة 967/356	جعفر	60	طويل	105	16 الاـسـنـد
سفارة رومـية ؟ 967/356	الغز	96	طويل	96	41 هـجـرـد
إشارة إلى العـمر (بيـت 1) 967/356	الغز	86	متقاربـ	20	13 هـجـرـد
				58	42
				43	
				الـقـهـفـرـى	
من ت 1 فقط 968/357	الغز	78	طويل	241	37 بـاـيـاث
انطلاق جوهر نحو مصر 969/358	جوهر	44	طويل	/	44 مـاتـيم
وصف جيش الفتـح 969/358	الـعـزـر	51	طـوـرـيـل	308	45 أـزوـع
فتح مصر 969/358	الـعـزـر	101	طـوـرـيـل	131	46 الصـوارـم
					47 الـأـمـر
					48

العنوان	الموضوع	عدد الأيات	طبعة صادر	العدد الرئيسي عند زاهر علي	تأريخ المطبع	العنوان التفصيلي	ملاحظات
الحمد لله ما شاء له	ألفي الناشر	22	بسط	49 الفصل	1964	969/358 سلبي عن عزله من قيادة الجيش؟	الأخوان ماتنا بأفريقيا
أخوا العز	رمل	114	الفقدان	50	قبل عزم	969	الأخوان ماتنا بأفريقيا
العز	طربيل	140	اضدرا	51	970/359 المنصورية	هدايا مصر	
العز	كامل	202	آخرها	52	970/359 المنصورية	إشارة إلى حصار أنطاكية	
العز	بسط	275	الدول	53	970/360 المنصورية	أسر ابن خزر	
العز	كامل	146	ال فهو	54	971/360 المنصورية	إشارة إلى فوقيس	
العز	كامل	91	الرسان	55	973/362 برقه	بعد فتح مصر	
العز	طربيل	313	بعضهم	56	973/362 من الراب	آخر شعره	

## قصائد يصعب تأريخها

القافية	زاهد علي	صادر 1964	البحر	عدد الأبيات	ملاحظات
57 مطلايا	4	41	كامل	82	
58 المسفر	20	161	كامل	38	
59 يفترق	33	235	بسيط	24	؟ الشيباني
60 مقاتلي	42	302	طويل	53	
61 المندواني	60	378	بسيط	91	
62 الأسل	66	/	بسيط	35	
63 الإبرام	48	348	كامل	11	ابن المذهب
64 عاذلها	65	/	منسخر	37	أحمد بن زائدة
65 الشريف	29	214	خفيف	42	هجاء الوهراوي قبل 9360
66 غرام	68	/	خفيف	20	?/362 محمد ابن قاضي برقة
67 كفرا	21	172	بسيط	21	ديوان المتنبي
68 الثنائي	56	376	بسيط	18	في أكول
69 مطروق	34	238	رجز	21	خرية
70 الرؤم	49	343	طويل	35	غزل



## الفصل الثالث

### مَدْرُحُ الشاعر

سنحاول في هذا الفصل أن نلقي بعض الأضواء على حياة ابن هانئ ، من خلال دراستنا لعلاقته بالأشخاص الذين خدمهم بشعره ، سواء كانت خدمته لهم دائمة مستمرة ، كبني حمدون أو الخليفة المعز ، أو عرضية متقطعة كالشيباني أو أفعى الناشر .

وليس غرضنا أن نصف ترجمة ضافية مدفقة لهؤلاء وأولئك ، إنما قصدنا أن نلقيط من كتب التاريخ والترجم كل الارشادات الكفيلة بتوضيح الظروف التي نظم فيها الشاعر مدائحه فيهم ، وتدقيق المدد التي قضتها في خدمتهم ، عسانا نتوصل إلى تبديد الغيم التي تكتنف الإشارات التاريخية والاجتماعية -الحضارية في جل القصائد. وهي إشارات ، لعلّها كانت واضحة مفهومة لدى الممدوحين وجمهور المعاصرين ، ولكنها عندنا مستغلقة تستعصي غالباً عن كل محاولة للفهم والشرح .

هذا وإنّا نرتّب هؤلاء الممدوحين لا بحسب عدد القصائد التي خصّصها لهم الشاعر ، ولكن بحسب امكان تعرّفنا عليهم والوقوف على أخبارهم في المراجع الأدبية والتاريخية .

المعز لدين الله

هو الخليفة الفاطمي الرابع ، ترجمت له المصادر التالية :

1 - سيرة الأستاذ جوذر : نشرها محمد كامل حسين بالقاهرة ، ونقلها إلى الفرنسية ماريوس كانار بالجزائر .

2 - ابن حماد : (1231/628) أخبار ملوك بنى عبيد .

3 - ابن الأثير : (1233/630) الكامل في التاريخ .

4 - ابن الآثار : (1259/658) التكميلة لكتاب الصلة .

الحَلَةُ السِّيرَاءُ : ترجمة عدد 216

5 - ابن خلkan : (1282/681) وفيات الأعيان : ترجمة رقم 398 .

6 - ابن عذاري : (1312/712) : البيان المغرب .

7 - ابن الخطيب : (1375/776) : أعمال الأعلام .

8 - ابن خلدون : (1428/832) : كتاب العبر (تاريخ البربر) .

9 - المقرizi (1441/845) : الخطط ، واتعاظ الحفباء .

10 - ابن تغري بردي : (1470/874) : النجوم الزاهرة .

11 - ابن أبي دينار : (1698/1110) : المؤنس .

12 - فرنال (Fournel) : البربر (Berbers) ( ) .

13 - كاترمير (Quatremère) : حياة الخليفة المعز Vie de calife Moezz .

14 - حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعز لدين الله .

15 - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية .

16 - ماريوس كانار : حياة الأستاذ جوذر ، وفصول أخرى .

17 - فرhat الدشراوي : الخلافة الفاطمية بالمغرب (بالفرنسية) .

18 - القاضي النعمان (974/363) : كتاب المجالس والمسايرات (ملاحظات عابرة فقط) .

ولد أبو تميم معد بن اسماعيل بالمهدية سنة 930/319 ، وارتقي الخليفة عند وفاة أبيه المنصور سنة 952/341 ، فاتخذ لقب « المعز لدين الله » . وتشيد

المصادر الشيعية ، مثل سيرة الأستاذ جوزر ومحالس القاضي النعمان ، بحسن أخلاقه من تسامح وحلم وتواضع ، كما تشيد بسعة معارفه في شتى أنواع العلوم ، ولا سيما العلوم الباطنية المنبثقة عن العقيدة الاسماعيلية . وقد نسب إليه المستشرق لويس ماسينيون<sup>(1)</sup> ، في الثبت الذي صنفه للمؤلفات القرمطية ، رسالة ذات نزعة قرمطية سماها « الرسالة الى حسن القرمطي » وأخرى ذات نزعة عقائدية جدلية ازاء النصرانية سماها « الرسالة المسيحية » ، وقد أرّخها ماسينيون سنة 358/969 . والواقع أنَّ هذه الرسالة المسيحية إنما هي فصل من « مقالة مسيحية » منسوبة الى المعز ، ولكنها لغيره بدون شك ، لأنَّ هذا الفصل من المقالة قد نسخ سنة 308/920 ، أي ، قبل ميلاد المعز بأكثر من عشر سنوات . هذا ما يطلعوا عليه فهرست المخطوطات بالمكتبة الوطنية بباريس<sup>(2)</sup> . أمَّا الرسالة الى التأثير القرمطي ، فتضمن قبل كلَّ شيء دعوة الى وضع السلاح والاعتراف بالحكم الفاطمي الذي أقرَّه جوهر بالقاهرة . وقد احتفظ لنا القاضي النعمان من جهة أخرى برسائله الى امبراطور بيزنطة - أو طاغية الروم كما يقول - التي يدعوه فيها الى اعتناق الإسلام<sup>(3)</sup> .

هذا السعي الدائم الى نشر الإسلام مع التمسك المستمر بفرضية الجهاد المقدس قد ميز حكم هذا الملك العظيم ، وقد قضى معظم مدته بافريقيَّة ، وهو منشغل بتوطيد السلطان الفاطمي بعد أن كادت تودي به ثورة أبي يزيد الخارجية . ولشنَّ ظفر المنصور بأبي يزيد سنة 336/947 ، فإنَّ تبعات فتنته قد استمرَّت حتى خلافة المعز ، اذ كانت القبائل البربرية ، وخاصة زناته ومغراوة ، تتمرَّد بين الفينة والفينية على الحكم الشيعي مستندة الى السلطة الأموية بالأندلس التي كانت تحوك الدسائس وتشجع الثورات ضد الفاطميين ، انطلاقاً من

(1)البيليوغرافيا القرمطية : رقم 19 .

(2) فهرست دي سلان (De Slane) : رقم 191 .

(3) انظر فصل الدشراوي : جزيرة قربطش ... وفصل ماريوس كانار : المصادر ... ص. 289 . وانظر كذلك اتعاظ الحنفاء للمقرizi ص. 251: نص الرسالة الى القرمطي .

قواعدها بالمغرب الأقصى ، مثل طنجة وسبتة اللتين عجز القائد جوهر على افتتاحهما . وكانت سياسة خلفاء قرطبة ترمي إلى اقامة قبائل زنانة حاجزاً في المغرب بينهم وبين مرادي المعز التوسيعة . والمعز من جهة لم يكن يخفي عداوته للأمويين ، أو المروانيين كما تقول الدعاية الرسمية ، ويرى أن سلطانهم غير شرعي ، بل هو ثمرة اغتصابين : أولاً ، اغتصاب معاوية للحكم من علي بن أبي طالب الخليفة الشرعي ، ثم انتزاع السلالة المروانية للحكم من السلالة السفيانية<sup>(١)</sup> .

وقد خصص فرجات الدشراوي صفحات طويلة من رسالته لتحليل أسس هذا الخلاف بين الفاطميين وأمويي الأندلس ، وتفصيل نتائجه السياسية والعسكرية : فهو مثلاً يعزّو الهدنة التي وقعت سنة 957/346هـ بين المعز وقسطنطين إمبراطور بيزنطة لمدة خمسة أعوام ، يعزّوها إلى رغبة المعز في توجيه كافة قوّته وعزمها ضدّ الغاصبين الأندلسيين والتفرّغ لقتالهم ، ولا يشكّ هذا الباحث كذلك في أنّ المعز كان يرسل الدعاة السريين إلى الأندلس ليحدثوا الفلاقل والفتن تمهيداً لحملة فاطمية واسعة على الجزيرة .

غير أنّ المنافسة بين الدولتين ، في انتظار هذه المواجهة ، وجدت مجالاً فسيحاً بأرض المغرب ، فاتخذت من قبائل البربر وسائل لها في القتال ، فكان الأمويون كما أسلفنا يستخدمون قبائل زنانة ، وبخاصة الفرع المعروف منها بقبة الشكيمة ، وهم بني خزر من مغراوة . أمّا الفاطميين ، فيعتمدون ، علاوة على أنصارهم الأوّلين من كتامة ، على قبيلة صنهاجة المعروفة بشدة عداوتها لزنانة الرّحل ، ومعلوم أنّ صنهاجة كانت من القبائل المستقرّة ، خصوصاً بعد تأسيس مدينة أشير بال المغرب الأوسط (جنوب عاصمة الجزائر الحالية) .

(١) الدشراوي : الخلافة الفاطمية ... ص. 225 . انظر أيضاً : المعز لدين الله ص. 322 وما يليها .

وبمجرد أن وصل شاعرنا إلى بَر العدوة ، وجد نفسه في خضم هذا التنافس فانضم مباشرة إلى حزب الفاطميين كما يظهر من مدحته لجوهر ، وهي أول قصائده المغربية :

37/10 أراك بمرأة الإمامة كاسمها على كور عَنْسِ والإمام المرشحا  
فعبارة « مرأة الإمامة » لا تدع مجالاً للشك في أنه قطع الصلة بالأمويين  
فأخذ يردد الشعارات الفاطمية ويتبنى عداوة صاحب افريقيَّة ضدَّ خلفاء قرطبة ،  
كما سيظهر من شعره الذي ينظم في المعزَّ .

لكنَّ المعزَّ لم يقصر عداوته على الأمويين المروانيين بالأندلس ، بل  
كان يوجه أنظاره أيضاً إلى العباسيين لأنهم ، في نظر الأئمة ، ظالمون غاصبون  
للحكم مثلبني أمية ، ولا بدَّ يوماً من إرغامهم على ارجاع الحق إلى أصحابه  
الشرعَيْن : أبناء فاطمة . لذلك لا زراه يصرف نظره عن شؤون المشرق ، كما  
تدلُّ عليه مراسلاته مع الأخشيدَيْن بمصر اثر احتلال نقوفر فقاس الأمبراطور  
البيزنطي لجزيرة قريطش : فقد فكر في تجهيز أسطول مشترك بين المصريين  
والإفريقيين لمحاولة استرجاع الجزيرة<sup>(١)</sup> .

غير أن صدى الأحداث الشرقية لا يبرز في القصائد المعزَّية الأولى ، بل  
يركَّز ابن هانىء اهتمامه ، أي حملاته الكلامية ، على المروانيين بالأندلس :  
هم العدوُّ الذي يجب أن يقهر ويمحق ، أما العباسيون فيبقى ذكرهم خافتاً إلى  
ما بعد سنة 962/351 ، أي بعد الهزائم النكراء التي يلحقها الروم بسيف الدولة  
الحمداني على حدود الخلافة العباسية العاجزة المقهورة ، فعندئذ لا تتوانى  
الدعائية الفاطمية - وبالتالي الشاعر - في مقابلة انتصارات الأسطول الفاطميَّ  
في صقلية وجنوب إيطاليا بنكبات العباسيين وأمرائهم في شمال الشام  
والحوض الشرقي من البحر الأبيض ، فيقول شاعرنا مثيراً إلى صدَّ الأمبراطور

---

(1) الدشاوي : الدولة الفاطمية .. ص. 244-247 . انظر أيضاً له : جزيرة قريطش ...

البيزنطي - الدمشق - عن صقلية ومعرضاً بخمود العباسين .

إنَّ التي رام الدمشق حربها لَهُ فيها صارم مسلول  
53/40 لا أرضها حلْب ، ولا ساحتها مصر ، ولا عرض الخليج النيل

ويزداد هذا التهجم على بني العباس قوة عندما يستيقن المعز بتوطيد أمره على المغرب ، فيولي نظره شطر بغداد ، ولا سيما بعد وفاة كافور الأخشيدى أمير مصر سنة 968/357 . فلذلك ، اعتماداً على ما ورد في المذايحة المعزية من تهجم على العباسين ومجادلة لهم في شرعيَّة الامامة ، يمكننا أن ندفع النظريتين المختلفتين - وإن كانتا كلاهما خاطئتين - اللتين فسَّر بهما بعض الدارسين انتقال الخلافة الفاطمية من إفريقية إلى مصر : تقول النظرية الأولى أنَّ هذا التحول إنما كان نوعاً من الهروب من عداوة القiroانيين المتمسِّكين بسيَّتهم ، الناقمين على البدع الشيعية ، إلى أصقاع كان التشيع فيها معروفاً مقبولاً<sup>(1)</sup> . ويقول الرأي الثاني إنَّ المعز لم يقرر تحويل الخلافة إلى القاهرة إلا لمحابيَّة فرق القرامطة التي عاثت فساداً بأرض الشام وتمردَت على الجيوش الفاطمية هناك فقتل قائد الكتامي جعفر بن فلاح<sup>(2)</sup> . فهذا رأيان خاطئان في نظرنا : ذلك أنَّ المعز لم ينقطع تفكيره في اكتساح الشرق والإطاحة بالدولة العباسية . ولا غرابة في ذلك ، ما دام الأئمة الفاطميين يعتقدون أنَّهم هم وارثو الأرض وсадة الكون ، وأنَّ كلَّ سلطة لا تنبثق من وحيهم إنما هي سلطة مسروقة مفتسبة يجب الإطاحة بها . ولشن لم يشرع في حملته الشرقيَّة الآ سنة 969/358 ، فلأنَّه كان مضطراً قبل ذلك إلى توثيق قواудه الخلفية وتحصينها من دسائس الأمويين وفتن القبائل الزناتية وتحركات الأسطول الرومي ، فاستخدم لهذا الغرض كبار قواده من عبيد صقالبة مثل جوهر ، أو برب صنهاجيين مثل زيري بن مناد ، أو عرب مثل بني حمدون بالمسيلة أو الكلبيين

(1) حسين مؤنس : مقدمة رياض النفوس . ص. 16-17 . ولنلاحظ عرضاً أنَّ الحملات على المشرق بدأت من عهد عبيد الله ، أي منذ السنوات الأولى من انتصار الدولة بالقiroان .

(2) الدشراوى : الخلافة . . . ص. 266 .

بصقلية . وهذا الحذر من أعداء الخلف هو الذي حرك الأسطول الفاطمي ضد البيزنطيين ، فأنزل بهم هزيمة رمطة بالجنوب الشرقي من صقلية ، ثم كارثة الخليج أو مضيق مسينا سنة 965/354 ، وكان الدمستق فاتحه منذ سنة 957/346 في إبرام صلح دائم<sup>(1)</sup> ، وربما كانت مهادنة الروم في صالح الفاطميين إذ تمكّنهم من التفرّغ لماربهم الشرقية ولكن تمكّن المعز بفرضية الجهاد ، كما أسلفنا ، حمله على رفض العروض البيزنطية<sup>(2)</sup> وعلى مواصلة قتالهم برأً وبحراً . وأنا لنجد في مدائع ابن هانئ صدى لهذه المشاغل عند الخليفة : التصدي للنفوذ الأندلسي بشمال أفريقيا ، ودفع الخطر الرومي عن قلورية في جنوب إيطاليا أو «الأرض الكبيرة» كما يقول المؤرخون ، وعن جزيرة صقلية ، وأخيراً استنكار الركود العباسي ازاء انتصارات الأباطرة المقدونيين في شمال الشام والجزيرة .

وكان القائد الصقلبي جوهر هو المكلّف عادة بالحملات المغربية ضد علماء الأمويين والثوار البرابرة . وفيما بين سنة 969/358 و 971/360 ، بينما كان جوهر منشغلًا بفتح مصر وتأسیس القاهرة ويُسطّر النفوذ الفاطمي على وادي النيل وربوع الشام ، قامت ثورة جديدة في مغراوة ، يقودها أبو خزر ، فاضطرَ المعز إلى ملاحقة الثائر بنفسه فقد حملة ضد زنانة حتى جبل الأوراس ، ولا يظهر من كلام ابن هانئ أن الشاعر رافق الخليفة في هذه الحملة ، وسكنه هذا يدعونا إلى التساؤل عن حقيقة العلاقة التي كانت تربطه بالمعز : فلthen صرّح أنه كان الشاعر الرسمي للدولة الفاطمية ، المعلي لكتلتها ، المشيد بأحقيتها لخلافة المسلمين كما يظهر من الشعارات الشيعية التي تطفح بها مدائحه ، فهو فيما يبدو ، لم يكن ملازمًا للخليفة ، ولا معايشًا له في بلاطه ولا حتى في عاصمه المنصورية : ذلك أن شعره لا يتعرّض قط للأحداث والحالات التي قد تقع في القصر أو عند أفراد الأسرة الحاكمة ، من مرض

(1) نفس المصدر ص 243 .

(2) انظر القاضي النعمان : ك. المجالس والمسايرات ، 367 و 444 .

يطرأ على أحد الأمراء ، أو زفاف يحمل أميرة الى بعلها ، أو وفاة عظيم . ولا يخلو الأمر من غرابة إذا اعتبرنا أن اثنين من إخوة المعز وأختاً ماتوا في الفترة التي قضاهما الشاعر بفريقيه . الأخوان هما طاهر والحسين اللذان مدحهما بالقصيدة الخامسة عشرة ، والأخت يسمىها المقرizi<sup>(1)</sup> سَمُورَة . فصرنا نتساءل هل كان للمعز بلاط ، بالمعنى الذي نفهمه من عبارة « بلاط المامون » أو « بلاط سيف الدولة » أي حلقة يتوسطها الخليفة بين كبراء دولته وشعرائه ومغتبيه وعلمائه ، ويقع أبناءها الانشاد والسماع والمطارحات الأدبية ، ويستطيع الشعراء بفضلها أن يطلعوا على ما ينتاب حياة القصر من حوادث سارة أو أليمة ، تافهة أو جسيمة .

بل لعل سكوت الشاعر عن حياة الخليفة الخاصة يحملنا على تصديق الصورة التي يقدمها لنا عن المعز مترجموه : وهي صورة العاهل الوقور الرّصين الذي لا يضيع الوقت في توافق المجالس وثُرثرة الحلقات<sup>(2)</sup> ، فلا يترك التواضع - بل التزهد - الذي فطر عليه الا عندما تضطرره الاحتفالات الرسمية إلى إظهار أبهة الملك ، في الأعياد مثلًا ، أو عند قبول رسل الملوك أو استقبال قواده المظفرین . وحتى هذه المواكب الرسمية لم تحظ بوصف مدقق عند ابن هانئ ، بل يشير إليها اشارات قليلة سريعة . فكان الخليفة يعتبر أن هذا الجانب الرسمي من حياته أعظم قدرًا من أن يدعوه إليه الشعراء فيجعله على مرتبة المساجلات والمطارحات .

وعلى ذكر الشعراء ، هل يصح أن نستعمل هذا الجمع ؟ أو ، بعبارة أخرى ، هل كان عند المعز شعراء آخرون غير صاحبنا ؟ صحيح أن المصادر تذكر جماعة ، منهم الفزاروي<sup>١</sup> والإيادي وابن القتّار ، ولكنها لا تترجم لهم ، ولا تنقل من شعرهم الا التزّر القليل . وحتى المصادر الإسماعيلية ككتاب « عيون الأخبار » للداعي إدريس ، لشن ذكرت شاعرًا مثل جعفر بن منصور

---

(1) اتعاظ الحنفاء 133 .

(2) المجالس والمسائرات 94 ، 442 ، 457 و 514 .

اليمن<sup>(1)</sup> ، فهي لا تتعرض لعلاقته بالإمام . وصحيح أيضاً أن شاعرنا يتذمّر أحياناً من بعض المنافسات ، ولكن لم يصلنا شيء من شعر هؤلاء في المعز ، إن كانوا مدحوه حقاً ، كما لم نجد في كامل ديوان ابن هانىء تصريحاً باسم واحد من هؤلاء الحسدة المنافسين .

فإن خلت المدائح المعزية من كل إشارة إلى حياة المعز وإلى حياة الشاعر بجوار المعز ، لم تستغرب الصعوبات التي تتعارض سبيل كل من يحاول تصنيف ترجمة صحيحة لابن هانىء . فالغموض الذي يكتنف ميلاده وظروف وفاته هو الغموض الذي يكتنف علاقاته مع مددوبيه .

### أمير الزاب : جعفر وبمحى ابنا حمدون

نجد ذكراً لهذين الأخوين في المصادر التالية ، علاوة على مصادر ترجمة المعز الفاطمي :

- 1 - ابن حيّان : (1076/469) : المقتبس ص . 32 - 34 .
- 2 - ابن الأبار : الحلّة السيراء : ترجمة رقم 111 .
- 3 - ابن خلّكان : وفيات : ترجمة رقم 133 .
- 4 - ابن سعيد 1286/685 : المغرب : ترجمة رقم 409 .
- 5 - ابن خلدون : ج . 4 ص . 32 من طبعة بولاق .  
ج . 16 - 21 ، ص . 176 من طبعة بيروت .
- 6 - ليثى بروفنسال : اسبانيا الإسلامية ج . 2 ص . 187 .
- 7 - ماريوس كانار : أسرة بنى حمدون . . . ص . 33 - 49 .
- 8 - فرحات الدشراوي : الخلافة الفاطمية بالمغرب ص 238 - 240 .

كان جعفر بن حمدون والي المعز على المسيلة ومنطقة الزاب بالمغرب

(1) حوليات 17/1979 ص 69 .

الأوسط . وكان يمئي الأصل ، كما تدلّ عليه نسبة « الجذامي » في اسمه : فهو جعفر بن علي بن حمدون بن سماك الجذامي الأندلسي . وقد أكثر ابن هانئ من الاشادة بهذا النسب القحطاني الذي يشتراك فيه مع أمراء المسيلة ، فنراه يجعل مثلاً من جعفر أصلاً جاماً لكل الخصال اليمنية : [مقارب]

46/50 فلو نسبت يمن كلها اليك ، لقلنا لها : لا جرم  
وربما عزا العطف الذي لقيه عنده الى هذا الاشتراك في النسب : [طويل]

37/63 وكم لك عندي من يد يمنية لها حسب في المكرمات عتيق  
جد الأسرة يدعى عبد الحميد ، ولكن النطق الإسباني صغره فصار « حمدون » كما وقع في « خلدون » و « عبدالون » وغيرهما . وكان له ابناء : محمد وعلي . ويظهر أنه قدم من الشام فاستقر بمنطقة البيرة ، فلعله سليل إحدى الأسر الشامية التي هاجرت إلى الأندلس بعد فتحها فعمرت مدن الجنوب الإسباني وقراه . ولا تستبعد كذلك أن يكون حمدون هذا داعياً من دعاء الفاطميين ، استقر بالحدي « الكورات المجندة » التي توزعها أجناد حمص وقنسرين ودمشق ، فاختار كورة البيرة لما كان يتوقعه فيها من قبول العناصر اليمنية للشعارات الشيعية ، وكانت الدعایات المارقة تجد أرضاً خصبة في هذه المناطق ، بدليل الفتنة العديدة التي أثارتها فيها الأحياء اليمنية .

ويذَعُ رأينا في انتساب حمدون إلى الدعوة الفاطمية ، ما تذكره المصادر من أنه استقر مدة بمدينة بجاية بالمغرب الأوسط ، أي على مقربة من مواطن كتابة . وعلومن أن كتابة هم الانصار الأولون للداعي أبي عبد الله الشيعي . بل يذهب الدشراوي في رسالته<sup>(1)</sup> ، مستنداً إلى كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان<sup>(2)</sup> إلى أن حمدونا هو الذي أوصل أبي عبد الله إلى كتابة ، بعد

---

(1) الدشراوي : الخلقة ... ص. 60.

(2) افتتاح الدعوة ، ص 70-68.

أن تلقى أمراً بذلك من مركز الدعوة الفاطمية بسلمة بالشام ، مما يؤكد في نظره أنه كان على اتصال وثيق بزعماء الدعوة في المشرق .

ويرى ماريوس كانار<sup>(1)</sup> أن هذه المهمة كانت من نصيب محمد بن حمدون ، أحد أنصار الداعي الحلواني الأولين : فهو الذي ربط الصلة بين أبي عبد الله والكتاميين ، في حين أن علي بن حمدون ، الابن الثاني ، دخل في خدمة المهدي بمجرد وصوله إلى سجلماسة وبقي معه حتى انتقاله مظفراً إلى رقادة .

ومهما يكن من أمر ، فلا شك في أن الأسرة الحمدونية قديمة التشيع : فقد خدم حمدون - أو أبناء - الخليفة الأول عبيد الله المهدي . ثم نجد علي بن حمدون في خدمة الخليفة الثاني محمد القائم منذ أن كان ولائياً للعهد مكلفاً بيسط النفوذ الفاطمي بالمغرب الأوسط . فأسس معه سنة 926/315 مدينة حصينة سماها باسمه : «المحمدية» . ولكنها عرفت فيما بعد باسم «المسيلة»<sup>(2)</sup> . وكان الغرض من إنشاء هذه القاعدة أن تتمكن الحكم الفاطمي من مراقبة سهول «شط الحضنة» وجبال «المعاضيد» في آن واحد ، ثم أن تكون محشداً للعتاد الحربي والمؤن الازمة في حالة حصار أو حرب طويلة المدى ، وقد استفاد الحكم الفاطمي منها فعلاً : فبفضل ما أدخله علي بن حمدون بالمبيلة من سلاح وعتاد ، تمكن الخليفة الثالث المنصور من محاصرة أبي يزيد صاحب الحمار بجبل «كيانة» حيث كان اعتصم في آخر أيامه ، ثم من القضاء عليه نهائياً .

وقتل علي بن حمدون سنة 945/334 أثناء معركة دارت بين الجيوش الفاطمية وأنصار أبي يزيد بقيادة أبي أيوب ابن صاحب الحمار . فخلفه على

(1) م. كانار : حياة . . . ص. 109 . تبيه عدد 203 . ولنلاحظ أن القاضي النعمان يتحدث عن أبي عبد الله (محمد) الأندلسي ، لا عن حمدون نفسه ، مما يدعم نظرية ماريوس كانار .

(2) انظر فصل بول ماسيرا عن المسيلة .

امارة المسيلة والزاب ابنه جعفر بن علي بن حمدون يساعده على شؤون الولاية أخيه يحيى بن علي . وكان جعفر ويحيى ابنا علي قد نشأا بيلات القائم ثم المنصور تحت رعاية الحاجب جوزر الابوية<sup>(1)</sup> . فالعلاقة بين الحمدونيين والأسرة الفاطمية كانت اذن جد وثيقة . بل يقول ابن خلدون<sup>(2)</sup> إن أم معد ، أي المعز ، كانت قد أرضعت جعفرا ، فكان أخاً لل الخليفة الرابع بالرضاع . ولا يعني هذا أنهما كانا نذين ترببن أي أنهما أرضعتهما معاً في نفس الفترة : فالمعز ولد سنة 931/319 كما أسلفنا ، أما جعفر ، فلا يمكن أن تكون سنه ، لما خلف أباه على امارة الزاب سنة 945/334 ، دون الخامسة والعشرين على أقل تقدير ، فيكون مولده حينئذ حوالي سنة 921/310 ، أي قبل ميلاد المعز عشر سنوات .

ولما ولـي المعـز الخـلاـفة أـقـرـ جـعـفـراـ عـلـى لـاـيـة زـابـ . وـتـقـوـلـ المـصـادـرـ إـنـهـ أـظـهـرـ لـهـ مـنـ العـطـفـ الدـائـمـ وـالـرـفـقـ الـمـتـواـصـلـ مـاـ لـمـ يـكـنـ جـعـفـرـ بـهـ دـائـمـاـ جـديـرـاـ : مـثـلـاـ كـانـ يـسـمـحـ لـهـ باـسـتـبـقاءـ القـسـطـ الـأـوـفـرـ مـنـ أـمـوـالـ الـجـبـاـيـةـ ، فـلـاـ يـدـفعـ إـلـىـ خـزـيـنـةـ الـدـوـلـةـ إـلـاـ الـمـقـادـيرـ الـقـلـيـلـةـ<sup>(3)</sup> مـمـاـ يـحـرـكـ غـيـرـ الـوـلـاـةـ الـأـخـرـيـنـ وـتـذـمـرـهـمـ مـنـ هـذـاـ الـأـمـتـيـازـ . فـكـانـواـ يـتـرـشـحـونـ لـتـعـرـيـضـ جـعـفـرـ وـيـلـتـزـمـونـ بـدـفـعـ مـبـلـغـ سـبـعـينـ أـلـفـ دـيـنـارـ سـنـوـيـاـ إـلـىـ بـيـتـ الـمـالـ . فـضـافـرـتـ هـذـهـ الـاحـتـاجـاتـ مـعـ التـهـمـ الـمـوجـةـ إـلـىـ جـعـفـرـ فـيـ إـغـصـائـهـ عـنـ فـتـنـةـ زـنـاتـ وـمـحـرـكـيـهـ الـأـمـوـيـنـ ، حـتـىـ إـنـ الـحـاجـبـ جـوـذـرـ اـقـتـرـحـ عـلـىـ الـخـلـيـفـةـ أـنـ يـعـزـلـهـ . لـكـنـ الـمـعـزـ أـبـيـ أـنـ يـسـبـحـ ثـقـتهـ مـنـ أـخـيـهـ بـالـمـرـاضـعـةـ ، بـلـ دـعـاـ جـوـذـرـاـ إـلـىـ الـمـزـيدـ مـنـ التـسـامـحـ مـعـهـ ، وـهـوـ الـذـيـ رـبـاهـ مـعـ الـأـمـرـاءـ فـيـ قـصـورـ الـخـلـافـةـ<sup>(4)</sup> .

(1) الدشراوي : الدولة ... ص. 238.

(2) ابن خلدون : تاريخ ج. 4 ص 82 (برلاق) . وقد حررت الجملة في طبعة بيروت الرديبة فصارت لا تفهم . وانظر ترجمة دي سلان ج 2 ص 553.

(3) الدشراوي : الدولة ... ص 239.

(4) م. كانار : حياة ... ص. 198، 197، 200 . تنبه رقم 435، 438.

ولعل تقلبات جعفر بن حمدون في ولاته للمعز كانت ناتجة أساساً عن العداوة التي كان يضمرها للأسرة الصنهاجية ورئيسيها زيري بن مناد ثم بلقين ابن زيري ، وهذه المنافسة بين بني حمدون وبني زيري صورة وصدى للخصوصية القديمة بين زناته الرجال وصنهاجة المستقررين . وقد حاول المعز مراراً عديدة أن يصلح بينهما ، ولكن جهوده لم تفلح ، فالعداوة متصلة بين القائدين ، ثم أن الانتصارات المتكررة التي أحرزها زيري وابنه في حملاتهما على القبائل المتمردة كانت تحز في نفس جعفر لأنها تقوي مركز الصنهاجيَّن بالخلافة وتطمس نجم بني حمدون . وبلغت العداوة أوجها يوم أن قهر زيري القائد الزناتي محمد بن الخير ، فأرغمه على الانتحار وحمل رأسه إلى المعز<sup>(1)</sup> . فقطع جعفر ولاعه للمعز ورفض أن يمثل أمامه بالمنصورية<sup>(2)</sup> وانضم إلى زناته وتحالف معهم وساعدهم على الانتقام من زيري بن مناد ، فقتلوه بدوره وقطعوا رأسه ، وركب جعفر البحر مع أهله وأمته حاملاً رأس الأمير الصنهاجي إلى قرطبة حيث حظي من الخليفة الأموي الحكم الثاني بالترحاب والقبول .

ولم يتعرض ابن هانىء قط إلى خذلان جعفر للمعز ولا إلى المنافسة بينه وبين الصنهاجيَّن . وبهذا الصدد ، نلاحظ أن الشاعر لا يذكر القواد البربريين بخير ولا بشر ، إلا إذا كانوا ، مثل بني خزر ، أعداء معروفيَّن مشهورين للحكم الفاطمي . في حين أنه لا يقتصر في الاشادة بحملات بني حمدون في على الحدود الغربية من المغرب الأوسط ، ولعله رافق يحيى بن حمدون في بعض هذه الغزوات كما يظهر من مدائحه فيه . ويصفه عامة يبدو أنه كان يتمتع عند أمراء المسيلة بحظوظ كبيرة صفت علاقته بهم بنوع من المعاشرة والتعاطف والمواء التي لا نجد لها مثيلاً في علاقته مع الخليفة . وسيعرف الشاعر بصنف الآخرين ، ويراعي لهما الحبُّ والتجليل ، فلا يُظهر لهما العداوة

(1) الدشراوي : الخلافة ... ص. 237.

(2) ليثي بروفنسال : إسبانيا ج. 2 ص. 188.

ولا حتى الاستكثار بعد قطعهما ولاء المعز ، مع أنَّ إيمانه بالعقيدة الشيعية ، ومنصبه الرسمي في بلاط الخليفة كانا يحتمان عليه التظاهر على الأقل بذمَّ الأخرين واستكبار خيانتهما . بل غاية ما نجده عنده من صدِّى هذه الأحداث ، هو هجاء غامض لكاتب عند جعفر يدعى الوهرانيَّ كان متهمًا بالتجسس لفائدته الأمويين والسعى لكسب أمير المسيلة للحزب العروانيَّ .

وقد يعزى هذا الوفاء للأخرين ، رغم شقهما عصا الطاعة في وجه المعز ، إلى اشتراكه معهما في النسب اليمني ثم الأندلسية . هذا الالتقاء في « الأندلسية » لم يغب عن الفتح بن خاقان في المطعم إذ يقول : « ... وأزعجهته الأندلس ، فخرج على غير اختيار ، ... إلى أن وصل إلى الزاب واتصل بجعفر ابن الأندلسية ، مأوى تلك الجنسية »<sup>(1)</sup> . فالذى نفهمه من هذه الاشارة : « مأوى تلك الجنسية » أنَّ بلاط الأخرين كان بمثابة الملجأ للأندلسيين النازحين عن وطنهم ، وأنَّ ابن هانئ ، عند هجرته من أشبيلية ، لم يجد المعاشرة والرعاية إلا عند « مواطنه » الحمدونيين ، والمواطنة هنا مزدوجة : فهم مثله يمنيو الأصل ، وهم مثله أصيلو كورة البيرة .

## جوهر الصقلّي

في خصوص هذا القائد ، انظر ، إلى جانب المصادر السالفة الذكر :

- 1 - ابن خلَّakan : وفيات ، ترجمة رقم 141 ( 145 طبعة بيروت ) .  
الداعي إدريس ( 1468/872 ) : عيون الأخبار ، جزء 6 ، ورقة 56 .
- 2 - علي إبراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلّي .
- 3 - فرجات الدشراوي : الخلافة الفاطمية ... ص 222 : حملة المغرب . ص 250 : فتح مصر . ص 367 : الصقالبة .

---

(1) مطعم الأنفس ص. 84 . وانظر نفع الطيب طبعة عبد الحميد ج. 5 ص. 173 .

لعل هذا القائد الكبير كان من أصل صقلبي ، والصقالبة كما هو معلوم ، هم قاطنو أوروبا الوسطى من بلغار وبولنديين وروس ، وكانوا منذ القدم عرضة للأسر والاسترقاق من قواد الأغريق والروماني ، حتى أن الكلمة اللاتينية *Slavus* التي تعين الشخص الصقلبي قد ولدت لفظ *Sclavus* التي تعني العبد ، ومنها انتقلت إلى الفرنسية في صورة *Esclave* في المعنى المطلق للعبودية<sup>(1)</sup> .

ويسميه ابن حمّاد في تاريخه «جوهر الرومي» . والمعتّيون بالروم عند المؤلفين العرب هم البيزنطيون ، سكان امبراطورية القسطنطينية أو روما الشرقية ، ويقال لها أيضاً الامبراطورية المقدونية أو الأغريقية ، فلذلك ترجم فوندرهايدن عبارة ابن حمّاد بـ «جوهر الأغريقي»<sup>(2)</sup> . نسبة الرومي قد تعني إذن أصلاً بيزنطياً ، أو أيضاً صقلياً ، إذ أن قسماً من جزيرة صقلية ينتمي إلى القرن الرابع/العاشر خاصعاً لنفوذ الأباطرة البيزنطيين ، فلذلك لا نستغرب نسبة «الصقللي» التي علقت باسم جوهر .

ويُدعى أيضاً «جوهر الصقلبي» ، دلالة على أنه كان من العبيد الذين أسرّوا صغاراً فنشأوا في بلاط الخلفاء كغيرهم من الفتيان الذين قادوا الجيوش العباسية أو الفاطمية . ويدعم هذه النسبة إلى الرقيق لفظ «عبد» الذي تلقّه به بعض المصادر ، والذي نقشه هو بنفسه إلى جانب اسمه واسم مولاه المعز على منبر الجامع الأزهر حين فرغ من تشييده بالعاصمة المصرية الجديدة : القاهرة .

وفي مصادر أخرى ، يعرف بـ «جوهر مولى المعز» ، وقد تدلّ عبارة «مولى» على أنه تخلص من الرق بفضل خدمته الطويلة للدولة الفاطمية فارتقى إلى مرتبة الرجل الحرّ . وتشهد سيرة الاستاذ جوزف بأنَّ المعز كان يتمتع بحقوق المسلمين الأحرار من نبغ من فتيانه وأحسن الخدمة ، وربما تناهى هذا

A. Dauzat : Dictionnaire étymologique : esclave .

(1) انظر :

(2) أخبار بنى عبيد . . . ص 40 .

التسامح مع بعض تراتيب الفقة الإسلامي فأثار شيئاً من الاحتراز عند قاضيه  
النعمان بن محمد<sup>(1)</sup>.

أما لقباً «جوهر الكاتب» و «جوهر الوزير» ، فقد يشعران بأنه تقلد خطة ادارية عند المعز . فقد وردت عبارة «الكاتب» مقترنة بعبارة «عبد» في العهد الذي قرأه جوهر على المصريين باسم الخليفة : « هذا كتاب من جوهر الكاتب ، عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله ، صلوات الله عليه ، لجماعة أهل مصر ... »<sup>(2)</sup> . أما منصب الوزارء بمعناه الديوانى فلم يحدث عند الفاطميين إلا بعد انتقالهم إلى مصر . ولعل عبارة الوزير لا تفيد إلا معناها الأصلي ، معنى المؤازرة والمساعدة ، كمساعدة هارون «وزير» موسى عليه السلام لشقيقه ، أو المعنى المتولد عن علو المنزلة ، وقد رأينا مخطوط تونس ١ يلقب أحد العلمان الذين تغزل بهم شاعرنا بلقب «الوزير» .

ولكن الخصال العسكرية هي التي أعلت مكانة جوهر عند المعز . فبمجرد ارتقائه إلى الخلافة ، كلفه بالحملة المغربية الكبرى ، فتغلب على «خليفة» سجلماسة ابن واسول سنة 347/958 ، ثم فتح مدينة فاس بعد حصار طويل ، وأسر أميرها وأمير تاهرت ، وبذلك أرجع المغرب الأقصى كلّه - ما عدا سبتة وطنجة - إلى الولاء الفاطمي . وفي هذه الفترة بالذات اتصل به ابن هانىء فامتدحه معلناً ولاءه للفاطميين . وتقول الأخبار ان مكافأة القائد العظيم للشاعر كانت ضئيلة جداً . فلعله كان ، مثل معظم العسكريين ، لا يتذوق الشعر والأدب .

ثم كلفه باعداد الحملة على مصر ، فتهيأ لها جوهر طيلة ثلاثة سنوات ، من سنة 355/966 إلى مستهل سنة 358/969 ، وذلك بتجنيد الأنصار من قبائل كتامة وصنهاجة ، وجمع أموال العجابة في قرى المغاربة الأوسط والأقصى

(1) إم. كاتار : حياة . . . ص 57 (تبنيه 42) وص 185 (تبنيه 411).

الدشراوي : الخلافة . . . ص 370.

(2) المقرizi : اتعاظ . . . ص 148.

والأرياف<sup>(1)</sup>، وحين فرغ من هذا الاعداد المادي جمع جيشه بناحية من أحواز المنصورية ورتبه وجهازه - وكان ، حسب قول الشاعر ، يعده ثمانين ألف مقاتل - حتى تهيأ له الانطلاق نحو الاسكندرية يوم 14 ربيع الأول سنة 5/358 فيفري 969 .

ولما تم له النصر ، أظهر من الخبرة الإدارية والمهارة السياسية ما لا يقل عن خصاله الحربية ، فأمضى عقداً باسم الخليفة مع السفراء المصريين التزم بموجبه بأن لا يدخل تحويراً على الشعائر الدينية ، وكأنه شعر بأن هذه هي نقطة الخلاف بين الشيعة وجمهور السنة . كما أعلن عن إعفاء السكان من الضرائب التعسفية التي كان فرضها الاخشيديون ، وأخذ يتألف القلوب ويكسب الأنصار بإغدائ الأموال الكثيرة والتلطف في المعاملة ، حتى رجعت الطمأنينة إلى المصريين واستتبّ الأمن ورجع الرخاء ، فصار الشاعر يقارن بين جوهر في سياسته الحكيمة والنيل في إحيائه لأرض مصر : [طويل]

85/27 فان يك في مصر ظماء لمورٍ فقد جاءهم نيل سوى النيل يهُرُع  
بل يدعى أن مصر لم تعد في حاجة إلى فيض النيل ما دام هذا السائل  
الماهر يُتعِشَّها ويعييها : [طويل]

68/22 ... وما ضرّ مصر حين ألقاها اليك ، أمدّ النيل أم غاله جزر؟  
ويظهر أنّ جوهرًا كان يكبُر المعزّ بنحو خمسة عشر عاماً ، إذ نفهم من  
عبارة المقرizi التي نقلها عن ابن زولاقي أنه ولد في مستهل القرن الرابع<sup>(2)</sup> .

هذا وإن المدائح التي وسمت في الديوان باسم هذا القائد لا تتجاوز

---

(1) هـ. ادريس : بنوزيري ، ج. 1 ص. 29.

الدشاوي : الخلافة ... ص. 255.

كانار : حياة ... تنبية 402 و 467.

(2) اتعاظ ... ص. 154.

القصيدتين ، ولكن الشاعر أشاد بجوهر في غيرهما ، فكان كلما نظم قصيدة في المعز و تعرض فيها إلى انتصارات الجيش الفاطمي بالمغرب أو المشرق ، مدح جوهرأ وأعظم خصاله ورفع من شأنه ، وعبر عن إعجاب به صادق وتقدير له عظيم .

ولأننا ، اذ نلاحظ هذا الصدق في عاطفة الشاعر نحو جوهر ، نستغرب كل الاستغراب النغمة المعاكسة التي نجدها في القصيدتين اللتين مدح بهما ابن هانئ والي برقة أفلح الناشب .

## أفلح الناشب

هذا الممدوح يعرف في مقدمات القصائد بـ « قاضي برقة » ، ولكن المصادر المعاصرة للمعز كثيرة الاستاذ جودر ، وكذلك المتأخرة كالمؤنس لابن أبي دينار تدعوه « والي برقة ». وينسبه الشيخ الطاهر أحمد الزاوي الى أصل بربرى كتامي ، ولكنه اشتبه عليه الأمر بين أفلح هذا ، وشخص كتامي كان المهدي عبيد الله قد عينه على قضاء رقادة<sup>(1)</sup> .

ولا تذكر مصادرنا من أخباره وصفاته إلا الأنفة والكرياء ، فقد استنكر من الانحناء أمام جوهر لدى مروره ببرقة في طريقه إلى مصر . وكان الخليفة ، إكراماً لقائده العظيم ، قد أمر الولاة والقواد وحتى أمراء الأسرة الحاكمة بتقبيل ركب القائد اجلالاً له وتبجيلاً . فحاول أفلح أن يستعفي من هذه السجدة وعرض على جوهر تعويضاً قدره خمسون ألف دينار ، ولكن القائد أبي فاضطرا الوالي مكرهاً إلى الانحناء والتقبيل<sup>(2)</sup> .

(1) ط. الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، القاهرة 1954 ص. 172 . وانظر : حياة جوهر ... ص. 141 تنبية 305 والسيّ هو أفلح بن هارون الملولي ( انظر : عيون الأخبار للداعي إدريس ، جزء 5/193 ) .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج. 3/345 حيث يبلغ التعويض المقترن مائة ألف دينار . وانظر كذلك ابن أبي الضياف : اتحاف ج 1 ص 127 . والتنبية 305 من حياة جودر .

والديوان لا يَسِمُ باسم أفلح الا القصيدة الخامسة والخمسين ، ولكننا بينما فيما مضى من الصفحات أنَّ هناك قصيدة أخرى - الخامسة - وُسمت باسم الشيباني ولكنها في نظرنا قيلت في أفلح : ذلك أنَّ القصيدتين تشتراكان في الاشادة بانتصارات أفلح في الصعيد المصري بين أسوان والواحات : [كامل]

48/55 وُسمت الى الواحات خيُلُك ضُمَرًا حتى انتهت قُدُمًا إلى أسوان هذا ما يقوله الشاعر متوجهاً صراحة إلى أفلح . وقد طرق هذا المعنى

نفسه في القصيدة الخامسة المنسوبة خطأ إلى الشيباني : [بسيط]  
الست صاحب أعمال الصعيد بها قُدُمًا ، وقائد أهل الخيم والطنب ؟  
10/5

هذا وإنْ قصائده في الشيباني لا تشير الى هذه الحروب في مصر . ثم إنَّ المصادر الشيعية تذكر تحركات الأسطول والجيش الفاطمي انطلاقاً من برقة<sup>(1)</sup> . فلا مجال إذن للشك في أنَّ القصيدتين قد نظمتا في أفلح الناشب . وربما كانت صلة الشاعر به قديمة متينة لم تقتصر على ملاقاته أثناء توقيفه ببرقة في ركب المعز .

يلح ابن هانئ على العمليات الحربية التي قادها أفلح بالصعيد وبالبحيرة - ويعني بالبحيرة ما يسمى اليوم بالـ « دلتا »<sup>(2)</sup> . وكانت تقطن هذه المنطقة الساحلية منذ العهد الأموي قبيلةبني قرة ، فيجد فرصة للتلاعب بلفظ القر ومقابলته بالنار الجهنمية التي أنزلها بهم ممدوحه : [كامل]

44/55 ما قرَّ أعين آل قرة مذ سُقوا بك ما سُقوه من الحميم الآني  
ويؤكّد أنَّ أفلح أجلاهم عن مواطنهم بالدلتا والبادى :

46/55 أخلى البحيرة منهم والبيَدَ ما خسف الصعيد بشدة الرجفان

(1) سيرة الأستاذ جوفر ص 180 ، تنبية 101 من النص العربي . وانظر : عيون الأخبار ، 101 - 100/6 .

(2) أو : بحيرة الإسكندرية (ياقوت) أو : خلجان النيل (ابن حوقل) .

ولكته قبل هذا ، أبدى رأياً غريباً ، مفاده أن فضل الفتح يرجع إلى  
أفلح :

إننا وجدنا فتح مصرٍ آخرًا لك ذكره في سالف الأزمان 39/55

ونحن إذ نستغرب هذا القول ، نتساءل عن هذا التعرض الواضح ، ولا  
نخاله الا تعريضاً بجوهر صاحب الفتح وبطله : فكيف قلب الشاعر ظهر  
المجنّ فصار يتقصّ قائدًا كان بالأمس يشيد بانتصاراته؟ وهل كان مدح أفلح  
يحوّجه حقّاً إلى مثل هذا التراجع؟ على أن عبارة « سالف الأزمان » قد تعني  
أن أفلح شارك في تحرك القائم ولّي العهد نحو مصر ، ومهد بذلك لفتح جوهر  
على أن اسمه لم يرد عند المؤرخين في حملتي 301 و 306 .

لكنّ الشاعر يعدل بين الرجلين في المدحّة الأولى ، أي القصيدة  
الخامسة ، فيرفع شأن أفلح دون أن يحطّ من قدر جوهر ، فيعتبره صنوّاً للقائد  
المظفر ، شريكاً له في مبرأة الفتح ، بل ساعداً أيمن له وعضاً مُوازراً في  
القيادة وتدبير الحرب : [بسيط]

ان لا تقدُّمْ عظَمَ ذا الجيش اللهم فقد 33/5

فان الناس غيرك أتباع له خول 34

وكتما واحداً في الرأي والأدب 35

وحتى إزاء هذا الاعتدال ، نتساءل : ما الداعي إلى تسلية والي برقة  
بهذه العبارات المشجعة؟ أكان يشتكي سوء حظه ويرى أنه مهضوم الجانب؟  
فإن صحّ هذا الاعتبار ، تتضح لدينا سبب آمتعاضه من جوهر واستنكافه من  
تقبيل ركابه رغم أمر الخليفة ، وقد قلنا إن الأنفة وحدها والكبرباء لا تفسران  
محاولته للتخلّص من هذه السجدة المشينة .

وتزداد حيرتنا عندما نراه يعود في القصيدة الثانية إلى تعداد فضائل  
أفلح ، ولكن مع ترك الاعتدال والمحايدة ، بل يتحبّب لأفلح وينكر فضل  
غيره - وهذا الغير لا يكون الا جوهرًا ، وإن كان لا يسميه - ويعلن أن والي برقة

هو الذي مهد للفتح بفضل قربه من مصر واستعداده الدائم لمحاجبته كل التحرّكات فيها ، وخوضه معارك أخضعت جيشها وأهلها لرادته : [كامل]

40/55 فبعزمك أنهى قوى أركانها وبقربك أمنت إلى الإذعان  
41 وطأت بالفارات سركب عزّها والجيش حتى ذلّ لتركبان  
42 فإليك يُنسب حيث كنت ، وإنما فخر الصليبي لقادح النيران

فإن كان أفلح هو الذي يقدح النار ويضرّها ، وجوهر هو الذي ينتفع بدمتها ، فكان الشاعر يتهم القائد باغتصاب حقّ أفلح ، بل ينتقد قرار المعز بإسناد الحملة إليه ، مع أنّ والي برقة كان أولى بها ، لأنّه أقرب إلى ميدانها .

فكيف نفسّر تصاعد اللهجة بين المدحتين ؟ وكيف أصبح الشاعر في الثانية يتبنّى ادعاءات ممدوده بعد أن كان في الأولى يكتفي بالتسوية بينه وبين جوهر ؟ لعله نظم القصيدة رقم 55 أثناء مقام ثان ببرقة ، بعد توديعه للمعز على أبواب مصر ؟ فيكون قد استمع من جديد إلى تذمرات مضيقه في شأن أحقيته بقيادة الحملة ، فرأى أن يخفّف من خيبته فأظهر الدخول في حزبه ، خصوصاً وأنه أصبح في مأمن من غضب المعز أو من انتقام جوهر ، وكلاهما منصرف عن شؤون إفريقية والمغرب إلى فاتحة عهد جديد بالقاهرة ؟ وهذا الافتراض لا يرضينا لأنّه يناسب إلى الشاعر تقلباً في المودة وخيانة للعشرة لم نعهد هما فيه ، بدليل ما رأيناه من وفاته لجعفر بن حمدون رغم خذلانه للمعز . ولكننا نضطر إلى مثل هذا التأويل حتى تتجاوز مرحلة الملاحظة والوصف إلى التفسير والتعليق . ولتفسير أعرج أحبّ إلينا من سكوت المحترز المحترّ .

خلال هذه الاقامة الثانية ، يكتشف الشاعر خصالاً في الأمير لم يتبّهنا إليها في المدحة السابقة : الورع والتقوى مثلاً ، ثم صدق تشيعه ، وسعة علمه بأحكام الدين ، مُتمثّلةً في إقامة مجالس المناقضة وتنظيم حلقات الجدل ، مما قد يفسّر عندنا ما ينسبة إليه في بعض المصادر من تقلّد قضاء برقة : [كامل]

13/55 قوم إذا ماج البرية والنقي خصمان في المعبد يختصمان  
تركوا سيفون الهند في أغمادها وتقلدوا سيفاً من القرآن

وتطلعنا القصيدة الخامسة على أعمال عسكرية لأفلح في جبال الأوراس والمغرب الأقصى ، ولكن المصادر التاريخية وكتب الترجم لم تذكر هذه الأعمال فيما نقلته من أخبار أفلح القليلة : [بسيط]

11/5 تشوّق المشرق الأقصى إليك ، وكم تركت في الغرب من مأثورة عجب  
12 وكم تُخلِّفُ في أوراس من سَيِّر سارت بذرك في الأسماء والكتب

فالبيتان غريبان ، خصوصاً إذا قارناهما بالقصيدة اللاحقة التي سكتت تماماً عن هذه البطولات المغربية ، ولكنهما في الظاهر غير محولين عن قصيدة أخرى ولا مشوهين ، بل يبدوان في محلهما المعقول من القصيدة ، وإذا تذكّرنا ما نفيناه أوّلاً من نسبة المدحة إلى ممدوح آخر غير أفلح ، تبيّنا أن هذه الاشارة نموذج آخر من غواص شعر ابن هانيء .

وفي ختام حديثنا عن أفلح ، يمكن أن نربط به ممدوحاً آخر ذكره مخطوطه تونس 1 وسمّته « محمد ابن قاضي برقة » بدون أن تذكر له وظيفة ولا صفة ، والقطعة التي وسمت باسمه تتضمّن عشرين بيتاً لا غناء فيها ، ولا وضوح ولا تدقّيق ، مما يحملنا على الشك في صحة نسبتها إلى ابن هانيء ، أو على الاعتقاد بأنّها مشوّهة مقطوعة عن أصلها<sup>(1)</sup> .

## أبو الفرج محمد بن عمر الشيباني

من المظنون أن هذا الممدوح هو أحد القراد الفاطميين المكلفين بحفظ الأمان أو باستخلاص الجباية على الحدود الغربية من المغرب الأوسط . ولعل

(1) المقطوعة 68 من إضافات تونس 1 . انظر الحوليات 1969 ص 105 .

المنطقة التي كانت تحت رعايته هي منطقة تاهرت : ذلك أنَّ أحياءً من شيبان - وهي بطن من قبيلة بكر بن وائل - كانت قد استوطنت مقاطعة تاهرت منذ الفتح الإسلامي . ثمَّ أنَّ الشاعر يشيد بمقاومة هذا الممدوح للباضية ، ويعلم أنَّ تاهرت كانت عاصمة للدولة الرستمية الخارجية حتى انتصار الفاطميين بال المغرب .

شخص ابن هانيء سُت مدائع لهذا الشخص دون أن يذكره مرَّة واحدة باسمه . ولكنه في كلَّ قصيدة يشيد بأصله البكري ، فيذكر بأمجاد بكر القديمة ، مثل قتلهم لكتلوب ابن حرب البسوس حفظاً لحرمة الجوار : [ كامل ]

69/4 لولا الوفاء بعهدهم لم يفكوا بكليبٍ تغلبَ بين أيديٍ تغلباً  
حتى وإن كان الجار المظلوم ناقةٌ مسْتَةٌ : [ بسيط ]

66/35 الضاربين كلبياً فوق مفرقه بالمشريفي ، على نابٍ من الإبل  
ويبيه الشاعر أحياناً بحسن الوفاق واتحاد الشمل بين ربعة - وهي  
الفصيلة التي يتسبُّ إليها البكريون والشيبانيون - والحيي اليمني - أي الأزد -  
الذى يتسبُّ إليه هو : [ بسيط ]

33/1 أبلغ ربعة عن ذي الحي من يمن أنا نولف شملاً ليس يفترق  
ولا ندرى أي شمل يعنيه . فالعصبية بين ربعة والقبائل اليمنية لم تقلَّ  
خطورة في القديم عن العصبية بين ربعة ومصر .

ونجد في قصائد أخرى يشيد بتشييع الممدوح ووفاته للأئمة [ بسيط ]

60/39 لله من علوِي الرأي منتبِ إلى العلي ، وائلية الأصل مُرَّى  
وهنا تقف معرفتنا بهذا الممدوح ، الذي سكتت عنه جميع مصادرنا ،  
بالرغم من الأعمال البطولية التي قام بها - حسب ما يذكره الشاعر - في المغرب

الأقصى بالخصوص لإعلاء كلمة الفاطميين ، ويسط نفوذهم على الأصقاع  
النائية وتوفير مداخل الجبایة حتى صارت قناطير من الذهب مقنطرة بعد أن  
كانت «أوافي» قليلة :

41/60 غير الشیع والدین الحنفی  
70 . . . کوفئ عن ذلك الثغر المخوف فقد  
75 . . . وفرت أمواله إذ ضعن فاجتیبت  
منها القناطیر من بعد الأوافي

ومن الغريب أن هذه العمليات لم يذكرها له الشاعر إلا في قصيدة واحدة  
من المدايم السَّتَّ ، وهي القصيدة الستون ، وفيها وحدها أيضاً يشيد بمناهضة  
المدوح للخوارج - الشراة كما يقول - وتحزبه للفاطميين ، متذمِّداً من ذي  
الفقار<sup>(١)</sup> ، سيف الرسول (صلعم) ، ثمَّ على ، ثمَّ الأئمَّة ، رمزاً للتشیع لآل  
البيت :

66/60 الله ما تنتضي من ذي الفقار وما  
67 لم يجعلوا ما تلaci في التشیع من  
68 وما تذلَّلُ من أهل العناد لهم  
والواقع أنه يعني نفس الشخص بدون شك ، لأن المدايم السَّتَّ تتفق  
كلها في الاشادة بنسبة البكري .

وأغرب من هذا الاختصاص في القصيدة الستين ، ما نجده في  
مستهلها - وأيضاً في استهلال القصيدة الرابعة - من نسيب مخلوط بالمعاني  
الحربيَّة ، مما يجعل القارئ يقف محترماً ويتساءل : أينسب الشاعر بحبيته  
بأسلوب الحماسة على عادة شعراء الصنعة اللفظية الذين درجوا على تشبيه  
اللحظ بالسهام وبريق الثغر بلمعنى السیوف ، أم يصف المدوح بأوصاف

(١) انظر فصل « ذو الفقار » في دائرة المعارف الإسلامية . وقد وصف القاضي التعمان هذا السيف  
عند المعز في كتاب المجالس والمسايرات 114-115 .

مشتركة بين الرجلة والأنوثة؟ وإنما ، فكيف نفهم تشبيهه له بالغزال الذي لم يعهد لبس السلاح؟ [كامل]

أو لم يكن ذا الخشف يالف وجرة فاليلوم يألف ذا الفنا المتأشبا؟ 28/4

ودعوته إلى وضع السلاح فإنه لا يليق بالغزلان : [بسيط]

2/60 ضع السلاح ! فهل حدثت عن رشم في مشرفٍ صقيل أو ردينبي ؟

هذا الامتزاج المتواصل بين معاني الحرب ومعاني الغزل لا يسمح فقط بادراك مقاصد الشاعر ، ويحملنا على افتراض وقوع التشويش أو الانتحال في مقدمة المدحتين ، خصوصاً وأن المداعع الأخرى استهلت بنسٍبٍ تقليديٍّ لا ليس فيه .

ولا مانع أيضاً من أن نعزّو هذا المزج إلى شيءٍ من الشذوذ الجنسي إما عند الممدوح ، وإما عند الشاعر . فإن كان الممدوح هو المبتلى بهذا الانحراف ، فعلل الشاعر يصف في هذين الاستهلالين ، الغلام الذي يهواه الشيباني ، ويتحذل لذلك طرقاً ملتوية لا يتبيّنها إلا العارف بحقيقة الأمر . وإن كان الشذوذ من جانب المادح ، فقد يتأنّد لدينا آنذاك ما سبق أن افترضناه في شأن ميوله الدفيئة ، أثر حديثنا عن المقطوعات الإضافية التي اكتشفناها في مخطوطة تونس 1 ، كما يتدعّم الرأي القائل بأنّ مقتله وقع بسبب مشربة متبوعة بعربدة على صبي .

أما الصفات التي يمدح بها الشيباني ، فهي إلى جانب التشيع الصادق والحزم في الدفاع عن سياسة الأئمة : الكرم وقوّة الشاعرية ، والفصاحة الأصيلة . فالكرم يتمثّل في إهداء سيف إلى الشاعر : [كامل]

58/4 إن يكرُّم السيف الذي قلدَني من عزّها فلقد تخَّير منكباً فيؤكِّد الشاعر أنه أهل لمثل هذه الهدية : [كامل]

33/20 لي منهم سيف إذا جرّدته يوماً ، ضربت به رقاب الأعصر

أما قدرته على نظم الشعر ، فمتأنية عن فصاحة بدوية أصيلة تلقن  
أصولها في الصحاري تحت الخيام ، فسلم من رطانة المرضعات  
الأعجميات : [بسيط]

20/60 ثقفت منه أدبياً شاعراً لسناً شتى الأعاريض محدود الأحاجي

28 ... قريب عهد بأعراب الجزيرة لم يُنْسِب إلى عيَّ

36 ... واستأثرت عَرَبَيَّاتُ الْخِيَامَ بِهِ ولم يوكِّل إلى أيدي السرارى

ولا ندري هل كان لهذا الممدوح حاضرة يقيم بها ، أو كان الشاعر

يلاقيه بعاصمة الخلافة ، إذ يبدو من خلال بعض الأبيات أن ابن هانئ كان

يرسل اليه المدحاة مكتوبة ، ولا يشدها بين يديه حسب المألف : [كامل]

60/4 لو كنت حيث حيث ترى لسانِي ناطقاً لرأيت شقشقة وَقَرْمَا مُصْعِباً

هذا كل ما نعرفه عن أبي الفرج الشيباني : قائد فاطمي من أصل

بكري ، حارب الخوارج بالمغرب الأوسط ، وأهدي سيفاً إلى الشاعر . فهذه

عناصر ضئيلة الغناء لا تكفي لاخراج هذه الشخصية من غموضها .

## أبو عبد الله حسين بن المهدب الكاتب

مدح الشاعر هذا الشخص بقطعة وجيزة ، وقد ذكر جامع الديوان ظروف

نظمها فقال إن الشاعر زار هذا الكاتب في ديوانه فألفاه منشغلًا بتوقيع دفاتره ،

فانسحب معتذرًا . فأرسل إليه أبو عبد الله رقعة منظومة ياسف فيها لخروجه ،

فرد عليها ابن هانئ بهذه الأبيات على نفس الوزن والروي ، فهي إذن تدرج

في نوع المطارحات الشعرية والمساجلات الأدبية .

يبدأ الشاعر بتعظيم فصاحة الممدوح وقدرته على الارتجال ، ويكبر فيه

1/48 يا ذا البديهة في المقال ، أما كَفَتْ  
 كالشمس تكشف جنح كل ظلام  
 مثل الشهاب على سوء الهمام  
 2 حكم يجعل غيب كل ملمة  
 3 ولذا ترك عيوننا وقلوبنا  
 ثم يشيد بتفوّقه في نظم الشعر ، ويدعوه متفكّها إلى الرفق بالشعراء  
 المحترفين الذين قد لا يبلغون شاؤه :

6/48 ... فاترك لأهل الشعر معنىً واحداً  
 9 ... تمسي البلاغة خلفكم وأمامكم  
 11 ... من أين أنكر فضلكم ولو انتي  
 مما تشير هواجسُ الأوهام  
 ويطيب ما تطئون بالأقدام  
 كأبي عبادة أو أبي تمام؟

ولعل التشبّه بالبحترى وأبى تمام يدلّنا على اختيارات ابن هانىء  
 الشعرية ، إذا ما قارنناه بتعلّقه بالبداوة كما رأينا في مدائحه للشيباني . على  
 أننا سنعود إلى موضوع التأثيرات الأدبية في تكوينه عندما ندرس القصيدة  
 الحادية والعشرين التي تعرض فيها إلى ديوان المتنبي .

أما شخصية الممدوح ، فهي غير معروفة تماماً مثل شخصية الشيباني :  
 فالديوان وابن الآبار وسيرة الأستاذ جودر والمقرizi<sup>(1)</sup> تتفق على أنه  
 صاحب خزينة الخليفة أو صاحب مخازنه . ولكن اتفقت هذه المصادر على  
 وظيفته ، فهي لم تتفق على تحديد اسمه وكتبه ، فيدعوه المقرizi تارة « أبو  
 جعفر حسين » وتارة « محمد بن حسين » . وبكتبه ابن الآبار أبا جعفر ،  
 والديوان أبا عبد الله حسين . ورغم هذا التضارب ، نظنّ أنه شخص واحد ،  
 دون أن نستطيع البُّت في حقيقة اسمه . فالكتى والأسماء العربية تخضع عادة

(1) ما . كانار : حياة ... ص . 174 .  
 ابن الآبار : الحلقة ... ج 1 ص . 296 .  
 المقرizi: اتعاظ ... ص . 138 ، 188 و 196 .

ل نوع من الارتباط المستمد من الأمثلة الدينية أو التاريخية ، كمثال الرسول (صلعم) الذي يكتئي أبا القاسم ، فصار المحمدون يكتئون بأبي القاسم ، مثل شاعرنا أبي القاسم محمد بن هانىء . وأحياناً يكتئي « محمد » بـ « أبي عبد الله » اقتداء بوالد الرسول ، وكذلك فعل العلويون باسماء أنتمهم : علي والحسن والحسين ، فقابلوا « علي » بـ « أبي الحسن » (أو أبي الحسين) وقرنوا « الحسن » « بأبي علي ». وربما اتّخذت أسماء الأنبياء الأولين والصحابة الراشدين لمثل هذه المزاوجة ، ولا سيما عند الأسر الحاكمة : فالموحدون اختاروا « يوسف ويعقوب » ، والحفصيون « يحيى وزكريا » و« عمر وحفص » ، وغيرهم اختار « ابراهيم واسحاق » .

لكن هذه سنة قد تُتبع وقد تُترك ، فلا حتمية فيها ، ولا ضرورة إذن أن يكتئي هذا الممدوح « أبا علي » لأن اسمه الحسين ، ولا أن يسمى محمداً لأن كنيته أبو عبد الله .

### أحمد بن زائدة الكاتب

كاتب آخر مدحه ابن هانىء ، ولكنه لم يذكر في الديوان المطبوع ، وإنما نجد اسمه في مخطوط تونس<sup>1</sup> مقترباً بمدحه نظمها فيه الشاعر ، وببعضه أبيات ضمن مراسلة شعرية وقعت بينهما<sup>(1)</sup> ، ولا نعرف عنه شيئاً سوى أنه مثل كل القحطانيين كريم اليد فصيح اللسان : [منسجح]

- 19/65 ... الضاربُ الأسدُ في بادلها والطاعنُ الخيلُ في فوائلها  
 20 ... والرائدُ الرادةُ العصاةُ إذا زالت عرىُ الهمَ عن معاقلها  
 31 ... والعسجدُ النضرُ من صوارمها ينفجرُ الموتُ من فواضلها  
 35 ... كلتا يميئيك يا ابن ذي يمن تكرّماً عمّ من فواضلها

(1) انظر الحلويات ، 1969 ، ص. 97 و 1972 ، ص 90 .

## الوهراني كاتب جعفر بن حمدون

لم يكن هذا الشخص من مددوحي ابن هانئ ، بل هو مهجوته الوحيد ، وإنما ذكرناه مع المددوحين لأنّ أهaggi الشاعر لا تعدو هذه القطعة الوحيدة ، فلم نر وجهاً لتخصيص باب منفرد للهجاء . والسبب الثاني هو أنّ غرضنا كما قلنا في مستهل هذا الفصل ، أن نجمع الارشادات والمعلومات الكفيلة ببيان مراحل حياة الشاعر ، وذلك من خلال علاقته واتصالاته بالأشخاص المذكورين في الديوان وفي كتب التاريخ والتراجم . فوضع الوهراني مع جوهر أو المعز ناتج إذن عن شيء من التجاوز الاضطراري .

وللسبب نفسه لا نهتم هنا بالقصائد التي لا صلة لها قطّ بأشخاص معينين ، كالقطعة الغزلية والقطعة الخمرية ( عدد 34 و 49 ) والقطعة التهممية في وصف الأكول ( عدد 56 ) ونرجيء الحديث عنها الى دراستنا لأغراض ابن هانئ وفته الشعري .

في هذه القصيدة ، يَتَّهِمُ ابن هانئ هذا الكاتب بالسعى لإبعاد جعفر عن الولاء الفاطمي وكسبه للمروانيين بقرطبة ، ويمزج بين سعيه الخبيث في بلاط بنى حمدون والفتن التي يثيرها الأمويون في المغرب بواسطة أحلافهم من زناته : [ خفيف ]

30/ إنَّ في مَغْرِبِ الْخَلَافَةِ دَاءٌ  
31 وَانَّ تَبَيِّنَ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ مَخْوفٌ  
32 إِنَّ فِيهِ لَشَبَّةً مِنْ بَنِي مَرٍ  
33 مَذَّقْلَبًا يَهْمِي بِسَمَّ مَدْوَفٍ  
34 مَتَخَلِّي مِنْ اثْنَتَيْنِ بَرِّيَّهُ :  
أَحْمَدُ هُوَ الْوَهْرَانِيُّ الْمَهْجُورُ ، وَكَنْتِهِ هُيَّ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَفِي أَحَدِ الْأَبْيَاتِ ،

يغفل الشاعر الفاء من جعفر، فيكتبه استهزاء «أبا الجعر» أي أبا التغوط، مكلفاً نفسه عناء وجهداً وتلاعباً بالأسماء والكنى ، في سبيل هذه التورية الكنيفية . ويزداد الطين بلة إذا انتبهنا إلى أن مولاه والملي الزاب يكتئي أباً أحمداً ويسمى جعفراً. أما بنو أحمد، فهم الفاطميون آل بيت الرسول محمد، أي محمد (صلعم) . ونتساءل بعد هذا عن مدى تناسب هذه الترهات اللغظية مع خطورة المأخذ التي يؤخذ بها المهجو؟

ويبدو أن القصيدة متاخرة عن زمن إقامة الشاعر بالمسيلة ، ذلك أن الخطاب فيها موجه أيضاً إلى المعز ، إذ يدعوه الشاعر إلى التثبت والتحرّي :

34/29 ليس مستكثراً لمثلك أن يف سرق بين الشريف والمشروف  
35 يا معز الهدى ، كفاني أني لك طود على أعاديك موف

فهل يدعوه إلى الرفق بجعفر ، والحدّر من السعایات ضده ؟ أم يدعوه إلى تفضيل أمير المسيلة على بلقين بن زيري في صورة الاستخلاف على أفريقية والمغرب بعد الانتقال إلى مصر ؟ لا يمكن لنا أن نوضّح قصد الشاعر ، وغاية ما نفترضه ، هو أن القصيدة قد تكون نظمت في الفترة الأفريقية بالقيروان ، وقبل تراجعبني حمدون عن الولاء الفاطمي .

وللوهراني عيوب أخرى يحصيها له الشاعر في هذه الأبيات : منها دمامنة الخلقة والعيّ والفهمة ، مع خبث النوايا وقبح الطوية :

14/29 إن لفظاً تلوكه لشبيبة بك في منظر الجفاء الجليف  
15 كاذبُ الزعم مستحيل المعاني فاسد النظم فاسد التأليف  
16 أنت لا تفتدي لتدبير ملك إنما تفتدي لرغم الأنوف \*

وهكذا نرى أن بحثنا في علاقة الشاعر بهؤلاء الأشخاص أفضى بنا إلى نتائج متفاوتة : فالمعلومات الأكثر دقة - إذا أمكن أن نستعمل عبارة الدقة في خصوص شعر ابن هانئ - تتعلق بممدوحية الرئيسيين : المعز وجعفر بن

حمدون ، ولا غرابة في ذلك ، فال الخليفة ووالى الزاب شخصان تاريخيان لا تخلو المصادر من أخبارهما . وكذلك أفضى بنا التأويل الكبير لمدحتي أفلح الناشر إلى اكتشاف خصومة دفينة بين هذا الأمير وقائد مظفر لا نخاله إلا جوهراً فاتح مصر . أما مدائع الشيباني ، فلم توصلنا ، على كثرتها ، إلى معلومات صحيحة ملموسة في شأن هذا القائد المجهول ، فخاب بذلك أملنا في أن نفيد المؤرخين بترجمة صالحة لحياته ولخدماته في سبيل الدولة الشيعية بالمغرب .



## الفصل الرابع

### ترجمة ابن هانئ

ولد أبو القاسم محمد بن هانئ بالأندلس ولذلك علقت به نسبة الأندلسية ، لكن الفترة الأندلسية من حياته تكاد تكون مجهلة تماما . فالمعلومات النزرة التي تفينا بها المصادر تتضارب غالباً ، ولنضرب مثلاً على اختلافها مسقط رأسه :

فابن الأبار في التكميلة<sup>(1)</sup> ينسبه إلى إلبيرة ، دون أن يقول إنه ولد بها . ويقول ابن خلkan<sup>(2)</sup> إنه ولد باشبيلية : أما لسان الدين بن الخطيب ، فلائِن جعل مولده بقرية من أحواز اشبيلية تدعى « سكون » فإنه يدعوه « الإلبيري » ، لا الإشبيلي كأنه يعني أنه عاش حياته الأولى بإلبيرة وبها تكون : ولعل صاحب الاحاطة<sup>(3)</sup> أراد أن يقربه إلى غرناطة مديته المحببة . وكذلك ابن سعيد المغربي<sup>(4)</sup> يسميه الإلبيري ويردف هذه النسبة بـ « الغرناطي » ، موضحاً أن البيرة قرية محاذية لغرناطة ، ولكن غرناطة غلبتها حتى صارت هي عاصمة الكورة التي تسمى « كورة إلبيرة » .

---

(1) ترجمة رقم 350 .

(2) الوفيات ، ترجمة رقم 640 .

(3) ج 2 ، ص . 212 .

(4) رياض المبرزين ، ترجمة رقم 77 .

واسم إلبيرة تولد عن اسم روماني عتيق «البيارييس» ، ولكن القرية اندرست ابتداء من القرن الثاني / الثامن فعوضتها غراناتا / غرناطة<sup>(1)</sup>.

أما مترجموه المعاصرلون ، فيجعلون ولادته باشبيلية في الأغلب . ولا مانع عندنا من أن نعتبر مع لسان الدين أنه ولد بأشبيلية ثم انتقل مع أسرته إلى إلبيرة فنشأ بها .

### أسرته : هانىء أبوه

لا نعرف شيئاً عن أسرة الشاعر ، سوى بعض المعلومات الغامضة عن أبيه هانىء . فيقول ابن الأبار مثلاً إنه ولد بالمهدية ثم هاجر إلى الأندلس . فهل كانت هجرته لرزق يصيبه ، أم لخدمة الدعوة الفاطمية كما يقول بعض الدارسين المعاصرین<sup>(2)</sup> ؟

يمكن أولاً أن نحترّز في شأن مولده بالمهدية بالذات : فهذه المدينة قد أسسها المهدى عبيد الله بين سنة 912/300 و915/303 ، ولكنها لم تعمّر بالسكان إلا عندما صارت العاصمة الرسمية للدولة عوضاً عن رقاده ، وذلك في سنة 921/308 . فإن كان هانىء ولد بالمهدية ، فلا يكون تاريخ ميلاده إلا سنة 300 على الأبعد أو 308 على الأقرب . وبما أن ابنه محمد قد ولد سنة 932/320 كمحاسبين - ولا عبرة هنا بمن أخر ميلاده إلى سنة 937 - فإن سن الوالد تكون عند ميلاد الطفل بين اثنين عشر وعشرين عاماً ، وهذا مستبعد كثيراً . فلذلك نقول : لعل هانىء هذا ولد بإفريقية ، في أحواز ما يصبح عاصمة العبيديين ، ولكنه ولد على كل حال قبل سنة 912/300 .

أما نسبة إلى الدعوة الشيعية وتعليق هجرته إلى الأندلس باعتزامه العمل على كسب الأنصار للأئمة ، فليس في المصادر القديمة ما يدعّمها ، وليس

(1) انظر فصل البيرة بدائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة .

(2) الدشاوي : فصل « ابن هانىء » في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الجديدة .

فيها كذلك ما ينفيهما قطعاً . ولا مانع من أن نعدّه واحداً من الدعاة الكثيرين الذين تكونوا بدار الدعوة في القيروان ، ثم عبروا البحر إلى أرض الأمويين ليزرعوا بذور المذهب الشيعي بها ويمهدوا مذهباً للحملة العسكرية التي لم ينقطع الأئمّة الفاطميون عن التفكير فيها . ولعلّ في غموض ملامح هانئ هذا ، ما يشجّع على اعتباره داعية سرّياً أو جاسوساً : أليس من صفات الدعاة الضروريّة أن يتحرّكوا ويعملوا ويستخروا ثم يُخبروا في كنف التستر والكتمان ؟ وسنعود إلى هذا الموضوع أثناء حديثنا عن لاء ابن هانئ للشيعة .

وتقول المصادر إنّ الوالد ، بمجرد وصوله إلى الأندلس استقرّ بإشبيلية ، ولعلّه اختار هذه المدينة الكبيرة لما عرفت به من استعداد لتقبّل الدعوات المناهضة للحكم الأمويّ ولسنيته المتشددة . ونزل هانئ بإشبيلية أولاً ربما حمل المترجمين على أن يجعلوا ميلاد ابنها ، افتراضاً منهم أن إقامة الأسرة بها كانت نهاية أو دامت على الأقلّ زمناً كافياً لإنجاب الأولاد . والواقع أنّ هانئاً ، حسب ما نفهم من قول ابن الأبار على اقتضائه ، قد اضطرب بين مدن كثيرة قبل أن يحطّ الرحال بإشبيلية : « ... ثم استوطن أبوه البيرة ، وخرج هو منها ... » ولعلّ هذا الكلام يمنع أن تكون إشبيلية هي مسقط رأس الشاعر ، إذ لا يمكن أن يكون تركها عند حلول أبيه بها لأول مرّة .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ أخبار هانئ تنقطع بإشبيلية ، فلا يعود له بعدها ذكر .

## الأصل المهليّ

وتسبّب المصادر هانئاً إلى أصل مهليّ ، فتقول إنه سليل أسرة القائد الأموي الكبير المهلّب بن أبي صفرة (702/83) الذي اشتهر بقتاله للخوارج في الشام والعراق . ولا تستبعد مثل هذه النسبة لأنّ ولاية أفريقيّة كان حكمها

للعباسيين واليابان من أحفاد المهلب : يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب [من سنة 155/772 إلى سنة 171/787] وأخوه روح بن حاتم [171/787 إلى 174/791]. ثم أنَّ المهلبيين يتسبون إلى أصل يمني ، إذ هم من الأزد. وكذلك الشاعر ، يُدعى ابن هانىء الإلبيري الأزدي ، وكثيراً ما يفتخر ببنسبة الأزدي اليمني ، فيقول مثلاً مفتخرًا بشعره : [طويل]

60/31 **يَمَانِيَّةُ فِي نَجْرِهَا أَزْدِيَّةُ أَفْصِلُهَا نَظْمًا وَأَحْكِمُهَا رَضْفًا**

وإن كان يسكت عن نسبة المهلبي ، وهذا مفهوم ، لأنَّ هذه الأسرة خدمت الدولتين المنافستين للشيعة . ثم إن هذا الانتساب إلى القائد الأموي لم ينفعه كثيراً بالأندلس ، ولم يشفع له حين أطروده من إشبيلية . ولكنَّ أباه استمر بدون شك هذا النسب بالأندلس فاستعمله ذريعة للوصول إلى مآربه المذهبية : فالسلالة المهلبية ممثلة بها ، خصوصاً في كورة البيرة التي استوطنها هانىء ، وكثير من الفتنة كان يحدثها المهلبيون<sup>(١)</sup> .

### تاريخ ميلاد الشاعر

تضارب المصادر في شأن سنة ميلاد الشاعر أيضاً . ذلك أن المترجمين يهتمون عادة بالوفيات فلا يسجلون إلا تواريخ الوفاة ، فتضطر حيثند إلى عملية طرح لنعرف تاريخ الولادة ، على شرط أن تكون على علم بسن الشخص عند وفاته .

في خصوص وفاة شاعرنا ، تكاد المصادر تجمع على أنها وقعت سنة 362/973 . وينفرد ابن الأبار بذكر سنة 361/972 ، قائلاً إنه نقل هذا التاريخ عن قراصنة الذهب لابن رشيق . وينبغي أن نرفض هذا التاريخ لسببين على الأقل :

(١) ابن عذاري : البيان ... ج 2 ، ص. 137 (في ثورة أميرين مهليبيين) . وانظر كذلك دوزي : تاريخ مسلمي إسبانيا ج 2 ص 110 .

1 - لأن ابن خلكان ، وقد اعتمد أيضاً على القراءة ، عشر فيها على تاريخ 973/362 .

2 - لأن وفاة الشاعر تفترى عند جميع المترجمين والمؤرخين ، بسفر المعز إلى القاهرة ، وهذا الانتقال عن أفريقية وقع في شهر صفر من سنة 362 / نوفمبر 972 .

ثم يمكن أن نضيف أن قراصنة الذهب في صورتها التي وصلتلينا ، لا تذكر تاريخاً لوفاته . فلعل ابن الأبار وابن خلكان قد وهم أو أطلاعاً على نسخة من كتيب ابن رشيق غير التي بين أيدينا .

وكذلك ينفرد الصفدي في الباقي بالوفيات<sup>(1)</sup> بتاريخ 976/365 : وهذا وهم ، ولعله خلط بين وفاة المعز ووفاة الشاعر ، كما خلط في اسم الشاعر إذ سماه محمد بن إبراهيم بن هانئ ، وهو شاعر مصري متأخر<sup>(2)</sup> .

فلذلك نميل إلى قبول التاريخ الذي ضبطه ابن خلكان بليلة 23 رجب 29/362 أبريل 973 ، فيكون الشاعر قد لقى حتفه منذ ألف عام تقريباً<sup>(3)</sup> .

هذا تاريخ الوفاة . أما سنة عند مقتله ، فإنَّ صاحب الوفيات يعينها بـ 36 عاماً أو 42 عاماً ، ولا يؤثر إدراهما على الأخرى . فإذا قبلنا المقدار الأول ، تكون ولادة الشاعر سنة 937/326 . وإذا رجحنا العدد الثاني ، فمولده يتقدم إلى سنة 932/320 . ولقد نبهنا آنفاً إلى أننا نرفض التاريخ الأول ، وأننا نعتبر أصحابنا من مواليد سنة 932/320 . وهذه مستنداتنا :

1 - تتفق المصادر على أنه ترك بلاده الأندلس وهجر إلى العدوة في سن السابعة والعشرين .

---

(1) ترجمة رقم 240 .

(2) وكذلك يسميه مخطوط باريس بهذا الاسم . وانظر خريدة العماد الأصفهاني : شعراء مصر ج 1 ، ص . 248 .

(3) هذه الرسالة قدمت للمناقشة في ماي 1973 .

2 - كما تتفق على أن أول من لقي بالمغرب من الممدوحين هو جوهر القائد فمدحه بالقصيدة الحائمة العاشرة .

3 - وتجتمع كتب التاريخ على أن حملة جوهر بالمغرب الأقصى بدأت سنة 958/347 .

فلقاء الشاعر مع جوهر وقع إذن سنة 347 . ولمّا كانت سنته آنذاك سبعة وعشرين عاما ، فواضح أنه ولد سنة 320 ، لا بعدها .

وربما أضفنا حجّة أدبية إلى هذه الحجّة التاريخية : وهي أن مدحه جوهر هذه تنم عن اقتدار عند الشاعر وصنعة لا يمكن أن يجتمعوا في شابٍ في العشرين .

### تكون الشاعر ونشأته

يقول معظم المترجمين إنه تلقى تكوينه بإشبيلية . وينفرد ابن الأبار فيذكر قرطبة . ولكنهم جميعا لا يذكرون أحداً من الشيوخ الذين تتلمذ لهم ، فيتعذر علينا حيثذا أن نحدد التأثيرات التي طبعت تكوئنه ، والعلوم التي تلقاها ، علاوة على جهلنا بالمدة التي قضتها بحلقات الدرس .

وحتى إن تناولنا فهرسة أبي بكر بن الخير (1179/575) ، وهو كتاب نفيس لأنّه دليل على أن الأندلس قد استقلّت ثقافياً عن الشرق ، بما يذكره من جموع العلماء والأدباء الأندلسيين الذين زخرت بهم عواصم البلاد ، فالنظر في قائماته لا يوصلنا إلى نتائج صحيحة ثابتة ، بل يقف بنا عند الافتراض الواسع البعيد .

وفصل ابن الخطيب تكوينه بعض التفصيل ، فأشار إلى تبحّره في اللغة وبصره بالشعر ، وأضاف أنه برع أيضاً في « فك المعجم » . ونظن أنه بهذه العبارة يشير إلى أحد أمرتين :

إما علم التنجيم وما يتبّعه من تنبؤ كاذب بالمستقبل . فإن كان هذا قصد الكاتب الغرناطي ، فلعله مزج خطأ بين التنجيم وعلم الفلك : ذلك أن ابن هانىء واسع الدراسة بمتنازل الكواكب وصورها ، تشهد بذلك تشبيهاته الكثيرة بالنجوم ، وبالخصوص القصيدة الحادية والثلاثون التي استهلّها بوصف مطول للكواكب فصار الرواية لفروط إعجابهم بها يسمونها « القصيدة الفلكية » ويناقلونها ويستنسخونها .

وإما حل الألغاز والأحاجي الشعرية ، وفعلاً ، نجد نموذجين من هذه الرياضة الأدبية في مخطوط تونس<sup>1</sup> ، ضمن مطارحات بينه وبين أحمد بن زائدة الكاتب<sup>(1)</sup> .

ويشهد الديوان أيضاً بتكونن أدبيًّا واسع عميق ، فالإشارات المدققة إلى كبار شعراء الجاهلية وصدر الإسلام وتأثيره الواضح بجزالة القدماء ومتانتهم ، كل هذا يدل على أنه تعلم أصول مهنته بالممارسة الطويلة لشعر السابقين ولا سيما شعراء البايدية .

ولكنه يهتم أيضاً بـ « المحدثين » ، كما يظهر من القصيدة رقم 21 التي تناول بها ديوان أبي الطيب المتنبي ، فصرّح بأنه مسك شرحاً لهذا الديوان ، وأنه قضى الليالي الطوال في درسه وتصويب أخطائه : [ بسيط ]

13/21 أَصْمَ أَعْمَى وَلَكِنِي سَهِرْتُ لَهُ حَتَّى رَدَدْتُ إِلَيْهِ السَّمْعَ وَالبَصْرَا  
بل أطّال البحث والتصويب فطال بذلك مسكه لكتاب حتى طاله صاحبه بإرجاعه بدون تاريخ .

هذا ، وربما استنتجنا - في فصل لاحق - من هذا الانتشار السريع لشعر المتنبي بالمغرب والأندلس بعض الملاحظات في شأن تأثر ابن هانىء بمعاصره الكبير .

---

(1) حوليات 1972 ، المقطوعة 4 والمقطوعة 13 .

ونستشفَّ أيضاً من الديوان تشبيعاً بأصول الثقافة العربية الإسلامية من قرآن ، وسدن ، وأمثال وأخبار المغازي والأيام . فمن التأثر بالقرآن مثلاً هذا النقل للأية 51 من سورة يوسف : [ كامل ]

24/25 ( يا مُشْرِفٌ اسْجُدْ لَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ )      يا بَاطِلُ أَرْهَقْ ، يا حَقِيقَةُ حَضْرَحِصِي !

أو هذه الاشارة إلى قصة العجل ( سورة الاعراف آية 148 ) : [ كامل ]

69/53 لَكُنُّكُمْ كَتْنُمْ كَاهْلِ الْعِجْلِ لَمْ يُحْفَظْ لِمُوسَى فِيهِمْ هَارُونْ  
أما المعاني الشيعية والشعارات الاسماعيلية التي يطفح بها شعره وتتكيف بها نظرته الى الحوادث التاريخية التي تبعت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتفسّر ميله الى التأويل الباطني للأشياء ، فلا ندرى هل تلقنها بالأندلس أثناء تكوّنه الأول في أسرته أو في حلقات سرية ، أم بأفريقيا حين دخل في خدمة المعز ؟ على أتنا سنحاول الإدلاء برأي عند دراسة أغراضه المذهبية في الفصل الثامن من هذا الكتاب .

## أسباب تركه الأندلس

ترك الشاعر اشبيلية وانتقل الى العدوة ، في هجرة شبّهة بهروب الطريد ولجوء الخائف . وهنا أيضاً لا يتفق مترجموه : فمنهم من يعزّو هذه الهجرة الى تآلّب أهل اشبيلية عليه بسبب مجونه وارتكابه المحرمات . ومنهم من يجعلها نتيجة لغضب العلماء ورجال الدين عليه لتطاوله على الدين في الفعل والقول ، فيقول الفتح بن خاقان انه سلك مسلك الموري ، مع أن أبو العلاء ولد بعد وفاة الشاعر بعام . ولكنّ صاحب المطعم لا يقصد تقريباً الا مشابهة في الأفكار المادّية وفي العبث بالدين ورجاله . وذلك ما يعبّر عنه ابن خلّكان حين ينسبه الى أفكار الفلسفه . وكذلك يفعل الذهبي في الترجمة الوجيزة

التي خصّصها له<sup>(1)</sup> . ولا يذكر الذهبي - ولا غيره - أنه أطرد بسبب تحزّبه للشيعة ، خلافاً لما فهمه زاهد علي من كلامه<sup>(2)</sup> . ولكن ، ليس من المستبعد عند الأندلسيين في تشدّدهم السنّي وسيطرة الفقهاء على الحياة الفكرية وخوفهم الدائم من اقتحام «المشارقة» - هكذا كانوا يسمون الفاطميين توكيداً على أنّ مذهبهم دخيل أجنبي عن المغرب - لأرضهم ، ليس مستبعداً أن يتّأبّوا على من يضيق ذرعاً بتراثهم وبالكتب المذهبية السائد ، فيطرق في شعره بعض الأغراض الفلسفية أو يتهاون في سلوكه اليومي بالفرضيات الدينية أو يتحرّر من بعض أحکامهم الأخلاقية . وسرى أنهم أستجازوا قتل من شهد عليه بترك الصلوات أو بثتم عاششة . فلا بدّع ، اذا كان هذا شأن ابن هانئ معهم ، أن ينسبوه الى التشيع أو الى الكفر ، وأن يستنكروا من «والى اشبيلية» أو «ملكها» عطفه عليه وحمايته له فيفضّل الى التخلّي عنه .

هذا الأمير الذي حظي الشاعر بصداقته لا نعرف اسمه ، فالمصادر تدعوه «صاحب» اشبيلية أو «ملكها» أو «واليها» دون أن تسميه . ولا شك أن لقب «ملك» وهم من المترجمين . فآخر «ملك» على اشبيلية ، مستقل عن خلافة قرطبة ، هو محمد بن ابراهيم بن الحجاج الذي قهره عبد الرحمن الناصر بعيد توليه الحكم ، فأرجع اشبيلية وكورتها الى الحظيرة الأموية . وكان ذلك في مستهل القرن الرابع / العاشر . فهذا الأمير لا يمكن الا أن يكون والياً على المدينة من قبل الخليفة الناصر . وقد طلبنا أسماء الولاية على المدينة ، فظفّرنا بقائمة فيهم<sup>(3)</sup> ، ولكنها توقفت عند سنة 317 ، وفيها عين الناصر أحمد ابن محمد الزجالي ، ولكنه لم يدم فيها الا ثلاثة سنوات ، اذ توفي سنة 320 . فلا يمكن أن يكون الزجالي هذا ، المتوفى يوم ولد شاعرنا ، هو صاحبه الذي لحقه بسببه الأذى .

(1) تاريخ الاسلام ، ورقة 301 .

(2) مقدمة تبيان المعاني ، ص 20 .

(3) ليثي - بروفنسال وقارئيا قوميـث : أخبار مجھولة المؤلف ... ص 83 .

على أن المصادر تظلم هذا الوالي المجهول اذ تظاهره في مظهر الخاذل لصديقه مداراة للرأي العام . ونرى نحن أنه بالعكس أسدى إليه النصح حين اقترح عليه أن يحتجب مدة ريثما يُنسى خبره . فليس هذا كلام من يبغى القطعية عن غضب ، بل كلام من يود بقاء الصلة بين الشاعر وبينه .

غير أن صاحبنا آثر الانسحاب التام . ولا ندري أكانت له وجهة معينة يوم قرر مغادرة أشبيلية ، كان يكون عازماً مبدئياً على عرض خدماته على الفاطميين ؟ أم كان يتأنّب للاضطراب في البلاد بدون قصد ؟ وما دمنا لا نعرف شيئاً من أفكاره ومعتقداته في الفترة الأندلسية ، وذلك بسبب فقدان شعره هناك فقداناً تاماً ، فإنه يتذرّع علينا أن نزعم مثلاً أنه كان يدين بالعقيدة الشيعية أصلاً، وأن طرد الأندلسين له كان فرصة له سانحة للالتحاق بمركز الدعوة التي يتميّز بها . ولو كان قصد المنصورية رأساً ، لجذبنا بتشيّعه القديم ، لكنه لم يتصل بالمعز الا بعد خمس سنوات تقريباً قضاهما عندبني حمدون . وحتى هؤلاء ، لا نجزم بأن اتصاله بهم كان بداعٍ مذهبيٍّ ، بل لعله كان فقط بداعٍ المواطنة كما قال ابن خاقان وكما رأينا في الفصل السابق .

وبالمثل لا نتجاسر على الجزم بأنه كان خلواً من كل عقيدة وأن انتقاله إلى العدوة كان فقط للارتزاق والبحث عن ممدوحين جدد ، كما هو شأن معظم الشعراء المرتّزين بشعراهم ، من النابغة والأعشى المتنقلين بين المناذرة والغساسنة ، إلى المتنبي بين حلب والفسطاط وشيراز ، إلى ابن رشيق وابن شرف والحضرمي بين إفريقية وصقلية والأندلس والمغرب .

وللسبب نفسه ، أي ضياع شعره الأندلسي ، يتذرّع علينا أن نبت في أمر آتهمهم له باتّباع آراء الفلسفه في شعره ، وهذه الآراء إن وجدت في شعره الذي وصلنا ، فهي خافته لا تلفت الانتباه .

أما العربدة والفساد والمجون ، فهذه أمور ممكّنة ، يدعّمها ما عثّرنا عليه

في مخطوطه تونس 1 من مخطوطات تخرج عن مألف الأخلاق والعادات<sup>(1)</sup> ، وكذلك ما تبقى في ديوانه المطبوع من مخطوطات غزلية - مثلاً النسيب الغريب في قصيدة الشيباني - وخرميـة . كما تدعـمها الأقوال التي قيلـت في ظروف قتلـه . فهذه قرائـن متضـافرة تجعلـنا لا نستـبعد صورة الشاعـر المنـحرف الذي ضاقتـ به الـبلاد ولـفظه أـهـلـهـا ، فـاتـجهـ إلىـ أـفـقـ مجـهـولـ ليـسـتأـنـفـ حـيـاةـ جـدـيدـةـ .

## ابن هانـيـهـ بالـمـغـرـبـ وـافـرـيقـيـةـ

أـوـلـ مـمـدوـحـ لـلـشـاعـرـ بـأـرـضـ الـمـغـرـبـ هوـ جـوـهـرـ ،ـ وـلـاـ نـدـريـ متـىـ لـقـيـهـ بالـضـبـطـ وـلـكـنـهـ لـقـيـهـ بـيـنـ سـنـةـ 347ـ ،ـ التـارـيـخـ الـأـدـنـىـ لـوـصـوـلـهـ إـلـىـ الـعـدـوـةـ ،ـ وـسـنـةـ 348ـ ،ـ تـارـيـخـ فـرـاغـ جـوـهـرـ مـنـ حـمـلـتـهـ الـمـغـرـبـيـةـ الـكـبـرـىـ الـتـيـ قـادـهـ حـتـىـ الـحدـودـ الـجـنـوـبـيـةـ بـالـتـافـيـلـاتـ ،ـ وـتـوـجـهـاـ بـفـتـحـ فـاسـ فـيـ 20ـ رـمـضـانـ 348ـ /ـ 24ـ نـوـفـمـبرـ 959ـ<sup>(2)</sup> .

وـلـاـ شـكـ عـنـدـنـاـ أـنـ الشـاعـرـ نـظـمـ مـدـحـتـهـ فـيـ بـعـدـ سـقـوـطـ عـاصـمـةـ الـأـدـارـسـةـ :ـ ذـلـكـ أـنـهـ يـذـكـرـ الـأـسـرـىـ فـيـ قـيـوـدـهـ :ـ وـمـنـ بـيـنـهـ ،ـ إـلـىـ جـانـبـ «ـ خـلـيـفـةـ »ـ سـجـلـمـاسـةـ اـبـنـ وـاسـوـلـ ،ـ وـرـؤـسـاءـ مـكـنـاسـةـ مـنـ بـنـيـ مـوـسـىـ ،ـ يـذـكـرـ «ـ جـذـامـيـاـ طـوـيـلـاـ نـجـادـهـ »ـ لـاـ نـخـالـهـ لـاـ أـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ سـهـلـ أـمـيرـ فـاسـ ،ـ وـقـدـ أـسـرـهـ جـوـهـرـ وـأـطـبـقـ عـلـيـهـ فـيـ قـصـيـرـ مـعـ اـبـنـ وـاسـوـلـ وـأـرـسـلـهـمـاـ إـلـىـ الـمعـزـ بالـمـنـصـورـيـةـ<sup>(3)</sup> :ـ [ـ طـوـيـلـ ]ـ .

40/10 وكان الجـذـاميـ الطـوـيـلـ نـجـادـهـ بـهـيـمـاـ مـدـىـ أـعـصـارـهـ فـتـوـضـحـاـ 43 ... أـقـوـلـ لـهـ فـيـ مـوـقـعـ الـأـسـرـ عـاـيـاـ تـجـاذـبـهـ الـأـغـلـالـ وـالـقـيـدـ مـقـمـحـاـ

(1) انظر الفصل الأول ، ص 24-27 .

(2) الدشراوي : الخلافة ... ص 232 .

(3) الدشراوي : اسر ابن واسول ... ص 295 . وانظر : الناصري السلاوي : كـ الاستقصـاءـ ،ـ 199/1 .

44 لِئَنْ حَمَلْتُ أَشْيَاعَ بَغِيلَكَ فَادِحًا يَغُولُ ، لَقَدْ حُمِلْتَ مَا كَانَ أَفْدَحَا

فإن كان أول اتصال له بجوهر، أي أول عمل يعمله وأول رزق يكتسبه، وقع في رمضان 348، لا قبل هذا التاريخ، فقيم قضى وقته منذ نزوله ببر العدوة، أي منذ عام أو بعض عام؟ أفي البحث عن الممدوحين وطرق أبواب الأمراء والوجهاء كما فعل المتتبّي قبل وصوله إلى سيف الدولة؟ ولكن أبي الطيب خلف لنا مدائحه في هؤلاء الأمراء الصغار، أمّا ابن هانئ، فلا توجد في ديوانه قصيدة سابقة لهذه التي مدح بها جوهرًا، وذلك بإجماع النسخ وإجماع المترجمين. لا شك عندنا أنه بقي طوال هذه المدة يتنتظر الفرصة، وقد سنت له مع جوهر، ولكن جوهرًا لم يكافه بما يرى هو أنه له أهل، فأعطاه مائتي درهم فقط، فقول المصادر أنه قال: أليس بهذا البلد أكرم من هذا؟ فأشاروا عليه بالجعفررين ... .

والجعفران قد يكونان أميري المسيلة جعفر وبحيرى، سميما الجعفررين على عادة العرب في تحريف الاسمين المتلازمين بثنية أحدهما، فيختارونه لسبقه على الآخر، أو لسهولة النطق به أو لشهرته<sup>(١)</sup>: فالجعفران أسهل نطقاً من اليحييين، وجعفر على كل حال أسبق سنًا ورتبة، وكذلك الحسان للحسن والحسين ابني علي وفاطمة، وقد انتشر هذا المثنى بتأثير الشيعة حتى صار اسمًا مفردًا: حسنين، في مصر خاصة. وكذلك العمران، ابن الخطاب وابن عبد العزيز حسب رواية، وأبو بكر وعمر في أخرى، وهنا غالب عمر أبو بكر لأنّه أيسر نطقاً وأقصر. وفي غير الأعلام، يُلتجأ إلى صفة مشتركة بين الاسمين المقصودين، فتشنى كذلك: الجديدان صفة مشتركة للليل والنهار، وكذلك الأنس والجن يدعيان الثقلين، الخ ... .

فإن كان ناصحوه يعنون بالجعفررين الأخوين ابني حمدون، فهذا دليل على أنّهما شاركا في حملة جوهر، وبالتالي يكون أول اتصال بين الشاعر وأمير

(1) انظر ما يقوله ابن السكري في «العمران»، ص 144 من كـ. اصلاح المنطق.

الزاب ، لا بالمسيلة كما أدعى ابن سعيد في رواية سخيفة ، ولكن بالمغرب ، في ساحة الوغى ان صح التعبير . وربما استصحب الأمير شاعرنا رأساً الى الزاب حين قفل راجعاً الى ولادته .

وربما عَنْتُوا بالجعفرَيْنِ جعفر بن حمدون وجعفر بن فلاح الكتامي ، ولكن الشاعر ، كما رأينا ، لم يمدح هذا القائد البربرى ولا غيره من زعماء البرابر ، فالديوان يخلو من كل اشارة اليهم ، وحتى البيتان اللذان وسما باسم جعفر بن فلاح لا تصح نسبتها الى ابن هانىء . فقد يعني هذا السكوت أن صاحبنا قدم من مسقط رأسه ، وهو متسبّع بالازدراء الذي يكتبه العنصر العربي للسكان الأصليين للمغرب . وربما غذى هذا التعالي عنده انتسابه أولاً الى الأسرة المهلبية المجيدة ، ثم نشأته بالأندلس بلد الحضارة ورفاهة العيش ، وزاد حدة فيما بعد عندما أصبح من خاصة الأمراء الأندلسيين بالمسيلة وتبنّى عداوتهما للصنهاجيين .

بقي الشاعر اذن قرابة عام يتظاهر الممدوح الممكн بأرض المغرب ، والإمكانيات والحق يقال ، كانت إذ ذاك محدودة : فقد ظهر جوهر الجهة من الأمراء المستقلين كابن واسول أمير سجلماسة ، وأجلى الأدارسة عن فاس « فاعتاصموا بقلعة النسر بسببة آخر معاقفهم فكانوا يشاهدون منها عاجزين مقهوريين صراع القوتين اللتين تقاسمان المغرب آنذاك : بنو أمية والفاتميون »<sup>(1)</sup> . ولما كان شاعرنا ، بهروبه من الأندلس قد انسلاخ ان صح التعبير ، من الولاء الأموي ، فإنه لم يبق أمامه ، ممّن يعرض عليهم خدمته ، الا الخليفة الفاطمي أو من والاه .

تساءلنا منذ قليل : لماذا لم يتوجه رأساً الى المنصورية ؟ ونتابع الان الاحتجاج فنقول : لماذا لم يخطر ببال جوهر ولا أحد من حاشيته استخدام نزوح الشاعر الى الأرض الفاطمية ، في عملية دعائية لصالح المعز ، وذلك

(1) ج. مارسي : افريقيبة في القرون الوسطى ، ص. 125 .

بتلوين مقدمة يلون اللجوء السياسي من بلد يكبت فيه الفكر و تقييد الحرية الى بلد يعظم فيه المفكرون ويُيجّلون ؟ فيصبح صاحبنا « لاجئاً سياسياً » هارباً من الطغيان مستنجدًا بالائمة العادلين ، ويصير كسب الانصار للعقيدة الشيعية أمراً تلقائياً طبيعياً لا يحتاج الى تجهيز جبوش ولا حتى تنظيم برهان ؟

ولكن عملية كهذه تشرط ضمئياً أن يكون الشخص المستغث مشهوراً ذائع الصيت ، فلجوء الخامل الذكر واستنجاد المجهول النكرة لا يصلح لتحريك الجماهير وانتزاع استنكارها وتحبيدها بحسب حاجيات الدعاية المذهبية .

فيترتب عن فكرتنا هذه أن ابن هانئ لم يكن آنذاك معروفاً بدرجة تحمل القائد والحاشية على التقرب به الى المعز واستثمار نزوحه لفائدة الدعوة الفاطمية . ونجد تدعيمًا لافتراضنا هذا ، في ضاللة المكافأة التي قابل بها جوهر مدحته : فهي دليل ، لا على شحّ فيه ، ولا على قلة بصر بالأدب والشعر - وإن كان ذلك لا يستغرب من عبد صقلّي أو رومي الأصل - بل على خمول الشاعر في برّ العدوة .

استقرّ الشاعر عندبني حمدون بالمسيلة . وقد أصبحت القاعدة التي كان أسسها القائم بأمر الله وعليّ بن حمدون ، عاصمة عامرة بالسكان مزدهرة بالصناعات فيقول ابن خلدون : « ... واستجذوا بها دولة وسلطاناً وبنوا القصور والمتزّهات ، واستفحّل بها ملوكهم ، وقصدتهم بها العلماء والشعراء وكان فيمن قصدهم ابن هانئ شاعر الأندلس »<sup>(1)</sup> .

ويظهر أن شهرة البلاط الحمدوني تجاوزت المغرب وافريقياً وبلغت المشرق ، فنظم بعض شعرائه الى رفد أمير المسيلة ، كالصنوبري (945/334) الشاعر الشامي مثلاً ، فقد وجّه اليه من حلب قصيدة<sup>(2)</sup> يشيد فيها بمجده

(1) تاريخ ، ج 21-16 (بيروت) ص . 175 .

(2) الصنبرى : ديوان ، القصيدة 25 ، ص 28 .

وكرمه ، فأرسل اليه جعفر ، على مسالك ثابتة حسب قول ابن شرف<sup>(1)</sup> مكافأة  
بالمليون دينار .

ويشهد شعر ابن هانىء نفسه بازدهار العاصمة الحمدانية وكثرة حدائقها  
وطيب هواها ، فيتجاوز على تشبيهها ببغداد : [ كامل ] .

35/6 وَرَأَيْتُ حَوْلِي وَفَدَ كُلَّ قَبْيلَةِ حَتَّى تَوَهَّمْتُ الْعِرَاقَ الرَّبَابَا  
36 أَرْضًا وَطَثَّ الدُّرُّ رَضِراًضًا بِهَا وَالْمِسْكَ تُرْبَابَا ، وَالرَّيَاضَ جَنَابَا  
37 وَسَمِعْتُ فِيهَا كُلَّ خُطْبَةٍ فَيَصِلِّ حَتَّى حَسِبْتُ مَلُوكَهَا أَعْرَابَا

هذه المهاية الملكية لا ينفرد بها جعفر ، فليجحisi أيضاً بلاط تقصده  
الوفود : [ طويل ]

15/52 وَتَفَدُّو عَلَى يَحْيَى الْوَفُودِ يَبَابِهِ كَمَا ابْتَدَرْتُ أَمَّ الْحَطِيمِ الْمَوَاسِمُ  
وسرعان ما أصبح الشاعر من خاصة الأميرين ، فنراه مثلاً يتدخل لتهيئة  
الجو بينهما اذا ما ضاق الأصغر بسيطرة الأكبر ، ولا سيما بعد وفاة والدتها ،  
فيدعوهما الى المحافظة على الوئام حتى يقويا على الخصوم ولا يشتم بهما  
الأعداء . ونراه أيضاً يشارك الأميرين ، وخصوصاً يحيى ، في مجالس الشراب  
والغناء ، مما يشعر بأن الحياة بالمسيرة أشبه في طيب العيش ولينه بالرقعة  
الأندلسية منها بالخشونة البربرية أو التقشف الذي طبع بلاط الخليفة .

ويشيد بحروب الأخوين ، وبالحملات التي يقودانها أو يقودها ابراهيم  
ابن جعفر لاستخلاص الضرائب أو لقمع الفتن ، ولعلها كانت تحركات بسيطة  
محدودة ، ولكنه يغالي في تعظيمها دون أن يمدنا بالتدقيق اللازم ، فتصير في  
شعره انتصارات باهرة ، ويجعلها انتصاراً لسياسة المعز ومذهب الأئمة ، كأنه  
بدأ ينظر الى المنصورية ويسعى نحو غايتها النهائية : الدخول في خدمة  
المعز في منصب الشاعر الرسمي .

---

(1) ابن شرف : مسائل ... ص . 36 .

ولكن دعوة الخليفة أبطأ ، فلم تأت إلا بعد خمسة أعوام ، وقد علّنا فيما سبق تحديداً لدخول ابن هانىء في خدمة الخليفة بسنة 353/964 . وقد مهد لها المنصب بالمدحتين 9 و 11 ، نظمهما بالمسيلة وأرسلهما إلى المعز . ويظهر من كلام ابن خلّكان أن شهرة الشاعر وصلت إلى مسمعه بعد هذه المدة الطويلة ، فأبدى اهتمامه به وطلب من الأمراء أن يجهزه إليه ، فبادرًا برسالة وأرفقاها بهدايا كثيرة<sup>(1)</sup> . وفي هذا تدعيم لما ارتأيْناه ، من أن صيت الشاعر عند خروجه من وطنه لم يكن من الذِي يُوحَى بحسب يلفت إليه الانتباه ويفتح أمامه الأبواب .

أما صدى حياته بالقيروان / المنصورية ، فخافت خُفْرَتَا غريباً ، حتى إننا نشك في استيطانه بعاصمة الخلافة ، فهو لا يذكرها قط في شعره ، ولا العواصم الأخرى . والإشارة الوحيدة إلى القيروان أو المنصورية نجدها في التوطئة النثرية التي تسبق القصيدة 53 في الديوان ، على أن النسخ تتضارب ، فمنها من يقول إن القصيدة أنشئت بالقيروان ومنها من يقول بالمنصورية .

وكذلك لا ذكر لظرفه الماديَّة : كيف كان يعيش ؟ وبم كان يعيش ؟ وأين كان يعيش ؟ هنا أيضًا ترشدنا التوطئة التي أشرنا إليها فتقول أن الخليفة كافأه على هذه القصيدة 53 بقصر يساوي كذا من آلاف الدنانير ، فطلب الشاعر عندئذ الأثاث ، فأردفه بأثاث يساوي بضعة آلاف دينار ، فعاد الشاعر وطلب الحشم والجواري ، فأمر له بخدم ، بلغ المجموع خمسة عشر ألف دينار . لكن الصيغة الخرافية ظاهرة على هذا الخبر ، ولا نخل الشاعر في أول لقاء له مع المعز يتجراس على مثل هذه المساومة السخيفة . ثم إن الخبر لم يذكر قط مكافأة مالية نقدية ، مع أن مخطوط تونس 1 يشّرّعنا بوجود جريدة قارَة ، بدليل أن الأمير تميم ابن الخليفة سعى لدى أبيه ليقطع عنه هذا الراتب ، وربما دلَّ أيضاً على وجود هذه الجريدة علاقة ابن هانىء بصاحب الخزينة الحسين بن المهدب .

---

(1) وفيات . . . ترجمة رقم 640 .

ومثلما يسكت عن مسكنه هو ، يسكت عن مساكن الخليفة والأمراء فلا تراه يذكر القصر ولا البلاط ، ولا يصف المسجد ولا المتنزهات . حتى « دار البحر »، ذلكم القصر الذي بهر الشاعر الإيادي<sup>(1)</sup> بتنسيق بركه وغرفة ، وتدفق المياه به ، وعلو شرفاته ، لا نجد له ذكرًا في شعره . وازاء هذا السكوت عن الأماكن الرسمية والخاصة ، صرنا نشك في إقامته المستمرة بالعاصمة الأفريقية ، فلعله كان يقطن بالزاب على الدوام كما يشعر به قوله عند توديعه للمعز على عتبات مصر ورجوعه على أعقابه لأخذ عياله وأمواله : [ طويل ]

18/47 ولولا قطين في قصي من السوى لما كان لي في الزاب من متلزم  
ولعل وظيفته كشاعر مختص بالخليفة تحمّل عليه الاقتصار على المظاهر الرسمية من حياة المعز ، كاستقباله للسفراء والمبوعين وتحوله إلى صلاة الجمعة وخروجه في المواسم والأعياد مكللاً بالناج الفاطمي تحت المظلة الواسعة التي كانت أيضًا من شارات الملك .

وقد حاول الشاعر التخلّل من هذا الجانب الرسمي من وظيفته كما تشهد بذلك المقطوعات الخمرية أو الغزليّة التي نجدها في ديوانه مدرجة ضمن المدائح أو مستقلة ، فتاك إلى التعبير عن ذاته ، بالتعزل بالغلمان أو وصف مجالس الشراب ، والتمس الأصدقاء الجدد والخلان كما يظهر من مطارحاته مع أحمد بن زائدة . ولكن هذه المحاولات « الغنائية » الذاتية بقيت محدودة ، حسب ما يظهر من الديوان المطبوع ، أو لعلها طرحت من معظم النسخ ، فلم نجد صداها إلا في مخطوط تونس 1 . فكان وظيفة الشاعر الرسمي بما يتبعها من جد مفروض مفعطل ووفار وتقشف ظاهري لم تسمح له بالنظم في غير الأغراض المذهبية السياسية التي تعلي كلمة الأئمة وتظهر شرعية حكمهم . بهذا التحديد والاقتصار ، نبرّ التفاوت الظاهر بين مجموع انتاجه بالمسيرة في خمس سنوات ومجموع انتاجه بعاصمة الخلافة في تسع .

---

(1) انظر وصف الإيادي لهذا القصر في الحوليات ... 1973 ص. 104 ... .

## تشييع ابن هانىء

يؤكد الشاعر في احدى مدائحه للمعز أن تشيعه القديم عرضه لعداوة الأمويين ، فحاولوا منعه من الالتحاق به ، ولو نجحوا ، لأسكتوا صوته وتغدر عليه مدح الإمام : [طويل]

لْجَبْ سَنَامٌ مِنَ الشِّعْرِ تَامِكُ  
شِرَاعًا ، وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيَّ الْمَسَالِكُ  
كَأَنَّ الْمَنَايَا تَحْتَ جَنَبي أَرَائِكُ  
فَنَجَّى هِزْبِرًا شَدُّهُ الْمَتَدَارِكُ

46 ولو عَلِقْتَهُ مِنْ أُمَيَّةَ أَحْبَلَ  
47 وَلَمَّا التَّقَثْ أَسِيافُهَا وَرَمَاحُهَا  
48 أَجْزَتْ عَلَيْهَا عَابِرًا وَتَرَكْتُهَا  
49 وَمَا نَقَمُوا إِلَّا قَدِيمٌ تَشَيَّعِي

هذا الصراع البطولي الذي يدعوه ابن هانىء مع مطارديه الأندلسين صورة من المبالغات الشعرية المعهودة . ولكن ، هل يغالي حين يلح على « قديم تشيعه » ؟

لقد عبرنا فيما سبق من الصفحات عن تحفظنا في قضية تشيع هانىء وأسرته ، لفقدان الوثائق التي تسمح بإلقاء رأي صحيح مدعم ، وخاصة لضياع كامل شعر محمد بن هانىء في الفترة الأندلسية . ولكن ، يمكن أن نعود إلى الموضوع فنصيف إليه ، على ذكر هذه الأبيات ، بعض العناصر التي قد ترجح انتساب الشاعر إلى الدعوة الفاطمية منذ شبابه وحتى صباه .

فالمرجح الأول هو ، كما رأينا ، وسطه العائلي ، والصورة الغامضة التي نقلتلينا عن أبيه هانىء : فهل كان حقاً واحداً من الدعاة الكثيرين الذين عملوا بالأندلس على إحلال الحكم الشيعي ؟ الحقيقة أن الفتنة الشيعية أو المتنسبة إلى الشيعة سبقت مقدم هانىء إلى الأندلس بأحقاب . فمنذ أواسط القرن الثاني / الثامن تمردت بعض العناصر اليمنية المتنسبة إلى كبار الأسر العربية ، مثل الثائرين المهلبيين اللذين ذكرهما ابن عذاري ، أو أحفاد الصحابي الشيعي عمار بن ياسر ، أو أحفاد زعيم الأنصار سعد بن عبادة .

حتى العنصر البربرى أراد أن يحدو حذو العناصر العربية ، فطلب الحكم وتمرد على الأمراء ، مثل ذلك التأثير الذى استمر اسم أمـه - فاطمة - فلفق لنفسه نسباً علوياً فاطمياً - وكان بربرياً من مكناسة - فجاءه حكام قرطبة طيلة عشر سنوات (150-776/160). وكثير من هذه التحرّكات كانت تقع بكوردة البيرة ، تلك التي سينزل بها هانىء ، أثناء أو بعد سفراته المتكتمة بين عواصم الأندلس<sup>(1)</sup>. ولم تسلم اشبيلية من هذه الفتـن ، فقد تغلبت عليها أسرة بنى الحجاج ، وهم أيضاً يمنيون لخميون ، ولم يصلح أمر المدينة إلا عندما تولى عبد الرحمن الناصر .

هؤلاء الثوار كانوا بالطبع يستثمرون لصالحهم التزاع بين الدولتين الكبيرـين : فالمتمرد على حكم بنى أمـة يستنجد بصاحب افريقية ويـتظاهر بالولاء للشـيعة ، وكذلك فعل عمر بن حفصون حين تملـك بوبيـستر واعتصـم بها ، فقد أرسـل إلى المـهـدي عـبـيد اللهـ يـطـلـب مـسـاعـدـته<sup>(2)</sup>. وفيـ الجـانـبـ الـمـقـابـلـ ، كانـ المـارـقـونـ عـلـىـ الحـكـمـ العـبـيـدـيـ يـسـتـنـجـدـونـ بـحـكـامـ قـرـطـبـةـ ، كـمـاـ فـعـلـ أـبـوـ يـزـيدـ إـذـ أـوـفـدـ إـلـىـ الـخـلـيـفـةـ الـنـاصـرـ جـمـعـاـ مـنـ أـعـيـانـ الـقـيـروـانـ فـيـهـمـ اـبـنـ لـأـبـيـ الـعـربـ صـاحـبـ كـتـابـ طـبـقـاتـ عـلـمـاءـ اـفـرـيقـيـةـ<sup>(3)</sup> .

وحين أخذ عبد الرحمن الناصر ثم الحكم المستنصر الأمور بيد من حديد فـقـمـعـاـ الفتـنـ بـكـلـ شـدـةـ ، انـقلـبـتـ الـحرـكـاتـ الـعـلـوـيـةـ إـلـىـ دـعـوـةـ سـرـيـةـ دـاـخـلـ الـمـدـنـ ، فـكـانـ الـأـعـوـانـ وـالـجـوـاـسـيـسـ يـجـوـبـونـ الـبـلـادـ وـيرـفـعـونـ التـقـارـيرـ عـنـ الـحـالـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـأـفـكـارـ النـاسـ وـأـحـوـالـ الـمـعـيـشـةـ ، إـلـىـ صـاحـبـ اـفـرـيقـيـةـ ، وـقـدـ نـسـبـ الـفـيـلـيـسـوـفـ اـبـنـ مـسـرـةـ (931/319) إـلـىـ الدـعـوـةـ الـفـاطـمـيـةـ وـقـيلـ أـنـ تـعـلـمـ الـمـبـادـيـءـ

(1) ابن عذاري : البيان ... ج 1 ص. 54-56 / وانظر كذلك : محمود علي مكى : التشيع في الأندلس ص. 17 وليفي - بروفنسال : اسبانيا الاسلامية ، ج 1 ص. 85-88.

(2) ليفي - بروفنسال : اسبانيا الاسلامية ، ج 1 ص. 380.

(3) ابن عذاري : البيان ... ج. 2 ، ص. 213.

الاسماعيلية أثناء إقامته بالقبروان فتعهد بنشرها في الأوساط الأدبية والثقافية في الأندلس . وكذلك نسبوا الرحالة ابن حوقل (977/367) إلى التجسس لفائدة الفاطميين<sup>(1)</sup> .

فكان خلفاء قرطبة معدورين اذن في اتخاذهم التدابير المشددة ضد كل من اشتبه أمره ، فرمي بالدعوة إلى الشيعة أو حتى بالاستقلال في الرأي والسلوك ، ولكنهم أفرطوا في القمع والتنكيل ، فصاروا يحكمون بالقتل على كل من انفرد برأي أو خرج عن المالكيَّة السائدة ، حسب شهادة المقدسي (988/378) الذي زار الأندلس في منتصف القرن الرابع : « ... أما في الأندلس فمذهب مالك وقراءة نافع . وهم يقولون : لأنعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك ، فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه ، وإن عثروا على معترلي أو شيعي ونحوهما ، ربما قتلوه »<sup>(2)</sup> .

ولم يغالي المقدسي في تعليقه ، فقد أطلق الخلفاء أيدي القضاة لمقاومة الزيف بحق وبغير حق ، أو ، على الأخرى ، أطلق القضاة أيدي الحكم ، لأن الخطر مزدوج : فالحكام عرضة للحملة المسلحة على الخلافة الأموية ، وقد تعهد الفاطميون بازالتها ومحاسبة أصحابها على اختصاصهم للحكم وعلى ما ارتكبه أسلافهم من جرائم ضد آل البيت . ومن جهة أخرى يتعرض الفقهاء إلى خطر حلول مذهب « المشارقة » وإحلال طقوس وعقائد مارة مبتداعة خارجة عن السنة والجماعة . فلذلك نجد القضاة الأندلسيين يصدرون أحكاماً قاسية على أشخاص مظنون فيهم ، دون أن تثبت عليهم تهمة الكفر أو التشيع : فهذا شخص يعني أيضاً ، يدعى ابن حاتم الأزدي ، يحكم عليه بالقتل لأنَّه شهد عليه بشتم عائشة والشيفين ، ولعله كان شيعياً لأن سب أصحاب الجمل أو أصحاب السقيفة من خصائص غلاة العلوين ، كما أن سب أبي تراب (علي بن أبي طالب) من خصائص الأمويين . وهذا متهم آخر ، يدعى أبا

(1) د. برونشفيك : مظهر من ... ص. 149.

(2) أحسن التقاسيم : ص. 40.

الخير ، شهد عليه بتبني آراء «المشارقة» ، وشرب الخمر أيضاً ، وبترك صلاة الجمعة ، وأخيراً بالقول مثل المعتزلة بخلد الكافر في النار ، حتى وإن كان مسلماً ، هذا المسكين يقتل أيضاً لتراثه هذه الذنوب عليه<sup>(١)</sup> .

والمرجح الثاني لتشييع ابن هانئ من ذئبه صغره ، لعلنا نستتتجه مما كتبنا نستغرب به قبل قليل : وهو ضياع شعره في الفترة الأندلسية ، فإن تهمتي التحلل الأخلاقي والتحرر العقائدي ، إن ثبتتا ، لا تكفيان لتحليل هذا الضياع النامم ، لأن هذا الشعر محى محوا من ذاكرة الناس ، فلم يبق منه شيء ، حتى النماذج لتدعم تهمة المروق والانحراف . ولا تكفيان كذلك لتبرير طرده من وطنه ، مع ما كان يحظى به من مؤازرة أمير أشبيلية له وعطفه عليه . فالأولى حياله أن نفترض وجود ذنب أعظم من هذين ، مثل شروع الشاعر في مقاومة السلطان الأموي أو في نشر المبادئ الفاطمية . فهذه تهمة أخطر بكثير من العريدة والأخذ بأقوال الماديين ، لفتت إليه انتباه الحكام والقضاة ، فأصبح مهدداً في حرثته وربما في حياته ، واضطرب الوالي إلى مداراة الفقهاء فنصحه بالانسحاب . ونعرف بأن هذا التحليل الجديد لأسباب هروبه لا يفسر كذلك ضياع شعره الاشبيلي ، اللهم إلا إذا افترضنا أيضاً أن هروبه السريع لم يسمح له بجمع شعره ، فضاع بعده ، أو قرر هو أن يضرب عنه صفحأ .

أما المرجح الثالث ، فنلتمسه من المعاني والشعارات الشيعية التي نجدها في أول قصيدة له بالمغرب ، وعني مدحه جوهر ، فالشاعر يستعمل الألقاب التي أشاعتتها الدعاية الرسمية في شأن الخليفة : فهو الإمام ، وهو أمير المؤمنين ، وخليفة الهدى الخ ... ، ويقارن جوهرأ ، في وفاته للإمام وخدمته له ، بالحواريين في علاقتهم الأنبياء ، بل يدعو الناس إلى اتباع الطريق التي سطرها لهم هذا الحواري : [طويل]

---

(١) هذه الأمثلة مستمدّة من مخطوط «نوازل الأحكام ...» ، لابن سهل الجياني (486/1093)، ورقة 191 ب و 193 أ . وقد استقرّت الدشراوي في فصله : محاولة ... ص . 97 .

- 18/10 أَرِيكَ بِهِ نَهْجَ الْخِلَافَةِ مَهِيَّأٌ  
 24 ... رَآهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَعَهِدِهِ  
 25 لَأَفْلَحَ مِنْهُمْ مَنْ تَزَكَّى وَقَادَهُ حَسَارِيُّ أَمْلَاكِ تَزَكَّى وَأَفْلَحَا

وأنه لمن المستبعد أن يكون الشاعر قد تكلّف هذا الولاء الشيعي في الحين والحال ، ترلّفاً إلى القائد ، ومن ورائه ، إلى الخليفة . ولا ندع مع هذا أنه عند نزوله بأرض المغرب ، كان متشبّعاً بكلّ هذه الأغراض الإسماعيلية ، فهذا لا يتفق مع ما سرّاه في شعره اللاحق من تطور نحو المائة التامة لشعارات الدعاية الفاطمية . ولكن تأخذ موقفاً وسطاً فنقول : لعله كان تعرّف ، منذ الفترة الإشبيلية ، على التّيارات الشيعية التي كانت تجتاج الأندلس وتغشى العصر كلّه ، فمال إليها واكتسب شيئاً من المعلومات عن العقائد الإسماعيلية فتبّاها وبلورها في قصيده الأولى التي أرادها كما قلنا فاتحة حياة جديدة .

وتزداد المعاني الشيعية عنده قوّة ، حتّى تبلغ أوجها في الفترة الافريقية ، حين يصبح الشاعر الرسمي ، فيعلي كلمة الدولة ، ويشيد بمجد الأئمة وبأحقّيتهم بخلافة المسلمين ، وينهال شتماً على الدولتين الغاصبتين ، الأموية والعباسية ، بل يمتدّ لسانه حتى إلى الشّيخين أبي بكر وعمر فيرميهما بالتواظط مع أعداء عليّ في حادثة السقيفة لانتزاع حقه المشروع ، ويلقي عليهم مسؤولية المأساة التي لحقت عليّاً وذرّيته فيما بعد ، فلا يتحرّج من جعل أبي بكر - التّيمي - سبباً ، بقبوله الخلافة ، في قتل عليّ بمسجد الكوفة ثمّ في مجرزة الطفّ بكريلاء : [ طويل ]

- 144/47 وَأَوْلَى بِلَوْمٍ مِنْ أُمَيَّةَ كُلِّهَا  
 145 أَنَّاسٌ هُمُ الدَّاءُ الدَّفِينُ الَّذِي سَرَى  
 147 ... هُمُ رَشَحُوا تَيْمًا لِإِرْثِ نَبِيِّهِمْ  
 153 ... بَأْسِيَافِ ذَاكَ الْبَغْيِ أَوْلَ سَلَّهَا

وفي هذه الحملة القاسية على أحبّ الخلفاء الراشدين إلى الأمة

الاسلامية ، دليل على أنَّ ابن هانىء أصبح يأمن غائلة الحكام الامويين وعسف قضائهم . فشتان بين تعسفة هو اليوم وما استحقَّ به ابن حاتم المسكين القتل ! وفيها أيضاً صورة للطريقة التي يقابل بها الشيعة شتم الامويين يومياً لعلي بن أبي طالب فوق منابرهم ، تلك العادة الفظيعة التي ابتكرها معاوية بالشام ، فكانت تنقص من إعجاب أنصارهم بهم<sup>(1)</sup> .

ونلاحظ في المدائح المعزيات مغالاة الشاعر - والدعابة الرسمية كذلك - في تقدير الإمام . فالوصاف التي يصف بها المعز ، والمقارنات والتشابيه والافتراضات ، كل هذا يصلح حد التأليه ، أي ، في نظر السنة ، حد الكفر والشرك بالله . في حين أنه في نظر الشيعة اعتراف بالصفات الشرعية في الأئمة : فلئن نعته بـ «الواحد القهار» فلأنَّه مستأثر وحده دون غيره بإرث جده الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلافة المسلمين ، قاهر عن قريب للدولتين الغاصبتين . وإن غلبت إرادته الأقدار ، فلأنَّه يتمتع بمُوازنة خاصة من الله يجعل كلمته هي العليا ، وبهدایة منه تعصمه من الزلل ، فالائمة هم هداة شعوبهم ورعاياهم الذين أشار إليهم الله عز وجل بقوله : «وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِي»<sup>(2)</sup> : [كامل]

فاحكم فأنت الواحد القهار  
ما شئت لا ما شاءت الأقدار  
وكأنَّما أنت النبي محمد  
وكأنَّما أنت أنصارك الأنصار  
في كتبها الأخبار والأخبار  
أنت الذي كانت تُبشرُنا به  
قد دُوَّخ الطغیان والکفار  
هذا إمام المتقيين، ومن به  
هذا الذي تُرجى النجاة بِحِبِّه  
وبيه يُحَطِّ الإصر والأوزار  
فإذا كانوا هداة مهديين ، فتشبيههم بالأنبياء المعصومين معقول مشروع ،  
وكذلك تشبيه أتباعهم بالأنصار الذين نصروا محمداً (صلى الله عليه وسلم)  
وآلوه بالمدية - ولعله اقتصر على الأنصار ولم يذكر المهاجرين لأنَّه يمْني الأصل

(1) ابن عذاري : البيان ... ج . 2 ، ص . 40 .

(2) الرعد ، 7 .

أزديَّ مثل أهل بثرب ، ولأنَّ المهاجرين فيهم الشیخان وأصحاب الجمل - وكما يشفع الأنبياء للمؤمنين يوم الحساب ، فهذا يشفع لاتباعه فتقِيُّهم محبَّته عذاب النار .

هذا ، وإنَّ مثل هذا التحليل الباطني لعوائق الشيعة ونظريةِاتهم من خلال مذائح الشاعر لا يقف بنا عند حِدَّ ، وسنجمل فيه القول في الفصل الثامن حين نتناول المعاني الإسماعيلية في شعره .

ولا عبرة ، والحال هذه ، بما يقوله بعض الدارسين المعاصرین في شأن تشيعه : من أنَّ هذه المغالاة في تقدیس الأئمَّة صورة من تزلُّفه إلى المعزَّ حتى ينال رفده ، فبقدر ما يغلو في المدح ، يكثر العطاء<sup>(١)</sup> . فهذا تسرُّع في الاستنتاج وقَصْر في النظر ، إذ لو قارن أصحاب هذا القول شعر ابن هانىء بشعر تميم بن المعزَّ في أخيه العزيز مثلاً ، أو قابلوه بكلام القاضي النعمان في الأئمَّة عامة وفي المعزَّ بصفة خاصة ، لرأوا أنَّ الغلوَ أمر عاديٍ طبيعيٍ في كتابات الشيعة ، ولما نسبوا صاحبنا إلى التشيع الكاذب . أم لعلَّهم كانوا ينسبون تميمًا والقاضي إلى السعي وراء المال ؟

ولو كان تشيعه ظرفياً محلَّياً ، أي مرتبطاً بمذائح المعزَّ لا غير وبما يُرجى إثرها من جوائز ، لما وجدناه أيضاً في مذائح الشيباني وبني حمدون وأفلح الناشر ، ولاكتفى الشاعر في مدحه لهؤلاء ، بالإشادة بالصفات التقليدية من شجاعة وسماحة وحلم وغيرها .

فتُشَيَّع ابن هانىء صحيح صادق . لعلَّه لم يكن على مثل هذه القوة في أول الأمر ، فتوطَّد وتعمَّق بتعرُّف الشاعر إلى الخليفة ومعاشرته له ، ولكن لا شكَّ في أنه خلُو من الطمع : فالشاعر قلماً يشير إلى عطاء المعزَّ ، خلافاً للمتنبي مثلاً في مخاطبته لمدوحيه ، بل يعتبر أنَّ أعظم مكافأة هي بالذات مدح الإمام ، لأنَّه

---

(١) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعزَّ لدين الله ، ص. 226 .

بمدحه إياه يقوم بواجب مفروض ، واجب « الطاعة » ، والطاعة لا يكافيها ، أو قل انها تحمل مكافأتها في طياتها كأريحيّة السماحة أو برد اليقين : [كامل]

٩٠/ دَانُوا بِأَنَّ مَدِيَحَهُمْ لَكَ طَاعَةٌ فَرْضٌ ، فَلِيَسْ لَهُمْ عَلَيْكَ جَزَاءٌ  
ثم أنَّ القرب من الإمام يكفيه كل مكافأة ، وكذلك اتفاق معانيه مع معاني  
القرآن لأنَّ اللَّهَ مدح أيضاً الإمام : [ طويل ]

٦٧/ ٢٣ بَلَغْتُ بِكَ الْعُلْيَا ، فَلَمْ أَدْنُ مَادِحًا لِأَسْأَلَ ، لَكُنِي دَنَوْتُ لَا شُكُرًا  
٦٨ وَصَدَقَ فِيكَ اللَّهُ مَا أَنَا قَائِلٌ فَلَسْتُ أَبَالِي مَنْ أَقْلَ وَأَكْرَأ

فالتشييع عند ابن هانئ ليس إذن صادراً عن تعليمات رسمية تتكيّف كلَّ  
يوم بحسب التطورات السياسية ومتغيرات الساعة ، مثل سوانح الصحف  
الحزبية أو الحكومية ، أو مثل خطب المنابر في صلاة الجمعة ، بل هو منبثق عن  
اعتقاد راسخ بصحة الدعوة وصواب المذهب وعدل الأئمة في سياستهم . وإنَّ  
اعتقاده هذا ليتجاوز شخصه فيغمر الأعيان والأشياء المتصلة به ، فهذا سيفه  
مثلاً ، أصبح مماثلاً له في العقيدة ، بل يغلبه في التقانى : [ بسيط ]

لي صَارِمٌ ، وَهُوَ شَيْعِيٌّ كَحَامِلِهِ يَكَادُ يُسْبِقُ كَرَاتِيَّ إِلَى الْبَطْلِ  
إِذَا الْمَعْزُ ، مَعْزُ الدِّين ، سُلْطَةٌ لَمْ يَرْتَقِبْ بِالْمَنَابِيَا مُدَّةَ الْأَجَلِ<sup>(١)</sup>  
ولعلَّ هذين البيتين « ملحمة » من الشاعر لا تحتاج منا إلى مثل هذا  
التقدير ، ولكننا نتجاوز من خلالها التكلُّف وبرودة الفكرة إلى الحمية الواضحة  
والتحمُّس الظاهر للمذهب .

هذا ، وإذا احتجنا إلى دليل آخر على صدق انتساب ابن هانئ إلى  
الدعوة ، فلنذكر أسف المعز عليه حين نعي اليه . فهل كان يرثيه ويؤْتَه لوفهم  
أن تشيعه ظرفٌ محليٌّ ؟ وهل يغيب عنه تملق المنافق وكذب المترَّد ؟

---

(1) تبيّن المعاني ... ص . 648 .

## تضارب الأقوال في ظروف وفاته

لشن اتفقت المصادر على أنّ موت الشاعر كان مباغتاً ، فانها لا تتفق على ظروفه وأسبابه : أكان اغتيالاً ، أم موتاً طبيعياً ، أم قتلاً في خصومة ، أم حادثاً طارئاً غير متوقع ؟ وكذلك الأمر فيما يخص تاريخ الوفاة ، فلا ثبات فيه بين مصدر وآخر .

يكفي ابن الأبار مثلاً بالقول : « وتوفي ببرقة في طريقه إلى مصر » فاستعمل فعل « توفي » الذي يشعر بالموت الطبيعي وينفي فكرة القتل أو الاغتيال . أما ابن الأثير ، فيميل إلى الاغتيال في خطّة مدبرة : « فلما وصل (المعز) إلى برقة ، ومعه محمد بن هانىء الشاعر الأندلسى ، قتل غيلة ، فرؤي ملقى على جانب البحر قتيلاً لا يُدرى من قتلهم . . . »<sup>(1)</sup> . ويدرك ياقوت وابن خلكان افتراضات ثلاثة : أولاً ، الموت المباغت في حادث مفاجئ ؛ خرج الشاعر سكران من بيت مضيقه فضل طريقه في الليل وغلبه النوم فنام على قارعة الطريق فمات للبرد الشديد . ثم الخصومة العنيفة اثر مشربة وعربدة فيقتل الشاعر في المعركة بين السكارى . وأخيراً الاغتيال : وجد الشاعر في ضياعة مخنوقة بتکة سراويله . وبأخذ ابن الخطيب بالافتراض الأول فيرى أن البرد الشديد هو الذي قتل الشاعر السكران . أما ابن سعيد ، فيصرّح بأنه قتل في « مشربة على صبي » وكذلك تقول مقدمة مخطوط تونس 1 .

ولقائل أن يقول أن هذه الظروف الفظيعة من سكر وعربدة واعتداء بالفاحشة على صبي ، قد اختلقها مؤلفون ستينون ليلحقوا العار بشاعر الفاطميين الرسمي ، فينالوا من خلال شخصه ، من هيبة هذه الدولة المكرورة التي طالما دَعَت الطهارة والنسل والقداسة ، ويظهروا فسادها ونفاقها من فساد شاعرها ، لا سيما وأن المعز كان ينوي مكابرة شعراء الشرق به . وهذا ما يقوله فعلًا ناشر

(1) الكامل ، ج 7 ، ص . 45 .

الديوان زاهد على - وهو إسماعيلي - في محاولته لتبثة الشاعر من هذه الوصمات<sup>(1)</sup> .

ولكن قد تكون التهمة صحيحة مستندة الى أحداث ثابتة وصفات واقعة : فإذا اعتبرنا مثلاً ما نسب اليه من مجون في شبابه بالأندلس ، وما احتفظ به الديوان من مقطوعات خمرية ومن غزل بالمذكور ، وإذا صدقنا ما نقلته بعض المصادر من تنافسه مع الأمير تميم على غلام منحرف ، واعتبرنا من جهة أخرى أن جو الفرح والتفاؤل بحياة جديدة ، الذي صاحب انتقال المعز إلى عاصمته الجديدة ، قد يدعو بعض أنصاره ، والشعراء على الأقل ، إلى خلع العذار ، أصبح من الممكن أن الشاعر تعاطى اللهو جزاً في إحدى ليالي إقامته ببرقة ، فكانت نتيجة الافراط في الشراب خصاماً واعتداءً وعنفاً وقتلاً .

بل نجد من المترجمين من ينسب قتله إلى تميم أصلاً بسبب الغيرة من الشاعر لاستئثاره بالغلام : فيقول الدواداري في كتابه عن الدولة الفاطمية ، بعد أن يورد الأبيات الثلاثة التي يبرر فيها ابن هانىء تفضيله للذكران على النسوة : « . . . أراد بقوله غلاماً كان الأمير تميم يهواه ، فتحيل عليه حتى وجد في بعض الأولية مخنوقاً بتكته . . . »<sup>(2)</sup> ويضيف : « وقيل إنه حسده لجودة شعره ، فقتله لذلك ». فهذه فكرة جديدة وسبب آخر من أسباب قتله : الغيرة الأدبية أو التنافس المهني . وواضح أن كلام الدواداري يدعم فكرة القتل اغتيالاً ، ويبعد فكرة الموت الطبيعي أو الحادث المفاجيء . ولكن يأتى بعنصر جديد في حياة الشاعر الغامضة ، فيزيد الغموض كثافة . هذا العنصر الجديد هو تنافسه مع ولی العهد ، وقد كان من المتوقع أن يصبح خليفة بعد أبيه ، أي أن يصير ممدواحاً لابن هانىء ، لو لا أن عزّلَه المعز لفساد سلوكه وانحرافه وتواته مع العناصر المناهضة لأبيه ، وبالخصوص مع أولاد القائم .

(1) تبيان . . . ص. 22 من المقدمة .

(2) الدواداري : كنز الدرر / 6 : الدرة المضيئة . . . ص. 254 .

وربما استغرينا أن ينسب تميم إلى مثل هذا الخبر و هذه الشراسة ، وقد عهدهنا في شعره رجلاً رقيق العاطفة مغرماً بالطبيعة والأزهار والمياه ، ميالاً إلى الدعوة والعيش الهدىء . ولكن قد يُخفي الشعراء أيضاً حقيقة نفسياتهم ، بدليل ما اكتشفناه من مجھول صفات شاعرنا ابن هانئ ، مما لا يتضح قطّ من كبرى قصائده في المعزّ وفي غيره من الممدوحين . وخلاصة القول أن قتل ابن هانئ يمكن أن يكون قد وقع بإيعاز من تميم ، بسبب غيرة بينهما وتنافس ، سواء كانت غيرة غرامية أو أدبية .

وعليه ، فلا سبيل إلى تبني فكرة زاهد على الذي يعتبر قتله اغتيالاً سياسياً دبره أعداء الدولة التي رفع ابن هانئ شعارها ، أي حكام قرطبة : فالأمويون أبعد الناس ، في هذا الظرف ، أي آبان انتقال المعزّ - والشاعر بالتالي - إلى المشرق ، عن أن يفكروا في قتله ، هذا إذا صحت أن شعره أقلّهم حقاً حتى صاروا يخشونه على سلطانهم . ولو عزموا على قتله ، لفعلوا ذلك أو حاولوه من قبل ، أي قبل أن يتبعـد الخطر عن شواطئـهم بتحول الفاطميين إلى القاهرة . وإنما اعتمد الناشر اسماعيلي ، في دفاعـه البار عن الشاعـر - وهو اسماعيلي مثلـه - على الأبيات التي أدعـى فيها تشـييعاً قدـيمـاً وعـداءـ منـ الأـموـيـنـ كـادـ يـحـولـ بيـنهـ وبينـ المعـزـ ، فـصـدـقـ هـذـاـ الزـعـمـ ، وـنـسـبـ الفـعـلـةـ إـلـىـ بـنـيـ أـمـيـةـ ، فـأـصـبـعـ اـبـنـ هـانـئـ مـقـتـلـاً ، لـأـفـيـ مـجـلـسـ عـربـدـةـ ، بلـ فـيـ سـاحـةـ الشـرـفـ ، ضـحـيـةـ لـدـفـاعـهـ عنـ المـذـهـبـ الشـيـعـيـ .

ولو كان لفكرة الاغتيال السياسي من أحدى الدولتين المنافستين أو حتى من فلول الخارج ، نصيب من الرجحان ، لما أغفلها الرواة والمترجمون .

أما تاريخ مقتله ، فينبغي أن نقبل التاريخ الذي ذكره ياقوت وابن خلkan : يوم الأربعـاءـ 23ـ رجبـ 973ـ /ـ 29ـ آبـرـيلـ 1564ـ ، وربما نقلـهـ عنـ تاريخـ القـيرـوانـ لـابـنـ شـدـادـ ، أوـ عنـ نـسـخـةـ مجـھـولـةـ منـ قـرـاضـةـ الـذـهـبـ لـابـنـ رـشـيقـ . وـنـرـجـحـهـ لـأـنـ المعـزـ تركـ «ـسـرـدانـيـةـ»ـ قـرـبـ القـيرـوانـ فيـ صـفـرـ ، وـوـصـلـ إـلـىـ القـاهـرـةـ فيـ رـمـضـانـ ، فـمـنـ

الراجح أنه حلّ ببرقة في رجب . وبناء على هذا ، ينبغي رفض تاريخ 972/361 الذي ذكره ابن الخطيب .

وكانت سنه عند الوفاةاثنين وأربعين عاماً ، على ما ضبطته غالباً المصادر ، وقد حددتها بعض المترجمين بستة وثلاثين عاماً ، وسبق أن بينا خطأ هذا التقدير ، لأنّه يتربّع عنه أنّ مولد الشاعر كان سنة 326/937 ، وأنّ هجرته إلى المغرب في سنّ السابعة والعشرين وقعت سنة 353/964 ، ونعلم أنه في هذا التاريخ ، كان قد دخل بعد في خدمة المعز ، فلا شكّ أذن أنه عند موته كان قد تجاوز الأربعين .

برقة<sup>(1)</sup> اسماً قديماً لقرية المرج التي تقع اليوم على بعد مائة ميل تقريباً من بنغازي الحالية ، عاصمة الولاية الشرقية من ليبيا . وقد سميت المقاطعة كلها باسم عاصمتها على شاكلة كثير من البلدان الإسلامية ولا سيما بأفريقيا الشمالية : فتونس تعني البلاد وعاصمتها ، وكذلك الجزائر . وكذلك مرّاكش عند من سمي المغرب الأقصى باسم عاصمته المرابطية ثم الموحدية . أما « مصر » ، فقد كانت تعني قديماً الفسطاط ، وتدلّ اليوم على القاهرة العاصمة وعلى وادي النيل كلّه .

وفي خصوص وجهة الشاعر عندما لقي حتفه بهذه الصفة الفظيعة ، فإنّ المترجمين لا يتفقون : فهذا مثلاً ابن تغري بردي يقول أنه دخل إلى القاهرة في ركب المعز : « ... إلى أن قتل ببرقة في عوده إلى المغرب من مصر ، بعد أن مدح المعز العبيدي بغر المداائح . وكان عوده إلى المغرب لأخذ عياله ، وعوده بهم إلى مصر . وكان موته في رجب »<sup>(2)</sup> . ولكن سبق للمؤرخ المصري أن قال قبل هذا إن المعز دخل القاهرة يوم 8 رمضان ، فلم يتبعه إلى هذا الخلف : أن يعود الشاعر من القاهرة في رجب ، والخلفية لما يصلها بعد .

(1) انظر فصلي « برقه » و « بنغازي » بدائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الجديدة .

(2) النجوم الزاهرة ، ج . 4 ، ص . 67 .

لكتنا لا نرفض مبدئياً هذا الخبر ، إذ نجد في احدى مقطوعات مخطوط تونس 1 المجهولة ، ما قد يذاعمه . تقول مقدمة القطعة : « وقال أول دخوله مصر . . . »<sup>(1)</sup> . فهل يعني دخول مصر « الإقليم » أم دخول مصر العاصمة ؟ فإذا كان المعنى هو الإقليم المصري ، فقد نفهم من التوطئة أن الشاعر اجتاز الحدود - أو ما يعتبر حدًا - بين برقة ومصر مع الخليفة ثم قفل راجعًا إلى برقة في طريق العودة إلى أفريقية أو الزاب . فتبطل بذلك امكانية اقامته بالقاهرة ، ولو لمدة يوم واحد ، لأنها لا تتفق مع دخول المعز إليها في رمضان ومقتله هو في رجب برقة . ولا شك أن الأمر يتضح بصورة أو بأخرى لو علمنا بالتدقيق تاريخ مغادرة المعز لبرقة .

أما الأبيات التي تلي هذه الإشارة إلى دخوله مصر ، فيقول فيها :

[متقارب]

وَخَضِرْ تبارك من خصَّرَة  
يُصْبِّ من الكوب في القبرة(?)  
فَلَلَّهِ طرفَكَ ما أَسْحَرَة!  
كَلْعَبْ الفتى والفتى بالكُرَّة  
كَطِيرْ العواصِفِ بالزنبرة  
وَقُولُ البرية ما أَشْعَرَه!  
مَعَ الشِّعْرِ والظَّرفِ والمِحْبَرَة  
وَأَرْمَوا إِلَى فَضَّيَّةِ مُحَضَّرَة  
حَرَامْ حَرَامْ حِرَامَه ما أَقْذَرَه  
فَخِيرٌ من العيشَةِ الْمَقْبَرَة

- 1 أَقْوَلُ لَذِي قَامَةِ كَالْقَضِيبِ
- 2 وَوْجِيْهِ يَبَارِي سَنَاهُ الْمُدَامَ
- 3 أَلا فَاغْضُضِ الْطَرْفَ يَا ذَا الْفَتَى
- 4 لَقَدْ لَعْبَتْ بِي صِرَوفُ الزَّمَانِ
- 5 وَطَيْرَتْ شَرْقاً إِلَى غَرِبِهَا
- 6 وَيُعَجِّبُنِي أَنِّي شَاعِرٌ
- 7 وَلَوْ رَهْنُونِي وَكُتَّبَيْ مِعَا
- 8 عَلَى قُوتْ يَوْمٍ لَرَدُوا الرَّهَانَ
- 9 حَرَامْ حَرَامْ زَمَانُ الْفَقِيرِ
- 10 إِذَا كَانَ عِيشَ الفتى ضَيْقَأً

الأبيات الثلاثة الأولى نسيب عادي على طريقة ابن هانئ في الصنعة

(1) الحوليات ، 1972 ، ص. 85 .

والتكلف . أما السبعة الباقية فأمرها غريب لأنها أولاً تشکو الفقر بل الفاقة وفقدان القوت اليومي . وهذا عجيب في خصوص الشاعر الرسمي للدولة أصبحت تملك الغرب والشرق معاً: فمن أين يأتيه الفقر في هذا العز وهذه الأبهة الملكية ، وهو في ركب المعز ؟

ثم لأن الشاعر يصف عبث الزمان به فيقول أن المتروك تطيئه « شرقاً إلى غربها » ، فهذا الاتجاه غريب إذ من المتوقع ، وهو داخل إلى مصر من برقة ، أن يقول ، ان صح أن الزمان عبث به ، « غرباً إلى شرقها » . وفي البيت الرابع ، يشبه نفسه بالكرة التي يتقدّمها الصبيان ، ونحن نستغرب مثل هذا التشبيه لأنه لا مثيل له في شعره الآخر ، وإن كان نعرف أن القدماء عرفوا الكرة وشبّهوا بلاعبتها<sup>(1)</sup> . وأخيراً نتعجب من انتقاله المفاجيء من النسبي التقليدي إلى شکوى الزمان .

فلهذه الأسباب كنا محظوظين على اعتبارها منحولة إلى ابن هانيء ، أو منسوبة إليه خطأ ، فقلنا : لعل صاحبها هو ابن هانيء « الحفيد » ، وهو شاعر مصري عاش في القرن السادس / الثاني عشر ، وذكره العmad الأصفهاني في خريeditته وسمّاه الحفيد لأنّه يصعد في نسبة إلى صاحبنا . وكنا نرفضها بالرغم من ورودها في نسخة تونس 1 - ونعلم قيمة هذه المخطوطة وانفرادها بشعر له كثير - لو لا أن وجدنا في نفح الطيب<sup>(2)</sup> اشارة تدعّم نسبتها إلى شاعرنا : وفحوى هذه الحكاية الطريفة أن ملك السهلة ابن رزين الأندلسي<sup>(3)</sup> كان يستمع إلى قراءة من ديوان ابن هانيء ، وكان قارئه جاهلاً بالشعر ، فتغّرّ في قراءة أحد الأبيات وتلعثم بصورة جعلت الحاضرين يضحكون منه . وهذا

(1) انظر بيت المسّبّ بن عيسى في المفضلية رقم 11 في وصف سرعة ناقته : مرحث يداها للنجاء كائنا تكرُّو يكُفُّ لاعِب في صاع

(2) طبعة بيروت ، ج 3 ص. 407 ، حكاية رقم 198 .

(3) عن ملوك السهلةبني رزين ، انظر : ابن الأثار : الحلة ، ج . 2 ، ترجمة رقم 129 . وهـ . بيريس : الشعر الأندلسي ... الفهرس .

البيت هو التاسع من المقطوعة ، ولم يذكر منه المقرئ إلا الشطر الأول : حرام  
حرام زمان الفقر . . .

فهل يعني هذا أن المقطوعة لابن هانئ حقاً ؟ لا شك أن وجودها ضمن الديوان في القرن الخامس / الحادي عشر يبعث على الترتيث في اتهامها . فلننقل حينئذ أنها من شعر ابن هانئ ، ولكنها لم تنظم في مصر كما تدعى مقدمتها ، بل في أوائل قدومه إلى المغرب ، أو ربما حتى في الفترة الأندلسية من حياته : فأبياتها أرداً مبني ومعنى من أن تكون ثمرة كهولته . وحتى ان قبلنا نسبتها إليه ، فإن البيت الخامس في خلطه بين الشرق والمغرب يقف عرضةً في سبيل فهم صحيح وتفسير مقنع .

وبعد هذا ، يمكن أيضاً أن نعتبرها قطعة موضوعة ، من جنس الأبيات السخيفة التي نسبت إليه إبان دخوله على جعفر بن حمدون وأثناء لقائه المزعوم مع المتنبئ بالقرب من مدينة قابس : ولا غرابة أن تكون صورة الشاعر الشيعي قد بدأت تتشوه عند الرواة السنّيين وتتخذ أخباره صبغة الفكاهة بسبب انتسابه إلى الدعوة الممقوته .

ونعود إلى أقوال المترجمين في نوايا الشاعر ، واتجاهه : يقول ابن الخطيب ومن بعده ، ابن العماد ، أن ابن هانئ ، عند مقتله ، كان راجعاً من افريقية ، بعد ان رافق المعز حتى برقة . وهذا رأي لا يقبل كذلك لأن الشاعر حلّ ببرقة مع الخليفة في رجب ، فما كان ليترك ركب قبل أن يرحل عنها إلى القاهرة . وحتى ان فعل ، فإن الوقت أقصر من أن يسمح له بالرجوع إلى افريقية وجمع ماله وأخذ عياله والوصول من جديد إلى برقة قبل التاريخ المشؤوم : 23 رجب . فالثلاثة وعشرون يوماً لا تكفي لقطع هذه المسافة ذهاباً وإياباً ، وقد قطعوا المعز في أربعة أشهر ، إذ انطلق من سردانية في صفر ، فوصل إلى برقة في رجب . وقبله ، كان جيش جوهر بقي خمسة أشهر في طريقه من المنصورية إلى الفسطاط : من منتصف ربيع الأول 358 إلى منتصف

رمضان<sup>(1)</sup> . فحتى ان طرحتنا مدة السير من برقة إلى الفسطاط ، واعتبرنا أن الجيش الفاتح لم يكن يجد السير ، فإن الوصول إلى برقة لا يكون في أقل من أربعة أشهر . ونعلى كل حال ، فإن الرحالة القدماء يقدرون هذه المسافة بأربعين مرحلة على الأقل<sup>(2)</sup> .

فلذلك يتبع أن نأخذ برأي ابن خلkan ، الذي يتفق خبر ابن شداد بعض التأكيد : فقد قال صاحب تاريخ القيروان أن الشاعر قتل وهو لا يزال في حاشية المعز ببرقة . أما صاحب الوفيات ، فيرى أنه لقي حتفه بعد أن ودع المعز ، أي بعد أن استأنف الخليفة طريقه نحو الإسكندرية . وهذا ما تشعرنا به أيضاً قصيده الأخيرة التي أرسلها إلى المعز بعد توديعه ، ولا شك أنها بلغت الخليفة بعد مقتل الشاعر ، وفيها يعتذر على تركه الركب للرجوع إلى الزاب بسبب العيال ، ويتعهد باللحاق به في أقرب الأجال لاستئناف الاشادة بخصال الإمام : [طويل]

لما كان لي في الزاب من مُتلَّوم  
ولولا قطين في قصي من الشوَّى  
186/4: وفي ذمَلَانِ العِيسِيِّ كُلْتَا مَارِيِّ  
إذا أَرْقَلْتَ بِي مِنْ أَمْوَانِ وَعِيهِمْ  
187 فَمِنْهَا إِذَا عَدْتُكَ شِيعَةً مَقْدَبِي  
وَمِنْهَا إِذَا عَدْتُكَ شِيعَةً رِحْلَتِي  
188 قَصَائِدُ تَسْرَى كَالْجُمَانِ الْمَنْظَمِ  
192 ... وَعِنْدِي ، عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ وَنَاهِيَهِ

ولكن الأقدار حالت دون الشاعر وال الخليفة ، وأبانت عليه أن يتحقق وعده : فلا هو التحق بعدها بالمعز ولا قصائده .

(1) المقرizi ، اتعاظ ، ص. 139.

(2) الاصطخري : المسالك ، ص. 37.



## الفصل الخامس

### الإشارات التاريخية في الديوان

نريد في هذا الفصل والفصل الذي يليه، أن نتناول قصائد ابن هانىء بالتحليل والدرس فستخرج منها ما يمكن استخراجه من معلومات، خاصة أو عامة، وارشادات تاريخية أو حضارية ، تهم الفترة التي خدم فيها الشاعر المعز لدين الله الفاطمي . وقد سبق أن قمنا باستقراء مماثل في الفصل السابق ، إلا أننا ركزناه على المعلومات التي تبرز أهم أحداث حياة ابن هانىء . ولذلك نهتم الأن خاصة بالإشارات المتعلقة بحياة الخليفة مثلاً ، في سياساته وحربه وما وقع في مذته ، من وقائع هامة أو بسيطة ، بالقدر الذي يسمح به فهمنا للشعر وإمكانية ربطه بما أثبته التاريخ .

وفي مرحلة ثانية ، نقوم بنفس الاستقراء في خصوص القصائد السابقة للمدائح المعزيات . وقد سمحنا لنفسنا بهذه المخالفنة للترتيب الزمني ، فاهتممنا أولاً بالقصائد الإفريقية ، وذلك لما تمتاز به مدائح المعز من إمكانيات الاستثمار بالمقارنة مع بقية القصائد ، بما فيها مدائحبني حمدون .

#### الحياة بال بلاط المعزى

تساءلنا ، في الفصول السابقة ، عن حقيقة علاقة الشاعر بال الخليفة ، وشككنا في أن يكون ملازماً لل بلاط ، وشككنا حتى في وجود بلاط بالصورة

المعهودة ، أي صورة مجلس يعقده الملك أو الأمير في قصره ، ويختلف إليه جمع من خاصة دولته وشعرائه وعلمائه ، ويتوّزَع الاهتمام فيه بين إنشاد الشعر ، وسماع الغناء ، ومناقشة المسائل العلمية ، وحتى قضاء الوقت في الطرائف والملح ، وتكثر فيه من ناحية أخرى المنافسات والتحادس ويسعى كل واحد لكسب الحظوة على حساب غيره ثم المحافظة عليها والاحتياط من الخصوم والحساد .

والقصائد المعزَّية لا تفيينا في هذا الصدد بمعلومات كثيرة ، لا عن الحياة العامة بالمنصورية ولا عن الحياة الداخلية بالقصر . وليس هذا السكوت ذنب الشاعر وحده ، فحتى سيرة الأستاذ جوزر ، وكتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان لا تفيينا بشيء شاف كاف ، فصرنا نميل إلى الاعتقاد بأنه لم تكن بالمنصورية حياة بلاط ، وأن القصر لم يكن يضم غير أهله ، وربما علّنا هذا الانغلاق برغبة الخلفاء الفاطميين الشديدة في أن لا يُعطوا لرعاياهم من حياتهم الخاصة إلا صورة الجد والوقار ، بله التقشف والتبتل ، تلك الصورة التي يقدمها لنا المقرizi من المعزَّ وهو يستقبل جمعاً من أنصاره الكتاميين : يقع الاستقبال في غرفة عارية ، يضيئها قنديل ضئيل ، ولا أثاث لها إلا البسط مطروحة على الأرض ومكتب صغير يجلس الخليفة وراءه في جهة عادية ، وعلى المكتب كتب وسجلات غطّتها حتى تبعثرت على أرض الغرفة . فلا يشك الناظر في أن المعزَّ لا هم له إلا النظر في شؤون الدولة والدعوة ، يقضي في معالجتها الليل والنهار ، وربما ساعدته على ذلك زوجته ، فهي معه بالغرفة ولكنها قعدت وراء حجاب عند دخول الكتاميين . ويتوجه الخليفة إلى أنصاره بكلام بلغ ، فيحدّرهم من أتباع الشهوات ، ولا سيما شهوة الجسد ، ويحثّهم على الاكتفاء بزوجة واحدة حتى يحافظوا على طهارة النسب الذي منه انحدرت سلالتهم ، وتسليم جسومهم من الأمراض والأدواء . ويقول لهم من كلامه ، وكله يسمع من زوجته ، أنه يربط سلامتهم الجسدية والأخلاقية بغايات الدولة القرية في مصر ومقاصدها العسكرية في الشرق ، فإذا انحلّت

أخلاقهم بكثرة التسرّي واحتلط الدم في أولادهم وأحفادهم ، وسكنوا إلى الحياة اللينة ورکنوا إلى الدعة والأمن ، انخرمت قوتهم الحربية وضعفت عصبيتهم ، وقلَّ غناهُم في تحقيق مأرب الأئمة ، ذلك ما يصرّح به لهم : « ... والزموا الواحدة التي تكون لكم ، ولا تشرهوا إلى التكثير منها ، والرغبة فيها ، فيتغاض عنكم ، وتعود المضرة عليكم ، وتهلكوا أبدانكم ، وتذهب قوتكم ، وتضعف نحائزكم (طائعكم وأصولكم) . فحسب الرجل الواحدة ! ونحن محتاجون إلى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم ، واعلموا أنكم اذا لزتم ما أمركم به ، رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم »<sup>(١)</sup> .

ونحن ، اذ نتبسط في مظاهر التقشف الفاطمي بافريقيَّة ، لا نزعم أن الخلفاء كانوا يقضون كامل أوقاتهم على هذه الشاكلة التي وصفها المقرizi . بل نجد في مدائح الشاعر ، شيئاً من الوصف للاحفلات والمواكب التي ييرز فيها المعز إلى الناس ، في أبهة وبهجة ، تحفَّت به الخيل المطهمة ويعلو رأسه الناج المرصع ومن فوقه المظلة الفاطمية يرفعها الحاجب المكلف بها ليقِن الخليفة من حر الشمس . وهي مواكب الأعياد والجمع ، بين القصر والمسجد . ولكنَّ الغريب أن المؤرخين ، الفاطميين وغير الفاطميين ، لم يصفوا هذه المواكب ، حتى القاضي النعمان ، لم يبسط في كتاب « دعائم الإسلام » ، وهو حصيلة الفقه الفاطمي ، مراسيم الاحفلات الفاطمية الخاصة بالفترة الافريقيَّة ، ولا حتى الاحفلال بدذكرى غدير ختم يوم 18 ذي الحجة ، وهو عيد سيصبح له شأن عظيم في الفترة المصرية . فالمظنون عندنا أن سكوت الرواة عن مظاهر الحياة الخاصة وحتى العامة ، يُبرر كما قلنا بانعدام الظواهر التي تدعو إلى الوصف والتيسُّط ، فلا شك أنَّ الأئمة الأربع ، وهم مُنشئو الدولة وموطدو أركانها لم يكن لهم من الفراغ والدعة ما يدعوهם إلى إنشاء البلاط العامر وفتح المجالس الراخقة : فأئمَّة للقائم أو المنصور أو المعز

---

(١) انظر النص كاملاً في ص. 137 من اتعاظ الحنفاء .

أن يجمعوا الشعراء أو يسمعوا المغنّين ، وهم دوماً بين حملة بيزنطية وتسرب  
أموي وفتنة خارجية ؟

ولا ننسى بعد هذا ، أنهم كانوا محاطين بكرامة أهل افريقيا لهم ، أو  
على الأقل بالاحتراز والتحفظ ، إذ رفض أهل القيروان ادعائهم في الولاية  
على كافة المسلمين ، وتحويلتهم لطقوس الدين ، فاعتبروهم مارقين عن  
السنة والجماعة ، دخلاء على المغرب وعاداته ، فأطلقوا عليهم آسم  
«المشارقة» تحفظاً وربما آذراً . وفي هذا الصدد ، نجد في كتب  
الصالحين والزهاد ، كرياض النفوس للمالكي (453/1061) ومعالم الایمان  
للباغ (696/1297) ، أمثلة كثيرة من مقاومة القiroانيين ، السلبية أو الفعلية  
للنفوذ الفاطمي وطقوسهم المستحدثة بالأرض التي طبعها سحنون (240/954)  
بصلابته ورباطه جائشة .

فمن المقاومة بالرفض ، امتناع المؤذن القيرواني «عروس» عن النداء  
عبارة «حي على خير العمل» التي يتضمنها الأذان الشيعي ، فيقول  
المالكي : «... وفيها (في سنة 919/307) قُتل عروس المؤذن الرجل  
الصالح . كان رضي الله عنه يؤذن بمسجد عباس صاحب سحنون ، وكان  
اسمه منيب ، وسبب قتله أنه شهد بعض المشارقة أنه لم يقل في أدائه : حي  
على خير العمل . فقطع لسانه وقتل بالرماح بعد أن طيف به بالقيروان ، ولسانه  
بين عينيه ...<sup>(1)</sup>» .

وكذلك تمثّل الفقهاء في تقدير موعد الصوم والإفطار برؤية الأهلة ،  
ورفضهم للطريقة الحسابية التي عمل بها الفاطميون ، رغم أنها أضمن للتقدير  
الصحيح وأنهى للخطأ الناتج عن تعذر الرؤية ، مثلما يؤكده الداعي علم  
الإسلام صاحب المجالس المستنصرية : «... دخول الصوم والخروج منه  
(يكونان) بالرؤية والحساب جميعاً، إنّهما كالظاهر والباطن ، إذا أشكّل الأمر

---

(1) رياض النفوس ، مخطوط القاهرة رقم 116 ، ورقة 72 أ ، وج 152 من طبعة البكوش ، دار  
الغرب الإسلامي .

في أحدهما التمس في الآخر . . . فالهلال كالظاهر لأنه مشاهد ، والحساب كالباطن لأنه معقول . . . فان وافق الحساب الرؤية فقد اتفق الظاهر والباطن ، وزال الاشكال . . . وان وفي الحساب ، ولم يطبع الهلال علم أنه قد غم أو وقع في نظره إخلال . . . <sup>(1)</sup> . ويؤكد ذلك الداعي هبة الله الشيرازي في «المجالس المؤيدية ، بالحجج العقلية والنقدية» ، فمن النقلية والعقلية معاً تأويله الآية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ . . .﴾ بأن الله يشير إلى النصارى ، والنصارى لم يكن صومهم متعلقاً بالرؤيا بل بالحساب <sup>(2)</sup> .

ولكن الفقهاء تمسكون بالرؤيا فتعرضوا للنقطة والانتقام ، فيروي لنا المالكي في كثير من الاستفطاع ما نزل بأحدهم :

«وفيها (سنة 341) صلب محمد بن الجibli قاضي مدينة برقة . والسبب في ذلك أنه أتاه عامل برقة المعروف بابن كافي فقال له : إنَّهَ غداً العيد . فقال له : إن رُؤيَ الهلال الليلة ، كانَ ما قلت ، وان لم يرَ ، لم أفرجْ لأنَّه لا يمكنني أن أفتر الناس في يوم من رمضان واتقلَّذ ذنوبُ الخلق . فقال له : بهذا وصل كتاب مولانا . فالتمسَ الناسُ الهلالَ تلك الليلة فلم يرَوه . فأصبح العامل إلى القاضي بالطلبو والبنود وهيئَة العيد . فقال له : لا والله لا أخرجُ ولا أخطبُ ولا أصلَّى ولا أفترُ الناس في يومٍ من رمضان ولو عُلِقَتْ بيدي . فمضى العامل فجعل من خطبَ وصلَّى ، وكتب بما جرى إلى مولاه . . . (فاستقدمه إلى القبروان) فنضَبَ له صاريَاً عند الباب الآخر من أبواب الجامع الذي يلي درب المهر وعُلِقَ بيده في الشمس ، فأقام كذلك ضاحياً في شدة الحرّ يومه ذلك . فلما كان بالعشىٰ مات رحمة الله . وكان يطلب من يسقيه الماء في ذلك الحال ، فلا يجسر أحدٌ من الناس (على)

(1) المجالس المستنصرية نشر محمد كامل حسين ، ص 128-129 من المتن وص 216 من التعليقات .

(2) البرقة ، 183 . وانظر ما ي قوله محمد حسن الاعظمي في كتابه : «الحقائق الخفية . . .» الرؤيا والحساب ، وتعليق صوم رمضان كاملاً ، وكذلك عن التقويم «المصرى» الفاطمي .

سيه . . . ثم صلبوه على خشبة بباب أبي الريبع رحمه الله »<sup>(1)</sup> .

أما المقاومة بالتحرك ، فتظهر في إفتأتهم بشرعية الانضمام إلى ثورة أبي يزيد على الحكم المشرقي « فقتل هؤلاء القوم أفضل من قتال المشركين » ويمضي المالكي في سرد كرامات أبي الفضل الممسي الفقيه فينقل اليها فتواء في وجوب الخروج مع أبي يزيد « لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الإسلام ، ولو زأوا وسرقوا ، وبنو عبيد ليسوا كذلك ، لأنهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا توارثوا معهم ولا تنتسبوا . . . »<sup>(2)</sup> .

وفعلاً حمل كثير من صلحاء القيروان السلاح مع الخوارج ، فاختاروا بين الشررين أخفهما ، راجين من الله أن يُظهرهم على المشاركة أولاً ، ثم أن يسلط على أبي يزيد من يقهره بدوره . هذه هي السياسة التي صرّ بها أبو إسحاق السبائي عند خروجه إلى الوادي المالع حيث سيشهد مع أربعة وثمانين من أهل القيروان : « . . . فعلينا أن نخرج مع هذا الذي من أهل القبلة لقتال من على غير القبلة ، وهم بنو عدو الله . فان ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد لأنه خارجي ، والله عزّ وجلّ يسلط عليه إماماً عادلاً فيخرجه من بين أظهرنا ويقطع أمره عنا »<sup>(3)</sup> .

وقد حفظ المنصور ثم المعز على أهل القيروان خذلانهم وتحالفهم مع صاحب الحمار ، بل من الدارسين من يعزّو انتقال المعز إلى القاهرة ، إلى هذه العداوة الدائمة بين القيروان والدولة الشيعية . وفي هذا التعليل شيء من الصحة ، وإن كان السبب الرئيسي في نظرنا هو عزم المعز على الاستيلاء على الشرق العباسي . ولكن لا شك في أنه كان يضيق بتحفظ القيروانيين ، فلم يكن هذا الجو ملائماً لازدهار حياة البلاط ولا للإكثار من مظاهر الأبهة والسؤدد

(1) رياض النفوس ، ورقة 192 ب ج 404 من طبعة البكوش دار الغرب الإسلامي .

(2) نفس المرجع ، 297/2 .

(3) نفس المرجع ، 339/2 .

إزاء الرعنة ، لا سيما وأنَّ الدعوة الفاطمية أتت مستنكرة للترف العُباسي عازمة على إبطال اللهو والانحلال وتعويضه ببساطة السلف الصالح والصدر الأول . فلذلك لا نجد صدى للأبهة الملكية في فترتهم المغربية . أمّا في مصر ، فقد لان لهم القياد ، واتساع سلطانهم ، ونقص زدهم ، فلذلك تبيّنوا في المراسم الملوكية وحياة البلاط وتفخيم المواكب والاحتفالات<sup>(1)</sup> .

ولئن تعرض الشاعر إلى بعض هذه المظاهر من الحياة العامة ، فإنه يحيطها بضبابٍ من الإبهام لا يسمح قطُّ بوضعها في إطار جغرافي وتاريخي معين ، فلا اسم المدن يدققه ، لا القيروان ولا المنصورية ولا المهدية ، ولا برقة التي مدح صاحبها ، ولا حتى المسيلة التي قضى بها خمس سنوات .

فإذا استثنينا الزاب والمغرب الأقصى اللذين يذكرون أحياناً ، وجبال الأوراس التي ذكرت مرّة واحدة ، واعتبرنا في الجانب المقابل إفراطه في التمثيل بجبال جزيرة العرب ، وقرى الحجاز وأودية نجد ، حقّ لنا أن نتساءل : هل كان صاحب الديوان مغربياً إفريقياً ؟

وكذلك الأمر في خصوص الأشخاص ، فإنه لا يذكر إلا الممدوحين المعروفين كالمعزٌّ وبني حمدون وأفلح الناشر وجوهر . أمّا الآخرون ، من كبار رجال الدولة كالقاضي النعمان ، وجودر الحاجب ، وأمراء صقلية الكلبيين ، وخصوصاً الأمراء الصنهاجيّن البرابرة ، فلا يذكر اسمهم ولو مرّة واحدة ، لا تصريحًا في القصائد ولا تلميحاً في توطئاتها . وقد فسرنا إعراضه عن رؤساء صنهاجة بأحد أمرين : إمّا تبنيه لعداوة بني حمدون لهم ، وأمّا نخوتة العربية اليمنية التي تحمله على احتقار العنصر البربريِّ مهما علت مكانته ، مثلما يدفعه تعصّبه للتقاليد العربية في الشعر إلى أن لا يشبه بناء شامخاً لا برضوى وكبكب وحصناً منيعاً لا بالأبلق . ولعله بعد هذا كان متاثراً

---

(1) ما. كانار : المراسم الفاطمية ص. 417 .

هو أيضاً بجُوَّ الضيق والفتور الذي يميّز العلاقة بين الخليفة ورعاياه<sup>(1)</sup>.  
ولتنظر على كل حال في هذه الاشارات ، مهما كان غموضها وقلة  
غنائها .

### الاحتفالات العمومية وظهور الخليفة فيها

يشير الشاعر مثلاً إلى الاحتفالات الخاصة بشهر رمضان ، ولكن بدون  
تفصيل : [كامل]

٩٢/١ يفديك شهر صيامنا وقيامنا ثم الشهور له بذلك فداء  
ونجد اشارة مماثلة الى شهر الصيام في القصيدة الأولى التي أنسدتها  
أمام المعز ، ولعل إلقاءها كان فعلاً في رمضان : [كامل]

٨٢/٥٣ فَرَضَانِ من صَوْمٍ وَشُكْرٍ خَلِيفَةٌ هَذَا بِهَذَا عِنْدَنَا مَقْرُونٌ  
وفي قصائد أخرى ، نجد إشارة الى عيد الفطر كان للعيد موكيتا يتضمن  
فيما يتضمن إنشاداً للشعر : [خفيف]

٢٥/٣٥ لَبِسَ الْعِيدُ مِنْهُ مَا يَلْبِسُ الإيمانُ من نضل سيفه البراق  
٢٦ وَجَلَّا الْفِطْرُ مِنْهُ عَنْ تَبَوِيَّ أَيْضُ الْوَجْهِ أَيْضُ الْأَخْلَاقِ  
وكذلك عيد الإضحى فرصة لمدح الخليفة ووصف الاحتفال الرسمي  
الذي يحضره المعز مع بطانته : [كامل]

٢٢/٤١ فَأَعْضُ طَرْفًا عَنْ سَنَاهُ كَلِيلاً  
٢٣ وَالْأَرْضُ يَعْتَرُ بِالْأَسْنَةِ وَالظُّبَى  
٢٤ وَالخَافِقَاتُ عَلَى الْوَشِيجِ كَائِنًا

(١) ما. كانار : حياة ... ص. 15-14.

(٢) السنع : الجميل اللطيف ، والظبي : السيف . والوشيج : قضبان الرماح . والمعصرات :  
السحب . والذحل : الثار .

## المظلة

هذه المظلة الممتدة الأطراف ، التي تصاحب الخليفة في كل تنقلاته الرسمية وكأنها من لوازم الملك كالثاج والمصولجان عند غيره ، يصفها ابن هانئ في شيء من التبسيط ، فيشيّبها في امتدادها وسعة دائرتها بالسحابة ، ولعله يلمح إلى الغمامات التي ورد في السيرة النبوية أنها كانت تلازم محمداً (صلى الله عليه وسلم) في أسفاره : [خفيف]

30/35 **وَغَمَامٌ فِي ظِلِّ الْوَيْلِ الْتَّضَرِ** سِرِّ ، فِيمَنْ رَاجِفٍ وَمِنْ خَفَاقِ

هذه الغمامات منسوجة من الذهب بخيوط مضاعفة ، مرصعة بالجواهر ،  
تشبه في علوها القباب التي تُثْنَبُ على الطعائين فوق مطايهاهن : [كامل]

27/41 **وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَمَامَةٌ نَشَأَتْ تُظَلِّلُ تَاجَهُ تَظَلِّلِ الْأَلا\***  
28 **نَهَضَتْ بِثَقْلِ الدُّرِّ ضَوْعِفَ نَسْجُهَا فَجَرَتْ عَلَيْهِ عَسْجَدًا مَحْلُولًا**  
32 **... رُفِعَتْ لَهُ فِيهَا قِبَابٌ لَمْ تُكُنْ ظُفِعَنًا بِأَجْرَاعِ الْحِمَّى وَحَمُولًا**

وعليها نقشت صور حمام في أيكه ، فكلما تحركت أضلاع المظلة  
خفقت أجنحة بنات الهديل كأنها تستعد للانطلاق في الجو :

33 **أَيْكَيْهُ الْذَّهَبُ الْمُرَصَّعُ رَفَرَقَتْ فِيهَا حَمَّامٌ مَا دَعَوْنَ هَدِيلًا**  
34 **وَتُبَاشِرُ الْفَلَكَ الْأَثِيرَ كَائِنًا تَبْعَيْ بِهِنَّ إِلَى السُّمَاءِ رَحِيلًا**

## الخيل

للشاعر اهتمام خاص بالخيل ، لأن الخليفة حسب زعمه ، ميال إليها  
عطوف عليها ، عليم بأنواعها وشبياتها . فكثيراً ما يلجأ إلى تشبيه أفراس المعز  
بالغوانى الحسان : [كامل]

39/41 وَكَانَتَا الْجُرْدُ الْجَنَاثِبُ خُرَّدٌ سَفَرْتُ تَشُوقُ مُتَيْمًا مَتْبُولًا

ويشيد بمحبة الخليفة للخيل ، فهو الذي يتغیر لكل فرس اسمًا أو لقباً ، وبيني له مقصورة شبيهة بالقصر في العلو : [متقارب]

32/58 وَلَمَّا تَخَيَّرَ أَنْسَابَهَا تَخَيَّرَ أَسْمَاءَهَا وَالْكُنْتَى

33 وَلَيْسَ لَهَا مِنْ مَقَاصِيرِهِ سَوْئِ الْأَطْمِ الشَّاهِقِ الْمُبَتَّى

ولا بدّع أن يكون الخليفة شديد الشغف بالخيل ، وبالتالي أن يتتوسع ابن هانىء في وصفها والإشادة بها : أليست هي دواب الحرب قبل غيرها ؟  
فلذلك نراه يصفها أيضاً في حالة الشدة والجهاد : [طويل]

30/37 لَهُ الْمُقْرَبَاتُ الْجُرْدُ يُنْعِلُهَا دَمًا إِذَا قَرَعْتَ هَامَ الْكُمَاءِ السَّنَابِكُ

31 يُرِيقُ عَلَيْهَا الْلُؤْلُؤُ الرَّطْبُ مَاءَهُ وَيَسْكُبُ فِيهَا ذَائِبُ التَّبِّرِ سَابِكُ

ولا شك أن محبة الشاعر لها ليست وليدة عطف الخليفة عليها : فهو يحبها لذاتها محبة صادقة ولا يتزلف إلى المعز بوصفها ، ودليلنا على ذلك أنه شخص لها أربعين بيتاً من القصيدة 23 التي وصف فيها هدايا جوهر إلى المعز من مصر . تضمنت الهدية مجموعة من عتاق الخيل ، فأخذ الشاعر في تعداد محسنهما ، وتدقيق ألوانها ، وتفنن في اختيار اللفظ والصورة حتى برع المشهد تحفة فنية رائعة . وسنعود إلى هذا الوصف حين ندرس فن ابن هانىء ، وبالخصوص تأثير المرئيات في أفقه الشعري .

## السيف ذو الفقار

في هذه المواكب يتقدّم الخليفة سيفه ، ويدعوه الشاعر « ذا الفقار » مسيرةً للاعتقاد الشيعي في أن سيف الأئمة انما هو سيف الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي « لم يضرب به غير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلى

وصيٍّ ، ياعطائه إيه له ، فلم يعطه أحداً قطُّ غيره<sup>(1)</sup> . وقد اغتصبه العباسيون فاسترجعه أبناء فاطمة في ظروف عجيبة رواها لنا القاضي النعمان . ثم توارثه الأئمَّة أباً عن جِدٍ يخرجون به إلى الأعداء فيهزموهم ، ولا سيما المنصور في وقعة « الخصوص » أو « الحريق » ضدَّ صاحب الحمار . يصف النعمان بطولات السيف وجهاد المنصور فيقول على لسان أحد الشهداء : « وكان يوماً شديداً ، وقد أخذ العدو علينا مضائق الجبال ، وأحدقوا بنا من كل جانب ، وهو (المنصور) بيننا صلٰى الله عليه وآلـه ، يقدُّمنا ، وهذا السيفُ في يده وقد انتضاه ، فإذا رفع يده به وحمل على ناحية من نواحي العدو ، انهزموا بين يديه كأنَّما غشيتهم صاعقة من السماء » .

فلا غرو أن يكون هذا السيف « على قصره وقلة قدره في العين » عظيم الشأن عند الفاطميين ودعاتهم ، وذلك « لاختصاص الله عز وجل به رسول الله صلٰى الله عليه وآلـه ، واحتياطه على الكرامة التي أكرمه بها ، والحجَّة التي اختصَّ بها ، والعلم الذي أودعه إيه ، لأنَّ السيف في الظاهر آلة الغلبة باليد ، والعلم في الباطن آلة الغلبة باللسان والحجَّة » .

وهكذا صار ذو الفقار ، بانتقاله من الرسول إلى عليٍّ ، رمزاً لانتقال الإمامة الدينية والزمينة ، ووراثة العلم الباطن ، « فاختصَّ علياً صلوات الله عليه بما لم يختصَّ به غيره<sup>(2)</sup> .

وقد روَيَتْ في شأن صنعه الأوَّل أعاجمٌ أخرى ، ذكر بعضًا منها الأميني في موسوعة الغدير . وكذلك فصلوا ماتهـه ومناقبه وبلاعه في بدرٍ حتى ان صوتاً سماوياً - وقيل جبريل نفسه - صرخ :

لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا على

(1) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات 114-115.

(2) القاضي النعمان : المرجع المذكور .

فصار هذا البيت نشيداً ينشد في الواقع وشعاراً ينفعه الصياغ على ما يصنعونه من سيف ، تفاؤلاً وتبركاً<sup>(1)</sup> .

واكتسب ذو الفقار صفة قدسية لأنَّ رمز مادي للوصية ، أي لإمامية عليٍ ، كما أنَّ حديث الغدير هو الإعلانُ المعنويُّ عليها ، واقترب اسمُه في ذاكرة الشيعة باسم وارثه وصاحبِه ، علي بن أبي طالب .

وعلى مرَّ الزمان ، انتقل اسم « ذو الفقار » من الحديد إلى البشر ، فصار يطلق على الأشخاص ، خصوصاً عند شيعة القارة الهندية ، كما صار اسم الحسين - الحسن والحسين - يعين الرجل الواحد ، في مصر مثلاً .

ولا يفوّت الشاعر أن يشيد بسيف المعزَّ ، ويلحّ على كونه موروثاً عن النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) : [كامل]

69/41 لك حُسْنَةً متقدلاً وبهاةً مُشَكِّباً ، ومَضَاؤَةً مَسْلُولاً  
74 ... سَمَاءً جَدُّكَ ذَا الفقار ، وإنما سَمَاءً مَنْ عَادَيْتَ : عَزْرَائِيلَ  
على أنه يطلق اسم ذي الفقار على كل سيف مسلول في خدمة الأئمة ،  
كما رأينا في مدحه للشيباني<sup>(2)</sup> : [بسيط]

66/60 لِلَّهِ مَا تَنْتَصِبِي مِنْ ذِي الْفَقَارِ وَمَا تَشَدُّ مِنْ عَصْدِ الرَّأْيِ الإِمَامِيِّ

## النَّاج

لا يصف ابن هانئ بالتدقيق ناج الخليفة ، وإن كان ذكره غير ما مرَّ ، في صورة تشعر بأنه إكليل بارز لامع يُرى من بعيد ويعثُر مرآه الرعب في قلوب

(1) عبد الرحمن زكي : النقوش الزخرفية والكتابات على السيف الإسلامية ، صحيفة المعهد الإسلامي بمدريد ، 1957 ، ص 203 .

(2) انظر الفصل الثالث ، ص 98 .

41/9 بِهِتُوا فَهُمْ يَتَوَهَّمُونَكَ بَارِزاً    وَالْتَاجِ مَؤْتَلِقاً عَلَيْكَ لَمُوحَا

وبالرغم من أن ابن حماد<sup>(1)</sup> يزعم أن المعز هو أول من تتوج من ملوك بنى عبيد ، فانا نظن ، مع ماريوس كانار<sup>(2)</sup> ، أنه لم يكن تاجاً بالمعنى المعروف ، أي غطاء مصنوعاً من معدن نفيس مرصع بالحجارة الكريمة ، بل كانت عبارة «التاج» تطلق على عمامة الخليفة مشدودة حول الرأس بطريقة خاصة به . فلو كان تاجاً فخماً ، كما سيصير عند فاطمي مصر ، لما أغفله الشاعر ولتبسط في وصفه كما فعل بالمظلة . بل بالعكس نراه يذكره ، في قصيدة أخرى ، بكيفية تشعر بأنها العمامة لا غير : ذلك أنَّ الخليفة ، حين بلغه انتصار أسطوله ، قبل الأرض سجوداً لله وحدها ، فتعَفَّر وجهه و«النظم والإكليل» ، أي نظام العمامة وكيفية شدها : [كامل]

13/40 . . . وَسُجُودَه حَتَّى التَّقَنَ عَفْرُ الْتَّرَى    وَجَبِينُه وَالشَّفْمُ وَالْإِكْلِيلُ

فلا شك أنهم اصطلحوا على عمامة الخليفة فسموها تاجاً نظراً لامتيازها بلون خاص وقماش خاص ، وربما لترصيعها فيما بعد بالجواهر . وكذلك اصطلحوا على العمامة التي اختص بها بعض حجاب قصورهم ، فسموها الحنك لأنها كانت تدار على الحنك ، وسموا صاحبها الأستاذ المُحَنَّك<sup>(3)</sup> .

## العرش

تتضمن العواكب الرسمية مجلساً عمومياً يظهر الخليفة أثناءه لرعايته ؛ وقد تبسط في وصفه مؤرخو مصر خاصة ، مما يدل على أنه لم يكن بافريقية

(1) أخبار بنى عبيد 45 . وانظر : صبح الأعشى 3/468 و 480 .

(2) المراسم الفاطمية . . . Cérémonial 390-392 .

(3) المقربي : خطط 4/67 . وانظر : صبح الأعشى 3/477 .

على نفس الأهمية ؛ وهو يخضع ، حسب ما ورد في وصف المقريزى<sup>(1)</sup> ، لترتيب مضبوط ونظام مقرر يقصد منه بعث الهيبة والخشوع في نفوس العامة : فالخليفة يجلس على عرشه ، دون أن يراه الحاضرون ، فإذا استوى على مقعده في كامل عدّته ، جذب الحجابُ ستائرَ كلَّها دفعة واحدة ، فيبرز الإمام آنذاك لرعاياه المبهورين في عظمته الكاملة .

يحدثنا الشاعر عن ستائر التي تحجب المعز ثم ترفع سدولها فجأة فتنطق ، وهي العجماء ، بجلالة الإمام : [كامل]

57/41 ولَحَظْتُ مِنْبَرَكَ الْمُعْلَى رَاجِفًا      منْ تَحْتِ عَقْدِ الرَّاَيَتِينَ مَهْوَلًا  
58 مَسْدُولَ سِرْ جَلَالَةِ أَنْطَقْتُهُ      فَرَفَعْتُ عَنْ حِكْمِ الْبَيَانِ سُدُولًا

في الحقيقة ، لا يتحدث عن « عرش » ، بل يذكر « منبراً » ، فهل يعني أن هذه الجلسات العمومية كانت تقع بالجامع ؟ أم يستعمل عبارة « منبر » في معنى لغوّي بحت ، وهو المقعد والموقف المرتفع شيئاً ما عن الأرض ليسهل على الخطيب إبلاغ صوته ؟ لا ندرى ، وإن كانت الأبيات المعاوية ترجح أن المقصود هو المسجد الجامع : فالشاعر يشيد بتقوى الإمام وجهاده وعطافه على الحجيج : [كامل]

59/41 وقضيت حجَّ العام مؤنفاً ، وقد وَدَعْتَ عاماً للجهاد مُحِيلاً  
أن عبارة الشاعر في هذا البيت شديدة الغموض في الحقيقة : فقوله « قضيت حجَّ العام » لا يدع في الظاهر مجالاً للشك في أن المعزّ حجَ إلى مكانة ورجع منها بعد إتمام المناسب ، وعبارة « مؤنفاً » تشعر بأنه قضى هذا الفرض ابتداءً ، أي لأول مرّة<sup>(2)</sup> . ولكن ، من جهة أخرى ، لم يذكر المؤرخون قط أن المعز قد حجَ إلى البيت ، بل يستخرج من كتب المقريزى عدد فيه « من

(1) خطط ، 215/2 .

(2) اثنف الشيء ، واستثنفه : أخذ أوله وابتدأه ( اللسان : أنف ) .

حجَّ من الخلفاء والملوك »<sup>(1)</sup> أنَّ الخلفاء الفاطميين لم يحجَّ منهم أحد ، سواء في الفترة المغربية أو المصرية . ولو كان المعزَ راجعاً من المناسب ، لما اكتفى شاعره بهذه الاشارة الغامضة للإشارة بهذا الفعل المبارك . فماذا يعني إذن ؟

لعلَ الخليفة استقبلَ وفداً من الحجيج فأغدق عليهم النعم ، أو شفع لهم ، كما يقول الشاعر ، فرفع عنهم مظلمة :

60/41 وَشَفَعْتُ فِي وَفْدِ الْحَجِيجِ كَائِنًا نَفَّلْتُهُمْ إِخْلَاصَكَ الْمَقْبُولَاً  
ولكن ، أي شفاعة وأي مظلمة يعني ، أيقصد القانون الذي كان أصدره المهدي عبيد الله سنة 921/309 موجباً على كلَ من يقصد الحجَّ مهما كان منطلقَة ، أن يمرَ بالعاصمة (المهدية) ليدفع الضرائب الموظفة عليه في كل ولاية يمرُ بها ؟ وقد كان هذا القرار ، حسب ما يذكره ابن عذاري<sup>(2)</sup> ، سبباً من أسباب النكمة على العبيدين ، لأنَّه يضاعف المسافة ويطيل السفر على الحجيج . فهل أبطل المعزَ العملَ به ؟ ولكن ما بال المؤرخين لا يذكرون له هذه المكرمة ؟

أم هل يشير إلى توصل والدة المعزَ إلى ابنها في أن لا يحرك جيوشه نحو مصر قبل أن تقومَ هي بواجب الحجَّ ، ثم رغبتها إليه أن يؤجل الحملة إلى ما بعد وفاة كافور ، اعترافاً له بما حباهما به من حسن القبول عندما مررت بارضه في طريقها إلى مكة ؟ لا يسعنا ، في كلَ هذا ، إلا التساؤل ، نظراً لغموض عبارة الشاعر ، بل واستغلاقها لأنَّها لا تتفق في الحقيقة مع أيٍ من هذه الافتراضات .

ومن هذه المكرمات التي صنعها المعزَ بالمسجد ، يذكر الشاعر أيضاً

(1) ص 12 من مقدمة كتاب « الذهب المسبوك » .

(2) ابن عذاري : بيان .. ج 1 ، ص 186 .

عفوه على «الناكثين» ، ولعله يعني بعض التأثيرين الذين وقعوا في قبضته :

61/41 وَصَدَرْتَ تَحْبُّو النَّاكِثِينَ مَوَاهِبًا هَزَّتْ قَوْلًا لِلسَّمَاحِ فَعُولًا  
ولكته حسب المألف ، لا يذكر أسماءهم ، ولا ظروف نكثهم .

## مدى حظوة الشاعر لدى المعز

نعود الآن إلى البحث عن مرتبة ابن هانئ بين شعراء الدولة ، وذلك على ضوء ما يتقدم به إلى الخليفة من شكواه وتذمرات من الحساد ، على غرار ما يشكوه المتنبي في بلاط سيف الدولة .

لا يوضح لنا أسماء هؤلاء الحساد ، ولا سبب حسدتهم ، وإنما نفهم أنهم يرمونه بالتزلف الكاذب إلى الخليفة طمعاً في عطائه وبذلك الطمع يفسرون غلوه في المدح . ويدفع الشاعر التهمة فيؤكد أنه صادق في مدحه لا يحدوه حرص ولا طمع : [طويل]

63/3 أَرَانِي إِذَا مَا قُلْتُ يَتَأَشَّكِرْتُ  
64 أَفِي كُلّ عَصْرٍ قُلْتُ فِيهِ قَصِيَّةً  
65 وَمَا غَاظَ حُسَادِي سِوَى الصِّدْقِ وَحْدَهُ  
66 وَمَا قَصَدَ مِثْلِي فِيهِ حِرْصٌ وَتَرْغِيبٌ

وقد نسبت سعايةً من هذا النوع إلى ولی العهد تميم ، وعللت بغيرة الأمير الشاعر من حظوة ابن هانئ عند أبيه . ولكن ، لا يمكن أن نعد تميناً من الطامعين في جوائز الخليفة ، فتحشره في زمرة هؤلاء الحساد الذين يشكوهם ابن هانئ . فالارجح أنه يتذمر من بقية شعراء القصر ، وان كنا نجهل أسماءهم : فهو يبحث الخليفة على أن يحكم بينه وبينهم حكماً عادلاً ، فيحله محل اللائق به وهو محل رب القرىض ، دون أن يطالبه ، مثل المتنبي ، «بكبتهم» لازالة حسدتهم :

68/3 أَبْنَ مَوْضِعِي فِيهِمْ لِيَفْخَرُ غَالِبٌ  
69 بَيْنَ يِسِّيَّاهُ ، وَيُذْهَرُ مَغْلُوبٌ

وَقَدْ أَكْتَرُوا ، فَأَحْكُمْ حُكْمَةَ فَيَصِلِ لِيَعْرَفَ رَبُّ فِي الْقَرِيبِ وَمَرْبُوبٌ!

فمن هُم هؤلاء الشعراء الذين كانوا له الاتهام في بلاط الخليفة؟ أن المصادر لا تذكر لنا شيئاً عن هذا التنافس . ولا شك أن الشعراء كانوا كثيرين بالقิروان في مدة المعز ، وأن منهم من تجاسر على مدح الإمام الشيعي بالرغم من استنكار الفقهاء والصلحاء . ولكن لم يصلنا شيء من شعرهم ، إما لأنهم كانوا مغمورين لم تثبت قصائدهم أمام تعاقب الأزمان والعصور ، وإما لأن دواوينهم اختلفت بعد تراجعبني زيري عن الولاء الفاطمي سنة 1015/407 ورجوعهم إلى مذهب السنة . وبقيت لدينا أسماء بدون آثار ، مثل ابن القتار الذي ذكره المالكي<sup>(1)</sup> ضمن مادحي الأئمة ، وكان معاصرًا لشاعر آخر عرف بهجائه لهم ، اسمه سهل بن إبراهيم الوراق<sup>(2)</sup> ، أو ، إن وصلتنا منهم أشعار ، فهي مطهرة من المعاني الاسماعيلية مقتصرة على وصف الخيل أو القصور ، مثل المقطوعات التي احتفظ بها الحصري من شعر علي بن محمد الآيادي وهو شاعر عاصر المعز والتحق به بالقاهرة ومات بعده<sup>(3)</sup> . ولعل موقف هؤلاء الشعراء ازاء الفاطميين كان صورة من موقف أهل القิروان ، في تقسيمهم بين قبول النفوذ الفاطمي ومقاومته .

أما الشعراء الآخرون ، الذين توسع المالكي ثم الدباغ في نقل أخبارهم ، فهم أقرب إلى الفقهاء منهم إلى الشعراء المحترفين فتظهر مشاركتهم في الشعر السياسي المذهبية عرضية . من هؤلاء ، أبو القاسم الفزارى الذى لم يرو له صاحب الرياض الآل الشعر المناهض للشيعة ،

(1) رياض النفوس 495/2 .

(2) حوليات 1973 ص 142 . وانظر رسالة بوبيحي : الحياة الأدبية . . . 144 حيث وضع الوراق سهواً في الفترة الصنهاجية .

(3) زهر الأدب / 1003 . وانظر : ح . ح ، عبد الوهاب : الأدب . . . 96 وبوبيحي : المرجع المذكور 89 . وانظر شعر الإيادي في حوليات 1972 وكذلك فصل « الإيادي » في ملحق دائرة المعارف الإسلامية .

وبخاصة رثاءه للفقيه الممسي الذي لقى حتفه في صفوف أبي بزید بوقعة الوادی المالع سنة 944/333 ، ثم مقطوعتين في هجاء العبيدین ، وكان المالکي أهل عن قصد « القصيدة الفزاریة » التي مدح بها المنصور بعد ظهوره على صاحب الحمار ، ليکفر بدون شك عن هجائه السابق للأئمة<sup>(1)</sup> . وهي ، على طولها ، لا تتضمن مدحاً كثيراً ، فالقسم الأول منها ، وهو الأطول - 33 بيتاً من 63 - خصصه الفزاری لذكر فرسان العرب وكرمائهم وحملائهم والتذکر بما ترثهم تمهدأ لطلب العفو الذي تقدم به في القسم الثاني . وقد عفا عنه المنصور حسب ما يرويه المخطوط ، بالرغم من معارضته بعض بطانته ، كمحمد بن عبد الله الأبروطي<sup>(2)</sup> ، وهو شاعر شيعي حاول أن يثنى الخليفة عن الصفح ، فذکرہ بأهاجي الفزاری في آل البيت : [متقارب]

**أَيْمُشِي الْفَزَارِيُّ فَوْقَ التُّرَابِ      وَأَظْفَارَةٌ فِي كُمْ دَامِيَاتِ؟**

ولكن هذا الشاعر مجهول لدينا ، وكذلك راوي شعره في المخطوط ، وهو ينقل عن مؤرخ يدعى العتqi<sup>(3)</sup> .

أما علي الايادي التونسي ، فقد عرف بمدحه للقائم الخليفة الفاطمي الثاني ، وقد روى لنا ابن رشيق خبراً مفاده أن شعراء القیرونان ( ولا يذكر صاحب العمدة أسماءهم )<sup>(4)</sup> قد هجوا ابن هانئ عند قدومه الى عاصمة الخلافة ، فقيل له : هل أجبتهم ؟ فترفع عنهم جميعاً ، الا عن الايادي فقال : لو هجاني الإيادي لهجوتة . فرفعه بهذا الجواب الماهر على غيره ، لذلك لم يشا الإيادي أن يهجوه . وعلى كل حال ، لا نظن أنَّه كان من بين

(1) نشرنا القصيدة الفزاریة في *الحویات* 1972 ص 110 ، وانظر فصل « الفزاری » في ملحق دائرة المعارف الإسلامية .

(2) أو البرقطي . انظر *الحویات* 10 ص 154 وعدد 17 ص 56 .

(3) *حویات* ، 1972 ، ص 110 وعن العتqi ، انظر : عمر السعیدي : مقدمة العيون والحدائق ص 35 ومحمد كامل حسین : في أدب مصر الفاطمية ، ص 110 هامش ۱ .

(4) العمدة ، ص 111 .

الشعراء الذين يشكون لهم ابن هانئ ، لأنّه كان اذ ذاك طاعناً في السن ، وربما انقطع عن قول الشعر ، رغم لحاقه بالمعزّ عن سن تناهز المائة . ولشن مدح المعزّ ، فإنّ مدحه لم يصلنا منه الا قطعه المشهورة في وصف « دار البحر » أي قصر الخلفاء بالمنصورية .

ويذكر الدباغ شاعراً فقيهاً آخر اسمه « ابن الرئيس »<sup>(1)</sup> ، ولكنه يؤرخ وفاته - وكذلك وفاة الفزاري - بسنة 956/345 ، أي قبل وصول ابن هانئ إلى القيروان بثمانى سنوات . ونجد أيضاً في بعض المصادر أبياتاً من أرجوزة تنسب إلى شاعر شيعي يدعى المرزوبي ، أو المروروذى أو المرودي ، ويبدو أنه ابن المرزوبي القاضي الشيعي الذي عرف بتتكلمه بفقهاء السنة بالقيروان<sup>(2)</sup> . ولم تذكر المصادر أن المرزوبي الشاعر كانت له صلة بابن هانئ .

فلا يمكن اذن أن يكون هؤلاء الشعراء من حسّاد صاحبنا ومنافسيه في بلاط المعزّ . فلا يسعنا اذن إلا أن نسجل له هذا التذمر دون أن نتأكد من صحة مزاعمه ، لجهلنا بهوية مبغضيه .

ولعل توجّهه إلى المعز حتى يفصل بينه وبينهم يدل على أن الخليفة كان يغالب أحياناً تكشفه الطبيعي فيفرضى بالاستماع إلى مدح شعرائه ، نزولاً منه عند رغبتهم أو آقتناعاً بأهمية الشعر في نشر الدعوة الفاطمية وإعلاء كلمة الأئمة ، كما يظهر من عزمه على مباهاة المشارقة بشاعره ابن هانئ . ويمكن أن يكون صاحبنا تجاسراً على تقديم شكواه أثناء جلسة من هذا النوع فطالب بتقديمه على غيره ، محتاجاً بمavanaugh شعره اذا ما قورنت بقوافيهم الباردة : [ طويل ]

67/37 تُسِيءُ قَوَافِيهَا ، وَجُوْدُكَ مُحِسِّنٌ وَتُشَيِّدُ إِرْنَانَا ، وَمَجْدُكَ ضَاحِكٌ

(1) معالم ، ج . 3 ، ص 68 .

(2) الطالبي : تراجم أغليبة ، ص 516 ( فهرس ) . وانظر الحوليات 1972 ص 110 .

وهو ، إذ يقيم هذه المقابلة ، يلاحظُ أن جوائزهم تفوق جائزته هو ، وأنه يرضى رغم ذلك بنصيبيه ، لأنه لا أملَ له في الدنيا إلَّا البقاء بجنب الخليفة ، حتى وان سهل عليه تحصيل رزقه في بقاع أخرى من الأرض :

68/37  
وَتَجْدَى وَأَكْدَى ، وَالْمَنَادِيجُ جَمَّةٌ فَمَالِيْ عَنِيْ الْبَالِ ، وَهِيَ الصَّعَالِكُ ؟  
71 . . . وَمَا سَرَّنِي تَأْمِيلُ غَيْرِ خَلِيفَةٍ وَأَنِي لِلأَرْضِ الْغَرِيقَةِ مَالِكُ  
ولعلَ في هذا البيت الأخير شيئاً من التهديد بالتحول إلى مددوحين  
آخرين ، كما فعل المتنبي مع سيف الدولة .

ومهما يكن من أمر هؤلاء الحساد و موقف الخليفة من شعراته فواضح أنه لي رغبة صاحبنا فقدمه على غيره وجعله شاعره الأول : بذلك يشهد تأييه الوجيز له حين نعي اليه .

## حروب المعز في شعر ابن هانئ

نجد في مدائع المعز صدى واسعاً للحروب التي تخوضها الجيوش الفاطمية ، وهي حروب داخلية وخارجية . فالداخلية هي الحملات التي يجهزها المعز داخل الإمبراطورية ، أي في حدود الخلافة ، بالمغرب الأوسط مثلاً ، لاخضاع القبائل المستعصية ، أو بالمغرب الأقصى للقضاء على الدوليات المستقلة أو المتحالفة مع الأمويين . أما الخارجية فهي التي تستهدف القضاء على الخلافة العباسية ويسقط نفوذ الشيعة على المشرق ، كما تتجاهله النفوذ الرومي البيزنطي في البحر الأبيض المتوسط وجنوب إيطاليا (الأرض الكبيرة) وجزيرة صقلية .

في هذه الأغراض الحربية ، يظهر ابن هانئ شاعراً متحزباً حقيقة ، مقتناً بالمبادئ الاسماعيلية ، عاملاً على نشرها بشعره كما تنشرها الجيوش الفاطمية بالسلاح ، مسخراً فته ولسانه لخدمة الأئمة ، ورثة الحكم الذي وهبه

الله لجدهم محمد صلى الله عليه وسلم .

وتشيّعه هذا هو الذي يُحمله على اعتبار جميع خصوم المعز كفرة مشركين ، مهما كانت نحلتهم . حتى الأمويون والعباسيون كفار مارقون ، اذ لا يبقى على ايمانه من قاوم الامام المعمصون ولم يعرف بحقه في الاستئثار دون غيره بحكم المسلمين . لذلك نراه يبحث المعز على مواصلة الزحف نحو الشرق بعد احتلال جوهر لمصر : [ كامل ]

39/30 فَإِلَى الْعِرَاقِ ! وَدَرْ لِمَنْ قَدَّمَهُ مِضْرًا ، فَهَذَا مُلْكُ مِضْرٍ قَدْ صَفَا !  
ويتبّأ للمعز بنصر قريب في العراق يُحلّه محلّ الغاصبين ببغداد ( الزوراء )  
فيقف الشاعر بين يديه منشداً مشيداً :

56/30 وَخَطَبَثُ بِالزَّوْرَاءِ أُخْرَى مِثْلَهَا وَوَقَتُ بَيْنَ يَدِيكَ هَذَا الْمَوْقِفَا  
وقبّلها تبّأ كذلك لجوهر بالغبة ، لا على مصر فحسب ، بل على كامل  
الشرق حتى خراسان : [ طويل ]

76/27 وَلَمَّا حَثَثَتِ الْجَيْشَ لَأَخَ لِأْهْلِهِ طَرِيقُ إِلَى أَقْصَى خُرَاسَانَ مَهْيَعًا  
ولا شك أنه ، اذ يتتبّأ بهذه الانتصارات المرجوة ، يصدر عن رأي الخليفة فيعلن عن هذه البرامج العسكرية القرية ، كما لو كان شعره صحيفة ناطقة بمقاصد الدولة ، الظاهرة والخفية .

## العمليات بالمغرب

يتوسّع ابن هانىء في استعراض الحملات التي يقودها جوهر ، أو أمراء الزاب وحتى الخليفة نفسه ، ضد القبائل البربرية التي يحرّكها حكام قرطبة ضد الحكم الفاطمي بالمغرب . ففي أول مدحه له بأرض العدوة يروي في شيء من التفصيل ، العمليات التي قادها جوهر ضدّبني موسى بن أبي العافية المكناسيين . فقد قهرهم وأرجعهم إلى الجادة ، أي إلى الولاء الفاطمي ، ولكنه

عفا عنهم ، وسمح لهم بمعادرة المغرب والالتحاق بالأمويين : هذا ما نفهمه من عبارة « سيف » ( بالكسر ) التي تعني الساحل والشاطئ : [ طويل ]

أَهْبِثْ لَهُمْ تِلْكَ الرَّعَازِعَ لِقَحَا  
وَكُنْتَ حَرَيْاً أَنْ تَمَنَّ وَتَضَفَحَا  
فَمَلَكْتَ أُولَاهُمْ عِنَانَ مُسَرَّحاً

56/10 وَفِي آلِ مُوسَى قَدْ شَتَّتَ وَقَائِعاً  
59 صَفَحْتَ عَنِ الْجَانِينَ مَنَا وَرَافَةً  
60 وَقَدْ أَزْمَعُوا عَنِ ذَلِكَ السَّيْفِ رِحْلَةً

ويفصل كذلك حملة جوهر على ابن واسول ، وظفره به وبابنه ، أما الوالد فقد أسره جوهر وأرسله في قفص الى المنصورية كما قلنا :

وَرَحَزَحْتَ سَوْلًا فِي آبَنْ وَآسُولَ عَنْوَةً  
43 ... أَقُولُ لَهُ فِي مُوْتَقِ الأَسْرِ عَانِيَا  
44 لَئِنْ حَمَلْتَ أَشْيَاعَ بَغْيَكَ فَادِحَاً

33/10 وَأَدْرَكْتَ سَوْلًا فِي آبَنْ وَآسُولَ عَنْوَةً

أما ابن ، فقد كان أشد شكيمة من والده ، فقتله جوهر ، لكن لهجة الشاعر في حديثه عن هذا الشاب البطل ، أقرب الى الرثاء منها الى التشفي ، كان عاطفته الرقيقة غلت الى حين متطلبات المدح ، فلم يخف شفقته على هذا الجذع الباسق الذي قطع فجأة :

وَأَجْمَعَ فِي شَيْءِ الْعِنَانِ وَأَطْمَحَا  
45/10 وَلَا كَائِنِهِ أَذَكَى شِهَابَ بِمَعْرِكٍ  
يَدَ فَجَرَتْ مِنْهُ جَدَاؤَلْ سُيَحَا  
46 مَرَّتْ لَكَ فِي الْهَيْجَاءِ مَاءَ شَبَابِه  
وَأَنْكَلَتْهُ مِنْهُ الْقَضِيبَ تَهَضَّرَتْ  
47 لَعْمَرِي لَئِنْ الْحَقْتَهُ أَهْلَ وَدِه  
48 لَعْمَرِي لَئِنْ الْحَقْتَهُ أَهْلَ وَدِه

ولن يعود الى مثل هذه الرأفة في حديثه عن مقتل محمد بن خزر الثائر الزناتي ، بل تطفع القصيدة بمعاني التشفي والسخرية ، ذلك أن الشاعر الذي كان لا يتمالك عن الرحمة والتأسف أمام مشهد شاب قصف شبابه وأريق منه

(1) تهضرت : انكسرت وتندلت . صُرخ : يس . الاوحي : الاسرع .

ماء الحياة، تعلم اليوم كبت عواطفه بعد اثني عشر عاماً قضتها في الأجواء الرسمية ، فصار لا ينطق الا بما يعجب ممدوحه ، أو أصبح إيمانه بالمبادئ الشيعية على درجة من العمق والقوة بحيث يرى في كل خصم للدولة خصماً له . ولعل هذا التحول في الانتماء هو الذي يبرر اختلاف اللهجة بين عرضه لمقتل ابن أمير سجلammaة سنة 347/959 ، وعرضه لنهاية محمد بن خزر سنة 359/970 : فالشفقة هناك صارت هنا تشفيّاً ، والعطف على القبيب المقطوع أصبح الآن استهزاء وتهكّماً ، حتى شجاعة القائد الشيخ وإباوه الذي جعله يخier الانتحار على ذلّ الأسر ، لا يرى فيما ابن هانىء إلا لجاجة وتماديًّا على الغيّ ، وكذلك تأثيره القوي في قبيلة زناتة لأنها ترى في ثورته رمزاً لتعلقها بالحرية . هذه السلطة الروحية لابن خزر على أتباعه لا يعتبرها إلا جهالة منهم وسفهاً ، وكل مناهضة للفاطميين إنما هي مناهضة للدين والإيمان والهدى ، وهكذا يصبح كلّ خصم لهم كافراً مشركاً مارقاً : [بسط]

22/43 **لَقَدْ فَصَمْتَ مِنْ أَبْنَى الْخَزْرِ طَاغِيَّةً** صُبْتَ الْمَقَادِيْأَبَاءَ عَلَى الْجَدَلِ  
 23 **إِذْ لَا يَرَال مُطَاعِيًّا** فِي عَشِيرَتِهِ تُلْقَى إِلَيْهِ أُمُورُ الزَّيْغِ وَالْجَلِلِ  
 26 . . . **مِنْ جَاهِدِي الدِّينِ وَالْحَقِيقِ الْمُنْبِرِ وَمِنْ** غَادِي الْأَئِمَّةِ ، وَالْكُفَّارِ بِالرُّسُلِ

ويصور في مشهد فظيع ، ما آل اليه هذا النّاثر الأبيّ : قطعوا رأسه ونصبوها في سنان رمح وأرسلوها إلى المعز بالمنصورية ، ويدقق ابن هانىء وصفه لملامح هذه الرأس الميتة ويذكر الصور القاسية فيشهي انحسار الشفتين عن الأسنان بالابتسامة المرّة ، ويمثّل حركة الرأس فوق الرمح الذي يحملها باهتزاز الرقص ، ولكنه رقص بلا توقيع كما كان الابتسام بلا سرور :

28/43 **أَتَاكَ يَعْلُوُهُ مِنْ عِصَيَانِيهِ خَفَرُ** حَتَّىٰ كَانَ بِهِ ضَرِبًا مِنَ الْخَجَلِ  
 29 **يُدِيرُهُ الرُّمْحُ مُهْتَزًا بِلَا طَرَبٍ** إِلَى الْكَتَابِ ، مُفْتَرًا بِلَا جَدَلِ  
 31 . . . **كَانُمَا غَضْ جَفْتِيَ الْأَزُومُ عَلَىٰ** صَدِرِ الْقَنَاءِ أَوِ اسْتَحْمَى مِنَ الْعَذَلِ

بهذا التصوير القاسي الفظيع ، وان كان ذا قيمة فتية لا تنكر ، يرهن ابن

هانىء على تحوله النهائي الى الولاء الشيعي ، وتبئيه لعداوتهم بقدر ما تبئى مبادئهم ، فهذا التفتن في الوصف ، هذا الاغراق في التشفي ، لا يفسران فقط بضرورات الخدمة والتقارب الى الممدودين بل فيما أكثر من ذلك : فيهما الانتفاء إلى الدعوة، والتحزب الكامل لها، وتسخير كل الطاقات لخدمتها.

## فتح مصر

تعرّض ابن هانىء للحملة على مصر ، وانتصار جوهر السريع على فلول الاخشيديين وادارته الحكيمه للبلاد في انتظار قدوم المعز اليها ، في ثلاث قصائد على الأقل ، اثنتان منها في مدح الخليفة ولكنهما تعظمان شأن جوهر ، والثالثة في الاشادة بجوهر مباشرة .

تشعرنا مدحه جوهر - القصيدة رقم 27 - بأنّ الشاعر قد ساير الجيش الفاتح على مرحلة من مراحل طريقه الى مصر ، ذلك لأنّه يصف هذا الجيش العرم وصفَ معاينة ، لا وصف سماع او تخيل ، بل يعلمنا أنه التحق بعسكر القائد ليلاً على شاطئ البحر ، بعد أن انطلق الجيش من رقاده<sup>(1)</sup> ، فبات ليته مع الجيش ، دون ان ينام لأن الجلة والضجيج منعا عنه الكوى : [ طويل ]

13/27  
فَلِمَّا تَذَارَكْتُ السَّرَادِقَ فِي الدَّجَى  
14 فَتَخْرُقُ جَيْبَ الْمُزْنِ ، وَالْمُزْنُ دَالِحٌ  
15 فَبِثُّ وَيَاتَ الْجَيْشُ جَمَّا سَمِيرَةٌ  
يُؤَرَّقِي ، وَالْجِنُّ فِي الْبُعْدِ هُجَجَ

وفي الصباح الباكر يتحرّك المعسكر بعدهه - ثمانون ألفاً في قول الشاعر - فتلمع السيوف وترعد أبواب المندىن وتصلصل الأسلحة ، ويزر جوهر في جمع غفير من القواد والخدم على الخيول المطهمة ، كأنه ملك في حاشيته ، تتبعه خيمته العالية الشامخة كأنها قصر منيف ، وقد لبس الحلّة التي

(1) ابن خلّakan : وفيات ، ترجمة رقم 141 . وتقول بعض المصادر بأن الانطلاق كان من قرية تدعى « سردانية » ( انظر ص 134 وص 138 ) .

كساه ايها المعز عند توديعه له :

وَيَقْدِمُهُ زَيْلُ الْخِلَافَةِ أَجْمَعُ  
تُقَادُ ، عَلَيْهِنَّ النَّضَارُ الْمَرَصُعُ  
وَحُجَّابُهُ تَذْعَى لِأَمْرٍ فَتُشَرِّعُ  
ثَمَانُونَ أَلْفًا : دَارِعٌ وَمُفْقَعُ  
أَنَّاَخَ ، وَشَمْلُ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَمَعُ  
كَسَاهُ الرِّضَى مِئَهُنْ ما لَيْسَ يُخْلِعُ

31/27 تَحْفَ بِهِ الْقُوَادُ ، وَالْأَمْرُ أَمْرٌ  
35 . . . وَيَبْيَنَ يَدِيهِ خَيْلَهُ بِسُرُوجِهِ  
36 وَأَغْلَامُهُ مَثْشُورَةً وَقِبَابَهُ  
41 . . . وَسَلَّ سُيُوفَ الْهِنْدِ حَوْلَ سَرِيرِهِ  
43 . . . وَتَضَحَّبُهُ دَارُ الْمَقَامَةِ حَيْثِمَا  
44 بُرُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بُرُودَهُ

بهذه التفاصيل عن قوة الجيش الفاتح ، يشعرون ابن هانىء بقوّة الدولة الفاطمية وثروتها المادّية ، فيدعم ما يدعوه المؤرخون عن ازدهارها الاقتصادي والمالي ، الذي تمثل في تلك الرُّوحِيَّ من الذهب الخالص التي سبّكتها المعز وحملها معه إلى القاهرة .

ويعود إلى وصف الجيش الفاتح في مدحه المعز - القصيدة 46 - ويدرك من جديد تشيعه له ، معتذراً على اضطراره إلى الرجوع ، مؤكداً أنه ، لو لا هذه العوائق - العائلية؟ - لرافقه إلى النهاية : [ طويل ]

12/46 فَشَيَعْتُ جَيْشَ النُّصْرِ تَشْيِعَ مُرْزِعٍ  
13 وَقَدْ كَذَّتُ لَا أُلُويَ عَلَى مَنْ تَرَكْتُهُ  
14 وَلَوْ أَنِّي اسْتَأْثَرْتُ بِالْإِذْنِ وَحْدَهُ لَسِرْتُ ، وَلَمْ أَحْفَلْ بِلُومَةِ لَا إِمْ

وقد صدرت هذه القصيدة في الديوان بتوطئة يفهم منها ان المعز هو الذي رافق الجيش في طريقه إلى الفتح ، وتبني الفكرة بعض المؤرخين كالمربي والقلقشندى<sup>(1)</sup> والمستشرقـ. ماسى في دراسته للقصيدة 22 اذ يقول : « . . . القصيدة 46 التي يشيد فيها ابن هانىء برجوع المعز إلى

(1) اتعاظ . . . ص 162 - صبح . . . : ج 3 ، ص 345 .

المنصورية بعد تشيعه للجيش المتوجه الى مصر<sup>(1)</sup> . والرأي عندنا أن التشيع كان من الشاعر ، لا من الخليفة ، وانما وقع الخطأ للتباس ضمير الغائب : «وقال يمدح الخليفة ، وهو (المعز أو الشاعر على السواء) بالمنصورية بعد رجوعه (رجوع الشاعر) من معسكر جوهر ، ويصف القائد ويعذر له عن المواصلة» . فقراءتنا هذه أوفق لمضمون القصيدتين 27 و 46 ، وان كنا لا نستبعد أن يؤدي الخليفة زيارة أو أكثر الى معسكر جيشه في طور إعداد الحملة ، كما يقول ابن خلّakan بصريح العبارة<sup>(2)</sup> .

وممَّا يَدْعُمُ قراءتنا لهذه التوطئة وفهمنا لها على الأساس الذي بسطناه ، أنَّ الشاعر ، في الأبيات الأخيرة منها ، يحمل تحيَّاتِ الجيش الى الخليفة ، ويقدم اليه انطباعاته المتفائلة عن الجندي ، كأنَّه مراسلٌ حربيٌّ يرفع تقريره الى رئيسه . فما حاجة المعز بتحياتِ الجيش أو بهذه الانطباعات ، ان كان هو الذي شَيَعَ جوهرًا ؟

48/46      49      50  
 48/46      49      50  
 كَرَائِمَ تُهَدَى عَنْ نُفُوسِ كَرَائِمٍ      إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلْتُهَا  
 وَدَائِعَ الْأَمْوَالِ تَحْتَ الْخَوَاتِمِ      شَهَادَةَ بَرًّا لَا شَهَادَةَ آثِيمٍ

ونكتشف من خلال كلام الشاعر في هذه القصيدة ، أنَّ الفاطميين مهدوا للحملة العسكرية بحملة دعائية واسعة النطاق ، استعملوا فيها الإغراء المادي لكسب الأنصار و «شراء الضمائر» كما نقول اليوم ، فكان الذهب الفاطمي هو الذي غالب الانشيديين ، «والعطايا الجسام» هي التي تفسر سهولة الانتصار ، وركود أنصار الانشيد وسكتوت العباسيين وحماتهم منبني بويه ، اذ ليست المناوشات التي قادها أفلح الناشب أو جعفر بن فلاح بكافية لاضعاف الخصم بصورة تمنعه من كل مقاومة :

(1) قصيدة ابن هانئ في فتح مصر ، ص 121 .

(2) الوفيات ، ترجمة رقم 141 .

39/46 . وَمَا غَالِ جَيْشَ الشَّرْقِ قَبْلَكَ غَائِلٌ      وَلَا سِيمَّا بَعْدَ الْعَطَابَيَا الْجَسَائِمِ  
 40 وَيَغْدُ صِلَاتٍ مَا رَأَى النَّاسُ مِثْلَهَا      وَلَا حَدَّثُوا فِي السَّالِفِ . الْمُتَقَادِمِ  
 ويظهر أن هذه «السياسة» كانت طبيعية معهودة ، اذ لا يتحرج الشاعر  
 من ذكرها ، بل نراه يُشيد بها ، و يجعلها من مزايا جوهر .

أما القصيدة 22، فقد نظمت بعد الفتح، إذ يتعرض فيها ابن هانئ إلى  
 سياسة جوهر في المصريين: حكم عادل، لا ظلم فيه للناس ولا انتزاع للضياع  
 والمكاسب ، ولا ضرائب جائرة تنقل كاهل الرعية ، بل استقامة ونزاهة  
 وعدل ، وهي الخصال التي ورثها جوهر عن الخليفة ، فأصبح أهل مصر  
 مبهجين بالحكم الجديد مرتاحين إليه بعد أن ذاقوا الأهوال من فساد  
 الاخشidiين ونهبهم وظلمهم ، وعادت الطمأنينة إلى النفوس وذهب الخوف  
 من القلوب ، حتى صار الناس لا يترقبون فيضان النيل بنفس اللهفة ، لأن  
 جوهرًا وحده بمثابة النيل المنعش والغيث النافع : [ طويل ]

68/22 إِلَيْكَ أَمْدَ النَّيلُ أَمْ غَالَهُ جَزُرُ؟  
 71 يَقِي جَانِبَيْهَا كُلُّ حَادِثَةٍ تَعْرُو  
 78 هِيَ الْآيَةُ الْمُجَلَّى بِرُهَانِهَا السِّحْرُ<sup>(1)</sup>  
 80 ... وَأَوْصَيْتُهُ فِيهِمْ بِرْفَقَكَ، مُرْدَفًا  
 84 ... بِذَلِكَ لَا ضِيَاعَ حَلَّلُوا حُرْمَاتِهَا

في البيت 80 اشارة الى العهد الذي قطعه جوهر باسم المعز للمصريين  
 ليضمن حرّيتهم في الطقوس الدينية وفي أموالهم وتصرفاتهم . وقد قرئت هذه  
 الوثيقة الطويلة على المنابر في كافة قرى مصر ومدنها<sup>(2)</sup> .

ويعود مرة أخرى الى ذكر مصر في القصيدة 43 التي نظمها سنة

(1) اشارة الى سحرة فرعون ولقائهم مع موسى عليه السلام .

(2) المقرizi : اتعاظ ... ص 148 - 153 ( نص العهد ) .

971/360 ، بعد ظفر المعز بثأثر مغراوي آخر يدعى أيضاً ابن خزر . وفحوى الاشارة أنَّ «ملك مصر قد صَفَّا» وأنَّ الأمن استتب بال المغرب بسقوط آخر رأس من رؤوس زناته ، فالوقت حان اذن ليقضي الخليفة فريضة الحجَّ : [بسيط]

63/43 فَرَغْتُ لِلْحَجَّ مِنْ شُعْلِ الْهِيَاجِ فَلَوْ سَأَلَتْ مَكَّةَ، قَالَتْ: هَيْتَ فَارْتَحِلْ!

وفي هذه الدعوة تدعيم لما أولنا به البيت 59 من القصيدة 41 اذ قلنا ان المعز لم يحجَّ قط ولا أحد من الخلفاء الفاطميين<sup>(1)</sup> .

على أنَّ تحريضه للخليفة على الحجَّ لا يصدر في نظرنا عن تقوى وورع شديدين ، وإنما يُتَّخذ الحجَّ ذريعة لحثِّ المعزَّ على مواصلة الزحف بالشرق للقضاء على الغاصبين العباسيين ، اذ لا حجَّ الا بعد الاستقرار بمصر ، والاستقرار بمصر هو الذي يسمح بتحقيق المآرب الشرقية .

ولا يفوتنا أخيراً أن نشير الى القصيدة 23 التي وصف فيها هدايا جوهر التي بعث بها الى الخليفة من مصر ، وأطال خاصَّة في وصف الخيَّل ، وقد تحدَّثنا عن هذه القصيدة ، وسنعود اليها في الحديث عن القسم الوصفيَّ .

## تعيين عبد الله بن المعزَّ على ولاية افريقية والمغرب؟

في هذه القصيدة 43 بالذات ، يلفت انتباها أمر لا علاقه له بمصر ، وهو أن الشاعر يتهم بن معزَّ الثاني ، الأمير عبد الله ، في وظيفة كأنَّه ظنَّ أنها ولادة العهد ، فيؤكِّد أنَّ السلطان الفاطميَّ تدعَّمت أركانه بهذا التعيين وأمِّن كلَّ خطر :

65/43 فَقَدْ تَوَطَّدَ أَمْرُ الْمُلْكِ فِيهِ، وَقَدْ نَدَبَتْ نَدْبَاً إِلَيْهِ غَيْرَ مُنْكِلِ  
66 أَعْزَرْتَ مِنْهُ مَصْوَنَ الْعِرْضِ لَمْ يَنْدِلِ لَمَّا شَدَّدْتَ بِعَبْدِ اللَّهِ عُرْوَتَهُ

(1) انظر أعلاه ص 154 .

هكذا كنا نظن ، وبعد البحث تبيّن لنا أن تعين عبد الله ولیاً للعهد بعد عزل أخيه الأكبر تميم كان أمراً معروفاً منذ ستين على الأقل ، اذ أعلن عنه بين ستين 357 و 358/9<sup>(1)</sup> في حين أن هذه القصيدة نظمت سنة 360 إثر القبض على ثائر زناتي آخر ، يدعى أيضاً ابن خزر . فكيف يشيد ابن هانئ بحادث معروفة من ذمة ، مشهور في أنحاء الخلافة ، وكأنه حدث جديد ينبغي نشره واذاعته والتعريف به ؟ فلا بد أن يكون اتهاجه متعلقاً بحدث آخر ، غير معروف آنذاك ، أو هو ولد ذلك العام بالذات .

ولما كان المعز ، في تأهله لمعاذرة إفريقيه ، يبحث عن خليفة له على المغرب كلّه ، ففكّر أولاً في تعين جعفر بن حمدون ، ثم لما خذله أمير الزاب ، حسب بعض المصادر ، أو لما أفرط في الطمع والاستثمار ، حسب مصادر أخرى ، ففكّر في القائد الصنهاجي بلقين بن زيري ، قلنا : لعله ، في هذه الفترة التي لم يستقرّ اختياره فيها على خلف ، ففكّر في تعين ولی العهد ، ولو بصفة مؤقتة ريثما يستقرّ له رأي ، أو لعله فكر حقيقة في اقسام الخلافة المتعددة ، بينه وبين ابنه .

لا ننكر أن هذا الافتراض بعيد ، فإن المؤرخين القدماء لم يشيروا إلى هذا الأمر ، أو ، إنهم أشاروا إليه ، ففي عموم شديد ، مثل المقريزي الذي ينقل عن ابن سعيد أنّ بلقين (يوسف) بن زيري قال إن المعز « ولّى عهده (بعده) ابنه الشاعر تميناً ثم عزله ، وولى ابنه عبد الله إفريقيه ، ثم ولّى ابنه بمصر العزيز الذي صحت له الخلافة بعده ». وحتى أن استنكر ابن سعيد هذا الخبر ، قلا يمنع أنه قد ذكر على كل حال<sup>(2)</sup> . كذلك المختصون بتاريخ الفاطميين ، مثل الأستاذ الدشراوي ، لم يثروا هذه القضية . ثم إننا رأينا امكانية الخلط بين الأسماء : فقد كان للملوك الصنهاجيين والى على افريقيه

(1) سيرة جوزر ، النص المترجم 213 تنبية 467 .

(2) انماط الحنفاء ج 2/236 .

يدعى عبد الله بن محمد ، ولكن هذا الوالي سمي سنة 976/365 ، بعد موت الشاعر والمعز معاً ، ثم أن نسبة القصيدة الى صاحبنا لا شك فيها . فلذلك اضطررنا الى هذا الافتراض ما دام الشاعر يعظم هذا الحدث ويتفاعل به خيراً ، ويرجوه نتائج طيبة عاجلة ، منها قهربني أمية على يد عبد الله بعد قهره بني خزر - وهذه ناحية أخرى مجهلة عند المؤرخين ، اذ لم يخبرونا بأن عبد الله بن المعز هو الذي قاد بنفسه حملة سنة 971/360 ضد زناتة ومغراوة - ثم أنه لا يُستبعد - في البيت 78 - أن يكون مقر الأمير غير مقر الخليفة . أفلأ يعني هذا أن عبد الله سيصبح خليفة لأبيه بالمنصورية ، بعد انتقال المعز الى القاهرة ؟ وهذه هي الأبيات المشكّلة في القصيدة ، بعد البيتين السالفين :

- 70/43 وإن ملكاً أفرَّ اللَّهُ قُبَّةَ  
 75 ... فالفتحُ مِنْ أَوَّلِ النُّعْمَىٰ بِهِ وَلَهُ  
 76 بِرِيحِهِ أَرْدَتِ الْهَيْجَانَ بَنِي خَزَرَ  
 78 ... مَهْمَا أَقَامَ، فَذُو التَّاجِ الْمُقِيمُ وَإِنْ  
 83 ... إِنَّ لَذَّتْ لَنَا مِصْرُ وَسَاكِنُهَا  
 ولِسَوَابِعِ الْمَهْرِيَّةِ الْذُمُلِ

فإن صح افتراضنا<sup>(1)</sup> نكون قد توصلنا ، أخيراً وبعد لأي ، الى استخراج معلومات مجهلة جديدة من هذا الشعر المبهم الغامض ، ويرهنا ، بعد غيرنا ، على أن النصوص الأدبية قد تخدم التاريخ ، بل إن الأدب والتاريخ متداخلان متكملاً متماسكان .

## الحرب ضد بيزنطة

كان فقهاء القيروان يعتبرون جزيرة صقلية وولاية قلورية بجنوب ايطاليا « دار جهاد »<sup>(2)</sup> وفيها كانت تدور الحرب بين الفاطميين والنصارى البيزنطيين .

(1) لقد فصلنا عناصر القضية في فصل نشرناه بمجلة الدراسات التونسية ، عدد 85-87 ص 7.

(2) الدشراوي : جزيرة اقريطش ... ص 309 .

وتعتَّلُ اشارات الشاعر بوقعتين هامتين دارت رحاهما بِصَقلَّية ومجاز مسينا سنة 965/354 ، وكللتا بنصر عظيم للفاطميين . وصورة الأحداث ، كما يرويها ابن الأثير وغيره ، ممَّن جمع نصوصهم ميكال أماري في تاريخه لصَقلَّية ، وكما يفصلها شلومبرجي في دراسته الضخمة عن الامبراطور البيزنطي نقول فقاس<sup>(1)</sup>، هي هذه :

استولت الجيوش الفاطمية بقيادة الأمراء الكلبيين ، على مدينة طبرمين (طاورينا حالياً) بالجنوب الشرقي من صَقلَّية سنة 962/351 ، ومنها أخذت تغزو جنوب ايطاليا ، فاستقرت بجهة ريو (عاصمة ولاية قلورية أو كلابريا اليوم) ، ثم أخذ الأمير الحسن بن عمار الكلبي في محاصرة قلعة رمطة (رميطا) التي تبعد بستة أميال غربي مسينا ، وكانت رمطة آخر معقل مسيحي ، غير خاضعة للكلبيين وللسلطان الفاطمي ، فاستجده أهلها بالدمستق نقول ، فجهز أسطولاً بقيادة عمّه منويل فقاس ونزلت الأمداد الرومية بالساحل فحاصرت بدورها المسلمين وسدّت عنهم المنفذ ، فالتحم الجيشان في قتال شديد ، فقتل منويل ، ففتّ قته في عزم جنوده ، فتفرقوا وتبعهم المسلمون فحصروا عدداً كبيراً منهم بشعب لا مخرج منه وقتلوهم تقليلاً ذريعاً . والتحق الآخرون بمراتبهم فطلبو المدد وجندوا العساكر من قلورية وجهات ايطاليا الأخرى وعادوا الى القتال ، فاعتراض الأسطول الفاطمي مراكب الروم ، وتحول القتال الى معركة بحرية بين المراكب المجهزة بمدافع النفط ، فأحرق الناطون المسلمين كثيراً من المراكب البيزنطية ، ولاذ باقي الأسطول الرومي بالفرار . وتمَّ هذا النصر ، ويدعى وقعة المجاز عند المؤرخين ، سنة 965/354 .

فأشاد به الشاعر في قصیدتين على الأقل : ففي القصيدة 40 ، يصور لنا

---

(1) ص 442

ال الخليفة ساجداً لله مقبلاً الترابَ مغفراً خدّه ، عند بلوغ بُشري النصر اليه :

[ كامل ]

13/40 13 لِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى إِخْبَاتَهُ لَمَّا أَتَاهُ بَرِيدُهَا الإِجْفَيلُ  
14 وَسُجْنُودَهُ حَتَّى الْتَّقَى عَفْرُ الْكَرَى وَجَبِيَّهُ وَالثَّظُّمُ وَالْأَكْلِيلُ

وفي القصيدة 13 ، يصف الأسطول الفاطمي ، خلافاً لما تدعوه التوطنة من أنه يذكر سفارة بيزنطية قدّمت لطلب الصلح . والغلط ناتج عن خلط بين هذه السفارة المزعومة والسفارات العديدة التي كان الدمامسة يرسلونها في القديم الواحدة تلو الأخرى للتسلل لدى المعز حتى يكفّ عن غزو بلاد الروم ويرضى بالصلح ولو لمدة . فالشاعر يذكر الدمستق المغلوب اليوم بتصرّفه السالف ، ويُشهد عليه دموعه التي تُبلل رسائله إلى الخليفة ويتشفى منه بهزيمة المجاز ، ولعلّ هذا التهمّ يدلّ على أنّ الامبراطور هو الذي بادر بنقض صلح سابق أو بالكفت عن تقديم جزية إلى المعز ، لذلك يصوّره الشاعر نادماً باكيًّا :

[ طويل ]

67/13 67 وَقُلْتُ : أَنَّاسٌ ذَا الدُّمُستُقُ شُكْرَةُ  
68 وَتَقْبِيلَةُ التُّرْبَ الَّذِي فَوْقَ خَدِّهِ  
69 تُنَاجِيكَ عَنْهُ الْكُتْبَ وَهِيَ ضَرَاءَةُ  
70 إِذَا أَنْكَرْتَ فِيهَا التَّرَاجِمُ لَفْظَهِ  
75 إِذَا شِئْتَ أَغْلَلْ لَهُ وَقِيُودُ . . . فَإِنْ هَرَّ أَسْيَافَ الْهِرْقَلِ فَإِنَّهَا

## الأسطول الحربي - المدافع النفطية أو «النار اليونانية»

ولكنَّ أهميَّة هذه القصيدة 13 تكمنُ في الوصف المدقق لأسطول الحرب ، على ذكر وقعة المجاز . والشاعر ، على عادته ، لا يدقق التواريخ ، ولا الأماكن ، ولا الأشخاص : حتى الأمراء الكلبيون ، وهم سبب التصر

وصانعوه ، لا يذكرهم بَنَاتاً . ولا يعود كذلك الى ذكر القائد البيزنطي منويل .

غير أن للقصيدة أهمية وثائقية لا تنكر ، اذ تصف لنا هذه المراكب المجهزة بـ «اللهيب اليوناني» ، وهو خليط من النفط والبارود تضرم فيه النار ويرسل بواسطة مجانيق ضاغطة على المراكب المعادية ، فيحرقها من شراعها إلى صاريتها إلى خشبها .

يهتم بالقبة المقوفة كهودج الحسان ، وهي خيمة عالية تعطي مجلس قائد السفينة أو موقفه ، ويصف أعلامها الكثيرة التي تبعث الرُّعب في قلوب الأعداء ، ويمثل علوها بشموخ الجبال وسرعتها بخفة الطيور ، ولكنها الطيور الجارحة التي تقتنص نفوس الروم :

أَمَا وَالْجَوَارِيَ الْمُشَاهِدَاتِ الَّتِي سَرَتْ  
لَقَدْ ظَاهَرَتْهَا عُدَدًا وَعَدِيدًا  
وَلِكِنَّ مَنْ ضَمَّتْ عَلَيْهِ أَسْوَدَ  
شَنَشِيرُ اعْلَامٍ لَهَا وَبُشِّرَوْدَ  
قِبَابٌ كَمَا تُزَجِّي الْقِبَابُ عَلَى الْمَهَا  
وَمَا رَأَعَ مَلَكَ الرُّومِ الْأَطْلَاعُهَا  
... أَنَافَتْ بِهَا أَعْلَامُهَا وَسَمَّا لَهَا  
فِيمَنْهَا قِنَانٌ شُمَّاخٌ وَرِيُودَ  
40 ... مِنَ الرَّاسِيَاتِ الشَّمْ لَوْلَا اِنْتِقالُهَا  
فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا نُفُوسٌ مَصِيدُ  
41 مِنَ الطَّيْرِ إِلَّا أَنْهُنَّ جَوَارِحَ

ثم يصف اللهيب الذي ترسله مجانيقها. وقد عرف هذا الخليط المحترق في القرون الوسطى باسم «النار الاغريقية» لأن الغربيين ينسبون اختراعه إلى اليونانيين ، أي الروم البيزنطيين، وينكرون أن يكون العرب قد عرفوا هذه الخلط المتفرقعة ، فيرى شلومبرجي في دراسته عن الامبراطور البيزنطي «أن العرب لم يكتشفوا هذه النار السائلة إلا في القرن الثالث عشر أو الثاني عشر على الأكثر ، ولكنهم من ذلك التاريخ ، أخذوا في تحسينها وتطويرها بصفة مطردة»<sup>(1)</sup> . لكن شلومبرجي نفسه يذكر استعمال الفاطميين

. 461 (1)

لهذا المزاج أثناء وقعة المجاز ، أي في منتصف القرن العاشر : « . . . وكان البحارة البرابرة يُلقون بأنفسهم في البحر ، وبأيديهم « النار الاغريقية » ، فيسبحون بها حتى يصلوا إلى السفن البيزنطية فيحرقونها ». ولعله استقى الخبر من عند ابن الأثير الذي أشار إلى إحراق المسلمين لمراتب الروم أثناء حرب صقلية<sup>(1)</sup> فأقره ونقض قوله السابق .

هذا السلاح الناري الذي قد يعدّ الصورة الأولى العتيقة من المدافع الحالية قد عُرف واستعمل منذ القرن الثالث / التاسع : فقد استعمله الأسطول العباسي ضدّ المراكب البيزنطية ، كما يظهر من وصف البحتري (284/897) له في مدحه لأمير البحر أحمد بن دينار : [ طويل ]

وَحَوْلَكَ رَكَابُونَ لِلْهُوْلِ عَاقِرُوا  
كُؤُوسُ الرَّدَى مِنْ دَارِعِينَ وَحُسْرٍ  
تَمِيلُ الْمَنَائِيَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفَهُمْ  
إِذَا أَصْلَتُوا حَدَّ الْحَدِيدِ الْمُذَكَّرِ  
إِذَا رَشَقُوا بِالثَّارِ لَمْ يَكُنْ رَشْقُهُمْ  
لِيُقْلِعَ إِلَّا عَنْ شِوَاءٍ مُّقْتَرِ<sup>(2)</sup>

وقد سميت هذه المراكب ، منذ عهد هارون الرشيد ، أي منذ منتصف القرن الثاني / الثامن ، « حرّاقات » ، فكان الخلفاء العباسيون يركبونها للتنزه على نهر دجلة ، ولعلها كانت مجهزة لإرسال أضواء الزينة والنيران الملونة أثناء الاحتفالات والألعاب المائية ، ويعرف اللسان هذه الحرّاقات بأنها « سفن مجهزة لقذف النيران ». وهذه النار تعتمد النفط الخام ، وما يتبعه من مواد مائية - فحمية سهلة الاشتعال ، ويسمى العاملون عليها « النفاطين » . واستعمل القواد العباسيون هذه القذائف المحرقة في حصارهم للتأثير ببابك الخرمي ، سنة 837/222 ، يقذفونها على أسوار القلعة وأبوابها بواسطة المجانق<sup>(3)</sup> .

(1) أماري ، المكتبة العربية الصقلية ص 266 .

(2) البحتري : ديوان ص 983 الآيات 26-28 .

(3) ميكال أماري : في نيران الحرب المستعملة . . . ص 7 .

وفي العصور المتأخرة ، أضاف العرب ، فيما كتبه هـ . رينو عن «فنون الحرب عند العرب»<sup>(1)</sup> ، إلى المواد الملتهبة ، مواد متفجرة في نسب معينة نقلوها عن أهل الصين : وهذه الأخلال التي سميت «البارود» هي : الكبريت والفحيم وخاصة الملح الناري أو ملح البارود ، ووظيفة البارود هي تيسير الاستعمال عند القذف . ثم من الأخلاط النفطية من الانطفاء<sup>(2)</sup> . وفعلاً ، نرى أن ابن هانىء في وصفه لهذه النيران ، يلح على استمرارها مشتعلة حتى على سطح البحر . وهذا الاستمرار على الالتهاب يؤكده المؤلفون القدماء في هذه الفنون مثل مرضي بن علي الطرسوسي (1193/589) الذي يفضل ، في كتيب ألفه لصلاح الدين الأيوبي ، نماذج من الأخلال البارودية الصالحة لاحراق مراكب العدو ، فيقول مثلاً في صفة «نقط يمشي على الماء يصلح لحرق المراكب» :

قطران : جزء

كبريت معدني ، وهو النفط : جزء .

راتينج : جزء (الراتينج صمغ شجرة الصنوبر) .

سندروس : جزء (السندروس صمغ شجرة من فصيلة الصنوبر) .

شحم دلفين مسللي مروق : جزء (الدلفين أو الدخلص حيوان بحري من جنس البال الا أنها دونه ضخامة) .

شحم كلبي ماعز : مثله .

كبريت أصفر : جزء .

«تسحق ما يجب سحقه . ويرفع القطران على النار الى الدست شيء . فإذا غلي القطران يضاف اليه السندروس ويضرب به الى أن يختلط ، ثم يلقي

(1) هـ . رينو : - الفن العسكري عند العرب . . .  
- النار الافريقية . . . ص 5-4 .

(2) انظر فصل «بارود» بدائرة المعارف الاسلامية .

عليه بعد الفراغ الكبريت المعدني الذي كله الزيت القديم ، وترفع ، فإذا احتجت اليه ، تأخذه وتغلّب إلى أن تعلم أنه قد أخذ الحد فتشتعل فيه ناراً ، وترسله على الماء إلى ما أردت من المراكب ، فإنه يحرق إحرقاً عظيماً ويمشي على الماء ولا ينطفئ<sup>(1)</sup> .

عبارة «النفط» ان لم يستعملها ابن هانئ ، فقد استعملها الشاعر الصقلي ابن حمديس (1132/527) في مدح للأمراء الصنهاجيين ، مما لا يدع مجالاً للشك في أنبني زيري أيضاً استخدمو السفن المحروقة التي تهدف المواد النفطية على مراكب الروم : [طويل]

**وَتَرْمِي بِنَفْطٍ نَارَةً فِي دُخَانِهِ بِهِ الْمَوْتُ مُحَمَّرٌ يَؤُوب بِمُسْوَدٍ**  
ويعود ، في مدح آخر للأمير علي بن يحيى ، إلى النفط فيصف حرارته الخانقة : [كامل]

**تَرْمِي بِنَفْطٍ كَيْفَ يَبْقَى لَفْحَهُ وَالشَّمْ مِنْهُ مُحْرِقُ الْأَكْبَادِ؟<sup>(2)</sup>**  
وقيل ابن حمديس ، وقبل ابن هانئ ، أشاد علي اليايدي التونسي بأسطول القائم الفاطمي فذكر هذه المراكب ووصف نيرانها : [كامل]

**سَجَرُوا جَوَاحِمَ نَارِهَا فَتَقَاذَفُوا مِنْهَا بِاللُّسْنِ مَارِجٍ مُتَلَهِّبٍ<sup>(3)</sup>**  
هذا، وإن وصف ابن هانئ لسفن المعز موافق تماماً ، في هذه الناحية ، لوصف سابقه اليايدي أو لاحقه ابن حمديس . فيشعرنا كلامه بأنها سفن ترمي النار من أفواه حديدية ، وهذا الخليط الملتهب لا ينطفئ في الماء فتحمله الأمواج مشتعلًا إلى مراكب العدو : [طويل]

(1) كتاب تبصرة أرباب . . . نشر كلود كاهين . . . ص 125 من الأصل ، ص 146 من النص المترجم .

(2) ميكال أماري : المكتبة ، الملحق ص 17 ، وص 18 .

(3) الحصري ، زهر . . . 1004/2 ، وانظر : الحلويات 1973 ، ص 109 . بيت 18 .

- 42/13 فَلَيْسَ لَهَا يَوْمٌ اللِّقَاءُ خُمُودٌ  
 43 إِذَا زَفَرَتْ غِيظًا تَرَأَمَتْ بِمَارِجٍ  
 44 فَائِنَفَاسُهُنَّ الْحَامِيَاتُ صَوَاعِقٌ  
 45 . . . لَهَا شُعْلٌ فَوْقَ الْغَمَارِ كَانَهَا  
 46 تُعَانِقُ مَوْجَ الْبَحْرِ حَتَّىٰ كَانَهُ  
 47 سَلِيلٌ لَهَا فِيهِ الذِّبَالُ عَيْدٌ

وكان الشاعر قد سبق له وصف لهذه النار التي لا يغلبها الماء :

[ طويل ]

- 38/3 وَسُفْنٌ إِذَا مَا خَاصَبَ الْيَمَ رَازِخًا  
 39 تُشَبِّثُ لَهَا حَمْرَاءً قَانِ أَوَارُهَا سَبُوخٌ لَهَا ذَيْلٌ عَلَى الْمَاءِ مَسْحُوبٌ

ويظهر أن هذه السفن كانت تحركها الرياح أو الأيدي على السواء ، فلائن خُلقت بلا أيدٍ ، فالمجاديف هي أيديها ، وهي ضخمة تحمل في جوفها جنوداً كثيرين ، وهي أيضاً مزدوجة المظاهر : فالظاهر منها تعلوه الأقمصة الفنية زمن الاستعراض والزينة ، والجنب تعطيه الدروع الحديدية الواقية من نيران العدو :

- 50/13 فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الرِّيَاحُ أَعْئَنَّهُ  
 52 . . . رِحْيَةُ مَدِ الْبَاعِ ، وَهُنَّ نَتِيَّجَةُ  
 54 . . . لَهَا مِنْ شُفُوفِ الْعَبْرَيِّ مَلَابِسٌ  
 57 . . . فَمِنْهَا ذُرُوعٌ فَوْقَهَا وَجْوَاسِنٌ

ودقة وصفه لهذا الأسطول الذي مكن الفاطميين من السيطرة على البحر طيلة خمسين عاماً ، تدلّ على أنه يعرف السفن الحربية معرفة جيدة ، ولعله عاينها معاينة دقيقة مطولة عند صدورها إلى القتال ، وعند رجوعها مظفرة مزданة بأعلام النصر . ولكن ممارسته للحرب البيزنطية تقف هنا : فلا ن حاله شارك فيها بالسلاح أيضاً ، أو على الأقل بمصاحبة الأسطول في بعض غزواته ، كما فعل المتنبي أثناء مصاحبته لسيف الدولة الحمداني في حرب التغور الشامية .



# الفصل السادس

## الاشارات التاريخية

(تابع)

## قصائد المسيلة

قلنا إن القصائد التي نظمها الشاعر بالمسيلة تستعصي عن كلَّ محاولة للترتيب التاريخيِّ . لكنها تمدنا ببعض المعلومات عن الأخوين الأندلسيين في علاقتهما مع الخليفة وفيما بينهما، وعن بلاط المسيلة وما يحدث فيه ، وعن نوع الحياة التي كان يحياها الشاعر مع مملوكيه هناك . فهي ، من هذه الوجهة ، أكثر إفادة من القصائد المعاصرة التي سيوجّهها ابن هانىء وجهة عقائدية فيشيد فيها بالدعوة الإمامية ويتهم على أعداء الأئمة .

## البلاط الحمدوني

هذه القصائد تشعر القارئ بأنَّ جعفر بن حمدون شبه مستقل بإمارته ، إذ له بلاطه وبطانته وحاشيته ، وأنَّ الحياة بالزاب تتسم بالرُّغْد بل بالترف ، كأنما المسيلة عاصمة خلافة لا إمارة ، فوفود الشعراء المادحين والُّغَافَة المستجدين تزاحم على باب الاميرين ، بل الملkin ، لأنَّ لقب الملك تكثر على لسان الشاعر : فهذا جعفر ملِكٌ « ما سُدَّد الأملاكُ من قبله »<sup>(1)</sup> ، وهذا

---

(1) قصيدة 31 بيت 41.

يحيى أخوه الأصغر يسود « البرية كلها ، حتى الملوك العبايل »<sup>(1)</sup> ، وهذا أيضاً نجل جعفر ، إبراهيم ، هو على صغره ملك متوج : [خفيف]

6/ لا أرى كابن جعفر بن علي ملكاً لابساً جلالة ملك

ونحن لا نعي لهذه الألقاب الملكية أهمية خاصة ، فهي لا تعني أصلاً أنَّ هذا الاستقلال الظاهري هو تحرر بالفعل من التبعية للسلطة الفاطمية ، فلا يغيب عن الشاعر أنَّ الأميرين هما ممثلاً الإمام وساعداه ونصيراه في هذه المنطقة الوسطى من رقعة نفوذه الواسعة ، وأنَّ جعفر بن حمدون يواصل مع المعز المناصرة التي قدمها لأبيه اسماعيل المنصور : [طويل]

3/ وكنت يد المنصور منصورٍ هاشم لذا البطش ، إذ أيدي الفوارس سُوق

وكيف تغيب عنه حقيقة العلاقة بين الأمير وال الخليفة ، وقد تمرس بالمبادئ الإسماعيلية منذ وطء أرض المغرب ، بل ربما منذ شبابه بالأندلس ، كما تدل عليه القصيدة الحائمة التي نظمها في جوهر القائد ، وهي أول مدائحة على الإطلاق . وحتى إنَّ بدأنا في هذه القصائد شيء من الخفوت في ترديد الشعارات الشيعية المألوفة ، فلا يغرنَا ذلك فنقول إنَّ ابن هانئ يؤيد هذا الاستقلال أو يدعوه إليه ، بل سنرى أنه يدعوه جعفرًا بإلحاح إلى الوفاء للأئمة ويحذره من مكايده من يزيئ له التحالف مع خصومهم المروانيين .

كما لا تغرنَا عبارة « الملك » ومشتقاتها ، فهي قديمة في معنى السلطة والرئاسة والسؤُودِ ، دون أن يتعلَّق بها معنى المصطلح السياسي . ومنذ الجاهلية كان رؤساء العشائر القوية يسمُّون ملوكاً : حُجر آكل المرار كان « ملِكٌ » كندة وابنه امرؤ القيس كان « الملك الصَّلِيلُ » رغم أنه خُلع عن الملك بمقتل أبيه ، وكلب وائل سمى « ملك ربعة » بعد وقعة خزارى<sup>(2)</sup> .

(1) ف 64 بيت 17 . نذكر أنَّ القصائد 61 إلى 70 هي التي نشرناها بالحوالىات 1969 .

(2) انظر دراستنا عن « أدب أيام العرب » في الحالات 1981 .

والمناذرة بالحيرة كانوا ملوكاً مقصودين رغم ولائهم المضيق للأكاسرة .

هذا هو مدلول الكلمة عند الشاعر ، وإذا احتجنا الى دليل آخر على  
بعده عن فكرة الاستقلال ، وجذناه في الأبيات التي تقرن لفظ الملك بلفظ  
الإمارة سواء بسواء : [طويل]

3/63 3 ويا ملك الزاب الرفيع عماده بقيت لجمع المجد ، وهو فريق  
6 . . . فما أنس لا أنسى الأمير إذا غدا يرُوْع بِمَرَأى ملكه ويروق  
فهذا الملك إنما هو أمير ، وهو تابع لملك أعظم منه ، وولايته إنما هي  
جزء من الخلافة ، والخلافة كالامبراطورية تتركب من ولايات عديدة ، على  
رأس كل واحدة والي أو أمير يسميه الشعراء ملكاً . هكذا كان سيف الدولة  
الحمداني « ملكاً هازماً لنظيره » في نظر المتنبي ، وكان كافور « الملك  
الأستاذ » رغم انهمما تابعان بالنظر لسلطان بغداد .

وبعد ، فلا تمنع هذه الاحترازات من الإقرار بان جعفر بن حمدون كان  
يتمتع في ولايته بحرية في التصرف - ولا سيما في الشؤون المالية - يحسده  
عليها بقية الولاية في اقاليمهم ، ونجد في سيرة الاستاذ جوزر<sup>(1)</sup> صدى  
لندرامتهم من هذا الامتياز . ولعل هذا الفسحة في أموال الجباية التي يحتفظ  
بها عوض أن يوصلها إلى القيروان هي التي عمرت قصره بالشعراء والعلماء  
وجعلت بلاطه زاخراً بالعلم والفن والأدب كما يقول ابن خلدون<sup>(2)</sup> .

ويشهد شعر صاحبنا بهذا الازدهار الذي جعل المسيلة شبيهة ببغداد :

[كامل]

35/6 3 ورأيُت حولي وفَدَ كُلَّ قبيلة حتى توهمت العراق الزابا  
كما يشهد بأنَّ سياسة جعفر في رعاياه عوَدْتُهم على الترف والأناقة حتى

(1) سيرة ص 129-133 وترجمة كانار ص 197-200 .

(2) كـ . العبر ، بيروت ج 16-21 ص 315 .

صاروا يُسْتَخِشِّونَ النَّسِيمَ الْعَلِيلَ ، وَكَانُوهُمْ صَارُوا بِغَدَادَيْنِ أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِ  
بَغْدَادٍ : [طَوْبِيلٌ]

54/31 تبغَّدَ مِنْهُ الزَّابُ حَتَّى رَأَيْتَهُ يَهُبُّ نَسِيمَ الرَّوْضِ فِيهِ فَيُسْتَجْفِنُ  
وَعَلَى ذَكْرِ تَشْبِيهِ الزَّابِ بِبَغْدَادٍ قَدْ نَسَاءَلَ عَنِ الدَّافِعِ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ،  
وَنَسْتَغْرِبُ مِنْ شَاعِرٍ شِيعِيًّا إِسْمَاعِيلِيًّا أَنْ يَجْعَلْ عَاصِمَةَ الدُّولَةِ الْمُنَافِسَةَ الْزَّائِفَةَ  
الْغَاصِبَةَ، مَعيَارًا لِلرَّفَاهِ وَالظَّرْفِ، إِذَا بَهَا يَشْبِهُ كُلُّ مُسْتَحْسَنٍ أَنْيِقَ جَمِيلٍ . وَلَا  
غَرَابَةَ فِي الْحَقِيقَةِ : ابْنُ هَانِئٍ كَجَمِيعِ أَدْبَاءِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ يَشْعُرُ إِزَاءِ  
الشَّرْقِ بِمَرْكَبِ التَّلَمِيدِ الَّذِي لَمْ يَبْدُ أَسْتَاذَهُ بَعْدَ، ذَاكُ الْمَرْكَبُ الَّذِي  
سِيَسْتَكِرُهُ ابْنُ حَزْمٍ فِي ظَلِفِ رسَالَتِهِ<sup>(1)</sup> فِي فَضَائِلِ الْأَنْدَلُسِ، ثُمَّ ابْنُ بَسَامَ فِي  
الْذَّخِيرَةِ . وَالَّذِي سِيَحْوِلُهُ الشَّقِنْدِيُّ (1231/629) إِلَى مَرْكَبِ اسْتِعْلَاءٍ عَلَى أَقْطَارِ  
الْمَشْرِقِ<sup>(2)</sup> . وَسِتَّبْسَطَ فِي هَذِهِ التَّبَعِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ عَنْدَمَا نَصَلُ إِلَى خِيَالِ الشَّاعِرِ  
وَصُورِهِ الشَّعُورِيةِ .

على انه يجنح إلى تشبيهات أخرى ، غير المعيار البغدادي ، فيصور  
ازدحام الزائرين على باب الامير بصورة متزرعة من الرصيد الديني : [طوبيل]  
88/62 أرى الناس أفواجاً إليك كأنما من الزاب بعث أو من الزاب محشر  
ولا تقتصر أوصافه لهذه الحياة الناعمة على قصر جعفر بن حمدون : بل  
يحيى أيضاً له قصر وبلاط ، رغم أن الشاعر لا يعلمنا بمقر هذا القصر أكان  
بالمسيلة أم بمدينة أخرى من الزاب ؟ وكذلك إبراهيم بن جعفر له قصر وزوار  
ومادحون ، دون أن نعلم حقيقة وظيفته عند أبيه .

(1) نفع الطيب 3/164 . وانتظر فصل شارل بلا بمجلة الأندلس 1954 عدد 16 .

(2) فصل أ . لويا بمجلة هيسبيرييس المغربية / 22 .

## حياة اللهو

نجد في هذه القصائد الحمدونية استهلالات أو استطرادات خمرية تحمل على الظن أن حياة الاميرين لم تكن على التقشف والجذ والاستقامة التي عرفت بها حياة المعز . فنرى الشاعر مثلاً يدعوي حبيبي إلىأخذ نصبيه المشروع من المتعة والله ، وقد قضى واجبه في القتال وطلب المعالي فعاد إلى بلاطه غانماً مظفراً : [طويل]

46/18 فرغت من المجد الذي أنت شائده  
49 فحقّك ان تُروي الثرى من دم الخمر  
50 وتنعم بالبيض الأوانس كالدمى  
ومن هؤلاء الأوانس البيض جارية أهدتها جعفر الى شقيقه فكانت فرصة للاشادة بالتعاطف الواجب بين الأخرين :

53/18 ... حباك بها من أنت شطر فؤاده  
وما شطر شيء بالغنى عن الشطر  
54 أخوك ، فلا عين رأت مثله أخا  
إذا ما احتوى في مجلس النهي والأمر  
56 ... فمن ملِك سام إلى ملِك رضي  
تمادت ، ومن قصر مُنيف إلى قصر

ويوجه النصائح نفسها الى إبراهيم فيدعوه الى خلع العذار وترك حياء الشباب ، وقد صار أميراً مؤمراً على جواريه وخدمه في هذا القصر الذي بناه له أبوه ، فلينعم بهن وليسرب معهن خمراً صافية كالنجوم : [كامل]

27/57 فاخليغ حميداً بينها عذر الصبا ولبيد سرّ ضمائر إعلانها  
39 ... وتخالها صفراء عارضت الدجي وسرت فنadam كوكباً ندمائها

حتى مدافعُ الأمير لا تخلو من هذه المعانِي التواصيَّة ، ففي إحداها يتخلص الشاعر من النسبيَّ بسرعةٍ فيدعو إلى عقد مجلسٍ ظريف على خمرة عجوزٍ بلغت من العُمر مائة عام : [طوبيل]

5/28 خَلِيلِيْ هَبَا نصْطَبُهَا مَدَامَةً لَهَا فَلَكْ وَتَرْ بِهِ أَنْجُمْ شَفَعْ  
6 تَلِيَّةَ عَامَ فُضَّ فِيهِ خَتَامُهَا خَلَا قَبْلَهُ التَّسْعُونَ فِي الدَّنْ وَالْتَّسْعَ  
وفي أخرى يستطرد إلى وصف خمرة اعتق من هذه يصعد عمرها إلى  
عهد نوح ، وتسبح لربها إذا ما صوتت في الدَّن : [منسرح]

14/61 وَقَهْوَةَ مَرَّةَ مَعْتَقَةَ مِنْ عَهْدِ نُوحَ أَوْ عَهْدِ أَرْفَخْشَدْ  
17 ... تسمع في دنهَا اذا هدرَتْ قَرَاءَةَ قَسَّ صَلَيَّةَ مَجَدْ

ولعلَّ الأمير كان يحضر هذه المجالس فعلاً أو على الأقلَّ يهمُ بالحضور ، فيدعوه الشاعر إلى الامتناع لأنَّ قدرَهُ أعلى من ذلك ، والوقار له أوجُبُ : [كامل]

8/2 حاشيَّتْ قَدَرَكَ مِنْ زِيَارَةِ مَجْلِسٍ وَلَوْ أَنَّ فِيهِ كَوَاكِبُ الْجُزُورَاءِ

## أحداثُ البلاط

ونجد في هذه القصائد صدى للأحداث السارَّة أو الأليمة التي تقع في بلاطِ الأميرين ، ولكنَّه صدى خافتٌ مبهم لا يُعين المؤرخ على ضبط التواريخ والأماكن والتفاصيل . وهكذا نعلم من المراثي الثلاث أنَّ جعفرًا أصيب في حفيد له مات صغيرًا وكان يسمى علياً مثل جده الأول ، ثم في أمَّه التي التحقت بزوجها مؤسس الأسرة وبالطفل ، ولكن لا ندرى كم يفصل بين هذه الوفيات الثلاث . كما نحاط علمًا بمرض أمَّه بالأمير فتوجع له الشاعر في قصيدة وفداه بالنفس . ويتهادى الأحوان النفائيَّ ، جارية من هذا وخيل من ذاك ، فيصف الشاعر الهدية ويشيد باتحاد الشقيقين وتكلافهما . ويفرغ جعفر

من بناء قصر آبته إبراهيم ، فيرسلُ الشاعر تحيةً عن بعد ، ولعله كان في  
صحبة يحيى في إحدى غزواته ، ويمني نفسه بالرتبة العالية في هذا القصر  
الجديد : لا يحتاج إلى إذن ، بل يكون هو الذي يأذن لهذا ، ويدفع هذا ،  
ويقدم الشعراً ويؤخّرهم : [طويل]

62/26 أَلْكِنِي إِلَى الْقَصْرِ الْمَشِيدِ تَحْيَةً  
50 . . . إِذَا شَئْتُ لَمْ يَصُبُّ عَلَيَّ حِجَابَه  
51 أَجْرُ ذِيولَ الْعِزَّ بَيْنِ عِرَاصَه  
52 فَأَشْفَعُ فِيهِ لِلْوَفُودِ إِلَى الثَّنا

لكنَّ هذه الأمينة حسب ما يبدو ، حُلْمٌ بعيد ، فليس للشاعر من الحظوة  
عند الأميرين ما يُبَوَّئُهُ منزلةُ الْحَكْمَ بَيْنَ الْمَادِحِينَ ، بل بالعكس نراه يشكوا  
الحساد الذين يتقصونه عند جعفر بقلة مدائنه وقصورها فُيُضطر إلى الاعتذار  
ويتخلص بحججه لقبة سيستعملها بكثرة عند المعز ، وهي أن القرآن نطق بفضل  
الأئمة فأعجز الشعراء ، فكذلك خصال جعفر ، هي أعظم من أن يُحيط بها  
شاعر مهما كان مقولاً مفوهاً : [كامل]

58/6 إِنِّي اخْتَصَرْتُ لَكَ الْمَدِيْحَ لِأَنَّهُ  
59 وَالذِّنْبُ فِي مَدِحِ رَأِيْتُكَ فَوْهَهُ  
لم يشفني فجعلته إغباباً  
أئي الرجال يقول: فيك أصابا؟

ونراه أيضاً يشكوا الفقر فيطلب الرفادة خلافاً لما يدعوه من الترفة عن  
الاستجداء ، فكان عطايا الأمير تتأخر بتأخر قصائد الشاعر او تقل بقلتها ،  
وربما طال الانقطاع فطال المنع ، كما وقع للمتنبي مع سيف الدولة . فهل  
كانت معاملة الحمدوني لشاعره مثل معاملة الحمداني ؟ [متقارب]

73/50 وَإِنِّي وَإِنْ تَرَنِي قَابِضاً  
74 أَقْلَلَ مِنْ هَفَوَاتِ الْمَزَارِ  
75 فَإِنِّي مِنْ الْعَرَبِ الْأَكْرَمِينَ  
جَنَاحِي إِلَيْ كَظِيمًا وَجْمُ

ولكن ، رغم هذه الشكوى ، نعتقد ان حياة الشاعر بهذه الولاية الناعمة

كانت هنيئة مرئية ، فأسلوب العيش بها اندلسيّ أكثر منه مغربيّاً أو إفريقياً : أناقة ورفاهية وظرف وترف ، ولعل الشاعر قد ضاق به قليلاً لأنّه وجده أشبة بالعيش في بلاط أشبيلية الذي قد لفظه أو هو ملّه ، لا سيما وانه قدم المغرب بنية تسخير طاقته الشعرية لخدمة الدعوة ونصرة الأئمة ، فإذا به في بلاط يطيب فيه العيش وتهداً فيه الحركة وتُنسى المشاكل ، ولعله أيضاً أخذ هنئة إلى هذه الدعوة وركن إلى هذا النعيم ، فخففت في شعره المعاني المذهبية التي حملها قصيده المغربية الأولى ، اي مدحه جوهر .

## الولاء الفاطمي

وهو ، إذا تعرض إلى ولاء الآخرين للإمامية الفاطمية ، يتلطّف فلا يقدمه في صورة التبعية الممحضة ، بل في صورة المؤازرة عن اقتناع بالدعوة ، ويُسْتَهِنُّ بَنَسَبَ الْأَمْرِيْنِ الْأَزْدِيِّ فِي شَبَهِ نَصْرَتِهِمَا لِلْمَعْزَ حَفِيدِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِنُصْرَةِ أَجْدَادِهِمْ مِنْ أَزْدٍ يَثْرَبُ لِلنَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ : [كامل]

40/ك) سَدَّ الْإِمَامُ بِكَ التَّغُورَ وَقَبْلَهُ هَزَّ النَّبِيُّ بِقَوْمِكَ الْأَحْزَابَا  
أَوْ يَجْعَلُ مِنْ جَعْفَرَ «السَّيفِ الْيَمَانِيِّ» الْمَسْلُولَ فِي وَجْهِ أَعْدَاءِ  
الْهَاشِمِيِّينَ : [متقارب]

14/ـ رأَيْتُكَ سَيْفَ بْنِي هَاشِمٍ وَخَيْرَ السَّيُوفِ الْيَمَانِيِّ الْخَلِيمِ  
أَمَّا يَحِيَّ فِي حِمَيِّ التَّغُورِ وَثَغْرِهِ بِاسْمِ : [طَوِيلٌ]

42/ـ وَإِنَّكَ عَنْ ثَغْرِ الْخِلَافَةِ ذَائِدٌ وَانَّكَ عَنْ ثَغْرِ الْخِلَافَةِ بِاسْمِ  
إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ يَعْطِيُّ الْأُولَوَيَّةَ لِجَعْفَرٍ ، فَلَا يَأْتِي يَحِيَّ ، فَضْلًا عَنْ  
إِبْرَاهِيمَ ، إِلَّا فِي مَرْتَبَةِ ثَانِيَّةٍ : فَجَعْفَرٌ هُوَ الَّذِي رَبَّاهُ وَسَنَّ لَهُ طَرْقَ الْمَعَالِيِّ ، وَإِنَّ

يَعْلُمُ صِبَطَهُ فِي فَضْلِ التَّكْوينِ الَّذِي تَلَقَاهُ مِنْ جَعْفَرَ : [طَوْبِيل]

23/63 سَنَتَ لِي حِسْنَى سَنَتَ يُقْتَدِي بِهَا فَفَتَّ، وَمِنْهُ فِي الْأَمْوَارِ لِحَوْقٍ . . . تَفْوُقٌ وَتَعْلُو أَنْتَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَبِاسْمِكَ يَعْلُو قَدْرُهُ وَيَفْوَقُ

وَيَنْتَهِ الشَّاعِرُ إِلَى مَا فِي تَأكِيدِ هَذِهِ التَّبَعِيَّةِ مِنْ اِنْتِقَاصِ لِمَرْتَبَةِ الْأَخْرَى ، فِي لِجَائِهِ إِلَى الرَّصِيدِ الْقُرَآنِيِّ وَيَسْتَخْرُجُ مِنْهُ تَشْبِيهًّا لِلْأَخْوَيْنِ - فِي تَازِرَهُمَا - بَهَارُونَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : [طَوْبِيل]

64/18 لِعَمْرِي لَقَدْ أَيَّدْتَ يَوْمَ الْوَغْنِيِّ بِهِ كَمَا أَيَّدْتَ كَفَاكَ بِالْأَنْمُلِ الْعَشْرِ

65 لِذَلِكَ نَاجَى اللَّهُ مُوسَى نَبِيُّهُ فَنَادَى أَنِ اشْرَحْ مَا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي

66 وَهَبْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَخِي أَسْتَعِنُ بِهِ وَأَشَدُّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي<sup>(١)</sup>

## مدى الوفاق بين الأخوين

عبارة «أشركه في أمري» تبعث على التساؤل ، ولا نظنّ ان الشاعر ضمنها أبياته لمجرد استغراق الصورة كما يقول أهل البلاغة ، او لإظهار معرفته بالقرآن ، بل لعلّ له فيها أرباً : وهو حثّ جعفر على التخفيف من استثاره بالحكم وعلى إسناد مزيدٍ من المسؤولية لشقيقه . فان صحّ هذا التخمين ، نتساءل : هل نطق الشاعر من تلقاء نفسه أم بطلب من يحيى؟ فيعني هذا ان الامير الثاني يتضائق من رتبته الثانوية في الإمارة ومن صعود نجم إبراهيم بن جعفر على حسابه هو وحساب بنيه . يدعونا الى هذا التخمين إلحاح الشاعر على الوفاق الواجب بين الأخوين ، ككتباً للأعادى وتخيباً للشامتين ، ودعوته

(1) طه ، 25 - 32 وفي رواية أخرى : وَشَدَّ . . . وَأَشْرِكْهُ . . .

جعفراً إلى اختبار سواعد أنجال يحيى ، وما سبق لهؤلاء ذكر في شعره :

72/18 فما مثلُ يحيى من أخٍ لك تابعٌ  
ولا كَبِنِيهِ من جَحاجِحةٍ زُهْرٍ

ويجتهد أمُّ الأميرين المميّة فيتصرّع لجعفر باسمها حتى لا يفصّم الوحيدة  
التي كانت الفقيدة رمزًا لها ولحمتها : [متقارب]

80/59 فلولا الضريحُ لسادتُكُمَا تُعيذُكُمَا من شَمَاتِ العِدَى  
ويضمن هذه المرة الشاهد المعروف «أخاكَ أخاكَ إنَّ مَنْ لَا أخَا  
له . . .»<sup>(1)</sup> لحثّه على الاستعانة الدائمة بـ يحيى والتمسّك بالآلفة والاتفاق :

83/59 ومهمما طلبت دليل الكرام فـانَ الدليل آئتلافُ الـهـوـي  
84 وانت اليـمـيـنـ فـصـلـ بالـشـمـالـ فـما لـيـدـ عنـ يـدـ منـ غـنـيـ  
86 فـلـيـسـ يـخـافـ وـلـاـ يـرـتـجـيـ فـمـنـ لـاـ يـنـادـيـ أـخـاـ بـاسـمـهـ

وقد كان يمكن أن يتعرّض الشاعر لـ سخط جعفر ، بسبب دفاعه عن  
ـ يـحـيـيـ وـلـكـنـ لـاـ يـبـالـيـ ، بل يـزـيدـ لـهـ وـفـاءـ فـيـرـيـءـ سـاحـتـهـ مـنـ ثـمـةـ لـاـ يـوـضـحـهاـ  
ـ لـنـاـ ، وـلـعـلـهـ وـشـايـةـ سـعـىـ بـهـ بـعـضـ الـكـاثـدـيـنـ لـدـىـ جـعـفـرـ حـيـنـ كـانـ يـحـيـيـ بـعـدـأـ  
ـ عـنـ الـمـسـيـلـةـ : [طـوـيـلـ]

2/69 أخوك الذي تحنو عليك ضلوعه  
وما عنده مما علمت له علم  
3 سوى أن أحست ما بنفسك نفسه  
ودونكما الـبـيـدـاءـ وـالـأـجـبـلـ الشـمـ

ولعل السـعـاءـ والمـغـتـابـينـ كانواـ يـعـمـلـونـ عـلـىـ كـسـبـ الـأـمـيـرـيـنـ الـأـنـدـلـسـيـيـنـ  
ـ لـلـوـلـاءـ الـأـمـوـيـيـ وـيـمـهـدـونـ لـلـقـطـيـعـةـ التـيـ سـتـمـ سـنـةـ 971/360ـ .ـ فـقـدـ أـخـبـرـتـناـ سـيـرـةـ

(1) بقية الشاهد : . . . كـسـاعـ إـلـىـ الـهـيـجـاـ بـغـيـرـ سـلاحـ .

الاستاذ جودر<sup>(1)</sup> بوجود داعية مرواني يُدعى عثمان بن أمين بيلاط جعفر يدبر المكاييد لهذا الغرض. ونحن نعلم من جهة أخرى ان كاتباً لجعفر يدعى الوهري قد تعرّض لهجاء الشاعر بسبب الخطأ الذي كانت دسائسه تهدّد به جعفراً ، فدعاه إلى الإبقاء على الامير والابتعاد عنه : [خفيف]

18/29 أبِّ لي جعفراً ، أباً جعفراً ، لا تَرْمِ يوْمَه بالثَّادِ العَسُوف  
 20 ... فإذا ما نَعْبَثْ شَرًّا نعيب فعلى غير ربعه المأثور  
 21 لست أخْشِي إلَى عَلِيهِ فَكُنْ بِالْأَزِيْحِيِّ الرَّؤُوفِ جَذْرُؤُوفِ

فهل سلط هذان الرجال نيمتهمما على يحيى خاصة لأنه لم يستجب لدعایتهما؟ نحن لا نستبعد ذلك ، ولا نستبعد بالخصوص تردد يحيى واستئكافه من خلع الولاء الفاطمي ، إذ نعلم أنه ، يوم ان قرر جعفر الانتقال الى قرطبة ، تبعه يحيى على مضض لائماً نفسه على قطع ولائه لأبناء فاطمة وصرفه الى الأمويين<sup>(2)</sup> ، وانه بادر فوز وصوله إلى الأندلس بالانقطاع عن جعفر فقبل ولادة البصرة بشمال المغرب الأقصى ، وأنه في نهاية الأمر التحق بالفاطميين بالقاهرة ورجع تائباً الى ولائهم .

وإذا أحتجنا إلى دليل إضافي على موقف الشاعر من يحيى ، وجدناه في المدح التي دبّجها في أخوي المعز ، الأميرين طاهر والحسين : فقد تضمنّت بالخصوص مدحًا ليعيى ودعوة لهما لاستخدامه وجعله محل ثقتهما لأنّه برهن بما تيه السابقة على وفائه للأئمة : [رملي]

47/15 إِنَّ يَحِيَّى بْنَ عَلَى أَهْلِ مَا جَتَّمَاهْ مِنْ جَرِيَّاتِ الْأَيَادِي  
 52 ... مثْلَهْ حَاطَ ثُغُورَ الْمَلَكِ فِي كُلَّ دَهْيَاءِ عَلَى الْمَلَكِ نَادِ  
 53 أَيَّ زَنْدِ فَاقْدَحَاهُ! ثُمَّ فِي كَفَ! فَصِلَاهَا بِأَمْتَدَادِ!

(1) ص 123 من النص العربي ، وص 187 من الترجمة الفرنسية .

(2) الحلقة السيراء ، ترجمة يحيى بن حمدون ، عدد 111 .

## حروب الأخوين

لا يكتفي الشاعر في قصائده الحمدونية ، بذكر الأحداث التي تقع بالبلاط والإشارة إلى ما يحاك فيه من دسائس . فهو يتعرض أيضاً إلى العمليات العربية التي ينظمها الأميران ، وأحياناً إبراهيم بن جعفر أيضاً، ضد القبائل المتمردة على الحكم الفاطمي أو الممتنعة عن العجاية . هذه الحملات التي تقتتح الجبال المنيعة أو الحدود البعيدة يصورها الشاعر في شكل ملاحم عظيمة وانتصارات باهرة ، بحكم ميله المعروف إلى التفخيم والغلو ، ولعلها لم تكن في الحقيقة إلا تحركات موسمية عادية . وإشارات الشاعر في هذه القصائد لا غناه فيها للمؤرخ أو الدارس لأنَّ الشاعر لا يدقق ولا يفصل ولا يوضح ، فلا علم لنا بالزمان ولا بالمكان ولا بالأشخاص ولا بالنتائج المفضلة . لكنَّ ابن هانئ يهرب من التدقيق قصدًا لأنَّه لو دقق ، لأفقد هذه العمليات ما أدعاه لها من خطورة وهمول ، والمجهول وحده مهول . وهكذا لا تستفيد إلا التز من المعلومات : مثلاً ، إنها حملة ضدَّ الأعراب ، وقد يعني بهم المارقين من زناته ، وهم بربِّ رُحل : [طويل]

21/63 به عرفَت تلك الأعاريُّب قهْرَها      فلا مارقٌ يخشى عليه مروق  
22 فقد غدت الأجَام وهي حدائقٌ      وعاد زئيرُ الليث وهو شهيق  
أو أنها غزوة انتصر فيها يحيى ففرض الأمن بال المغرب الأقصى وأحلَّ  
الطمأنينة بعد الفوضى : [طويل]

30/8 نحا المغرب الأقصى بسطوة بأسه      فعادوا زهوا وقد كان مُرتجماً  
ولكن في أيَّ منطقة من المغرب؟ ضدَّ من؟ وفي أيَّ وقت؟ معلومات  
مسكوت عنها ، والسكوت محير ، خصوصاً وأنَّ العمليات بالمغرب لم تكن  
من صنع يحيى أو جعفر وحده ، بل كان يقودها أيضاً أمير آخر من مددوحي  
الشاعر ، يعني أبو الفرج الشيباني الذي ستحدث عنه بعد قليل . وقد نجد في

القصيدِ الواحدِ إشاراتٍ يصعبُ الربطُ بينها : فهذا مدح لإبراهيم بن جعفر ،  
يتخلله تعظيم لابيه ، مصدر كل مكرمة ، ووصف لهزيمة الحقّ بالحروريين  
ثم ذكر لقائد مظفر ينتظر قوله من المغرب الأقصى : [طويل]

39/32 رعى الله ابراهيم من ملك حنا

على الملك حانيه وأشفق مشفقة

40 وأورئي بزند الأرقم الصيل جعفر  
ولم يعيه فتّى من الأرض برئفة

43 ... وأعني الحروريين متقدّم الـ

ظاهر عقد العزم بالحزم موئلة

53 ... وبالمغرب الأقصى قريع كتائب  
تحبّ بمسراه فيرجف مشرفة

54 سيرضيك منه بالإياب وسعده  
ويجمع شملًا شادًّا مجدًا تفرقه

فتتساءلُ : أجعلُ الممدوح أم الابن ؟ فان كان إبراهيم ، فكيف يمدح  
وهو غائب ؟ وهل هو المعنى بالقائد الظافر في المغرب الأقصى ؟ ومن هؤلاء  
الخوارج الذين قهرهم ؟ ولا نظر بطالئ أمام هذا الإبهام وهذا الالتواء ،  
خصوصاً وأنَّ التوطئة تضيف : « ... وبهجو الوهراني » ، ولا ذكر للوهراني .

وهناك قصيدة جديرة باهتمام خاص ، هي السادسة عشرة التي قلنا أنها  
قد تكون نظمت بالقيروان وأرسلها الشاعر إلى الممدوح ، أي جعفر ، بالمسيلة ،  
عند وصول نبأ النصر الذي حققه على الخوارج بقلعة تدعى كيانة ، وهي تلفت  
الانتباه لأن لهجة الشاعر فيها قوية والنفس الملحمي فيها أظهر منه في غيرها ،  
ثم لأن ابن هانىء قلما يخصص قصيدة كاملة لوقعة معينة .

يستهلّ القصيدة بتشبيه هذه القلعة بحصن السموأل بن عadiاء في  
الشموخ والمنعنة ، فيرضي في آن واحد ميله إلى الغلوّ وتعلّقه بالتّراث الثقافيّ

القديم : [طويل]

1/16 بل ! هذه تِيَّمَاءُ وَالْأَبْلُقُ الْفَرْدُ فسل أَجَمَاتِ الْأَسَدِ : ما فعلَ الأَسَدِ؟

ويذكر صدى فتحها بالقيروان :

4/16 تَؤْمُنُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَوَالِعًا  
عليه، طلوع الشَّمْسِ يَقْدِمُهَا السَّعْدُ  
5 فتوحاتٍ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَأَرْضَهَا  
لَهَا عِنْدَ يَوْمِ الْفَخْرِ أَلْسِنَةُ لَدَ

ثم ينسبها إلى الحرورية هي أيضاً، ويحمله تشيعه على اتهام الخارج  
بالكفر فانهم لا يصلون نربهم ولا يعترفون بسلطان ، كما تحمله عنصرية  
اليمنية على انتقاد عجمتهم البربرية ، فهذه القلعة ما نطقت العربيةَ قط . أما  
اليوم وقد استقر بها جعفر الملك القحطاني فقد حلّت بها الفصاحة والبلاغة مع  
الأمن والطمأنينة :

8/16 حِرْرَوْرِيَّةُ مَا كَبَرَ اللَّهُ خَاطِبُ  
عليها، وَلَا حَتَّىٰ بَهَا مَلْكًا وَفَدُ  
وَكَانَتْ هِيَ الْعَجْمَاءُ، حَتَّىٰ احْتَبَىَ بَهَا  
مَلْوَكُ بْنِي قَحْطَانَ، وَالشِّعْرُ وَالْمَجْدُ  
10 لِذَاكِ نَرَاهَا يَوْمَ آنِسَ مِنْ مِنْيٍ وَأَفْيَحَ مِنْ نَجْدٍ وَمَا وَصَلَتْ نَجْدُ

والشاعر لا يسمى القلعة باسمها. وإنما ذكر اسم كيانة في توطئات  
المخطوطات محرفاً إلى «كتانة» و«كتامة» و«كتامة» و«كتانة». ولا يمكن  
أن تكون قلعة لكتامة، فالكتاميون أنصار للفاطميين منذ أن دخلهم الداعي أبو  
عبد الله ، وإنما هي كيانة معقل أبي يزيد صاحب الحمار في آخر أيامه . فقد  
تحصن بجبال المعاضيد في شمال شط الحضنة وحاصره المنصور هناك وظفر  
به جريحاً أو قتيلاً . ومما يحقق عندنا اسم هذه القلعة - وقد تكون لا قلعة مبنية  
بل سلسلة من الجبال المنيعة . أن الشاعر ينسبها إلى مخلد وهو صاحب  
الحمار :

27/16 فَمَنْ جَمَرَةٌ قدْ أَطْفَيْتَ مَخْلَدِيَّةَ وَأَخْرَىٰ لَهَا بِالزَّابِ مُذْ رَمِّنَ وَقُدْ  
ويستعمل لوصف تسليم - او استسلام - الثائر المتھصن بها تعبيراً يكاد

يَكُونُ مِنْقُولًا عَنْ قصيدة للشاعر الإِيَادِيَّ كَانَ وَصْفُ فِيهَا اسْتِسْلَامٍ - أَوْ تَسْلِيمٍ - أَبِي يَزِيدَ لِلنَّصُورِ : فَكُلَّاهُمَا اسْتُخْدِمُ صُورَةُ الْوَلِيدِ الَّذِي لَفْظَهُ مَهْدِه<sup>(1)</sup> ، إِلَّا أَنَّ الْوَلِيدَ الَّذِي يَعْنِيهِ ابْنُ هَانِئٍ هُوَ عَلَى مَا يَبْدُوا أَحَدُ رُؤُوسِ زَنَاتَةِ مِنْ قَبْيلَةِ مَغْرَاوَةٍ ، وَلَعْلَهُ ، كَمَا يَظْنُ مَارِيُوسُ كَانَار<sup>(2)</sup> ، مُحَمَّدُ بْنُ خَزَرُ الْعَدُوُّ الْعَنِيدُ لِلْفَاطَمِيِّينَ . وَعَلَى عَادَتِهِ ، لَمْ يَذْكُرِ الشَّاعِرُ اسْمَهُذَا التَّأَثِيرِ الْمَغْلُوبِ ، وَلَكِنَّ الْقَرَائِنَ الْمُخْتَلِفَةَ : الْعِجْمَةَ ، أَيِّ الْبَرْبَرِيَّةَ ، وَالْإِنْسَابُ إِلَى الْمَذْهَبِ الْخَارِجِيِّ ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى ثُورَةِ صَاحِبِ الْحَمَارِ ، وَالْإِلْحَاجُ فِي طُولِ تَمَرِّدِهَا عَلَى الدُّولَةِ الشَّيْعِيَّةِ - وَقَدْ دَامَ حَسْبُ قَوْلِهِ ، سَتِينَ عَامًاً - كُلُّ هَذَا يَؤْيِدُ مَا نَذَهَبُ إِلَيْهِ مَعَ غَيْرِنَا : أَنَّ الْعَمَلِيَّةَ قَادَهَا جَعْفَرٌ ضِدَّ أَحَدِ رُؤُوسِ زَنَاتَةِ الْخَارِجِيِّينَ فِي الْمَنْطَقَةِ الْجَبَلِيَّةِ الَّتِي كَانَ تَحْصَنُ بِهَا أَبُو يَزِيدَ وَاخْتَارَهَا لِمَنْعَتِهَا وَوَعُورَةِ مَسَالِكِهَا ، وَلَكِنَّهَا خَرَّتْ لِجَعْفَرٍ كَمَا خَرَّ سِينَاءَ لِمُوسَى :

وَكَانَتْ شَجَاءَ الْمَلِكِ سَتِينَ حَجَّةً

25/16

وَمَا طَيْبٌ وَصَلَ لِمَ يَكْنِي قَبْلَهُ صَدًا؟

بِهَا النَّارُ نَارُ الْكُفَّرِ شَبَّتْ ضِرَامُهَا

26

وَلَوْ حُجِّبَ فِي الزَّنْدِ لَا حَرَقَ الزَّنْدُ

... وَلَمَّا تَجَلَّى جَعْفَرٌ ضَعَقَتْ لَهُ

20

وَأَقْبَلَ مِنْهَا طُورُ سِينَاءَ يَنْهَى

وَعَلَى ذَكْرِ اِنْتِقَاصِ الشَّاعِرِ لِلْبَرْبَرِ بِسَبَبِ عَجْمَتِهِمْ وَبَعْدِهِمْ عَنِ الْفَصَاحَةِ وَجَهْلِهِمْ بِالدِّينِ الصَّحِيحِ فِي زَعْمِهِ ، نَقْوِلُ : لَعْلَهُ نَقْلُ هَذِهِ الْعُقْلَيَّةِ مِنْ نَشَائِهِ الْأُولَى بِالْأَنْدَلُسِ . فَقَدْ كَانَ الْعَنْصَرُ الْعَرَبِيُّ هُنَاكَ يَتَرَفَّعُ عَلَى غَيْرِ الْعَرَبِ كَمَا تَشَهِّدُ بِذَلِكَ رِسَالَةُ الشَّقْنَدِيِّ . إِلَّا أَنَّ الشَّقْنَدِيَّ مَتَأْخَرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَاعِرِنَا ، وَقَدْ

(1) انظر قصيدة الإِيَادِيَّ فِي الْحَوْلِيَّاتِ عَدْدُ 10/1973 ص 102 .

(2) الْأَسْرَةُ الْحَمْدُوَنِيَّةُ ص 39 . وَقِرَاءَةُ «كِيَانَة» هِيَ الَّتِي اخْتَارَهَا فُونْدَرْهَايِندُنْ : ابْنُ حَمَادُ ص 51 تَبِيه١ ، وَمَارِيُوسُ كَانَارُ فِي تَرْجِمَتِهِ لِسِيرَةِ جَوْذَرٍ ص 69 تَبِيه٧١ ، وَبُولُ مَاسِيرَا فِي مَقَالَةِ عَنِ الْمَسِيلَةِ ص 159 .

تفاهمت العنصرية إزاء البربر بعد تدخلات المرابطين ثم الموحدين لإنقاذ الأندلس رغم أنف أهلها . على انه من المحتمل أيضاً أن تكون عنصرية ابن هانىء ترجمةً للتنافس السياسي بين ابن الأندلسية ، اي جعفر، وأمير صنهاجة البربرىي ، زيري بن مناد ثم ابنه بلقين . وقد سبق ان عرضنا للرأى الذى يعزى تحول المعز عن إفريقية الى العداوة العلنية والدفينة ، بين سكان المغرب البرابرة السنين والأسرة الشيعية الدخيلة . وفي افريقية بالذات لنا شاهد على هذه الشعوبية المعكوسة في سلوك الزاھد القيروانى البهلوان (ت 183/799) : فإنه أقام ولیمةً حين علم أنه عربي الأصل لا بربري<sup>(1)</sup> .

والترفع عن العنصر البربرى لم يمنع جعفرًا من التعاطف مع الزناتيين ، لأنهم أعداء منافسيه الصنهاجيين ، فنراه يسارع الى العفو عنهم بعد الظفر بهم :

45/16 وما عن أمانٍ يوم ذاك تنزلوا ولكن أمان العفو أدركهم بعد  
ونجد في القصيدة الثامنة والعشرين ، وهي أيضًا في مدح جعفر ،  
اشارات قريبة من هذه التي عرضناها آنفًا ، كأنما الشاعر أعاد فيها عرضه  
للأحداث ، إلا أنه هنا يذكر صراحةً بني أمية ، فيؤكّد بذلك أن التأثير الزناتي  
المغلوب كان حليف المروانيين : [ طويل ]

18/28 وكان دبيب الكفر في الدولة الخلع  
19 سموت بمجرِّب جاذب الشمس مسلكاً  
20 فألقى، بأجرامٍ عليهم كأنما  
21 كثائب شلت فابذعرت أميةٌ سُفْعُ<sup>(2)</sup>  
ولما طغوا في الأرض أعصَرْ فتنة

وانه طغى مدة طويلة فصعد اليه جعفر في جبال الشامخة التي لا تطؤها

(1) محمد الطالبي : ترجم أغليّة ص 30 . وانظر : ادريس : مساهمة . . . 143 . وإنما فرح البهلوان لأنه سمع أحاديث كثيرة موضوعة تتعنى على البربر قلة دينهم .

(2) تكفت ، أي تكفلت : انقلبت . ابذعرت : تفرقت .

إلا الشمس عادة فقهره وكانت بذلك خيبة المروانيين ، الا انه هنا يذكر حصنًا  
مشيداً انجلوا عنه بعد الهزيمة : [ طويل ]

24/28 تجاووا عن الحصن المشيد بناؤه وضاق بهم عن عزم أجنادهم وسعن  
والغريب ان المؤرخين لم يشيروا الى هذا الحصن في المنطقة التي  
وسمت بكيانه ، ولا ذكرى أن الحضور الأموي بلغ الى هذه الناحية من  
المغرب الأوسط . فهذه من غوماض الإشارات أيضًا ، ولا يسعنا الا الافتراض  
والتخمين : فإن كانت القلعة في جبال كيانة فلعل الاشارة الى المروانيين تعني  
فقط عميلهم الزناتي ، ذاك الذي يسميه « عميد الملحدين » ، وهو في آن  
واحد عميد الأمويين ، او كما نقول اليوم ، « عميلهم » :

27/28 وراح عميد الملحدين عميدهم لأحشائه من حرّ أنفاسه لذع  
وبهزيمته « وخسرانه المبين » تمت خيبة أسياده المروانيين فصار الشاعر  
يشك في قدرتهم على تسخير الحرب :

31/28 وتلك بنو مروان نعلًا ذليلةٌ  
... 23 ... ألا ليت شعري عنهم ! أملوکُهمْ  
لواطيء أقدامِ وأنت لها شُسْعٌ  
تدبر مُلْكًا أم إماؤُهمُ اللُّكْحُ ؟  
ويبدو أن الثائر استسلم الى جعفر :

29/28 تشرفت من أعلامها ودعوتَه فخرَ مُلَبَّي دعوة ما له سمعٌ  
30 فقل لمُبين الخسِر : كيف رأيَ ما أظلَكَ من دُوحِ الكَهْبَلِ يا فَقْعُ  
وبالرغم من هذا الانتصار الذي يرهن على عزيمة صادقة عند جعفر في  
قتال أعداء الأئمة ، نرى الشاعر يختتم القصيدة بتحذيره من كفران النعمة ، أي  
قطع الولاء للدولة البيضاء :

34/28 أباً أَحْمَدَ الْمُحْمَودَ ! لَا تَكْفُرْنَ مَا  
35 هي الدُّوَلَةُ الْبَيْضَاءُ ، فَالْعَفْوُ وَالرَّضْي  
تَقْلَدَتْ ! وَلَيُسْكِرْ لَكَ الْمَنْ وَالصُّنْعَ !  
لَمْ قُتِلْ عَفْوًا ، أَوْ السَّيفُ وَالْتِطْعَمُ !

وفي هذا الإنذار المخيف ما فيه من لبس : العفو لمن يستحقه ، أي لمن تاب بعد التردد ؟ أم لمن يصفعي إلى جواسيس الحكم المستنصر ؟ والقتل الذريع الشنيع ؟ ألم يهم بالتفص والخدلان ؟ أم للزناتي إذا تمادي على غيه ؟ وقد تبَّه المستشرق ماريوس كانار<sup>(1)</sup> إلى ما في هذين البيتين من صرامة وتهابيد ، ورأى أنهما موجهان إلى جعفر . وقد نشاطره هذا الرأي ، إلا أنا نظن أن القصيدة مثل سابقتها الداللية قد أرسلت أيضاً من القيروان لأن الشاعر ما كان يتجرس على مخاطبة الأمير بهذه اللهجة .

ولا ينفي هذا التحذير ولا هذا الجفاء اعتراف الشاعر بجميل الأسرة الحمدونية والإشادة بعطفها عليه وعلى ذويه ، فقد وجد في الأخرين مواطنين أندلسيين مثله أجراه وجبرا كسره في وقت انسدَّت السبيل أمامه وعرَّى من ريشه : [ كامل ]

37/25 أبني عليَّ ! لا كفرتُ أيدِيَا      أَغْلَيْتُنِي فِي عَصْرِ لُؤْمٍ مُرْخَصٍ  
38 جاوريكم فجبرتُمْ من أَعْظَمِي      وَوَصَلْتُمْ مِنْ رِيشِيَّ الْمُتَحَصِّصِ

\* \* \*

وهكذا استثمرنا ما يمكن استثماره من إشارات وتلميحات وتجاسرات في أحيان كثيرة على الافتراض والتأويل وربط ما غمض من أحداث في رواية الشاعر بما ذكره المؤرخون ، فخرجنا بنتيجة يمكن اعتبارها حقيقة واقعة : وهي أن الشاعر ، رغم تعلقه بالأسرة الحمدونية وحفظ اليدي لها ، لم يبرح يدعوها إلى الحفاظ على طاعة الأئمة والولاء للدولة الفاطمية ، وذلك لاقتناعه هو بالمبادئ الشيعية وانتصاره للمذهب .

(1) أسرة... 42 ... Une famille...

## بقيّة شعره

درستنا ، عند تعريفنا بالممدوحين ، القصائد التي مدح بها الشاعر أشخاصاً آخرين غير المعز وأمراء المسيلة . هؤلاء الممدوحون المجهولون هم :

- أَفْلَحُ النَّاصِبُ وَالِي - او قاضي - برقة .

- ابو الفرج الشيباني الذي لا ذكر له قطّ عند المؤرخين وأصحاب التراجم . وقد افترضنا انه قائد بكري مكلف بحفظ الأمن على الحدود المغربية ، ولعله كان يقيم بجهة تاهرت التي كانت تقطنها عناصر من شيبان<sup>(1)</sup> .

- أَخْوَا الْمَعْزَ ، طَاهِرُ وَالْحَسِينَ ، اللذان مدحهما بقصيدة اشاد فيها بفضل يحيى بن حمدون خاصة .

- أَحْمَدُ بْنُ زَائِدَ « الْكَاتِبُ » الذي ذُكر في مخطوط تونس ١ لا غير .  
ويظهر انه قائد ايضاً ، من أصل يمني ايضاً : [مسرح]

34/65 فخرأً بِمَدْحِيكَ لَا بِسَالِفِ قَحْ طَانَ إِنْ كُنْتَ مِنْ مَقَاوِلِهَا

وكان يفرض الشعر إذ له مطارحةً شعرية مع ابن هانئ من نوع « التخريج » ، وهو ان يقترح واحد بيّناً فينظم الآخر أبياتاً في المعنى والوزن والرويّ ويختتمها بالبيت المقترح ، وكان بيت ابن زائدة في المخطوط : [ طويل ]

فلو أَنَّ مَا أَبْقَيْتَ مَنِي مَعْلَقَ بَعْدَ ثُمَامَ ، مَا تَأْوَدَ عُودُهَا<sup>(2)</sup>

(1) الشاذلي بو يحيى : الحياة الادبية ، ترجمة 93 ( ابن ابي الرجال ) ص 83 .

(2) حوليات 1972 قطعة 29 .

## المقطوعات

ويجرّنا هذا إلى دراسة المقطوعات والأبيات المنفردة التي تضمنها الديوان ، بما في ذلك المقطوعات التي انفرد بها مخطوط تونس 1 . جملة هذه القطع الصغيرة ثمان وأربعون تشمل مائة وأربعين بيتاً ، انفرد مخطوط تونس 1 بستين بيتاً في ثمانية عشرة مقطوعة . وهذه القطع تضمّ البيتين والخمسة أبيات على الأكثر .

وقد استثمرنا هذه الإضافات القصيرة إلى القصائد الكبرى الاثنين والستين ، استثمرناها في ترجمة الشاعر وتحديد ملامح شخصيته ، واكتشفنا منها بالخصوص ميله إلى اللهو والعربدة . وقد نستغرب غياب المقطوعات المجوّنة من النسخ التي اعتمدها الناشر الاسماعيلي زاهد علي ، ووجودها في مخطوط تونس 1 . فهل يعني هذا أن هناك *نسخاً* « مطهرة » مما يخلّ بسمعة مادح الأئمة الطاهرين ، وأخرى صريحة كاشفة لا تبالي أن يظهر شاعر الدخلاء العبيدّين على حقيقة سذوجه وانحرافه ؟ نحن محمولون على هذا الظنّ إزاء بعض هذه القطع الخاصة بنسخة تونس 1 . ففي واحدة منها يتغزل بغلام يقول المخطوط انه كان ينافس فيه الأمير تميم بن المعز ، فيتلاعب باسمه « عبد الله » (بن سليمان) فينظم حروفه في أوائل سبعة أبيات تقرأ عمودياً فينكشف الاسم المحبوب . وفي أخرى يسخر من مسكين كان ينظف بيوت الخلاء فتحول إلى مهنة السقاء ، وهي سخرية ثقيلة منحطة : [ طويل ]

أبا ابن أبي زمّور الماجد الذي  
تبَدَّلَ كيْ يُنسَى فلم يكْ مَنْسَى  
تبَدَّلَ من جام الكنيف بقربة  
وكان « طعاميًّا » فعاد « شرابيًّا »<sup>(1)</sup>

(1) حوليات 1972 قطعة 107 .

وفي أخرى يُثني بعض أصدقائه الشعراء عن الخروج إلى مصر مع معشوقة تدعى «رمانة المسك» فيقول : لا حاجةً لمصر بهذا البوهيميّة وموسييه : [كامل]

ماذا تؤمل أرض مصر من فتى يغنى بها ، وخريدة يجدى بها  
يمني ذوي آدابها وشبابها أن زيد في شعرائها وقحابها<sup>(1)</sup>  
وفي أخرى يستهزئ بشخص طويل اللحية فيشبّهها بديك معلق :  
[بسيط]

انظر إلى لحية الطمثيس بارزة حمراء ضافية دلت على حقيقة  
كأنما سرق القرآن جارتة ديكاً ، فعلقه القاضي على عنقها<sup>(2)</sup>

وهذه القطعة الأخيرة وردت مع بعض التغيير في تتمة اليتيمة<sup>(3)</sup> ونسبها الثعالبي (1037/429) إلى ابن هانىء آخر سماه جعفراً ، مما يدعونا إلى الشك في نسبة هذه المقطوعات التي تختلف اختلافاً بيّناً عن بقية شعر صاحبنا ، في مضمونها كما بيّنا ، وفي شكلها الهزيل الوضيع أيضاً . فلعلها أقحمت في شعره ونُسبت خطأ إليه لأن أصحابها يُدعون أيضاً « ابن هانىء » كجعفر هذا الذي قال الثعالبي إنه أندلسي أيضاً . وقد تكون لابن هانىء آخر يدعى محمد (ابن ابراهيم) بن هانىء وكان يعيش بمصر في منتصف القرن السادس / الثاني عشر<sup>(4)</sup> . وقد لا يقتصر الانتهال على هذه القطع الضعيفة : فالقطعة التي يقال انه مدح بها جعفر بن فلاح القائد الكتاميّ ، وهي مذكورة في جميع النسخ : [بسيط]

كانت مسألة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أطيب الخبر

(1) حوليات 1972 قطعة 12 . وقراءتنا تقريرية نظراً لرداءة الخط في النسخة .

(2) حوليات 1972 قطعة 67 .

(3) ج 1 ص 24 .

(4) العداد الاصفهاني : الخريدة (شعراء مصر) ج 1 ص 248 .

ثم التقينا، فلا والله ما سمعت أذني بحسن ممّا قد رأى بصري<sup>(1)</sup>

هذه القطعة أثبتها بعض رواة الأدب منسوبة إلى صاحبنا ، ولكن أثبتوها موسومةً لا بالقائد البربرى ، بل بشخص يدعى احمد بن سعيد<sup>(2)</sup> . ومنهم من نسبها إلى أبي تمام<sup>(3)</sup> .

بل حتى كبريات القصائد قد نسب بعضها إلى غير ابن هانئ ، كالقصيدة السادسة والعشرين الطائية التي عزّاهَا ابن ظافر<sup>(4)</sup> إلى معاصر شاعرنا ومساكنه في البلاط الفاطمي على الأيدى .

وليست المقطوعات الخاصة بالخطوطة التونسية ضعيفة كلّها أو منحرفة عن مؤلف شعر ابن هانئ مثل هذه التماذج التي أوردناها . بل فيها قطع عادّة ، مثل الأبيات المنفردة التي يشهد فيها بخصال ممدودين معروفين كبني حمدون او أبي الفرج (محمد) الشيباني : [ طويل ]

ثلاث خصال سدت فيها عشيرتي ومن لم تكن فيه فليس بسيّد فهنّ : إذا واخت ، صرف مودتي وجود يميني ، وامنداح محمد<sup>(5)</sup>

أما المقطوعات المشتركة بين جميع النسخ ، فلا تلتفت الانتباه في خصوص الأخلاق أو أسلوب النظم فيها ، اللهم اذا استثنينا مقطوعتين في وصف مجلس لهو على طريقة أبي نواس . إلا أن الوصف شمل في أبياتها الخمسة ، الخمرة والأقداح والساقي والقيان ونجوم السماء : [ وافر ]

وليلٍ بت أُسقاها سلافا معتقة كلون الجلّار

(1) زاهد على : تبيّن ... 364 .

(2) ابن أبي حجلة : سكردان ... ص 392 .

(3) المحّي : خلاصة الأثر 1/ 88 .

(4) بدائع البدائنة ص 389 .

(5) حوليات ص 83 قطعة 31 .

كأنَّ حبابها خَرَزَاتٌ دُرِّ  
بكفٍ مقرطٍ يُزْهى بردٍ  
أقمت لشربها عيشاً، وعندِي  
ونجم الليل يركض في الدياجي  
عَلِث ذهباً بأقداح النُّضار  
يضيق بحمله وُسْعُ الإزار  
بناتُ اللهُو تعبُّ بالعقار  
كأنَّ الصبح يطلبُه بشار<sup>(1)</sup>

والآخر في وصف الجنارة بالذات ، وهي من الأرجاز القليلة في  
الديوان ، وصف حمرتها القانية الدامية ثم ثغرتها الشبيهة بالابتسامة المغربية :

... جاءَتْ بمثل النهد فوق الصدر  
تفترَّ عن مثل اللثات الحمر  
في مثل طعم الوصل بعد الهجر<sup>(2)</sup>

ولكنَ العدد الأوفر من هذه المقطوعات خصَّصه الشاعر لوصف  
السلاح ، وإنَّ له براعة خاصة في الإشعار بمناقب سيفٍ ممدوحٍ وغنائه في  
الحرب ، وكثيراً ما يكون سيف يحيى بن حمدون ، مما يدعو إلى الظن أنَّ  
هذه الأوصاف إنما هي مطاراتٍ شعرية وطرائف مجالس : يصوَّر مثلاً بريق

السيف : [ طويل ]

وذي شُطَبٍ قد جلَّ عن كل جوهِرٍ  
فليس له شكلٌ وليس له جنسُ  
كما قابلَت عينَ من اليم لجَةً  
وقد نَحرَتها من مطالِعها الشمس<sup>(3)</sup>

وينسب إلى السلاح عواطفٍ شيعية مثل التي لحامله : فهذا « سيف  
صدق » يرسل بريقاً شبيهاً بدموع الباكين على الحسين : [ طويل ]

(1) زاهد علي ، ص 334 صادر ص 174 .

(2) زاهد علي ، ص 334 صادر ص 175 .

(3) زاهد علي ص 378 صادر ص 176 .

هو السيف سيفُ الصدق ، أما غرارةً فعَضْبٌ ، وأما مثنةٌ فصقبيلٌ  
يشيع له الإفرند دمعاً كأنما تذَكَّر يوم الطف فهو يسيلُ<sup>(1)</sup>  
والخلاصة أنَّ هذه المقطوعات ، لئن لم تُسعِفنا بمعلومات جديدة عن  
أطوار حياة الشاعر أو عن الأشخاص الذين مدحهم ، فإنها على كل حال تثير  
جوانب من شخصيته وميوله وأخلاقه كانت تبقى مجهلة لدينا لو اكتفينا بدراسة  
القصائد الكبرى «الشريفة» الرسمية .

---

(1) زاهد على ص 648 صادر ص 307 . ويوم الطف هو يوم كربلاء .

# الفصل السابع

## أغراض ابن هانئ ومعانيه

### المعاني التقليدية

يشمل ديوان ابن هانئ كاملاً ، اي اذا اعتمدنا على طبعة زاهد علي وعلى الاضافات التي سمحت لنا بها مخطوطه تونس<sup>1</sup> ، سبعين قصيدة تتراوح بين احد عشر بيتاً ومائتين ، مجموع الابيات فيها يبلغ 4251 بيتاً . فإذا أضفنا اليها 140 بيتاً من المقطوعات الصغيرة والمنفردة ، بلغ مجموع ديوان هذا الشاعر 4391 بيتاً ، فهو إذن ديوان كبير .

### المدح

معظم القصائد السبعين مدائح ، منها ست وعشرون في بنى حمدون ، فإذا أضفنا اليها الهجاء الموجه الى الوهراني ، وهو في الواقع مدح لجعفر ، وكذلك المرائي الثلاث في والدة جعفر وحفيدتها ، بلغ شعر المسيلة ثلاثين قصيدة . ومدائح المعز بما فيها مدحه أخوته ثلاثة وعشرون ، ومدائح القواد والولاة والكتاب تبلغ ثلاثة عشرة قصيدة . والأربع الباقية لا تندرج في الأغراض التي اعتاد شعراء البلاط طرقها : اثنان تنسبان الى التمررين والمحاكاة : محاكاة لأبي نواس في رحلة خمرية ولعمراً بن أبي ربيعة في مغامرة

غزلية ، وأخرى من نوع الوصف الساخر تتهكم بأكول ، والرابعة أقرب الى النقد الأدبي اذ تتناول ديوان المتنبي .

ونتوي في هذا الفصل والفصلين اللاحقين ان ندرس الاغراض والمعاني التي تتضمنها هذه القصائد ، فببدأ بالأغراض التقليدية ، اي تلك التي تعود الشعرا المذاهبون ان يطروقها، من الاستهلال ، الى وصف الراحلة ، الى المدح ، ونحلل داخل كل قسم من هذه الأقسام نماذج من المعاني المطروقة . وللحث بالمدائح قصائد الرثاء ، فنحلل معانٰها أيضاً . ونختتم بالقصائد الأربع المستقلة ، اي التي لا تذكر ممدواحاً ولا مهجواً . وغَرَضُنا من هذه الدراسة ان نقف على مدى مسيرة ابن هانىء للقوانين المتّبعة واحترامه للتقاليد الموروثة منذ الجاهلية ، ومدى تخلصه منها إن كان هناك محاولة للتخلص ، ومن جهة أخرى ، أن نبرز مميّزاته عن غيره من شعراء المدح : وهي التحّب للدعوة الشيعية والانتصار الدائم للدولة الفاطمية . وستكون دراسة هذه النواحي العقائدية المذهبية وما يتبعها من مواقف سياسية ، ضدّ الخصوم والأعداء الأمويين والعباسيين والروم ، وضدّ المتمرّدين في الداخل ، ستكون مادة الفصلين الموالين لهذا الفصل السابع .

## الاستهلالات

أكثر القصائد تفتح بمقيدة غزلية ، او طلية كما يقولون ، من نوع النسيب . ولكن هناك سبعاً وعشرين قصيدة يدخل فيها الشاعر الى الموضوع مباشرة . والوثوب الى الغرض أصبح عادة متّبعة ، حتى إن المتنبي تهكم بمن يقدم النسيب وجوباً ويفرض على كل مادح ان يكون متّيماً . وقد يفتح شاعرنا القصيدة بتأملات حكمية أو مشاهد وصفية ، ولكن أكثر المقدمات هي في النسيب .

وفي هذا النسيب لا يخرج صاحبنا عن المألف ، وأقصى ما يحاوله هو ان

يُحذف أحياناً وقفه الأطلال ، أو الرحلة الى الممدوح ، أو وصف الوحش ، ولكنَّه مهما تصرَّف فإنه يستبقي شيئاً من المقدمة التقليدية ، كالتوّجع من فراق الحبيبة او صدودها ، هذه الحبيبة التي تكون يمنية ازديَّة مثله ، تلومه على التبذير كما كانت صاحبة عروة بن الورد تلومه على البذل : [ كامل ]

14/41 بكرت تلوم على الندى ازديَّة تنمى اليه خضاراما وقِيلا  
وقد تكون الحبيبة يمنية طائِيَّة فيحبّ لحّبها طيئاً كلّها رغم ازديته :  
[ طويل ]

2/3 نوى أبعدت طائِيَّة ومزارها الا كُلُّ طائِيَّ الى القلب محظوظ  
كما تكون أيضاً عدنانية تترفع عن المحبّ الذي لا يكون مصرياً مثلها :  
[ طويل ]

5/65 تميمية لم يعرف الذلُّ قومها ولا نكبات الدهر وهي غوايل  
10 . . . وقد جعلت تبأى علينا بقومها وفي وجهها شغل عن الفخر شاغل

وقد يكتفي بذكر منازل قومها فيعيَّن بذلك نسبها دون احتياج الى ذكر القبيلة ، كهذه الغادة التي يحميها فرسان نجد ضد الفتىَان الأزديَّين « صفر العمام » : [ طويل ]

3/46 فكيف بها نجديَّة حال دونها صعاليك نجد في متون الصلام فالحبيبة عربية بدويَّة ، وقومها يترحلون في طلب المرعى لإبلهم ، او يقطنون مشارف نجد او سهول اليمامة او يعتصمون بجبلٍ أجَا وسلمى ، وهي محروسة حصينة دونها تُرهق النفوس وتُسْيل الدماء . وقد يستغرب المرأة من شاعر نشاً في بيته أندلسية خضرة نضرَّة ذات حواضر ومدن ، ووقف أمام ممدوحية على أرض مغربية لها هي ايضاً جبالها وسهولها وأوديتها وقرها ، قد يستغرب منه هذا الانصراف بكلّيته الى بيته بعيدة لم يعرفها وأرض نائية لم

تطأها قدماه . وهو استغراب لا محل له ، ما دام الشاعر يستثمر رصيداً ثقافياً موروثاً، وما دام مقلداً ويعلم أنه مقلد، وأن هذه الحبيبة وهذه المنازل وهؤلاء الفرسان إنما هي سُننٌ متَّبعةٌ ومراحل لا بد للشاعر المذاخ أن يمر بها ، وليس له ، كما قرر ابن قتيبة ، ان يستبدل الناقة ببرذون فاره ، ولا مسالك الصحراء بأرقَة الكوفة ولا المناظر الموحشة بالحدائق العمومية . فلا وجه اذن لللوم الشاعر على تركه القيروان او المهدية او حتى الزاب الى نجد البعيد وفضيله دعداً او هنداً او أروى على المحبوبات المغريبات او الإفريقيات . فهو كالتملذ النجيب يحتذى حذو شيوخه الكبار ، وهؤلاء الشيوخ ، كما نرى في الفصل الأخير ، هم أمثال « علقة الفحل الذي زعموا في الشعر وامرئ القيس المراري » .

والنسبة غزل وهي وgram مفتَّل ، لذلك يتغير اسم هذه المحبوبة ،  
فلا هي بشينة ولا هي عزة كثير ، بل هي تارة هند العطرة : [ طويل ]

7/ مواطِئُ هنْدٍ في ثرى متنفسٍ تصوَّع من أردانها وتأرجحا  
وآخرى أروى المنية : [ طويل ]

20/47 وكم دون أروى من كمي مُلَأِمٍ وشعب شتىت بعدها لم يُلَأِمَ  
وهي في الأكثر أسماء الهيفاء العجزاء : [ طويل ]

8/52 سلوا بائنة الوادي أسماء بائنة بجرعائه أم عائِنُكْ مترَاكِمُ<sup>(1)</sup>؟  
وأماكن اللقاء والتفرق هي المعروفة المحفوظة كما قلنا : اللوى وبرين  
والمحصب وتوضّح وبرقة ثمد : [ طويل ]

11/10 ولله أطْعَانْ بُرْقةَ ثَمَدَ وقد كربت تلك الشموسُ لتجنحا  
إلا أن الشاعر يستقى عناصر تقليله أحياناً من متأخرین عن علقة أو

---

(1) العائد : هضبة الرمل . والجرعاء : الصحراء التي لا نبت فيها .

امرىء القيس ، كعمر في مغامراته بمناسك الحج : [بسيط]

3/12 ذا موقف الصبّ من مرمى الجمار ومن مشاحب البدن قفراً غير معهود 4 و موقف الفتى الناسكات ضحى يعشرن في جبرات الفتية الصيد واتباع السنة القديمة يشمل أيضاً العادات وطرق العيش كالترحل في الصباح الباكر بالأحبة في الهوادج العالية : [كامل]

1/6 أحبت بيتك القباب قبابا لا بالحداة ولا الركاب ركابا والرحيل يترك الشاعر الولهان غريقاً في دموعه . ويغالي الشاعر على عادته فيتخيل رهاناً في البكاء والجزع يفوز فيه هو بعضاً السبق : [خفيف] 7/35 يوم راهنت في البكاء عيونا فتقدمت في عنان السباق ويقل عنده الوقوف على الأطلال ووصف الدمن والأثار ، فاذا استوقف الصحب ، فبحجة المواساة المتبادلة والبكاء المُعار : [خفيف]

4/38 مُسْعِدِي عَجْ ! فقد رأيت معاجي يوم أبكي على الديار وتبكي ويكثر بالعكس تذكر الأيام الطيبة حين ينعم الحبيب بحبيبه : [خفيف] 4/35 رب يوم لنا رقيق حواشي لهو حسنا ، جوال عقد النطاق 10 قد لبسناه وهو من نفحات الممسك ردع الجيوب ردع التراقي أو المغامرات الليلية التي يظفر فيها بوصال الحبية الولهان الوجلة ، على غرار عمر مع صاحبته نعم : [متقارب]

7/58 فقد أطريقَ الحَيَّ بعد الهجوع تصلَّ أَسْئَلُهُمْ والظبي 8 فالهُوَ على رِقبة الكاشحين بمفعمة السوق خُرُس البرى ولكن أكثر الزيارات وأشدّها على العاشق هي زيارة طيف الحبيب في ليالي السهاد : [طويل]

وإذا ازور الطيف وذاب في جنح الظلام ، عوضه النسيم الذي يحمل  
شذاها عن بعد ، أو البرق الذي لعله من أفقها انبثق ، فزاده شوقاً وتسهيلاً وهيج  
فيه ذكرى التي لا تذكره : [طويل]

1/32 ١/ من أفقها ذاك السنّا وتألُفه؟<sup>(١)</sup>  
2 وما انفك مجتاز من البرق لامع يشوقنا تلقاء من لا يشوقه

والتقليد يشمل كذلك المعاني الحافة بمفهوم الحبّية العزيزة في قومها ،  
الحسينية في أهلها الممتعة في خدرها . فهي لا تبذل حسنه للناظرین ، ولا  
يصل إليها المحب إلا بعد جهد ، بل جهاد ، إذ أن حراس هذه الدرة قد  
يتبعون إلى زائر الليل فيكشف أمره فيضطر إلى قتالهم . واقتان المعنى  
الغزلاني بالمعاهدة الحرية صار سنة متّعة منذ عمر بن أبي ربيعة كما قلنا ،  
وشعراء القرن الأول والثاني كالفردق وبشار ووضاح وغيرهم ، ولم يكن  
متداولاً عند السابقين من شعراء الجاهلية والإسلام . وسلوك ابن هانىء لهذا  
المسلك يبرهن على أن تقليده يجاوز الفحول الأولى إلى فطاحل الفترة  
الأموية ، شأنه في ذلك شأن معاصريه ، المتّبني وأبي فراس . فهو يغامر مثلهم  
إذن او يستعد للمغامرة : [كامل]

7/41 ٧/ ساروع من ضمّت جمالكم وان غدت الأستة دون ذلك غيلا  
وقد لا تكفيه المغامرة في استهلال القصيدة ، فينظم مطولة في وصف  
رحلة ليلية كرائية عمر ، إلا ان الفتى المخزومي ينجو من حراس الحي  
بالهروب السريع في زي امرأة . أما صاحبنا فيجاهه ويبارز فيصرّع واحداً من  
مطارديه : [طويل]

---

(١) الدعاء على البرق بالوجود المؤرق يبدو سخيفاً ، وهو يعني في نظرنا : فليبق البرق مسهدأ طوال  
الليل لاماً ، كتابةً عن مقدم الصباح الذي يرجوه كل ذي أرق .

31/49 فبادرت سيفي حين بادر سيفه  
32 ونبه أقصى الحياني وترتهم  
وهي قتلة أدبية لا غير ، باعتراف الشاعر نفسه إذ يقول : هذا مجرد  
تقليد واني لم أزهد أي نفس<sup>(1)</sup> .

على أنا نظر أحياناً على فكرة طريقة تضفي على هذا التقليد الجاف  
وهذه الصحراء القاحلة شيئاً من الرواء ، كتحسّره على الشجرة المنفردة التي  
كان يأوي إلى ظلّها وستّها : [كامل]

12/1 لَهُ إِحْدَى الدُّوْحَ فَارِدَةَ، وَلَا  
13 بَاتَتْ تَشَنِّيَّ، لَا الرِّيَاحُ تَهْزِمَا  
وَكُذُلُّكَ وَصْفُ الْمَرْأَةِ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْمَأْلُوفِ مِنْ قَوَانِينِ الْحَسْنِ عِنْدِ  
شُعُرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ : فَهِيَ قَضِيبٌ بَانٍ يَشْتَنِي فَوْقَ كَثِيبٍ يَتَهَيَّلَ : [طَوِيلٌ]

9/8 إِذَا هَرَّ عَطَفَيْهَا قَوَامٌ مَهْفَهَّفٌ تَدَاعِي كَثِيبٌ خَلْفَهَا فَتَرْجِرْجِجا  
وَمِنْ الْعَيْنِ الْفَاتِرَةِ وَاللَّحْظَ الْمَرِيضِ تَنْطَلِقُ نِبَالٌ مُقْصِدَةٌ قَاتِلَةٌ : [بَسيطٌ]  
6/12 ذَوَاتِ نِبَلٍ ضَعَافَ، وَهِيَ قَاتِلَةٌ وَقَدْ يَصِيبُ كَمِيَّا سَهْمَ رِغْدَيْد  
هَذِهِ الدَّمِيَّةِ لِبِسَ الْحَسْنِ صَدَرُهَا وَشَابِهَتْ لَطَافَةَ الْخِيزَرَانِ سَاقُهَا ، وَلَكِنْ  
ثَغَرُهَا الْمُنْضَدِلُ الْعَطِيرُ لَا يَسْمَعُ بِالْقَبْلَةِ إِلَّا لِعُودِ الْأَرَاكِ : [كامل]

3/44 صَنَمْ تَرَدَّى الْحَسْنَ مِنْهُ مَقْرَطَقٌ وَمَشَى عَلَى الْبَرِدِيِّ مِنْهُ مَخْلَخٌ  
4 وَوَرَاءِ مَا يَحْوِي اللَّثَامُ مُقْبَلٌ رِتَلٌ، بِمِسْوَاكِ الْأَرَاكِ مُقْبَلٌ  
وَوَصْفُهُ لِمَحَاسِنِ الْمَرْأَةِ مُحْتَشِمٌ عَادَةً ، رَغْمَ مَا تَنْتَمْ عَنِهِ الْمَقْطُوعَاتِ فِي  
الْغَلْمَانِ وَقِيَانِ الْمَجَالِسِ . يَذَكُرُ ثَدِيَّاً قَدْ نَهَدَ ، فَلَا يَعْدُ التَّلْمِيعُ وَيَجْمِعُ

(1) تبيّن المعاني ... 708.

المشهد في حركة الضم والعناق حتى لا تكون متأة حملقة مُرية في هذا النهد  
الفالك : [طويل]

15/49 أمِيلٌ بها مَيْلٌ النزيفَةِ مُسِيدًا      إلى الصدر منها ناعمَ الصدر قد تَجَمَّعَ  
ولعلَ المَقام لا يسمع بالإباحية ، فإذا تحرَّر الشاعر المذاخ ، فبمقدار  
وياجراة من فحول السابقين كالنابغة في مشهد المتجردة وامرئ القيس حين  
يجر ثوباً وينسى آخر . على أن صاحبنا قد يسفَ ويسمع ، حتى أمام المعزَّ  
مولاه : يريد أن يلمع إلى العراك اللذيد الذي يكون مقدمة الظفر بالحبيبة  
فيورطه خيالُه الحربي وغلوه فيقابل بين براز الوعى وبراز الفراش ويحشد ألفاظ  
القتال حيث يُنتظَر كلام الوصال : [طويل]

10/37 تكون لنا عند اللقاء مواقفٌ      ولكنها فوق الحشايا معارك  
11 نزال من دون النحور أَسْئَةٌ      إذا انتصب فيها الثديُ الفوالك  
ولا نختم حديثنا عن استهلالات الشاعر دون أن نذكر توفيقه أحياناً في  
استخدام صورة الطبيعة الحية التي تواسي الشاعر المتيم فتحتو عليه كما رأينا  
في ذكره « للدوحة الفاردة ». فالشجرة المرتعشة هناك والحمامات الناثحة هنا  
تشاركان الشاعر كأنهما تشعران بحاله : [طويل]

12/3 وما راعني الا ابن ورقاء هاتفٌ      بعينيه جمر من ضلوعي مشبوب  
15 ... الا أنها الباقي على غير أيكه      كلانا فريد بالسماوة مغلوبٌ

## وصف الراحلة - التخلص الى المدح

اعتاد مقصَّد القصيدة - حسب « القانون » الذي قرَرَه ابن قتيبة - أن يدرج  
بين الوقفة الطللية والمدح ، وصفاً لمطيته وتعداداً لمتابع السفر إلى الممدوح  
كما يقيم عليه الحجة ، كما قال ، ويوجَّب عليه العطية . هذا القسم من  
استهلال القصيدة لا نجده إلا في مدحتين من شعر ابن هانئ ، الأولى في

جعفر بن حمدون ، والثانية في المعز . في الأولى ، يغرق الشاعر في «التبدي» فيحشر في أربعة أبيات أغرب المفردات المتعلقة بالناقة وبالصحراء : قوة القوائم مع الضمور وحبكة الجلد ، واستقامة العنق مع علوّ السنام ، والقدرة على قطع الفيافي في الحر الشديد الذي يلمع سرابه وفي الليل البهيم الذي يهابه حتى القطا : [منسر]

27/61      27      28      29      30      31  
 وعمرس بازل مفتلة خرقاء ضامر جلعت  
 قوداء عيرانة مضبرة تجوب حزن الأكام والفدد  
 في مهمه يلمع السراب به كمثل ماء بقيعة يورد  
 وصلث فيها هجيرة بسرى الليل، وسرب القطا قد هجذ  
 حتى أنخت المطي باركة بساحة من ذرى أبي أحمد<sup>(1)</sup>

وفي الثانية يختصر الوصف فيضمه إلى التخلص ، في بيت واحد ، وكأنه تذكير بالمعاني المطروقة عادة ، فيكفي الاسم للإيحاء بقوّة الناقة وبامتداد الفلاة ، وتكتفي صورة الحج إلى البيت الحرام للإيحاء بالارتياح بعد التعب الشديد : [كامل]

12/9      12/9  
 حجت بنا حرَم الإمام نجائب ترمي إليه بنا السهوب الفيحا<sup>(2)</sup>  
 وهذا مثالان من احترامه للقانون القديم ومن ميله إلى التحرر منه .  
 ولكنّ وصف الناقة لا ينحصر في قسم الرحلة إلى الممدوح ، بل نجده في نوع آخر من الرحلات : ترحل الخليط في الصباح الباكر يحملون معهم المحبوبة ، أو اضطراب الشاعر في الأرض وراء الذكريات العذبة ، على ناقته ذات العضلات المفتولة كقوى الحبل أو على بعيره الصلب العنق : [سريع]  
 ... من ذات أعضاء إذا هجرت فُتلي ، وذي أجنة حُلقي

والمطية تكون أيضاً فرساً ، بل إن الفرس أحُب إليه من الناقة . فهو

(1) أبو أحمد كنية الممدوح .

(2) الفبح (فتح) ج أنيح وفيحاء : الواسعة المترامية .

يحسن وصف الخيل ويتبسط فيه ويكثر منه . وربما دلّ هذا التفضيل على أن معرفته بالخيل أوثق لأنّه مارسها فعلاً ، أمّا معرفته بالإبل فعن حفظ ورواية ، لا عن ممارسة حقيقة . والفرس قويٌ عالي المتن مت候ف للقتال لا يصبر عنه فلذلك يلوك لجامه : [ كامل ]

12/30 باقٍ لا يدع الصهيل إلى القنا حتى يلوك خطامها المتقصّفا  
هذا الحصان صادق الفراسة يعرف طريقه ليلاً فضلاً عن النهار ، كأنما خلقت فيه القيافة والعيافة ، ويساعده على هذا الاهتداء الثابت سمع لطيف يقظ دقّيق كلّما أحسَ بالجرس الخفي انتصبت أذنه متنبهتين متّحافتين كأنهما تحرسان الراكب من مخاطر الليل : [ كامل ]

12/36 يسري فأحسب في عَناني قائناً  
14 . . . يرمي الأنبياء بِمسمَعِي وحشية  
15 فقدما ، وتنصبا ، وتسلقا  
16 وتكتفاني ينفضان لي الدجى فإذا أمشت ، ترصدوا فتخوفاً  
منفرساً ، أو زاجراً متعيّفاً  
قد أوجسا من نباءً فتشوفا  
وتلطفاً ، وترسفاً ، وتحرفاً  
فإذا أمشت ، ترصدوا فتخوفاً

هو دابة حرب ودابة سفر ، فإذا افترن عنده هذا الحُسْن الثابت بقوّة البناء  
والقدرة على العدو والصبر على التعب ، صار دابة طرد أيضاً ، فلذا يعود  
الشاعر إلى وصف دقة سمعه في مشهد صيد مُقْحَم في مقدمة القصيدة مثل  
طرديات الشعراة العباسين ، إلا أنه في هذه المرة يخصص لها نحو عشرين  
بيتاً فيشيد بجمال خلقتها مع قوتها وهبّتها وسرعتها جريها : [ متقارب ]

12/58 فقدنا إلى الوحش أشباحها  
13 صنعوا لها كلّ رخو العنوان  
14 يُرَدُ إلى بسطة في الإهاب  
15 كأنَّ قطاً فوق أكفالها  
ورعنًا المها فوق مثل المها

(1) نقض له الطريق : راقبة وتفقدة من عدو أو خطير .

## ١٦ عواري النواهق شوش العيون ظماء المفاسيل قُبَّ الْكُلِّ<sup>(١)</sup>

ويتغنى بقوّة بصرها كما تغنى بقوّة سمعها ، إلا أنه يلحّ على حاتمة السمع لأن الأذئن بتحرّكهما السريع المتلاحم المتغيّر أكثر إساعافاً للشاعر من العين للتفتن في الوصف والتعتمق في الافتراض ، فإذا كانت العين تتبيّن ظلّ الفارس في الظلام ، فإن الأذن تندى إلى نجوى الفؤاد :

- ١٧/٥٨ تُدِيرُ لطَحَرِ الْقَنْدِيْ أَعْيَنَا  
١٨ وتحسب اطّراف آذانها  
١٩ فهُنْ مُؤْلَلَةٌ حشرةٌ  
٢٠ تكاد تُحسُّ اختلاج الظنو  
٢١ وتعلّم نجوى قلوب العدى ،
- أَمَّا عدوها فهو أسرعُ من البرق الخاطف مع أنه خفيف رفيق كالخاطر : السريع :

- ٢٢ فابعد ميدانها خطوةٌ  
٢٣ ومن رفقها أنها لا تحسُّ  
٢٤ إذا ما جرى البرق فيها ، كبا

فلا غرابة ، وحصلالها على هذا القدر من التفاسة ، ان تكون الخيال هي « حصون العرب ومعاقلها » ، كما قالوا في أمثالهم ، وأن يكون سرج الحصان « أعزّ مكان في الدّني » حسب قوله المتنبي . ولشن ذكرنا أبا الطيب ، فليس لاتفاق الشاعرين في الفخار بالفرس في عزّه ومنعه فقط ، بل في وصف دقة الحواس أيضاً ، ونحن لا نستبعد أن يكون شاعرنا اتخذ قصيدة المتنبي اليائية في مدح كافور مثلاً فاحتذاه في وصف سمع الفرس وبصره ، وان أكد لنا أنه

(١) الشّطّى : عظم الركبة . النواهق : عظامان في مجرى الدم من وجه الفرس . والأئبُ من الخيال الدقيق المفاسيل الضامرُ البطن .

(٢) الأذن المُؤْلَلَةُ : المحذدة المتخصبة للنبأ . وحشرةٌ : دقيقة مرهقة .

يصعد الى أعلى من المتبني ، الى طفيف وصف الخيل :

- 25/58 إذا أنت عدّت ما يمتنى  
وقيايسَتْ بين ذوات الشوى  
فهـنـ نـفـائـسـ مـاـ يـسـتـفـادـ  
وهـنـ كـرـائـمـ مـاـ يـقـتـنـى  
26 دـيـارـ الـأـعـزـةـ لـكـنـهـا  
مـكـرـمـةـ عنـ مـشـيدـ الـبـنـاـ  
27 وـمـنـ أـجـلـ ذـلـكـ لـاـ غـيرـهـ رـأـيـ الغـنوـيـ بـهـاـ مـاـ رـأـىـ  
28

ولا نعني بهذه المقارنة مع الشعراء المعاصرين له او السابقين ، أن الشاعر في وصفه للخيل انما هو مقلدٌ متلمذٌ ، فإنَّ براعة الوصف وطراقة بعض التخيّلات ، وحسن استخدامه لمقولات العرب في الخيل ، كلّ هذا يعبّر عن تعلّق صادق بالخيل ، ومعرفة جيّدة بصفاتها ، ولنا ان شاء الله عودة الى تفنته في الوصف في الفصل العاشر .

### وصف الظواهر الطبيعية : الليل ، النجوم ، البرق ، المطر الخ ...

تتضمن الاستهلالات أيضاً مشاهد وصفيةٌ يربط فيها الشاعر بين ظواهر الطبيعة وما يدعيه لنفسه من همٍ وتسهيدٍ . فهو يولي البرق مثلاً اهتماماً خاصاً ويربط وصفه بوصف الحبيبة : ضياؤه من إشراق وجهها او من لمعان ثغرها ، وهو إذ يشقّ ظلام السماء يجسمُ السحبَ فيعطيها أشكالاً مختلفةً ، فخصر مرهف هنا وكفل ثقيل هناك ، وثوب مجتبٍ تارة وعباءة مفتوحة اخرى : [طويل]

- 1/8 أمنكِ اجيـارـ البرـقـ يـلـتـاخـ فـيـ الدـجـيـ  
تـبـلـجـتـ مـنـ شـرـقـيـهـ فـتـبـلـجـاـ؟ـ  
2 كـأـنـيـ بـهـ لـمـاـ شـرـىـ منـكـ وـاضـحـاـ  
تـبـسـمـ ذـاـ ظـلـمـ شـنـيـبـاـ مـفـلـجـاـ(1)

(1) شري البرق : لمع أو تفرق .

3 مطار سنى يزجي غماما كأنما  
 يجاذب خمراً في وشاحك مدمجا  
 4 ينزو اذا ما ناء منك رقامه  
 برادفه لا تستقل من الوجى  
 5 كان يدا شقت خلال غيمومه  
 جيواً، او اجتابت قباء مفرجا

ويربط البرق أيضاً بالمطر ، فيستطرد في وصف طويل للسحب المحمّلة  
 بالماء المنعش ، الشبيهة في دكتتها بالعقبان المنقضة على الفريسة . وعلى  
 عادة شعراء الباذية ، يدعوا لأرض الأحنة بالغيث المسجم حتى تفوح رياضهم  
 بشذى الزهر المنضد : [طويل]

6/10 ولما تهادى نكب البيذ معرضها  
 وأتاق سجلا للرياض فطفحا  
 7 تدللى فخلت الدكن من عذباته  
 كواسر فتحا في حفافيه جتحا  
 8 لغد غوايه بمندرج اللوى  
 موائع رقرق من الرئي متتحا<sup>(1)</sup>  
 9 سقته فمجث صائق المisk حفلأ  
 تسع، وأذرت لؤلؤ النظم نضحا  
 10 فلم تُق من تلك الأجراء أجرعاً  
 ولم تُق من تلك الأجراء أجرعاً  
 ويتقن الشاعر أحياناً في وصف المشهد الطبيعي فيجمع في لوحة واحدة  
 المطر الخفيف ومطاردة الريح للسحب ، والعشب المعطر ، والنسيم الرفيق  
 ولكنه يتكلّف الصور والتشبيهات فيخرج عن الطبيعة النابضة الحية الى طبيعة  
 منظمة مفتولة ، ولا سيما إذا فقى أبياته بروي نادر مهجور كالطاء : [بسيط]

1/26 ما كان أحشه لو كان يلتقط!  
 قاعع، وظبي في الجو تختلط  
 2 بين السحاب وبين الريح ملحمة  
 فما يدوم رضي منه ولا سخط  
 3 كأنه ساخط يرضى على عجل  
 كما تنفس عن كافوره السفط  
 4 أهدى الريح إلينا روضة أنفاً

(1) أناق : ملا . التجل : الدلو . والعذبات : أطراف السحاب . والفتح : العقبان والجفاف  
 بالكسر : الجانب . وماح الماء من بته : طلبه ومتّع الماء : آخرجه بالدللو .

ولكن ، في هذا المشهد المشحون بالتفاصيل ، المثقل بالتشابه ، نظفر أحياناً بصورة طريفة تخرج عن مألف الخيال عند شعراء الجاهلية . من ذلك هذه الإشارة إلى البحر في مده وجزره ، وهذا التشبيه للسحاب بالقاضي العبوس :

5/ غمامٌ في نواحي الجو عاكفة جعدَ ، تحدر منها وابل سُبْطُ  
6 كأن تهانها في كل ناحية مذ من البحر يعلو ثم ينهض  
7 والبرق يظهر في للاء غرته قاضٍ من المُزن في أحکامه شَطَطُ  
8 وتأخذ الأرض حظها من هذه المزن ومن وصف الشاعر :

9/ الأرض تبسط في خد الشري ورقاً كما تُشرُّ في حفاتها البُسطُ  
والريح تبعث أنفاساً معطرةً مثل العبير بماء الورد يختلط  
فالشاعر ، رغم إعجابه الصريح بالقدماء وتعلقه بطرقهم ، يحاول أحياناً  
ان يخلص من القيود التقليدية أو أن يجدد في الحدود الضيقة التي يسمع بها  
جنس المدح ، فيدخل في القصيدة هذه المشاهد الطبيعية مثلًا التي تذكرنا  
بشعر ابن الرومي أكثر مما تذكرنا بالجاهليين ، رغم ما يتزلق اليه الشاعر من  
ذكر الأماكن والجبال والأسماء المحفوظة في الشعر القديم ، كثير ومندرج  
اللوي ، وما كان أغناه عن ذكرها !

ويصف النجوم كذلك ، لأن الشاعر المتيم يقضي ليه الطويل في انتظار  
الصبح ، فيُعد النجوم ويرعاها ويرجو أقولها . وشاعرنا لا يخرج عن هذه  
الستة ، إلا أن تعلقه بالنجوم ليس وليد التقليد فقط ، بل يظهر أن له معرفة  
مدقة باسمائها ومواقعها وسيرها ، كما تشهد بذلك ، إلى جنب ما أكدته ابن  
الخطيب<sup>(1)</sup> ، القصيدة الحادية والثلاثون التي خصص منها عشرين بيتاً لوصف

. (1) إحاطة 212/2

الأفلالك فُسِّمَت « القصيدة الفلكية » وتناولها الرواة ودرسها الدارسون وحفظتها كتب الأدب . وسنقف عندها وقفه درس وتحليل . أما الآن فنكتفي بنموذج يصور فيه انتظاره لانجلاء الليل المتطاول ، ولتكنه يترك تحليل عواطفه ويبحث إلى الصورة البدعية المتكلفة : [ طويل ]

13/ خليلي ١ هبَا فانصراما على الدجي  
كتائب ، حتى يهزم الليل هازم  
14 و حتى أرى الجوزاء تنشر عقدَها وتسقط من كف الشريأ الخواتم !

## المجالس الخمرية

ي quam الشاعر ضمن الاستهلال وصفاً لمجلس لهو على الطريقة النواسية وقد عرضنا أنموذجاً من هذا المعنى الذي أصبح هو الآخر سمة متبعة . فالشاعر الموله يدعو صاحبيه الى طرد الهم براح معنقة ، او يتذكر أيام لهوه في صباح مع الغواني النواعم وهن يسكنئه خمرة صافية او شديدة المفعول : [ كامل ]

5/30 ٥ وللن ذكرت الغانياتِ فخطرةُ  
تعتاد صبا بالحسان مُكْلِفًا  
٦ فلقد هززت غصونها بثمارِها  
وَهَصَرْتُهُنَّ مُهْفَهِمَا فمهفهها  
٨ ... ولقد هززتُ الكأسَ في يد مثلها  
وصحوت عما رق منها أو صفا  
٩ فرددتها من راحتئه مُرْزَةً، وشربتها من مقلتيه قرقفَا

ويصف كذلك لوازم الشراب كالباريق ، فيلتمس لها الصورة الظرفية ويتتوسع فيها ويستفرغها : فهي اذ تمدد اعناقها كأنها تصغي إلى غناء القيان ، تشبه ظباءً أوجست خيفه : [ خفيف ]

11/35 ١١ والباريق كالظباء العواطي  
أوجست نبأة الجياد العناق  
12 مصفياتٌ إلى الغناء مطلاً  
ت عليه، كثيرة الإطراف  
وارتفاع أنفها يجعل إلى الذهن فكرة الشَّمَم ، وصورة الأنف المتكبر  
تجز صورة الرَّعْف بدم الخمرة :

13 وهي شِمَ الأنوف يشمُخْنَ كِبراً ثم يرْعَفُنَ بالدمِ المهرَاق  
وهم اذ كَمِّوا أفواهُها بِالمِصْفَاةِ كأنهم منعواها من السَّمَاعِ ، فصارت بين  
ضُرَّينِ : إِما الصَّمَمُ وَإِما البُكَاءُ :

14 فَدَمْتُهَا السَّقَاءَ كَيْ يُوقِرُوهَا صَمَمًا عن سَمَاعِ شَادِ وَسَاقِ  
15 فَهِيَ إِمَّا يَشْكُونَ ثِقْلًا مِنَ الْوَقِيرِ ، وَإِمَّا يَبْكِيُنَ بالآمَاقِ

ويتعَرَّ الشاعر في هذه الصور الكثيرة المتلاحقة وتضطرب لغته في  
تشخيص هذه الأدوات او تجميدهن ، فيخرج الى النص بالحدَّر منها لأنها  
تكشف عن مكنون الفؤاد :

16 جَبِبُوهَا مِجَالِسَ اللَّهُو وَالْوَصْلِ  
17 فَهِيَ أَدْهَى مِنَ الْوُشَاهَ عَلَى مَكْنُونِ سُرِّ الْمُتَبَّمِ الْمُشَتَّقِ

ومن عناصر المجلس ، الساقِي الأهيف الجيد الثقيل الرذف المريض  
اللحظ ، لأنَّه اعتاد شرب الخمرة التي يُسقيها . والشاعر يخلط وصفه بالغزل لأنَّ  
هذا الغلام شادن نواسٍ : [طويل]

2/31 وبات لنا ساقِي يقوم على الدجى  
3 أَغْنُ ، غَضِيَضُ ، خَفَّفَ اللَّيْنَ قَدَّهُ ،  
4 وَلَمْ يُبِقِ إِرْعَاشُ الْمُدَامَ لَهُ يَدًا ،

فيلحَّ في وصف تثبيه ويرفعُه عن التشبيه المعتمد بالغضْنِ المتمايل فوق  
الكتيب :

5 نَزِيفُ نِضَاهِ السَّكَرُ إِلَّا ارْتِجَاجُهِ  
إِذَا كَلَّ عَنْهُ الْخَصْرُ حَمَلَهُ الرَّذْفَا  
6 يَقُولُونَ: حِقْفُ فَوَقَهُ خِيزْرَانَةُ ،  
أَمَا يَعْرِفُونَ الْخِيزْرَانَةَ وَالْحِقْفَانَ؟

## شكوى الدهر

قد يعوض شاعرنا ، او يعزّز ، وصفه لمشاقّ الرحلة الى الممدوح ، بشكوى من صروف الدهر وضربات الزمان . وهذا أيضاً معنى معروف وستة متّبعة ، والقصد منه توليد عاطفة الرحمة والشفقة في قلب الممدوح ، مما قد يحمله على توفير العطاء . وتحتّل شكوى ابن هانىء عن تأمّلات معاصره المتّبني ، فليس لها نفس العمق ولا ذات الطابع الشجّي ولا تلك الغنائية الحزينة . ثم إنّ ابا الطيب كان يقطع لنفسه قسماً من المدح فيعزل تماماً عن الممدوح ويقضي حقّ نفسه من التّالم والتّصير والفخر بأنفته وجلده ، فإذا فرغ من بثّ همومه ، فكر آنذاك في ممدوحه فدخل في المدح . اما ابن هانىء ، فيدمج هذا التّشكّي ضمن الاستهلال ويربطه بالnisib ، كأنّ هجران الحبّية وصدودها او رحيل قومها هي أيضاً من نكبات الدهر وتقلبات الأيام والليالي :

[طويل]

أريد لهذا الشمل جمعاً كعهدنا ٧/٧  
وابتها خطوب للنوى وحوادث  
عيث زماناً بالليالي وصرفها  
فها هي بي لو تعلمون عواث

وتقلب الدنيا شبيه بتنقل الحسناء في هواها ، فكلّا هما لا ثبت على حال ، وشاعرنا يستخدم هذا التّمثيل بكثرة ويصعد به شيئاً فشيئاً الى نعي المكارم في هذه الحياة والتي تَبَعَه هو في البحث عن كريم «أعزّ محجّل» فإذا هو الممدوح وحده ، والنّاس كلّهم رعاع و«جيّلة دهماء» : [كامل]

- 22/ طويّت لي الأيام فوق مكايِد ما تنطوي لي فوقها الأعداء
- 23 ما كان أحسن من أياديها التي تُوليك ! إلا أنها حسناء
- 24 ما تُحسّن الدنيا قدّيم نعيمها :
- 25 تشاري النِّجَارَ علَيْ ، وهي بفتكتها
- 26 إِنَّ المَكَارَمَ كَنْ سِرِّبَا رائداً
- 27 وظفقت أَسْأَلُ عن أَغْرِيَ مُحَجَّلِ فإذا الأنام جِبَلَةَ دَهْمَاءَ

28 حتى دُفعت إلى المعز خليفة فعلمَت أن المطلب الخلفاء  
ولشن ندت منه بعد هذه الشكوى نفحات فخرية يُؤكَد فيها قُوَّة جاشه :  
[ طويل ]

13/11 إلا لا تُنهِنْهِي الخطوب بعادٍ فلي همَّة تبرى الخطوب وتنتحُّ<sup>(1)</sup>  
وعُلُّهُمَّة التي رامت النجوم فبلغتها : [ كامل ]

14/25 لقيث نعماء الخطوب وبُؤسَّها  
15 فإذا سعَيْت إلى العلى لم أتَيْذ  
16 شارفت أعنان السماء بهمَّتي  
ولشن أشاد أحياناً بقومه ففخر بشجاعتهم وفصاحتهم : [ سريع ]

17/36عشري العشر قادوا العلى والإنس والجن بلا ريق  
18 فيهم سبيل المجد عاديه قبل الصياصي وأبنة الطرق  
20 ... أهل الاكفت البيض تهدي القرى والشول في القرب وفي السحق  
22 ... هم نطقوا والناس من مرمي والدهر مكفوم عن النطق<sup>(2)</sup>  
فإنه في الأغلب يكفي الشباب الراحل ودنو الشيخوخة ، فيصطبغ الاستهلال  
بالصبغة التشاورية المعهودة في الشعر الحكمي : [ متقارب ]

4/58 لم يلبِّي رداء المشيب الجديد ولكنها جدة للبلى  
5 فأكديت لما بلغت المدى وعَرَيت لما لبست الثئي  
وهذه الحكم والأقوال المأثورة ترضي كلَّ نفس وتتوافق كلَّ مقام لأنها  
مستمدَّة من التجربة الإنسانية ، وتدالوتها الألسن فصارت من الحقائق التي لا

(1) نتح (باب ضرب) : اقتلع . ونهنتَه الحوادث : زجرَته عن مرامي .

(2) الصياصي : هي الحصون والقلاع . وابنة الطريق : الطريق المتشعب . الشول : الإبل ومرمر الناس : غضبُوا ولعلها : في بَرَبِّ : في كلام غير مفهوم .

تحتاج الى استدلال ، لذلك يصرفها الشعراء في كل غرض ويطرقونها في الرثاء كما يطرقونها في المدح ، وربما كان القصد منها « رفع » الشعر الى أجواء التأملات العالية دون أن يكون الشاعر بالضرورة في هذا الضنك ولا هذا

التعب : [ طويل ]

17/42     نُساق من الدنيا الى غير دائم     وبنكي من الدنيا على غير طائل  
18     فما عاجلٌ نرجوه الا كأجلٍ،     ولا آجلٌ تخشاه الا كعاجل  
19     ... وما الناس الا ظاعن ومودع،     وثاً قريصُ الجفن يبكي لراحل

## معاني المدح

قلنا إن أهم المعاني الواردة في مدائح ابن هانئ هي معانٍ مذهبية وشعارات سياسية وحملات على أعداء الفاطميين وخصومهم ، وأرجأنا البحث فيها الى فصل لاحق من هذه الدراسة . أمّا الآن فنهمّ بالمعاني التقليدية التي لا يخلو منها شعر البلاط ، وندرسها للوقوف على مدى تقليد ابن هانئ من جهة ، وعلى مدى تكيف مدائحه بحسب الممدوحين ، أي بحسب قربه منهم وحظوظه عندهم ، أو بحسب مرتبتهم في الدولة وسعة نفوذهم .

## الكرم

من معاني المدح الواجب طرقها ، الكرم . وهو كرم واسع دائم لا يُحدّ ولا يُعدّ ، ولا يشبه إلا بالبحر الزاخر والوابل المتهاطل . والشعراء يتبارون في هذا الإطار ويتسابقون وراء الصورة الجديدة والتشبيه النادر والافتراض الغريب ، خصوصاً وأن العادة اقتضت أن لا يذكروا عطيّة بعينها ولا مقداراً محدداً من الدرّاهم والدّنانير ، لأن التحدّيد بمبلغ يجعل لهذا الكرم حدوداً وينزله الى مستوى الكمية المعدودة المعروفة ، وهذا لا يليق بالممدوح .

فلذلك يبقى الكرم في أحواء مطلقة سماوية ، ويُوجه الشاعر نفسه لنقريب هذا الجود الضبابي إلى ذهن السامع ، ويتعمّل ويتعجب فيجاوز حد الذوق أحياناً ويُعرّفُ بدوره ، ولكن في السماحة : [ خفيف ]

كُلُّ أَسْرَارِ راحِتِيهِ غَمَامٌ  
مُسْتَهَلٌ بِوَابِلِ غَيْدَاقٍ  
فَإِذَا مَا سَقَاكَ مِنْ ظَلْمًا جَاءَ  
وَزَ حَدَّ السُّقْيَا إِلَى الْإِغْرَاقِ

21/35  
22

وإذا لجأ إلى التشبيه المعتمد بالماء الدافق ، تصرفٌ وغالبٌ فغلب ندى المدح على ماء السحب : [ بسيط ]

12/26 تالله لو كانت الأنواء تشبهه ما مرّ بؤسٌ على الدنيا ولا قنطٌ  
ورفعه على أمواج البحار مجموعة :

20/26 يزري بفيض بحار الأرض لو جمعت بستان راحته المغلوبُ الخِمْطُ

هذه أبيات من مدائحه في المعز ، وهو ، والحق يقال ، لا يتبسّط في الإشادة بكرم الخليفة مثلما يتبسّط في مدح خلاله الأخرى ، كأنه يتحرّج من الظهور في صورة المستجدي الذي يطلب العطاء في مقابل مدحه ، في حين أن مدحه إنما هو حمد كما يقول ، لأنّه تعبر عن ولاء صادق للإمام وأسرته ، وانخراط تلقائي في الحزب الفاطمي ، ولا يليق بالداعية المخلص أن يطلب مكافأة على سعيه وتحرّكه . ويتوزّع شاعرنا عن طلب الرفد صراحة ، ولا يربط كرم صاحبه بحاجات شخصية ولا بعطایا مخصوصة . فلا ذكر مثلاً في القصيدة الثالثة والخمسين ، وهي أول قصيدة ألقاها بين يدي الخليفة ، ولا في لاحقاتها ، لذلك القصر المنيف الذي كفأه به المعز عند فراغه من الإنشاد ، حسب ما ترونه توطئة القصيدة ، وهي رواية تكاد تكون خيالية . وإن نعثر على بيت فيه شيء من الطلب ، فهو بيت على درجة كبيرة من التعميم : [ متقارب ]

86/58 إلى مثل جدواك تنضي المطي ومن مثل كفيك يرجي الغنى  
أو هو طلب الإنصاف من الحاسدين الذين يريدون إخماد صوته :

[ طويل ]

64/37 أرى شرعة الملك تنحٰت جانبٍ وتبو عن الليث المخاض العوارك  
74 . . . خمول وإقتار ، وفي يدك الغنى فمحياً! فإني بين هائين هالك

ونعود الى معنى الكرم لنلاحظ أن الشاعر قد يسام الصورة المعتادة ، صورة الغيث والبحر، فيلتمس تشبيهاً جديداً، يكون فيه أيضاً تعظيم لكرم الممدوح : فالشمس في انتشار ضئولها على أديم الأرض وأرجاء الكون ، لا تصاهي ندى الممدوح في اتساعه لكل محتاج وشموله لكل عاف : [ طويل ]

65/31 وما الشمس تكسو كل شيء شعاعها بأسيف عندي من نداك ولا أضفي . . . . .  
. . . . . ويعود الى التشبيه بالشمس فيضيف إليه عنصري الحرارة والشهرة ،  
فلن أضاءت هي بنورها وأدفأ ، فإن نيران قُدور الممدوح أسطع ، ولشن مدت  
شعاعها على البسيطة كلها ، فشهرة الممدوح بالكرم أعم وأوسع : [ طويل ]

65/23 لا أنظر الى الشمس المنيرة في الضحى وما قبسته أو تمد على الشّرى  
66 فائقب منها نار زندك للقرى وأشارهـ منها ذكر جودك في الوري

## الحلم

يشمل الحلم خصاً كثيرة : علو الهمة ، ورباطة الجأش ، وسعة  
الصدر ، والترفع عن الدنيا ، والتسامح والرصانة والترىث ، وهو عنصر  
رئيسي في مفهوم المروءة العربية أي الصفات الواجبة للمرء ، صفات الرجلة  
الحق التي تعطي الإنسان ثقة بنفسه وثباتاً شبهاً بثبات الرجال ، فلذلك كثُر  
تشبيه الحليم الرصين بالجبل الراسخ الراسي : [ كامل ]

18/44 والأرض تحمل حلمه فيؤودها حتى تقاد بأهلها تزلزل . . . . .  
والصفة المجلدة في الحليم هي العفو عند القدرة على الانتقام . وهذا  
إلا إغضاء عن الذنب عند الممدوح صار ستة متّعة عند كل الناس : [ طويل ]

62/47 وأنَّ بدأَتِ الصُّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذَنِّبٍ وَانَّ سَنَتَيِ الْعَفْوِ عَنْ كُلِّ مُجْرِمٍ  
64 . . . وَمَنْ يَتَيقَّنُ أَنَّ لِلْعَفْوِ مَوْضِعًا مِنَ السِّيفِ يَصْفُحُ عَنْ كَثِيرٍ وَيَحْلِمُ  
وَكَذَلِكَ الْحَزْمُ ، يَنْبَغِي أَنْ يَقْتَرِنَ بِالثَّانِي وَالثَّالِثِ ، مَثَلًا اقْتَرَنَ الصُّفْحَ  
بِالْمَقْدِرَةِ :

63 وَكُلُّ أَنَّاءٍ فِي مَوْاطِنِ سُؤْدَى وَلَا كَائِنَةٌ مِنْ قَدِيرٍ مُحَكَّمٍ  
65 . . . وَمَا الرَّأْيُ إِلَّا بَعْدِ طَوْلٍ تَثْبِتُ وَلَا الْحَزْمُ إِلَّا بَعْدِ طَوْلٍ تَلْوِمُ  
وَخَلَالُ الثَّانِي وَالثَّالِثِ ضَرُورَيَّةٌ بِالْخُصُوصِ لِصَاحِبِ السُّلْطَانِ  
الْوَاسِعِ الَّذِي يَتَحَكَّمُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ وَالْأَرْوَاحِ ، يَحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ الصَّفَاتِ  
لِاِخْتِيَارِ أَعْوَانِهِ وَتَدْبِيرِ مَلْكِهِ ، مَثَلًا يَحْتَاجُ إِلَى سَلَاحِهِ ، فَالْعُقْلُ صَنْوُّ لِلسِّيفِ  
وَنِدْءُهُ ، وَلَا غَنِيٌّ عَنْ هَذَا وَلَا ذَاكُ : [كَامِلٌ]

22/44 ذُو الْحَزْمِ لَا يَتَدَبَّرُ الْأَرَاءُ فِي أَعْقَابِهَا ، مَا الرَّأْيُ إِلَّا الْأُولُّ  
23 مَتَقْلَدٌ بِيَضْنِ الشَّفَارِ صَوَارِمًا ، مِنْهَا نُهَاءُ ، وَرَأْيُهُ وَالْمَنْصُلُ  
وَالْأَنَّاءُ وَالْحَزْمُ صَفَّاتٌ مُتَكَامِلَاتٌ تَتَضَافِرَانِ وَلَا تَتَعَارِضَانِ . فَإِنْ كَانَ  
الْمَدْحُوُسُ سَرِيعُ الْبَتْتِ فِي الْأَمْرِ الْمُعْضَلِ سَرِيعُ الْإِنْجَازِ لِمَا قَرَرَ ، فَإِنْ حَزَمَهُ هَذَا  
لَا يُبَطِّلُ أَنَّاهُ ، كَمَا أَنَّ مَغْرِيَاتِ الدُّنْيَا لَا تَغْلِبُ قُنَاعَتَهُ وَتَرْفُعُهُ عَنْهَا : [طَوِيلٌ]  
25/37 إِمامُ رَأْيِ الدُّنْيَا بِمُؤْخِرِ عَيْنِهِ فَمَنْ كَانَ مِنْهَا آخِذًا فَهُوَ تَارِكٌ  
إِذَا شَاءَ لَمْ تَمْلِكْ عَلَيْهِ أَنَّاهُ بِسَوَادِ عَزْمٍ لِلْقَضَاءِ مَوَالِكُ  
وَيَتَّصِلُّ بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ وَرَأْيِ الْحَصِيفِ ، الْذِكَاءُ النَّافِذُ وَالْفَهْمُ الدَّقِيقُ  
وَالتَّقْدِيرُ الْبَعِيدُ حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ : [طَوِيلٌ]

60/23 كَائِنَكَ شَاهِدَتِ الْخَفَايَا سَوَافِرًا وَأَعْجَلَتِ وجْهَ الْغَيْبِ أَنْ يَشَشُّرَا  
61 فَعَرَفَتِ فِي الْيَوْمِ الْبَصِيرَةِ فِي غِدٍ وَشَارَكَتِ فِي الرَّأْيِ الْقَضَاءِ الْمُقْدَرَا  
وَلَكِنَّ هَذَا التَّنبُؤُ بِالْغَيْبِ لَيْسَ مَبَالِغَةً شَعْرِيَّةً كَمَا سَنَرَ فِي الْمَعْانِيِ

الع قائديّة ، فالشاعر ينسب إلى الخليفة اطلاعاً حقيقاً على خفيات الأمور يسمّيه تارة وحياً وطوراً فراسة .

ولا تتمّ صفات المرؤة بدون خطابة وفصاحة ، فالإمام مدره قولٍ كما هو مدره غيبٍ ، وكما ورث الوحي عن جده فكذلك ورث جوامع الكلم : [ كَامل ]

46/1 ورث المقيم يشرب فالمنبرُ الْ أَعْلَى لِهِ ، والترعَةُ الْ عَلَيَّ  
47 والخطبةُ الزهراءُ فيها الحكمةُ الْ غَرَاءُ فيها الحجَّةُ الْ بَيْضَاءُ

## الباس والقوة

لم يكن المعزّ قائد جيوش ولا بطل معارك ، ولئن قاد بعض الحملات القليلة فإنّ الشاعر لم يصحّبه فيها ، فليس عنده إذن قولٍ يقوله في شجاعة المعزّ وخوضه المعمّعة ، ولكنه يعوّض هذا المعنى بمعانٍ أخرى تُشيد بعزمه وبأسه ويطشه بالأعداء وقوّة سلاحه في البرّ والبحر ، فأسطوله قهر كلّ أسطول وملك البحر على الأعداء : [ طويل ]

87/13 وعزْمُك يلقى عزمَ كُلِّ مملَكٍ كَمَا يَتَلاقِي كَائِنٌ وَمَكِيدٌ  
88 وفُلُكُوك يلقى الفلكَ في اليمِ من عَلٰى كَمَا يَتَلاقِي سَيِّدٌ وَمَسُودٌ

والعدو المكابر لا يُفلت من قبضة المعزّ مهما عظمت قوّته وعلت حصونه ، ومآلُ القهر والهزيمة ، فلا مفرّ له ولا بدّ لأمّه من ثكل محقق . فلا غرابة مع هذا الباس ان يتحكّم المعزّ في حظوظ الملوك ومصائر الدول : [ بسيط ]

1/43 كدأبك ، ابنَ نبِيِّ الله ، لم ينزلِ قُلُّ الملوك ونقلُ الْمُلُكِ والدُّوَلِ  
2 أين الفرارُ لباغٍ أنت مدرِكٌ لآمّه ملءٌ كفِيْها من الهَبَلِ!

٣ هياهات يضحي منبع متك ممتنعاً ولو تسئم رَوْقَ الأَعْصَمِ الْوَعِلِ<sup>(١)</sup>

وذلك أنَّ جيوشَ الإمامِ هي على أهبةِ دائمةٍ لخوضِ معركةٍ في البرِّ والبحرِ ، فلا السيفُ يعرفُ غُمْدَه لأنَّه دوماً مسلولٌ ، ولا الخيلُ خُطَّت لبودها لأنَّها دائماً في مسیرِ إلى العدوِ ، ويکفيه إشارةً من لحظةٍ حتى تنطلقَ السفنُ تمحُّر عبابَ اليمَّ ، وتتطيرُ السوابقُ في كوكباتِ قاهرةٍ ؛ فلا بدُّع أنْ صارَ الملوكُ يخشونَه إلى حدَّ أنَّهم يتحاشُّونَ مناجاةَ أنفسِهم :

خافوك حتى تفدوا من جوانِحِهم فما يناجونَها من كثرةِ الوهلِ

7/43

\* \* \*

هذه الشواهدُ التي سقناها منقولَةٍ في معظمها عن مدائحه في المعزَّ . فلننظرُ الآن بسرعةٍ في معانِي قصائده الحمدونية . في الحقيقة لا تختلفُ المعاني التقليديةُ هنا وهناكُ : فالكرمُ والحلُّمُ والعزمُ والتَّدبِيرُ الصالحةُ صفاتٌ مشتركةٌ بينَ المعزَّ والأَخْوَنِينَ الأنجلسيَّينَ . فلنكتُفُ بنماذجٍ من شعرِ ابنِ هانِيَّ في أمراءِ الزَّابِ . فإذا وصفَ حلمَ جعفرَ ، حصره في خصالِ أربعٍ : حمايةُ المستجيرِ ، ونصرةُ الحقِّ ، وإغاثةُ المستضعفِ ، والوفاءُ بالوعِدِ : [ طويلٌ ]

52/63 ٥٢ تعودت عاداتٍ من الخير ، كلَّها بعيدٌ على مَنْ أَمْهَنَ سُحِيقٌ  
53 فمنهنَّ : منعُ الجار ، حتى كأنَّما له في ذرى المزنِ الكَهْوَرِ نِيُّ  
54 ونُصْرَك للحقِّ الذي أنتَ أهْلُه وَعُوْنَكَ لِلملْهُوفِ ، وهو رهيقٌ  
55 وإنْ سَبَقْتَ منكَ المِيشَاقُ فهو وثيقٌ<sup>(٢)</sup>

ويتبسطُ في خصالِهم الحربية ، دونَ أنْ يتوقفَ عندَ معركةٍ معينةٍ فيصنفُ حوادثُها وموقفَ الممدوحِ فيها ، مما يشعرُ بأنَّه قلَّما صاحبُهم في حملاتِهم ، أو بَأنَّ هذه التحرِّكاتِ لم تكنْ على مقدارِ من الضراوةِ جديِّرٌ بالتسجيلِ المفصَّلِ . لذلك يجئُ على عادته إلى الغلوِّ فلا يخفِّفه بأداةِ افتراضِ أو

(١) الروق : القرن والأعصم والوعول : قيس الجبل .

(٢) النيق : قمة الجبل .

تقريب : الأمير خافته الأسود الشرسه فمهدت له عريتها أو مرّغت وجوهها في  
التراب أمامه : [كامل]

29/6 فرشت له أيدي الليوث خدورها ورضين ما يأتي وكنْ غضابا  
ولا ينسى خصالهم السياسية : هذا جعفر ملكاً يسهر على راحة شعبه  
ويُحلَّ الأمان بولايته فلا قتل ولا نهب ولا خوف : [كامل]

102/45 فتركَت أرض الزاب لا يأسى أبٌ لابن ، ولا تبكي البعل حلاطٌ  
110 ... فإذا حللت فكلُّ وادٍ ممرعٌ وإذا ظئنت فكلُّ شعبٍ ماجلٍ

حتى يحيى البطل المغوارُ وقائد الحملاتِ المظفرة ، لا يُهمِل واجبه  
الإداريّ ، فهو إما في حرب وإما في مجلس تدبيرٍ وتقريرٍ : [طويل]

20/8 ولم تُر يوماً غيرَ عاقد حبوةٍ لتدبيرٍ مُلِكٍ ، أو كميأً مدججاً  
وهناك معنى تختصّ به مدائح المسيلة ، وقد أشرنا اليه في الفصل  
السابق : وهو اشتراك الشاعر مع أبناء الأندلسية في النسب الأزديّ اليمنيّ ،  
واعتزاذه بهذه القرابة التي يحسده عليها العدنانيون ، فربما كادوا له عند  
جعفر: [طويل]

26/64 ستنظم لي فيه نزارٌ مكايداً ويحسّدني حافٍ عليه وناعل  
ورأينا أنه يتخلص من الحرج إزاء الخليفة ، وهو هاشميٌ نزارٌ ،  
 يجعل أزيد هذا الزمانِ أنصارَ المعزَ كما كانَ أجدادُهم أنصارَ جده (صلعم) .

كما استعرضنا الاشاراتِ القليلة التي تعطينا صورة جزئية من الحياة  
بالمسيلة ، مثل ابتناء جعفر قصراً لابنه ابراهيم ، هذا القصر الذي يسميه  
الشاعر «إيواناً» تشبيهاً له بایوان کسری المعروف بوصف البحترى له . يصف  
شاعرنا هذا القصرَ ويفضله بالطبع على إيوان کسری ، لأن القصر الإیرانی  
شيده قوم من عَبَدة النار ، أما هذا ، فشيده جعفر خادم الخلافة الغراء ، ولو رأه

أهل مزدك لخروا له سجدا : [كامل]

- 4/57 إيوان ملك ، لو رأته فارس  
5 واستعظمت ما لم يخلد مثله  
6 سجدت إلى النيران أعصرها ولو

ويحتذى الشاعر حذو البحترى في وصف هذا القصر فيخصص له نحو خمسة عشرين بيتاً يفضل فيها تباعاً محاسن قبته ، وزخارفه ، ومقصوراته الكثيرة وحتى زركشة الأستار في الغرف ، ويرصف في القصيدة الألفاظ الفارسية من أسماء الملوك الساسانيين إلى أسماء الثياب الفاخرة : فهذا سابور وهذا سasan لم يبنوا مثله ، وهذه القبة البيضاء بطنت وغطيت من خارج بالبرود القوهية النفسية :

- 16/57 عليه موافقة على عليائه  
17 بطنائها وشى البرود وغضبتها  
18 نيطت أكاليل بها منظومة  
19 وتعرضت طرر الستور كأنها

فلا غرابة أن يمثل نفسه بالبحترى في خاتمة هذه القصيدة الطويلة ويمثل المدحوب بالفتح بن خاقان الوزير العباسى :

- 95/57 كنت الوليد فلم ينازعه بنو خاقان مكرمة ولا خاقانها  
وعلى ذكر هذا التشبيه المتواصل بالإيوان الفارسي ، نلاحظ ، مع جورج مارسي ، أن « استخدام مصطلحات معمارية فارسية يافريقيَّة وظهور هذه المصطلحات - مثل ايوان - من جديد بمصر ، قد يحملان على التفكير في إمكان وجود سُنة معمارية فاطمية مطبوعةٍ بطبع حضارة ما بين النهرتين »<sup>(1)</sup> .

(1) كتاب الفن الإسلامي 119/1 . Manuel d'art musulman

وهكذا رأينا أن الشاعر يطرق جلّ المعاني التقليدية في مدائنه وأنَّ  
محاولات خروجه عن المألوف قليلةٌ محدودةٌ ، تتناول الشكلَ في الأغلب ،  
وأنَّ تقليده قد يتوجه إلى المتأخرین من الشعراء ، كما يظهر من المشاهد  
النواسية أو من محاكاته الصريحة للبحترى في وصف الإيوان .

ولننظر الآن في بقية الأغراض لِتُلْتَمِسَ فيها مقدار المسایرة أو الطراقة .

## الرثاء

مراثي ابن هاني لا تعدو الثلاث ، كلها في أسرة بنى حمدون . فمرثية  
الحفيد ، وقد مات في سن الخامسة ، لا تتضمن جديداً بالنظر إلى المعاني  
المطروقة عادة في المراثي : خواطر حكمية حول قصر الحياة وحتمية الموت  
وقساوة الدهر ، ودعوة للثناكل أن يتسلح بالصبر ، ومدح للباقيين ، إذ المرثية  
موجهة إلى الأمير خاصة ، ويبدو أنه تأثر بفقد الطفل أكثر من إبراهيم أبيه .  
وبنقصها ، على هذه الصورة ، قسم معهود في المراثي ، وهو الإشادة بأخلاق  
الفقيد وصفاته وما تيه . ولكن الحفيد مات صغيراً ولم يظهر منه شيء ذو بال ،  
فيتجه الشاعر إلى الافتراض ويعدّ ما كان يأتيه هذا النجل لو قدر له أن  
يعيش : [رمي]

14/14 مات من لو عاش في سرباله      غلب الثورُ عليه فاتقدَّ  
ولكنَّ الدهر خوان مخاتل غدار ، لو أمهل هذا النجل سنواتٍ أخرى ، لما  
قدر عليه :

19 أقصدْتُه تربَّ خمسٍ أسلهمْ      لو رمتُه تربَّ عشرٍ لم تَكُنْ  
ثم يحيثُ الأمير على التصريح ، فله في ابنه إبراهيم مخايل النجاح وتبشير  
السيادة التي طبعت عليها الأسرة مذ أسسَ الإمارة الجدُّ الأكبر ، علي ابن  
الأندلسية :

53/14 لا ملوم أنت في بعض الأسى غير أنَّ الحرَّ أولى بالجلد  
61 ... إنَّ إبراهيم مردودُ إلى زمن غضٍّ وأيام جُندُ

ولكنَّ أحسن قسم في هذه المرثية الطويلة هو الأمثال التي يضرُّ بها الشاعر بمصرعِ أعظمِ السلاطين مِنْ تبعَ إلى كسرى ، وأحسنَ المعمَّرين مثل لقمان ونسره لُبُد ، وقضاءِ الموت على أمنعِ الوحش وأضريِّ السباع : فالنسر في وكره الشاهق ، والأسد المتجرَّب في غيضةِ الكثيفة ، والحيَّةُ المناسبة في مخاللةِ ورواغ ، كلَّ هؤلاء لم ترَهُ عنهم البراثنُ ولا الأنابِ ، وأولادك لم تنفعُهم حصونَ ولا جنود . فكيف بالطفل الأعزل الوديع ؟ ولا يكتفي الشاعر بتعذيب هذه الضحايا بل يصورها في قوتها ووداعتها ، ويبلغُ على مناعتِها وضراوتها ، في مشاهدَ مؤثرة يقدِّمها بعبارة متكررة : « تلك أو ... » كأنَّه يدعونا إلى الاعتبار بالمثل المضروب ، فإذا لم يكُف ، ضرب لنا مثلاً آخر :

66/14 لو مُعافيًّا من خطوب عُوقبٍت لقوَّةُ بين هضابٍ ونجُدٍ  
67 ترتيبي مرهونةً تحسبها كوكب الليل على الليل رَصَدٌ  
68 تلك ، أو مغفرة في حالٍ تَامُّ الإنس اذا الوحش شَرَدٌ ..<sup>(١)</sup>

هذه المشاهد لا تخلو من عمق في النظرة وقوَّة في العبارة وسعة في التخييل . وهي بتتوَّعها وتتجددُها وتلاحمها وتتكرَّر عبارة التقديم تتضافر على الوصول إلى الغرض المقصود : الاعتبار والتأنسي بهذه الأمثال الكثيرة المضروبة بكائنات قوية مسلحة حرَّة طليقة يصرعها الفناء بدون هوادة . ولا ندعُ مع هذا أنَّ لابن هانئ طرافةً خاصة في هذا التمثيل ، فقد سبق إليه لبيد العامرِي وأبو ذؤيب في مرايثِهما ، ولكنَّ محاكاته لهذين السابقين العظيمين لا تغمسه أجرَه في محاولة التنويع والتعمَّق ، وعدم الاكتفاء بالمؤلف من عبارات التسلية والحكم البديهية .

مرثية الأم الرائِيَّةُ تسقِّي في نظرنا الثانية المقصورة ، ذلك أنَّ هذه تتضمَّن

(1) اللقوَّة : العُقاب الممتنعة في جبلها . والمغفرة : الطيبة .

كما رأينا قسماً يلحُ فيه الشاعر على وجوب الوفاق بين الأخرين ، وقد خلت الرائية من هذا المعنى ، فافتراضنا أنَّ بوادر الشِّقاق بدأت بعد وفاة أمِّ الأميرين بِمُدْةٍ .

هذه الرائية تبدأ بتأملات حكمية طويلة : عشرون بيتاً في ذهول الإنسان عن الحقيقة المرة ، وهي الموت الواجب ، فالآمال عنده طويلة ، والعمرُ مهما امتدَّ قصير ، ومسكين هو الإنسان الذي تقوُّده حاستان لا تعقلان : السمع الذي لا يُصغي إلى النذر ، والبصرُ الذي لا يتعلّق الآباء العراض الزائلة : [كامل]

1/19	صدق الفناء وكذب العمر	وَجَلَ الْعِظَاتُ وَبِالغِنَمُ
2	إنا ، وفي آمالِ أنفسِنا	طُولُ ، وفي أعمارنا قصر
3	لنرى بأعيننا مصارعنا	لو كانت الألباب تعتبر
4	مما دهانا أنَّ حاضرنا	أجفاننا ، والغائب الفكرُ
5	فإذا تدبّرنا جوارحنا	فأكَلُهُنَّ الأَذْنُ وَالنَّظَرُ
6	لو كان للألباب متحجنٌ	ما عُدَّ منها السمعُ والبصرُ <sup>(1)</sup>

وبعداتهام الإنسان في غفلته عمّا تقلُّه إليه الحواس من عبر ، يصور المآل المحتموم في معانٍ مختلفة تتكرّر عند كلّ راثٍ ، وقد رأينا شيئاً منها في مرثيه الطفل : المنية كأس مرّة لا بدَّ من تجرّعها ، ولا مردَّ للموت فلا رمح ينفع ولا سيف ، ولا قوَّة جُندٍ ولا عزَّة سلطان :

9/19	هل ينفعني عزُّ ذي يَمَن	وَحْجُولُهُ وَالْيَمَنُ وَالْغُرَرُ؟
11	... ها إنها كأسُ بشُغُّلُها	لا ملْجأً منها ولا وَرَزُّ
14	... فانِيدُ وشيجاً ، وارمِ ذا شُطِّبِ	لا البيضُ نافعةُ ولا السُّمُّرُ

(1) في البيت الأول ، قراءة أخرى : جَلَ الْعِظَاتُ . وفي الخامس عَوْضَنا العين بالأذن . وفي بعض النسخ : السمع والنظرُ ، فنكرها أن تكرر عبارة السمع في بيتين متاليين ، ولعلَّ ذاك هو الصواب .

حتى الكواكب الْزَّهْرَ تبلى والنجوم الطوالع ، ويفتئ الليل والنهر  
وتنطفئ السماء بِشُمُوسِها وأقمارها :

تفنی النجوم الْزَّهْرَ طالعة	22/19
ولئن تبدت في مطالعها	23
ولئن سرى الفلك المدار بها فلسوف يُسْلِمُها وينفطر	24

وقد عاد الشاعر الى هذه التأملات في القصيدة الثانية وحاول تجديد المعاني المعهودة ، فمثل لسرعة المنقلب وقصر العمر بسماعنا لكلمة « لا » أو كلمة « ذا »، فهو لا يدوم إلا مقدار الثاني القلائل ، وقابل بين حث الزمان لضحاياه نحو نهايهم وتباطئه في خطاه ، أي إنه يدعونا إلى الجلاء عن هذه الدنيا بسرعة ولا يحتاج هو إلى حث الخطى لأنه واثق من الظفر بغيره : [متقارب]

2/59	فما غرّ نفساً سوى نفسها
3	فأقصر في العين من لفتة
4 ..	وأسرع في السمع من ذا ولا
5	فأسطرو عليه اذا ما سطا
6	ومن لي بمثل سلاح الزمان
7	يجذّ بنا وهو رسول العنان

وهذه الصورة الأخيرة متعرّبة في الحقيقة ، كأنَّ التعبير لم يوافق الفكرة ، فلو قابل مثل المتنبي بين « السوابق المقربات » التي يحتاط بها الإنسان من الموت ، و « خبب الليالي » أي السير البطيء - أو المتأني الواقع بالوصول إلى الغرض - ، لكان أوفق له . إلا أنه أراد غير هذا : الزمان يحثّنا : ذاك هو العمر القصير . أما هو ، فلا يُسرع لأنه واصل لا محالة إلى الهدف : تلك هي الحتمية .

من المعاني التي افقدناها في مرثية الحفيد ، الإشادة بخصال الميت . لا يغفلها الشاعر هنا فيعرّج على كرم الأم ويجمع جمعاً لطيفاً بين السحاب الذي يشبهُ غيمه نداها ، والمطر الذي شيع في ذلك اليوم جنازتها :

26/19 شهد الغمامُ ، وإن سقاكَ حيَا  
27 كم من يدِ لكِ غير واحدةٍ لا الدمع يكفرُها ولا المطرُ

وخلالها قد قسمتها بالقسطاس على جعفر ويعسى ، رفعتها لهما فتلقياها باليمين . لذلك رحلت رخيصة البال مطمئنةً وقد قضت الواجب وتيقنت أنَّ المجد الذي بناه عليَّ بن حمدون سيتدعم عند النجلين :

41/19 إِنَّ التَّيْ أَخْلَثَ عَرِينَهُمْ أَضْحَى بِحِيثِ الضِّيغُمُ الْهَصِيرُ  
49 . . . قَسْمَتْ عَلَى أَبْنِيهَا مَكَارَمَهَا إِنَّ التَّرَاثَ الْمَجْدُ ، لَا الْبَدْرُ  
50 حَتَّى تَوَلَّتْ غَيْرَ عَاتِبَةٍ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا لَهَا وَطَرُ

وبالرغم من ارتياحها لما تركته بعدها من مجد مؤثِّلٍ في ابنيها ، فإنَّ الأسف عليها شديد ، يبكيها الكونُ كما يبكيها البشرُ ، ويعود الشاعر إلى المطر الذي نزل على قبرها يوم الدفن :

37/59 فَمَا بَاتَ حَتَّى سَقَاهُ الْحَيَاةُ  
38 وَمَا جَادَهُ الْمَزْنُ مِنْ غَلَةٍ  
39 وَقَدْ خَدَّ فِي الشَّمْسِ أَحْدُودَهُ  
ولمَّا أتَيْنَا سَقَتْهُ الدَّمْوعُ  
ولكنْ لِيَكِ النَّدَى بِالنَّدَى  
ولكنْ سَبَقْنَا بَهُ فِي الثَّرَى<sup>(1)</sup>

ويحاول أن يحسّن حزن المشيّعين لها ويسألهم من الحياة بعدها ، فيتجه إلى العادة المتّبعة في الجاهلية بعمر النوق والأفراس على قبر الفقيد العزيز ، ولكنَّه يدعو إلى نحر النقوس بدلاً للدواب :

31/19 فَفَقُوا تَضَرِّجُ ثَمَّ أَنْفَسْنَا لَا الصَّافَنَاتُ الْجَرُدُ وَالْعَكْرُ<sup>(2)</sup>

وربما استغربَ فيما بعدُ هذا الاقتراح أو استقبح ما فيه من غلوٌ وتبلاٌ كاذب ، فعدل في القصيدة الثانية إلى نحر القوافي لا غير ، أي الإلاع عن الثناء

(1) الضمير في سقاه وجاده يعود على قبر الفقيدة .  
(2) العكرج عكرة : القطيع من الإبل .

وال مدح بعد رحيل هذه التي جمعت المحامد وال خصالَ :

- اذا ما نحررت به او عقرت فعند الخوانف ذات البرى  
ولا ترضي إلا بغير الثناء ونحر القوافي ، وإنما فلأ<sup>(١)</sup>

## مدح الأمهات

ولكن أهم معنى ورد في ميراثي الأم ، هو المدح البليغ للأمهات عامة الذي أدرجه الشاعر في آخر القصيدة المقصورة . هذه الإشادة بفضل الأمهات فريدة من نوعها في الشعر العربي القديم على ما نعلم ، وهي تصلح أن تكون شعاراً لعيد الأمهات السنوي ، كما تصلح أن تكون حججاً في يد النساء المطالبات بالمساواة مع الرجال ، وحججاً أيضاً ضد من يتهم الأدب العربي بعنصريته الرجالية . فالشاعر يجعل للأم نصف الفضل في نسب الولد ، والنصف الآخر للأب . فإذا افتخر الكرييم الشريف بنسبه ، فبأنه وأبيه يفتخر ، فالأم تدعى الأولاد وتدفعهم نحو المجد وتنشئهم على المكارم ، فهي في هذا صنواً للأب وكفاءً : [متقارب]

- لاماتنا نصفُ أنسابنا اذا الملك القليل منا انتمى  
دعائُم أياماًنا في الفخار وأكفاء آبائنا في العلى

وهي التي تربى الطفل وتكتفle في السلم وال الحرب ، وهي التي بتوجيهها يتعلم ويسمع وينتصر ويعتبر فهي المربيّة الأولى ، وفضلها هذا يجعلها سابقةً للأب مقدمة عليه :

- الم ترهنْ يباريَتنا فيمرُقَّنا وينَنَّ المدى؟  
كفلن لنا بظلال الخيام وأكفلَنَا بظلال القنا  
ونغدو فمنهنْ أسماعُنا وأبصارُنا في حجال المها

(١) الخوانف هي الأنيق .

فلا عجب أن يختتم الشاعرُ هذه الأنشودة الحماسية في فضل الأمهات ،  
بتفضيل النساء على الرجال ، على الأقل في بعض منهم ومنهن ، وتعديل  
القصيدة الضئلية :

74 فلو جاز حكمي في الغابرین وعذلت أقسام هذا الورى  
75 لسميت بعض النساء الرجال وسميت بعض الرجال النساء

وهكذا ظفرنا من هذه المراثي التقليدية بهذه القطعة الممحيرة : فهي  
تحيرنا من جهتين : فهي أولاً لا تسمح لنا بأي افتراض في شأن أم الشاعر .  
وهو الذي لم يذكر في كامل الديوان أمّاً أو أباً . فهل تذكر أمّه هو فربط ذكرها  
أو ذكرى موتها بموت أمّ الأميرين ؟ أمّ حن إليها في ديارها الأندلسية إن كان هو  
هرب وحده إلى المغرب ؟

وتحيرنا من جهة ثانية لأننا لا نستبعد أن يكون غرضها سياسياً مذهبياً  
حزبياً ، وهو إثبات نسب الفاطميين الذي قدح فيه الخصوم حين قالوا إنّ عبيد  
الله - والشيعة يسمونه عبد الله بدون تصغير - هو ابن تاجر فارسي أو صائن  
يهودي ، ولا صلة له قط بالعترة المنتخبة . ثم رفع الإصر على الفاطميين إذ  
يُلحقون بفاطمة ، لا بعلي ، ومن الناس من يستنكفُ من أن ينسب إلى أمّه لا  
لأبيه . فكأنه ، من خلال هذه الأبيات ، يدعو المعز إلى الافتخار بالانتساب  
إلى فاطمة ، أمّ الأسرة الطاهرة ، وعدم المبالغة بمن يحاول الغضّ من الدولة  
الفاطمية فينسبها إلى « عبيد الله » بصيغة التصغير ويقول الدولة العبيدية ، أو ،  
إذا أقر بالشسب الفاطمي ، سماها دولة « الفواطم » بصيغة التأنيث .

## الهجاء

حللنا في خاتمة الفصل الثالث القصيدة الفائية التي تقول التوطئة إنه  
هجا بها الوهراني ، ورأينا أنها ليست هجاء بقدر ما هي مدح لجعفر  
الحمدوني . ولا يوجد في الديوان كلّه هجاءٌ غيرها ، كأنّ الشاعر - أو غيره -  
طهّر الديوان من دنس القذف والسباب ، أو كأنّ الشاعر لم يهجْ قط . ولعل

هذا هو الصحيح ، اذا ما اعتبرنا الرواية التي تقول انه عند مقدمة الى إفريقيَّة هجاء شعراً لها فترفع عنهم ولم يعتبر منهم الا الإياديَّ ، فأحجم هذا الشاعر عن التعرُّض له لأنَّه رفعه على غيره<sup>(1)</sup> . فلم تقع مهاجة إذن ، فلذلك خلا الديوانُ من هذا الصنف .

وتجد مقطوعة نونية طريفة وصف فيها رجلاً أكولاً بصورة ساخرة مضحكَة ، ولا نعرفُ عن هذا الرجل شيئاً سوى أنه أكول ، وأنَّه ربما لقيه الشاعر بالقرب من رقادة في أحد الخاناتِ أو الفنادق ، وأنَّه ، على ما يظهر من أنواع الأطعمة التي يلتهمها ، غنيٌّ موسِرٌ . والشاعر يكتفي بالوصف المتندر لحركة شِدْقِيهِ ، وقرفةُ أسنانه ودوبيَّ بطنه ، في لوحة فنية تدعو الى الاشمئزاز من الرجل ، ولكنها أيضاً تبعث على الاستطراف لخيال الشاعر ولباقة افتراساته وتساؤلاتِه التجاهلة . فهي ، اذ خلت من اسم الرجل ونسبة ، ومن التعرُّض الى صفات ونقائص أخلاقية ، ومن الإشارة الى وصمات في سيرته او نسبة ، لا تعدُّ من الهجاء بالمعنى المتعارف . ولكننا نحللها هنا لما فيها من طرافة ، ولما تبرهن عليه من قدرة على الاستهزاء والتوصير المُضحك .

يصور هذا العملاق الشرِّ في تحرك فكِّيه الدائم وضجيج أسنانه وحنين بطنه الى المزيد ، فكانه في ساحة وغى لا على مائدة ، ويرصف المفردات المناسبة : [بسيط]

4/56  
تبارك الله ما أمضى أستَّه  
5 كأنَّ بيت سلاح فيه مخترَّن  
ما أعدَّه للرسُّل الفراعِين  
6 أين الأستَّة ، أم أين الصوارم ، أم  
أين الخناجر ، أم أين السكاكيَّن ؟

والصور المستمدَّة من الرصيد القرآني : بطن الحوت الذي آبتلع النبي يونس هو دون بلعومه في الاتساع ، وفُلك نوح بما فيه من حيوان لا يشبعه ، ومعدِّته تطلب المزيد مثل جهنَّم حين يكثر زفيرُها :

(1) ابن رشيق : العameda 111/1

7/56     كأنما الحَمَلُ المشوَّى في يده  
          ذُو النون في الماء لِمَا عَضَّهُ النون  
3        كأنَّ معدَّهُ والزَّادُ يضرُّها  
جَهَنَّمْ قُذفت فيها الشياطين  
17      فليس ترويه أمواه الفُرات ولا  
يقوته فُلك نُوح وهو مشحون

ويتظاهر الشاعر بالهلع من هذا الطاحون الذي لا يبقي على شيء ، فيدعوه  
 أصحابه الى المبادرة بالفرار قبل أن يصيروا طعاماً سائغاً لهذه النار المضطربة :

15/56    15 قوموا بنا ، فلقد ريعت خواطُرُنا  
          وجاذبَتْنا الأعْثَاثِ البراذينُ  
16       أوْ لَا ، فانتُم سَوِيقٌ فيه مطحون  
          نصحتُكم ، فخُذُوا من شدَّقَه وزرا  
18       ونحن مقدُونُسٌ فيه وطرخون  
          فمثل رقَادَةٍ في كَفَه وسَطَّ



# الفصل الثامن

## أغراض الشاعر ومعانيه المعانى العقائدية المذهبية

### ولا فه الفاطمي

عَبَرنا في الصفحات السابقة عن افتئاعنا بأن الشاعر كان صادق التشريع وأن تردديه للمعتقدات الإسماعيلية في شعره لم يكن مجرد تزلف للحكام الجدد المنتصبين بإفريقية . وسايرناه في زعمه أن تشيعه قديم وأنه بسببه اضطر إلى ترك بلاده والهجرة إلى بر العدوة . وافتضرنا أن تشيعه قد يكون موروثاً عن أسرته ، ولا سيما أبيه هانىء الذي تزعم بعض المصادر أنه كان من دعاة الفاطميين بالأندلس .

### تدرّجه في اعتناق المذهب

ولَا نَدْعُي أَنْ وَلَاءَ ابْنِ هَانِئِ الْفَاطِمِيِّ كَانَ تَامًا كَامِلًا نَهَائِيًّا مِنْ أَوَّلِ أَمْرٍ . فَلَعْلَهُ لَمْ يَعُدْ الْمِيلُ الْعَاطِفِيُّ حِينَ كَانَ بِالْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ قَوِيَّ وَتَدَعَمَ بَعْدَ اسْتِقْرَارِهِ فِي قَلْبِ الدُّعَوَةِ بِالْقِيرْوَانِ - الْمُنْصُورِيَّةِ ، أَوْ حَتَّى بِأَطْرَافِهَا فِي مَقَاطِعَةِ الزَّابِ أَوْ تَاهَرَتْ عِنْدَ وَلَاهِ الْمَعْزِ وَقَوَادِهِ . وَرَبِّمَا اسْتَفَادَ الشَّاعِرُ بِـ «مَجَالِسِ الدُّعَوَةِ» أَوْ مَجَالِسِ الْحُكْمَةِ الَّتِي كَانَتْ تَنْظَمُ لِلْأُولَائِهِ وَالْمُرِيدِيْنِ ، وَحَتَّى

للخصوم والمناوئين<sup>(1)</sup> ، باشراف كبار الدعاة وبرعاية الإمام نفسه . وقد ترك لنا القاضي النعمان بعض التفاصيل عن هذه المجالس التعليمية الدعائية التي كلفه المنصور بها وأقرَّ المعزَّ عليها فصار يُمدَّه بما يحتاج إليه من علوم الظاهر والباطن في شروحه وردوده وحجاجه<sup>(2)</sup> . وستندعَم هذه المجالس في الفترة المصرية من تاريخ الدولة الفاطمية وتتصبَّع لها رسومٌ معينة وسنن متَّعة كما بين لنا المقرizi في خططه<sup>(3)</sup> .

نقول : رُبَّما استفاد ، نفترض ، ولا نجزم بأنَّ الشاعر لقِيَ القاضي ، بل من غريب الأمور أنه لا ذكر لأحدهما عند الآخر ، كأنهما لم يتعارفاً قط ولم يجتمعوا في بلاط واحد عند إمام واحد .

ولا شك أنَّ ولاء الشاعر للفاطميين أخذ ينمو شيئاً فشيئاً مع تمرسه بالشعارات الشيعية في الأوساط الرسمية بالقيروان والمهدية . بهذا التدرج يشهد اختلاف اللهجة بين القصائد الأولى التي نظمها إثر نزوله بالأرض الإفريقية والقصائد المعزيات التي تتبع المقولات الإسماعيلية بصورة تامة مطلقة .

## موقف أهل السنة من غلوّ الشاعر في ولائه

قد يستنكر القارئ الذي ليس له خبرة بهذه المقولات ، ما يجده في الديوان من أوصافٍ وأحكام وأفكار في خصوص الأئمة تصل إلى حد التاليه ، وهو غلوّ لا يبررُ فقط بمييل الشاعر إلى التفحيم وجريه وراء اللفظ الجزل والعبارة القوية . وفعلاً قد استنكر النقاد القدامى مغالاته في مدح المعزَّ كأن

(1) المجالس والمسايرات ، 434 : حضور الثائر ابن واسول أحد هذه المجالس في قيده .

(2) نفس المرجع 360 : استشارة النعمان للمعزَّ في خصوص كتابه : الدينار . وانظر ما كتبه الدشراوى : الخلقة . . . 410-413 عن ازدواجية الوظيفة عند قاضي القضاة .

(3) ج 2/223-224 .

يطلق عليه الأسماء والنعوت التي تخص بها عادةً الله وحده . هذا ابن شرف يرى في ذلك تطاولاً على الدين : « ... وكان في دينه في أسفل منزلة : ناهيك من رجل يستعين على صلاح دنياه بفساد آخرته ، لرداة دينه وضعف يقينه » ، والتهمة كما نرى مزدوجة : مروق عن الجادة لا لاقتناع ، بل طلب المزيد من رفد الممدوح ، مع أنَّ في معاني الشعر متسعًا لكل راغب : « ولو عقل ما صاقت عليه معاني الشعر حتى يستعين عليه بالكفر<sup>(1)</sup> » . وهذا أحد النسخ يفتقد القصيدة 24 - تلك التي يوصف فيها المعز بالواحد القهار ، وقد خلت منها مخطوطات كثيرة ، لا سيما النسخ التونسية - من النسخة التي ينقل عنها فيفسر طرحها بما تضمنته من كفر ، ويُدلِّي بحكمٍ للمؤرخ القيراني ابن شداد صاحب كتاب « الجمع والبيان » المفقود ، وهو حكم يُلقي التبعية ، لا على الشاعر ، بل على المعز ، الذي يشجع شعراءه على هذا الإفراط ويستزيدُهم منه<sup>(2)</sup> .

على أنَّ الإنصاف يقتضي منا أن لا ننطلق في الحكم على الشاعر من أرضية سُنية مالكية كما فعل ابن شداد وابن شرف ، بل علينا أن نضع هذا الشعر في إطاره من العقيدة الإسماعيلية أولاً ، ومن الخصومة الكلامية بين الدولة الفاطمية وأعدائها في الداخل والخارج ثانياً . فإذا اعتربنا مثلًا أنَّ الإسماعيلية تنفي الصفات عن الإله مثل المعتلة<sup>(3)</sup> ، فهمنا لماذا لا يتعرج شاعرنا ، ولا غيره من الأنصار والداعية ، من إطلاق بعض الصفات القدسية على الإمام ، وهو بشر .

وسنحاول في هذا الفصل أن نرفع عن شاعرنا تهمة الكفر هذه ، وأن نبين صدق ولائه للدعوة الفاطمية . ونتوخى في هذا الاحتجاج له طريقة المقارنة : نقارن معانيه وأغراضه بالشعارات والمقولات التي تبسطها الكتب

(1) نقلًا عن ابن الخطيب : إحاطة 2/213 .

(2) مقدمة مخطوط 5 عدد 18624 ، ورقة 7 .

(3) غويارد : نُبذ ... St . Guyard: Fragments , 9 .

«النظريّة» مثل كتب القاضي النعمان ، وكذلك نقارنها بما ي قوله شاعر فاطمي أصلًا ، هو تميم بن المعز .

## المعاني المذهبية في شعره المغربي

رأينا أن الشاعر احتاج لدى المعز بتشييع قديم جلب اليه نسمة الأمويين ، ولاحظنا وجود بعض المقولات الإسماعيلية في شعره الأول بالمغرب ، أي قبل دخوله في خدمة المعز مباشرة ، ودعمنا أدعاءه وقلناه ، بهذه المعاني التي أودعها مثلاً أول قصائده بعد هجرته ، وهي مدحه جوهر الحائية : ففيها يستخدم المصطلحات السياسية الرائجة عند الفاطميين كالإمام ، وإمرة المؤمنين ، والخلافة ، كانه نسي أنه ترك وراءه منذ قليل خلافة أخرى . وهكذا يستمد جوهر صفاتِه الناصعة من روح الخلافة المعزية : [طويل] .

13/10 وأيضاً من سير الخلافة واضح تجلّى فكان الشمس في رونق الصبح  
21 ... رأه أمير المؤمنين كعهده لذيه، ولم تُنزَّ به الدار مُنزَّحا

فهو حواري المعز كما كان قدّيسو النصارى حواري عيسى ، زكته خدمة الإمام وزكت جنوده فضيئت لهم الفلاح :

65 لأفلح منهم من تزكي ، وقاده حواري أملاكٍ تزكي وأفلحـا  
هذه العبارات ، بمساحتها الدينية وتضميناتها القرآنية ، قد تؤيد عندنا التصديق بتشييعه القديم . ولكن لا تستبعد منه أيضاً شيئاً من التزلّف إلى الخليفة الذي هجر إليه ، والتسلّل بالقائد الصقليبي حتى يوصله إلى مبتغاه . ونعلم أن جوهرًا خيب ظنه فاضطر الشاعر إلى الانتظار بضع سنوات بالمسيلة ، وربما بتأهرت أيضاً ، قبل أن يدعوه المعز إليه .

## قصائد المسيلة

المعاني الإسماعيلية في مدائح أمراء الزاب أقلّ ظهوراً منها في مدحه جوهر . فهل يُعزى هذا الخفوتُ النسبيُّ إلى الاستقلال الذي يتمتع به جعفر ابن حمدون في إمارته والتي استنكافه من أن يُذكَرَ بتبعته لصاحب القيروان؟ هذا ما أفترضناه حين حللنا هذه القصائد بالتفصيل في الفصل السادس . ولكن يمكن أن نفترض سبباً آخر : وهو أن الشاعر لم يطلع بعد على كافة المقولات الإسماعيلية ، وإنما كان يعرف منها ما يعرفه المناصرُ المتوسطُ البعيد . فلذلك يكتفي بذكر ولاء الأمرين للإمام ودورهما في الدفاع عن الدولة : [طويل] .

42/52 وأنك عن ثغرِ الخلافة ذائقَ وأنك عن ثغر الخلافة باسمِ  
ويطيب له أن يمثل دور أبناء الأندلسية - وهم أزديون مثله - مع المعز  
الهاشمي بدور أجدادهم الأنصار مع جده محمد (صلعم) : [كامل] .

40/6 سدَ الإمامُ بكَ الثغورَ، وقبلَهُ هزمَ النبيُّ بقومِكَ الأحزابَ<sup>(1)</sup>  
وإنْ يذكُرُ التبعية فإنَّه يخصُّ بها يحيى بن حمدون ، وكأنَّه شعر أثناء إقامته بالمسيلة بتفاوت الأخوين في الولاء الفاطمي ، وتترقَّعُ ما سيكونُ من انقسام جعفر عن المعز ولجوئه إلى الحَكَم المستنصر بقرطبة . فإذا توجه إلى جعفر لايته وعظم مساندَتَه لل الخليفة : [كامل] .

55/45 فانهض بأعباءِ الخلافة كلَّها إنَّ الْمُحَمَّلَهُنَّ عَوْدَ بازِلُ  
أما إذا خاطب يحيى ، فالعلاقة بينه وبين المعز علاقة العبد بمولاه :  
[طويل]

60/61 ومثلك من أرضي الخليفة سعيه فإنَّ رضيَ المولى فقد نصَحَ العبد

(1) الأنصار من أوس وخزرج كانوا أزديين أيضاً .

## تشييع السلاح أيضاً

وينسب التبعية نفسها إلى سيف يحيى : فهو سيف شيعي يعرف إمام الزمان ، كما هو مفروض على كل مُتنسب إلى العقيدة ، وبيكى الحسين وشهداء الطف : [كامل] .

... في كف يحيى منه أبيض مرهف عرف المعز حقيقة فشيئاً ...  
وجرى الفرنڈ بصفحتيه، كانوا ذكر القتيل بكريلاء فدمعاً<sup>(1)</sup>

وي orally ذا الفقار سيف المعز ، كما ي orally صاحبه الإمام : [مخلع]  
حامله لالمعز عبد والسيف عبد لذى الفقار<sup>(2)</sup>

وهناك تفسير ثالث يمكن تقديمها لتبرير انحسار المعانى الشيعية بالمسيلة : وهو أنَّ معظم قصائد بنى حمدون كانت محلية ظرفية ، فهي إما تهنته بإبلاغِ من مرض ، أو بالفراغ من تشيد قصر ، أو بالعوده من غزوة مظفرة ، وإما تفجع على فقيد في الأسرة ، وإنما دعوه الى مجلس أنس . ولا تدعى الظروف التي تُشد إليها الى التحليق في الأجواء العقادية العليا .

## مداخن الشيباني

ما قلناه في خصوص شعر المسيلة يمكن أن نقوله أيضاً في مداخن أبي الفرج الشيباني : هذه القصائد السُّتُّ لا تحمل هي أيضاً كثيراً من شعارات الدعوة ، باستثناء البائمة التي ورد فيها شيء من الإلحاح على تبعية هذا القائد البكري للمعز ، إلا أنها تبعية قائد عسكري جرَد سيفه للدفاع عن الدعوة والدولة . وسيفه هو أيضاً شيئاً في مضائقه بذى الفقار ، بل يستمد قوته من ذي

(1) تبيان المعانى ... ص 396 . والفرنڈ بريق السيف ولمعانه .

(2) تبيان المعانى ... ص 262 .

الفقار : [بسيط] .

66/60 لِلَّهِ مَا تَشَاءُ مِنْ ذِي الْفَقَارِ، وَمَا تُشَدُّ مِنْ عَضُدِ الرَّأْيِ الْإِمَامِيِّ  
وَإِنَّ نُصْرَةَ الشِّيَاطِينَ لِلْأَسْرَةِ الْفَاطِمِيَّةِ نَابِعَةٌ مِنْ تَشْيِيعِ الصَّادِقِ الَّذِي أَمْدَهُ  
بِالْحُكْمَ الْسِّيَاسِيَّةِ :

40/60 شيعيًّا أملأك بكرٍ ان هم انتسبوا ولست تلقى أديباً غير شيعيًّا  
41 من أصلح المغرب الأقصى بلا أدب غير التشيع والدين الحنيفي  
فصار له سلاحان : الحديد الباتر والرأي الثاقب :

57/60 رامٍ بـَهْمَيْنِ: مَبْرِيٰ يَسْلِدُهُ وَصَائِبٌ عَلَوَيٰ غَيْرِ مَبْرِيٰ  
وَإِنَّ ذَكْرَ الشَّاعِرِ لِعَمَلَيَّاتِ الشِّيَاطِينَ الْحَرْبِيَّةِ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى حَمَلَنَا  
عَلَى افتراضِ أَنَّ هَذَا الْقَادِيدُ رَبِّا مَا كَانَ وَالْيَا لِلْمَعْزَ عَلَى مَقَاطِعَةِ تَاهِرَتْ ، وَقَدْ  
ذَكَرَتْ بعْضُ الْمَصَادِرِ أَنَّ أَجْنَادًا مِنْ بَكْرٍ بْنَ وَائِلٍ ، وَشِيَانَ فَرعَ مِنْ بَكْرٍ ،  
كَانَتْ قَدْ اسْتَوْطَنَتْ جَهَةَ تَاهِرَتْ مِنْذِ الْفَتحِ الْإِسْلَامِيِّ . فَإِنْ صَدَقَ ظَنُّنَا ، وَفِي  
انتِظَارِ أَنْ نَكْتُشَفَ يَوْمًا مُزِيدًا مِنَ الْمَعْلُومَاتِ عَنْ هَذَا الْقَادِيدِ الْمَجْهُولِ ، فَلَا  
مَانِعٌ مِنْ أَنْ نَبْرَرَ هَنَا أَيْضًا خَفْوَتِ الْمَعْانِي الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فِي الْقَصَائِدِ الْخَمْسِ  
الْآخِرِيَّ ، بِيُبَعِّدِ الشِّيَاطِينَ عَنْ عَاصِمَةِ الْخَلَافَةِ وَتَمْتَعُهُ هُوَ أَيْضًا بِنَوْعِ مِنْ  
الْاِسْتِقْلَالِ . وَلَا نَسْتَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ أَبُو الْفَرْجِ هَذَا مِنْ أَوْلَى مَمْدوْحِيِّ الشَّاعِرِ ،  
بَيْنَ جَوْهَرِ بَفَاسِ ، وَبَيْنَ حَمْدُونَ بِالْمَسِيلَةِ .

## مدحّة أفلح الناشر التونية

هذه المدحّة ، بالعكس ، تطفح بالشعارات الإسماعيلية ، وهي لا تترجم عن معتقد المدحّو فحسب ، بل عن تحزّب الشاعر أيضًا وقد حول المقدمة التقليدية إلى إعلان عن تعلّقه بالحزب الذي يتّبعه اليه والي برقة :  
[كامل]

12-11/55 حزبُ الإمامِ من الورى حزبي إذا  
عُدُوا ، وخلصانُ الهدى خلصاني  
ظفروا بيعتهم من الرحمانِ لا تبعدنَ عصابةَ شيعيةَ

أما أفلح ، فلا يقاس أي تابع للأئمة بولائهم هو ، كما لا تقاس  
سطور المتن في دقتها بعنوان الكتاب في وضوحي وتميزه :

83/55 يا سيف عترة هاشمٍ ، وسنانها  
شهابها في حالك الأذجانِ  
85 .. كل الدعاة إلى الهدى كالسطر في  
بطن الكتاب ، وأنثى كالعنوانِ

ونجد في هذه القصيدة من معاني التقديس للإمام ما لا نجده في مذايئ  
الشيباني ولا الأخوين الأندلسين ، مثل الإصلاح بأن الإمام هو وارث الدنيا  
وسيد الإنس والجن :

16 قد شرفَ اللهُ الورى بزمانه حتى الكواكبُ والورى سيانٍ  
17 وكفى بمن ميراثه الدنيا ومن خلقت له ، وعيدهُ الثقلانِ

فهي ، في معانيها المذهبية ، تفوق مدحه جوهر الحائمة . فلذلك نميل  
إلى تأريخها بما يَعْدُ دخول الشاعر القبروان وأطلاعه التام على تعاليم الدعوة .  
وقد تكون من آخر ما نظم ، وهو في طريقه إلى مصر للاتصال بالمعز . وبهذا  
يكون الاتصال بالإمام في القبروان هو البرزخ الفاصل بين طورين من حياته :  
طور الشاعر المذاح المتنقل من أمير إلى آخر ، ولكن في تلك دولة لها مذهبها  
وعقیدتها وشعاراتها ، فيظهر في شعره ، إن قليلاً وإن كثيراً ، صدى هذا  
المعتقد . وطور الشاعر الرسمي الذي وعى تعاليم الدعوة كلّ الوعي فجعلها  
محور شعره يتصدّح بها للأنصار والخصوم معاً .

هذا الصدى ، وهذه المقولات هي التي سندرسها الآن .

## التأكيدُ على النسب الفاطميّ

انتساب الدولة الى فاطمة الزهراء له أبعاد سياسية : فهو تأكيد بحق ذرّيتها في إرث جدهم ، لا الإرث المادي فحسب ، بل الإرث المعنوي ، أي إمرة المسلمين الزمنية وإمامية المؤمنين الروحية . وهو أيضاً تأكيد على اختصاصهم وحدّهم بهذا الحق ، دون سائر الهاشميّين كبني العباس ، وحتى دون سائر ذرّية عليّ من غير فاطمة كاتباع محمد بن الحنفية وغيرهم . والشاعر ، لإظهار هذه النسبة الشريفة المخصوصة ، يذكر تارة اسم بنت الرسول بلفظه : [كامل]

أبناء فاطمَ، هل لنا في حشرنا لجأ سواكم عاصمٌ ومُجار؟  
ويذكرها تارة أخرى باللقب الذي عُرفت به فيما بعد عند الشيعة ، وهو لقب «البتول» ، أي العذراء المطهرة ، تشبيهاً لها بالصورة التزيئية التي توصف بها مريم في القرآن : فكما أنجبت مريم عيسى عليه السلام وبقيت مع ذلك عذراء ، أنجبت فاطمة الحسين (والحسن) وبقيت متّيلّة : [طويل]  
ألا سائلوا عنهُ البتول فتُخبارُوا أكانت له أمّا ، وكان لها ابنًا !<sup>136/47</sup>  
وقد يذكرها بلقب «الزهراء» الذي يشتراك في قبوله السنة والشيعة ، ويؤكّد فخر الأسرة بالانتساب إلى الأمهات ، على غير عادة العرب . وقد التمسنا في الأبيات التي ختم بها رثاء أمّ بني حمدون وأعلى فيها من شأن الأمهات وجعلهنّ أكفاءً للآباء ، التمسنا فيها بادرة تبرير لانتساب الدولة إلى فاطمة ، أمّ الأئمّة ، بل ربّما علامة فخر بهذه الظاهرة التي قد يُعدّها الخصوم منقصةً . وللتاكيد على أنه لا حياء في الانتساب إلى الأمّ ، يعزّز الزهراء بالـ «عواتك» ، أي عواتك بني سليم ، الباقي اشتراكن بزواجهن إما في بني هاشم أو في بني التجار ، في إنجاب محمد النبي<sup>(1)</sup> : [طويل] .

(1) في خصوص العواتك الثلاث ، انظر البلاذري : نسب الأشرف 1/532 وأيضاً تعليق زاهد علي على البيت .

24/37 له نسب الزهراء دُنْيَا يَخْصُّهُ وسالفُ ما ضمّت عليه العواتك  
ويختصر المراحل أحياناً فيصبح أبناء فاطمة أبناء النبي مباشراً : [كامل]

79/1 أعزّزَ دينَ اللَّهِ يَا ابْنَ نَبِيِّهِ فَالْيَوْمَ فِيهِ تَحْمُطُ وَإِبَاءٌ

أو يجعل النبي أباً للمعز كما رأينا ، وتارةً جدًا : [كامل]

46/9 فكأنَّ جَدَّكَ فِي فَوَارِسْ هَاشِمٍ مِّنْهُمْ بِحِيثُ يَرَى الْحَسِينَ ذِبِحَا

وأحياناً يُتمي الأسرة إلى أبيهم على مباشرة : [كامل]

5/40 متكتشفُ عن عَزْمَةِ عَلَوَيَّةِ لِلْكُفَّارِ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوْيُلٌ

وحتى الى أبي طالب فيستخدم نسبة « الطالبيين » الجامعة : [طويل]

34/22 وردَ حقوقُ الطالبيينِ مَنْ زَكَّ صنائعُهُ فِي آلِهِ وَزَكَا الْذُخْرُ

أو يتواصَطُ بالحسن والحسين ، فيكتُنِي علیاً بأبي السبطين : [طويل]

89/13 فليتْ أبا السبطينِ ، وَالنَّرْبُ دُونَهُ يرى كيف تُبَدِّي حُكْمَهُ وَتُعِيدُ

و « أبو السبطين » كنایةٌ فخارٌ يتحجّج بها الشاعر ضدّ بنى العباس :  
فأبناء على قد أشار إليهم القرآن ونزلت بهم آيات . أما العباس فالمعروف عنه  
أنه قاوم النبي وأُسر في بدر فرق له محمد (صلى الله عليه وسلم) فأطلقه : [طويل]

17/22 أفي آبِنِ أبِي السِّبْطَيْنِ ، أَمْ فِي طَلِيقَكُمْ تَشَرَّلَتِ الْآيَاتُ وَالسُّورُ الْغُرُّ؟

وقد يجمع النسبتين ، نسبة الأم ونسبة الأب في كنایتین آخرتين :  
المصطفى ، وهو محمد ، والمرتضى ، وهو على . ولنلاحظ عرضاً أنَّ  
الألقاب المستخرجة من مادة الرضا جارية عند عموم الشيعة : فأحد الأئمة عند  
الائمة عشرية يُدعى على الرضا ، وبعض نقائِب العلويين ببغداد يُدعون  
الشريف الرضي والشريف المرتضى : [متقارب]

59/58 هو الوارث الأرض عن أبوين : أبٌ مصطفى ، وأبٌ مُرتضى

وأحياناً يعمم الكنية ، فيتمي الأسرة مباشرة إلى النبوة والوحى : [كامل] 19/41  
هذا ابن وحى الله ، تأخذ هدىها عنه الملائكة بكرة وأصيلاً  
... أبني النبوة ، هل نبادر غاية ونقول فيكم غير ما قد قيل؟ 88

## بين المثبت للنسب الفاطمي والقادح فيه

بهذا التنويع في ذكر نسب الفاطميين ، وبهذا الاستظهار المتواصل بقراة النبي المباشرة المخصوصة بهم دون غيرهم ، يرمي الشاعر ، لا إلى إقناع الأنصار ، فهم بعد مقتنعون ، بل إلى دفع التهم المختلفة التي أُلصقت بنسب عبيد الله المهدى مؤسس الأسرة ، ومنها تكذيب أهل القيروان لانحدارهم من فاطمة ، فاكتفوا بنسبة الدولة إلى مؤسسها وقالوا : الدولة العبيدية أو دولة بنى عبيد ، كما فعل ابن حماد في أخباره .

لهذا ابن شداد الصنهاجي صاحب تاريخ القيروان المفقود ينمي عبيد الله إلى أبٍ يهودي في خاتمة خبرٍ طويل نقله ابن الأثير ثم المقرizi : « ... وعهد الحسين - ولم يكن له ولد - إلى ابن اليهودي ، وهو عبد الله ، وعرفه أسرار الدعوة من قولٍ وفعلٍ »<sup>(1)</sup> . واعتراض ابن الأثير على هذا القدر فقال : « ... وهذه الأقوال فيها ما فيها . فيا ليت شعري ، ما الذي حمل أبا عبد الله الشيعي وغيره ممن قام في إظهار هذه الدعوة حتى يخرجوا هذا الأمر من أنفسهم ويسلموه إلى ولد يهودي؟ »<sup>(2)</sup> .

وجمع القادر العباسى سنة 402/1011 ببغداد لجنة من علماء الأنساب فيها علويون معروفون كالشريفين الرضي<sup>(3)</sup> والمرتضى فشهدت له « خروفاً

(1) المقرizi : اتعاظ 46-57 . وبالخصوص ، تعليقات المرحوم جمال الدين الشيشانى .

(2) الكامل 6/129 . حوادث سنة 296 . والمقرizi : اتعاظ ... 57 .

(3) الآأن الشريف الرضي ، حسب ابن أبي الحميد : شرح نهج البلاغة 13/13 « امتنع من تسطير خطبه وقال : لا أكتب ، وأنحاف دعاء صاحب مصر » .

وتقىةً » بأنَّ الحاكم بأمر الله المت指控 بالقاهرة آنذاك « وَمَنْ تَقدِّمَهُ مِنْ سَلَفٍ الأرجاس الأنجاس ، أدعية خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، وأنَّ ما آذعوه من الانتساب اليه زور وباطل . . . وأنَّهم كُفَّارٌ فُساقٌ زنادقة ، مُلحِّدون معطلون ، وللإسلام جاحدون ، ولمذهب التئوية والمجوسية معتقدون ، قد عَطَّلُوا الحدود ، وأباحو الفروج ، وأحلُّوا الخمور ، وسفكوا الدماء ، وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وأذعوا الربوبية »<sup>(1)</sup> . وقد أكثر القوم وبالغوا إذ رمَّوْهُم بكل موبقة . وكأنَّهم نقلوا هذه السلسلة الطويلة من الآثام عن ابن شداد في كتابه المفقود . والمؤرخ الصنهاجي قد يكون جمع ما روجته الأوساط المالكية بالقبروان من تهم في الأسرة العبيدية منذ انتسابها بإفريقية . ذلك أنَّ أول من اتهمهم بالإشراك ورماهم بالزنادقة هو ، فيما نعلم ، الشاعر القبرواني أبو القاسم الفزارى (ت 345/956) إذ يقول : [كامل]

عَبَّدُوا ملوكَهُمْ، وظُلُّوا أَنْهَمْ  
نَالُوا بِهِمْ سبَبُ النِّجَاةِ عُمُومًا  
وتمكَّنَ الشَّيْطَانُ مِنْ خَطْوَاتِهِمْ  
فَأَرَاهُمْ عِوْجَ الضَّلَالِ قَوِيمًا  
... أَمْنَ الْيَهُود؟ أَمَ النَّصَارَى؟ أَمْ هُمْ  
دَهْرِيَّةٌ جَعَلُوا الْحَدِيثَ قَدِيمًا  
... أَمْ هُمْ زَنادِقَةٌ مَعْتَلَةٌ رَأَوْا  
أَنْ لَا عِذَابَ غَدًا لَا تَنْعِيْمًا؟<sup>(2)</sup>

وأول من اتهمهم بانتهاك الحرمات وشرب الخمور واضطهاد الأنقياء الصالحين شاعر قبرواني آخر معاصر له يدعى « سهل الوراق » : [كامل]

مُتَرَدِّدًا فِي الغَيِّ وَالشُّبَهَاتِ  
مِنْ هَتَّكِ الْفَرْوَجِ وَضَيْعِ الصلواتِ  
لَمَضَارِبِ الْعِيدَانِ وَالنَّايَاتِ  
مُتَهِمِّكًا فِي خَمْرِهِ وَسَمَاعِهِ  
... يَا أَبَنَ الْأَرَاذِلِ وَالْمَجُوسِ، أَيَا أَبَنَ  
... هَدَمَ الْمَسَاجِدَ وَابْتَنَاهَا مَنْزَهًا

(1) اعتاذ 59 . وابن الأثير 7/263 (حوادث سنة 402) ، على أنه لم ينقل نص المحضر . وإنما نقله الشيخ عبد الوهاب النجاشي في الهوامش .

(2) حوليات الجامعة التونسية 10/1973 ص 126 .

**وأحَلَ دَارَ الْبَحْرِ فِي أَغْلَالِهِ** مَنْ كَانَ ذَا تَقْوَى وَذَا صَلَواتٍ<sup>(3)</sup>

فالشبه قويٌ بين هجاء الشاعرين القير沃انيين واحتجاج المحضر البغدادي . ومهما يكن من أمر ، فإنَّ هذا المحضر لم يحظ بالقبول عند كثيرٍ من المؤرخين . فالمقريزي المتشيع أعلن عند نقله فقرات ابن شداد « البراءة من عهدة طعنه في نسب عبد الله » وابن خلدون السني لم يصادق على القدح والاتهام فقال : « ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم ، وبالمحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر »<sup>(1)</sup> .

## **إِرْثُ الرَّسُولِ إِرْثٌ مَادِيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ**

بتشبيهه للنسب الفاطمي يجيب الشاعر في الواقع الدولتين المنافستين القائمتين ببغداد وقرطبة ، ويجيب بوجه عام كلَّ الذين يرفضون شرعية الوراثة عن رسول الله ، تلك الوراثة المزدوجة في جانبيها السياسي والروحي . أما الجانب السياسي فسيكون موضوع الفصل التاسع . بقي الجانب المعنوي . فالإرث الروحي عن رسول الله ضامنٌ للأئمة « الترعة العلياء » ، أي الدرجات العليا عند الله : [كامل]

ورث المقيم بثرب ، فالمنبر<sup>الـ</sup> أعلى له ، والترعة العلياء<sup>(2)</sup>

46/1

وهو الذي جعلهم مفضلين على جميع البشر : [كامل]

90/41 آتاكُمُ الْقَدْسَ الَّذِي لَمْ يُؤْتِهِ بَشَرًا ، وَأَنْفَذَ فِيْكُمُ التفضيل

بشهادة القرآن وملائكة السماء : [كامل]

(3) حوليات الجامعة التونسية 10/1973 ص 147 .

(1) تاريخ ابن خلدون 4/31 .

(2) المقيم بثرب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنبر والترعة كتابة عن مسجده وقبره حسب زاهد علي . وقال آخرون : الترعة العلياء هي الجنة .

٥٣/٩ نطقْتُ بك السَّبْعُ المَثَانِي الْسُّنَّا فَكَفَيْتَنَا التَّعْرِيفَ وَالتَّصْرِيحَ<sup>(١)</sup>  
٥٩ . . شَهَدْتُ بِمَفْخُوكِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَتَنَزَّلَ الْقُرْآنُ فِيكَ مَدِيحا

وَمَا بَعْدَ شَهَادَةِ الْقُرْآنِ مِنْ شَهَادَةِ ، فَهُلْ يَسُّعُ الشَّعَرَاءَ الْمَسَاكِينَ - مِهْمَا  
بَلَغَتْ طَاقَتُهُمْ فِي التَّعْبِيرِ - أَنْ يَبَأُوا الْقُرْآنَ فِي تَعْدَادِ مَنَاقِبِ الْأَئِمَّةِ ؟ كَلَّا !  
فَكَلَامُهُمْ لَا يَكُونُ إِلَّا تَكْرَارًا لِشَهَادَةِ الْكِتَابِ : [كَامل]

٨٥/٥٣ قَدْ قَالَ فِيكَ اللَّهُ مَا أَنَا قَائِلٌ  
فَكَانَ كُلُّ قَصِيدَةٍ تَضْمِنُ

وَكُلُّ مُحَاوَلَةٍ لِلتَّجَدِيدِ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَآلُهَا الْفَشَلُ : [طَوِيل]  
٢٤/٣ وَهُلْ يَسْتَوِي وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٌ وَقَافِيَّةٌ فِي الْغَابِرِينَ شَرِودٌ؟  
فَلِيَخْجُلَ الْمُتَطاوِلُونَ إِذْنٌ وَلَيُسْتَحْوِوا : لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَنْ يَحِيطُوا  
بِصَفَاتِ الْإِمَامِ ، وَلَا أَنْ يَزِيدُوا عَلَى فَضْلِيَّةِ الْقُرْآنِ فِيهِ فَضْلَيَّةٌ : [كَامل]

٦٨/٢٤ جَلَّ صَفَاتُكَ أَنْ تُحَدِّدَ بِمِقْوِلٍ مَا يَصْنَعُ الْمَصْدَاقُ وَالْمَكْثَارُ<sup>(٢)</sup>  
٦٩ وَاللَّهُ خَصَّكَ بِالْقُرْآنِ وَفَضْلِيَّةِ وَأَخْجَلَتِي ! مَا تَبْلُغُ الْأَشْعَارُ؟  
وَلَا يَقْتَصِرُ الشَّاعِرُ عَلَى شَهَادَةِ الْقُرْآنِ ، بَلْ يَسْتَظِهِرُ أَيْضًا بِبَقِيَّةِ الْكِتَابِ  
الْمَقْدَسَةِ . فَجَمِيعُهَا تُشَدِّدُ بِفَضْلِ الْإِمَامِ : [كَامل]

١٠٤/٤٠ مِنْ يَشْهُدُ الْقُرْآنَ فِيهِ بِفَضْلِيَّةِ وَتُصَدِّقُ التُّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ

## الإِمَامُ هُوَ مَحْورُ الْخَلِيقَةِ

وَقَدْ نَسْتَغْرِبُ هَذَا التَّقْوِيلُ فِي شَأنِ الْكِتَابِ السَّمَاوَيِّ ؛ وَرَبِّمَا حَمَلْنَاهُ عَلَى

(١) السَّبْعُ المَثَانِي مِنْ أَسْمَاءِ فَاتِحةِ الْكِتَابِ . وَقَدْ تَعْنِي الْقُرْآنَ جَمْلَةً .

(٢) الْمِقْوِلُ : الْفَصِيحُ الْلِّسِنُ . وَاللِّسَانُ الْبَلِيجُ أَيْضًا .

المبالغات العادلة عند الشعراء ، والغلوّ اللفظي والمعنوي عند ابن هانئٍ خاصة . ولكن هذه المعاني كانت رائجةً في المجالس الإسماعيلية وربما كانت مدونةً في نصوصهم النظرية ، مثل هذا الابتهاج المنسوب إلى المعرفة : فهو يدعى فيه أن الأنبياء ، به سائر البشر ، قد خلقهم الله بسببه ، أي بنية خلق الإمام يوماً ما : « ... إلهي ، أوجدتْ عنِي خلقك ، وصدرتْ عنِي دنياك في الذات والأسماء والصفات ... إلهي ، ظهرتْ الموجوداتُ كلُّها بي ، وأخترعْتْ متى كلَّ رسولٍ ونبيٍّ ... »<sup>(1)</sup> .

هذه القداسة التي تجعل الإمام قطب البشرية ومركز الكون ، يترجمها الشاعر في مشاهد فردوسية مما تعود الخيال العربي أن يتصوره ويتمناه ، كالماء الصافي ، والظلل الوارف ، والنور الوضاء . ويستخدم عباراتٍ روحيةً تجريديةً كالقبس والمُجاجة والينبوع والشفاء : [كامل]

36-31/1 هُوَ عِلَّةُ الدُّنْيَا ، وَمَنْ خَلَقَ لَهُ  
مِنْ صَفَوْمَاءِ الْوَحْيِ ، وَهُوَ مُجَاجَةُ  
مِنْ أَيْكَةِ الْفِرْدَوْسِ ، حِيثُ تَفَتَّحَتْ  
مِنْ شُعْلَةِ الْقَبَسِ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى  
مِنْ مَعْدِنِ التَّقْدِيسِ ، وَهُوَ سُلَالَةُ  
مِنْ حِيثُ يُقْبَسُ النَّهَارُ لِمَبْصِرٍ  
وَتُشَقَّّ عَنْ مَكْنُونَهَا الْأَنْبَاءُ  
وَنَحْنُ ، لَئِنْ أَعْجَبْنَا بِتَطْوِيعِ الشَّاعِرِ لُغَتَهُ لِطْرَقِ هَذِهِ الْمَعْنَى الْمَجْرَدَةِ  
الَّتِي تَشَبَّهُ إِلَى حَدَّ بَعْدِ النَّصْوَصِ الْصَّوْفِيَّةِ ، نَسْأَلُ عَنِ الْجَمْهُورِ الَّذِي يَتَّبَعُ  
مِثْلُ هَذَا الشِّعْرِ . وَلَا نَخَالِهِ إِلَّا جَمْهُورُ الْأَنْصَارِ الْعَارِفِينَ بِأَسْرَارِ الدُّعَوَةِ ، وَالْأَتَابَعِ  
الْمَطَّلِعِينَ عَلَى عِلْمِ الْبَاطِنِ . أَمَّا الجَمْهُورُ الْوَاسِعُ الَّذِي يَشْمَلُ الْقَرِيبَ مِنَ  
الدُّعَوَةِ وَالْبَعِيدَ ، وَالْعَدُوِّ وَالْمَنَاصِرِ ، وَالْخَصْمِ وَالْمَحَايدِ ، فَلَعِلَّ الدُّعَوَةِ  
الرَّسْمِيَّةَ تَحْذِرُ أَنْ تَخَاطِبَ بِهَذِهِ الْأَفْكَارِ وَهَذِهِ الْأَلْفَاظِ ، بَلْ تَؤْثِرُ الْخَطَابَ

(1) نُذَّ . . . St . Guyard : Fragments . . . 48-49

الرصين المعتمد الذي يطمئن النفوس ويقنع العقول . هذا الدور يوكل عادةً إلى القاضي النعمان ، فنراه مثلاً يجادلُ في قضية السجود للأئمَّة فيشرح معناه ويميّزه عن السجود لله ، ويتوجُّح الحجج : « ... رأينا أوصياء الأئمَّة ، وولاة عهدهم ، يقبلون الأرض في سلامهم عليهم بين أيديهم ... فأتباعُهم أحقُّ من اقتدى في ذلك بهم ... والرَّاعُ والأُبَاشُ والعوامُ ينكرون ذلك ، ويرونه سجوداً من دون الله لهم ... وقد سجد إخوة يوسف وأبواه ليوسف فلم يعب اللَّه ذلك من فعلهم ... »<sup>(1)</sup> . ولا يكتفي بهذا القياس على يعقوب وأبنائه ، ولا تكفيه الحجَّة المنقوله عن القرآن ، فيضيف في موضع آخر حجَّة جديدة<sup>(2)</sup> : أنَّ تقبيل الأرض بين يدي الإمام ليس سجوداً على الحقيقة ، وبهذا الميز تنتفي القضية !

لكنَّ النعمان شَبَّه في كلامه - ضمنياً - الإمام بالنبي ، مما قد يدلُّ على أنَّ الدعاية الفاطمية تساوي الأئمَّة بالرسل . لذلك تتبعُ أسمَّ الإمام دائمًا عبارة : صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وهي تصليمة لا تختلف عن تصليمة رسول الله (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلَّا بحذف عبارة التسليم ، فترتَّد في المخطوطات مختصرة في ثلاثة أحرف عوض أربعة : (صلَّع) . أما في الوثائق الرسمية فترتَّد تامة اللفظ ، مثلما نقرؤُها في مستهلَّ رسالة جوهر إلى أهل مصر بعد الفتح : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِّنْ جُوهرِ الْكَاتِبِ ، عَبْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِجَمَاعَةِ أَهْلِ مِصْرِ ... »<sup>(3)</sup> . وفي أول جمعة أقيمت بالفسطاط في جامع عمرو ، دعا الخطيب بالصلاحة على المعز ، ويضيف الشاهد أنه قرأ الدعاء « من رُقْعَةٍ » ، كان جوهرًا هو الذي أنفذَ اليه الدعاء مكتوبًا : « ... اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَوَلِيْكَ ، ثُمَّرَبِّ الْبَوْبَةِ وَسَلِيلِ الْعِتَرَةِ الْهَادِيَّةِ ، عَبْدَ اللَّهِ الْإِمَامَ مَعْدَ أَبِي تَمِيمِ الْمَعْزَلِيِّ دِينَ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، كَمَا صَلَيْتَ عَلَى

(1) كـ . الهمة 105 .

(2) كـ . المجالس والمسابرات 58 - 60 .

(3) المقريزي : أتعاظ الحنفاء 148 .

آباء الطاهرين ، وأسلافه الأئمة الراشدين . . . »<sup>(1)</sup> .

ولا يفوت شاعرنا طبعاً أن يسجل هو أيضاً صلاة الله والملائكة على  
الأئمة : [طويل] .

42/37 تُرَدُّ الى الفردوس منكم أرومةٌ يُصلّى عليكم ربُّها والملائكة  
فضلاً عن صلاة الناس قاطبةً ، وهي فرض دائم ، وينضاف اليه  
التسليم : [طويل] .

71/47 فلا بِرْحَثٌ تَتَرَىٰ عَلَيْكُم مِّنَ الْوَرَىٰ صَلَاةٌ مُصْلَٰءٌ أو سَلَامٌ مُسْلَمٌ  
حتى الكائنات الجوماد تحب الإمام وتشتاق لرؤيته ، إلا أن الشاعر  
يتتخُّب منها الأماكن القدسية كمناسك الحجج وأباطح مكة : [كامل] .

43/1 هذا الذي عطفت عليه مكةٌ وشعابها ، والركنُ والبطحاء  
44 هذا الأغرُ الأزهرُ المتألقُ المتبلجُ الوضاءُ  
ولقائل أن يلاحظ أن هذا المعنى - وبهذا اللفظ تقريباً - قد طرقه الفرزدق  
في مدح علي زين العابدين الإمام الرابع ، في البيت المشهور :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأتهُ والبيت يعرفُه ، والحلُّ والحرُّ<sup>(2)</sup>

وطرقه أبو نواس أيضاً في مدح هارون الرشيد :  
حتى إذا واجهنَ أقْبَالَ الصَّفَا حَنَّ الحطيمُ وَأَطَّثَ الأرْكَانُ<sup>(3)</sup>

وأنَّ الشاعرين - وما أبعدُهما عن التشيع ! - لم يُعاباً بالبيتين . فنقول :  
وبأولى وأخرى ، لا يُعابُ شاعرنا ، وهو شيعي متحزبٌ يُعلن في كلٍ مناسبة

(1) المقرizi : انتظام الحنفاء 163 .

(2) البيت مفقود من ديوانه في طبعة الصاوي ، مذكور في ملاحق مقدمة لك . الشعر والشعراء لابن قتيبة التي ترجمها ونشرها Gaudefroy - Demombynes ( هامش 19 وملحق 1 ) .

(3) ديوانه - بيروت 1962 ص 642 . والضمير يعود إلى رواحل الخليقة .

تعلقه بالدعوة الفاطمية ويطمحُ الى دخول قصر الخليفة كما يطمع المؤمن الى الفوز بالجنة ، ويعتبر دخوله في خدمة الإمام وعداً بنيل الفردوس : [كامل] .

15/9

هل لي إلى الفردوس من إذن ، وقد  
شارفت باباً دونها مفتوحا؟

### قدسية الإمام

الفرقُ بين شاعرنا والشعراء الآخرين ، مهما غلوا في المديح ، هو أنه ينسب إلى المعز صفاتٍ تفوق طينة البشر ، هي أدقَّ من أن تدركها الأفهام وألطفُ من أن تعينها العقول : [كامل] .

84/1

قد جالت الأوهامُ فيك ، فَدَقَّتِ الْأَفْوَهُ فَكَارُ عنك ، فَجَلَّ الْأَلَاءُ<sup>(1)</sup>

هي صفاتٍ مستمدَّةٍ من وحي الله وهدايته ، بل هي الصفات التي ينسبها الناس إلى المولى سبحانه وتعالى ولا يتحرَّج الشيعة من أن ينسبوها إلى غير الله . ذلك أنَّهم ، مثل المعتزلة ، ينفون أن تكون لله الواحدُ الأحدُ المُتَوَحِّدُ صفاتٍ خارجةٍ عن ذاته . وعلى هذا الأساس وصفتهم فتوى بغداد بأنَّهم « ملحدون معطلون ». فإن كانوا من المعطلة ، أي من نفأة الصفات ، فلا مانع عندهم من أن ينسبوا إلى الأئمَّة صفة الواحد والقهار ، ولا كفرٌ إذن عندهم في هذا البيت الذي جمع للمعز أربعةً من الأسماء الحُسْنى : [كامل]

19/9

ندعوه متყماً ، عزيزاً ، قادرًا غفار موبقة الذُّنُوب ، صفوحاً

وقد احتاط الشاعر بكلمة « ندعوه » : فالمقولة خاصة بالأنصار المُقتَبِسين والأتباع العارفين الذين يرون في الإمام دليلاً على وجود الخالق

---

(1) وفي هذا المعنى يقول علي الرضا (ت 817/202) الإمام الثامن عند الاثنى عشرية : « فمن ذا يبلغ معرفة الإمام؟ ... هيهات ! هيهات ! ضلت العقول ، وتأهت الحلوم . وحارث الآلاب ! » انظر : أحمد أمين : ضحي الإسلام 3/216 وقد نقل الفقرة عن الكافي للكلباني .

وحكمة : [كامل]

113/40 والله مدلولٌ عليه بصنعه فينا ، وأنث على الدليل دليلٌ  
والمعز نفسه يشاطر هذا الاعتقاد ، حسبما يظهر من هذه المناجاة التي  
اكتفى ابن هانئ بتحويل مضمونها الى الشعر : « ... إلهي ، أنا اسمك ،  
وموجودُ اسمك ، وأنا البشيرُ اليك ، والدالُ عليك ، والدالُ على من دلَّ  
عليك ... »<sup>(1)</sup> .

فإمام ، وهو الصنيعة المخلوقة والحججة الدالة في آنٍ واحدٍ - وعبارة  
« صنعه فينا » لا تدع شكًا في توحيد ابن هانئ لله رب العالمين عز وجل - صار دليلاً  
بما أودعه الله فيه من علمٍ جمٍّ وحدسٍ ثاقب يرفع عن بصيرته حجبَ  
المغبياتِ : [طويل] .

20/11 وليست ظهاراً يُحجبُ الغيبُ دونها ولكنها قُذسيَّةٌ فيك تَرْسَخُ<sup>(2)</sup>  
وكشفُ الحجب ميزةٌ بها الله الأئمَّة دون سواهم : [طويل] .  
59/3 والله عِلْمٌ ليس يُحجبُ دونكُمْ ولكنَّه عن سائر الناس محجوبٌ  
وهي خاصية يرثونها كابراً عن كابرٍ ، فالإمام ينظر الى أحد أبنائه ساعة  
يولد فيعرفُ فيه فوراً أمارات الإمامة ، ولا يعرف فيه ذلك عن فراسةٍ فقط أو  
بالظنّ والحدس ، وإنما يعلّمه بعلمٍ ربانيٍ متّقد من إمام الى إمام . وهكذا  
علم المنصور أنَّ معه ابنيه سيكون ملكاً فريداً وهو لا يزال في المهد صبياً :  
[طويل] .

49/22 رأى أن سيسى مالك الأرض كلَّها فلما رأه قال: ذا الصمدُ الوترُ  
50 وما ذاك أخذَ بالفراسةِ وحدها ولا أنه فيها إلى الظنّ مضطَرٌ  
51 ولكنَّ موجوداً من الأثر الذي تلقاه من جبرٍ ضئيلٍ به جبرٌ  
52 وكثيراً من العلم الربُّويَّ ، إنَّه هو العلم حقاً ، لا القيافةُ والزجرُ

(1) نُسْدِ ... 170 St. Guyard : Fragments ...

(2) الظهار ظاهر الشيء ، الذي يلوح للناظر فيحجب عنه الباطن .

## علم الإمام

فليس علم الأئمة تبُؤا ولا فراسة ولا زجر طير ، إنما هو ملكة فطرهم الله عليها، تولد معهم ، وبها يعلمون ما سيقع من أحداث في مستقبل الزمان ، وخاصة الأحداث التي تهم آل البيت . على أن بعض الطوائف من الشيعة أبت إلا أن تجسّم هذه الملكة في أثر مادي منقول ، فقالوا بـ « الجفر » ، ذلكم الكتاب الذي رواه بعض روّس الريدية عن جعفر الصادق ونسخه على جلد ثور صغير - والجفر هو ولد الشاة والمعزى والبقرة - « وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص » . ويضيف ابن خلدون أن ذلك العلم « وقع لجعفر ونظائره من رجالاتهم عن طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء ... وقد صح عن جعفر الصادق أنه كان يحدّر بعض قرابته بوقائع تكون لهم ، فتصح كما يقول»<sup>(1)</sup> . والقاضي النعمان ، لئن لم يذكر كتاب الجفر بلفظه ، فإنه ذكر شيئاً شبّهها به ، وهو « قلم » يتوارثه الأئمة يكتبون به أسرارهم ، وبيانه وشرحه تحته »<sup>(2)</sup> ، ولم يوضحه القاضي لأنّه سرّ ينبغي أن يبقى مكتوماً ، إلا عن الأئمة . وصيانة العلم عن غير مستحقّيه ضرورة يتفق عليها النعمان وشاعرنا ، فيقول النعمان نقلأ عن المعز : « إِنَّا لَوْ كَشَفْنَا كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ ، وَأَوْضَحْنَا لِسَائِرِكُمْ ، لَبَطَّلَ التَّفْضِيلُ بَيْنَكُمْ ، وَلَنَالَ الْفَضْلُ مَسْتَحْقُهُ وَغَيْرُ مَسْتَحْقَهُ . . . وَلَكِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ عَلَى كُلِّ مَا عَنَّنَا وَيَحْوِيهِ ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) ذَلِكَ لَهُ وَلَا لِغَيْرِهِ دُونَنَا »<sup>(3)</sup> . ويقول ابن هانئ : [ طويل ]

177/47

إذا كانت الألباب يقصّر شاؤها  
فظلّم لسر الله إن لم يكتم

(1) المقدمة 273 . وانظر فصل « الجفر » في دائرة المعارف الإسلامية .

(2) المجالس والمسايرات 130 .

(3) المجالس والمسايرات 104 و 511 .

هذا العلم لا ينتقل من إمام إلى إمام بالدرس والتحصيل ، بل هو سجية طبيعيةٌ وسليلةٌ فطريةٌ : فالمعزَّ مثلاً « لم نعلم له في الطفولة مؤدباً عالماً فنقول : أفادَ عنه ، ولا بعدَ ذلكَ من جليسٍ ولا مصاحبٍ كذلكَ يُحسِن شيئاً فنقول : أفادَ منه ، ولا كانت له رحلةٌ ولا طلبٌ »<sup>(١)</sup> . وهو عند الشاعر عالم عليمٌ بنفح من الله لا يتكلّم درس : [طويل]

30/47 غَدُوا ناكِسِي أبصارهم عن خليفةٍ عليمٍ بسرِّ اللهِ غيرِ مُعْلَمٍ

31 وَرُوحٌ هَدَى في جسمِ نورٍ يُمْدَدُ شعاعَ من الأعلى الذي لم يُجَسِّمْ

ولكنَّ هذا القبس الذي يستمدُّ الأئمَّة من الله قد يحمل « العادةً » ، أي أهلِ السنة ، على اتهامهم بادعاء علم الغيب . ويبدو أنَّ هذا الاستنتاج لم يكن فاشياً عند الخصوم فحسب ، بل عند بعض الموالين للدعوة أيضاً ، فاضطُرَّ القاضي النعمان ، وهو الفقيه الرسمي الذي عليه أن يجادل ويقُنع ويشرح ويدفع ، ويجابه الخصوم ، ولا سيما مالكية القیروان أتباع مدرسة سخنون<sup>(٢)</sup> ، إلى تنزيه الأئمَّة عن أدُّعاء معرفة الغيب ، فيقول نقاً عن المعزَّ : « نحن عبادُ الله مخلوقون مربوبون ، لا علَمَ لنا إلَّا ما عَلِمْنَا وصار إلينا عن نبيه جَدَّنا محمدَ (ص) ، مما أودعَه الله إِيَّاه وأورثَاه مِمَّنْ بعده وأُودِعَتْه ، لا نُحيطُ من علمه إلَّا بما شاء »<sup>(٣)</sup> .

ويقول في كتاب آخر ، من كلامه هو : « ... إِنَّا لا نقولُ ما قالَه الغُلَامُ الضالُّون المبطلون الصادُون عن أولياء الله ، الدافعون إِمامَتَهُم ، الزاعمون أنَّهم يعلَمُونَ غَيْبَ الله ، وما تُخْفِي صدورُ عِبَادِه »<sup>(٤)</sup> .

هذا ما يقوله الفقيه المجادلُ . أمَّا شاعرنا ، فلا حاجةَ له بمداراة فقهاء

(١) المجالس والمسايرات 148 .

(٢) انظر : برنشتوك : الفقه الفاطمي 13 . R . Brunschwig : Fiqh fatimide .

(٣) المجالس والمسايرات 523 .

(٤) كـ . الهمة 53 .

القيروان ، ولا باستدراجهم الى مذهبه . فلا تحفظ عنده ولا اعتدال ، لأنه من جهةٍ رجلٌ متشبع بمبادئ الدعوة مقتنع بشرعيتها وصدقها ، ولأنه من جهةٍ أخرى شاعر فنان شيمته التوسيع والتضخيم . فمن معرفته بمقولات الدعوة ، الإشارةُ الضمنية في الأبيات التالية الى القاعدة الأصولية عند الإماميّين في امتياز وجود إماميين في زمِنٍ واحدٍ<sup>(1)</sup> . فإذا قرَرَ اللَّهُ نقلَ الإمامة ، دعا إليه الإمامُ السابق ، وحوَّلَ إلى اللاحقِ جميعَ الصفات والأبيات ، كالوصاية على الخليقة جمِيعَه ، والعلم المكنون ، وتأويل ما نزلت به الكتب السماوية :

[كامل]

104/41 حتى إذا استرعاك أَمْرُ عبادِه أدنى اليه أباك إسماعيلاً<sup>(2)</sup>

107 ... وورثَتَ البرهانَ والتبَانَ والـ فرقانَ والتوراةَ والإنجيلا

108 وعلَمَتَ من مكنونِ عِلمِ اللَّهِ مَا لم يُؤْتَ جبريلًا وميكائيلا

ومن خيالِ الفنانِ ، تصوير المقام الرفيع الذي يتمتع به المنصور لدى ربِّه بعد رفعِه إليه : فهو يتفاني ظلال الجنان وقد صار مثل إبراهيم خليلاً لربِّ السموات : [كامل]

105/41 من بين حُجَّبِ النورِ حيث تَبَوَّأْتَ آباءُه ظلَّ الجنانَ ظليلًا

106 أَدَى أمانَتَهُ وزِيدَ من الرضى قُربًا ، فجاورةَ الإلهِ خليلاً

ومن الأمرين معاً ، اعتبارُ الإمام شفيعاً للبشرية وسيطاً بينها وبين ربها :

[كامل]

115/41 لو لم تكن سببَ النجاةِ لأهليها لم يُغِنِ إيمانُ العبادِ فَتِيلًا

واعتبارُه أيضًا سيداً للزمان يتحكمُ فيه كما يشاء : [كامل]

95/1 لا تسأَلَنَّ عن الزمانِ ، فِإِنَّهُ في راحتيك يدورُ كيف تشاء

(1) المجالس والمسيرات 468 و 514 هامش 1.

(2) إسماعيل هو المنصور الخليفة الثالث .

## شفاعة الإمام تناول السابقين واللاحقين

ولا يبعد الأئمة ولا يبالغون إنْ هم قالوا إنَّ آدم خُلِقَ بِسَبَبِهِمْ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ، لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ، نَظَرَ فِرَأَيٍ فِي ساقِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ ، أَيَّدَتْهُ بِعُلَيٍّ وَأُورْثَتْهُ بِهِ . فَقَدْ ذَكَرَنَا اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ . . . وَلَوْ شِئْنَا أَنْ نَقُولُ : إِنَّا كَانَتْ مَعَ آدَمَ ، لَقَلْنَا »<sup>(1)</sup> . هَذَا الرَّأْيُ ، يَتَرَجَّمُهُ ابْنُ هَانَىءٍ شِعْرًا فَيَطْبَقُهُ عَلَى الْمَعْزَ وَيَجْعَلُهُ عَلَةً الدُّنْيَا وَشَفِيعَ آدَمَ وَيُوْنَسَ عَنْ دَرَبِ الْعَرْشِ : [كَامِلٌ]

هذا معذُّ والخلائق كلها  
هذا ضمير الشأة الأولى التي  
من أجل هذا قدر المقدور في  
وبذا تلقى آدم من ربِّه  
هذا المعزُّ متوجًا والدين  
بدأ الإله ، وغيرها المكنون  
أم الكتاب ، وكُون التكوين  
غُفرًا ، وفاء ليونس اليقطين

وقد يستغرب المرءُ هذا الصعود التراجعي في الزمن حتى تشمل شفاعة المعزَّ آدم والمخلوقات الأولى . والتفسير يكمنُ في نظرية الإسماعيلية في الخلق . هذه النظرية تقول : إنَّ العالَمَ بِأَسْرِهِ ، أيَ الأرض والسماء ، والأفلاك والبشر ، والزمان والأفاق ، إنَّما خلقت لتكون في المستقبل إطاراً لِمُحَمَّدَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَذَرِيَّتِهِ . فَكَمَا لَا نَسْتَغْرِبُ أَنْ يُصْنَعَ الْمَهْدُ وَيُهْيَأَ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ الصَّبِيُّ ، فَكَذَلِكَ يُنْبَغِي أَنْ لَا نَسْتَغْرِبُ كَوْنَ الْأَئِمَّةَ عَلَةً لِسَائِرِ الْكَائِنَاتِ الَّتِي أُوجِدَهَا اللَّهُ قَبْلَهُمْ . وقد بسط زاهد على الشارح الإسماعيلي لِدِيوان ابن هانىء ، هذه النظرية في شيءٍ من الاقضاب ، فقال معتبراً بما تبعَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَقْوُلَةَ مِنَ التَّعْجِبِ وَالتَّسَؤُلِ : « لَا شَكَّ فِي أَنَّ آدَمَ وَيُوْنَسَ وَمُوسَى كَانُوا [أَيْ وُجُدوا] قَبْلَ الْخَلِيفَةِ الْمَعْزَ بِزَمَانٍ طَوِيلٍ وَمَضَتْ بَيْنَهُمْ

(1) المجالس والمسايرات 210 .

آلاف السنين . فكيف يمكن أن يكون المعز وسيلةً لهم غُفرَت بها ذنوبُهم وانجلَت بها همومُهم؟ « ثم أدلَى بالجواب : « إِنَّ مُحَمَّداً وَالْأَئمَّةَ مِنْ ذَرَيْتَه أَفْضَلُ جَمِيعِ الْبَشَرِ ، وَإِنَّ نُورَهُمْ خُلِقَ قَبْلَ خَلْقِ الْعَالَمِ ، حَتَّى يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْذَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِثْاقَ لَوْلَيَّ الْأَئمَّةِ »<sup>(1)</sup> . فليس يصعب إذن على واحدٍ من الإسماعيلية أن يقبلَ هذا التأثير العكسي من المعز في آدم : [متقارب]

67/58 لآدَمَ مِنْ سَرْكُمْ مَوْضِعٌ بِهِ اسْتَوْجَبَ الْعَفْرَ لِمَا عَصَى  
وَلَا يَصْبَعُ عَلَيْهِ، بِأَوْلَى وَاحِدَى، أَنْ يَفْهَمُ كَيْفَ تَشَهَّدُ التُّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ،  
فَضْلًا عَنِ الْقُرْآنِ، بِعِلْمِ الْمَعَزِ وَكَرَامَاتِهِ . وَإِذَا مَا اقْتَنَعَ بِهَذِهِ النَّظَرَةِ وَعَرَفَ أَنَّ  
الْإِمَامَ مُوْجُودًا بِالْقُوَّةِ، سَابِقًا بِوُجُودِهِ هَذَا وُجُودَ الْخَلَائِقِ، وَإِنْ كَانَ وُجُودُهَا  
وَجُودًا بِالْفَعْلِ، أُمُكْنَهُ بِالْمُثَلِّ أَنْ يَتَصَوَّرَ امْكَانَ بَقاءِ الْإِمَامِ بَعْدِ فَنَاءِ الْخَلَائِقِ،  
أَيْ أَنْ يَرِثَ الْأَرْضَ : [ طَوِيلٌ ]

58/3 وَأَنْتَ مَعَدٌ وَارِثُ الْأَرْضِ كُلِّهَا فَقَدْ حُمِّ مَقْدُورٌ وَقَدْ حُطَّ مَكْتُوبٌ  
وَأَنْ يَقْتَنَعَ بِاِمْتِلاِكِهِ حَقَّ الشَّفَاعَةِ لِلْخَلَقِ كُلِّهِمْ : [ كَاملٌ ]

83/53 فَارْزُقْ عَبَادَكَ مِنْكَ فَضْلَ شَفَاعَةٍ وَاقْرُبْ بِهِمْ رُلْفَى فَأَنْتَ مَكِينٌ  
وَبِقَدْرَتِهِ عَلَى تَفْجِيرِ المَاءِ مِنَ الصَّخْرِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى مِثْلِ مُوسَى  
وَعِيسَى . غَيْرَ أَنَّ الشَّاعِرَ يَحْتَاطَ هَنَا فَيَفْتَرُضُ إِمْكَانَيْهِ هَذِهِ الْمَعْجزَاتِ بِحَرْفِ  
الشَّرْطِ « لَوْ » : [ كَاملٌ ]

52/24 لَوْ تَلْمِسُونَ الصَّخْرَ لَا تَجْسَسْتَ بِهِ وَتَفَجَّرْتَ وَتَدَفَّقَتْ أَنْهَارُ  
لَبَّوْا وَظَلَّوْا أَنَّهُ إِنْ شَاءَ أَوْ كَانَ مِنْكُمْ لِلرُّفَاتِ مُخَاطِبٌ

---

(1) تبيين المعاني - المقدمة 57.

## معرفة الإمام واجبة

هذه الصفات في الإمام تستوجب من الأتباع ، بَلْ من كافة الناس ، أن يعرفوا إمام زمانهم ويطيعوه . ويطيب للشيعة في هذا المضمار أن يستظهروا بالحديث المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّةً »<sup>(1)</sup> . ومعرفة الإمام لا تعني فقط رؤيته بالبصر أو معرفة شخصه وتعيينه باسمه ، بل هي أيضاً معرفة كنهه وإدراك صفاته العالية ، ولا يتستّى هذا إلا لمن عرفه بالبصيرة لا بالبصر فقط وأمن به ووالاه « والنفوس لا تنجو من جاهليتها إلا بمعرفة الإمام وولايته »<sup>(2)</sup> . ويلحق القاضي النعمان على واجب الطاعة : « ... وإن كانت درجة النبوة فوق درجة الإمامة ، وفضل الأنبياء أعظم من فضل الأنتمة ، فإن الطاعة واحدة موصولة قد قرناها الله تعالى بطاعته » . يقول : موصولة ، أي متصلة متواصلة من الإمام إلى الرسول إلى الله . وفي المقابل ، فمن لم يطع الإمام فكأنه لم يطع الرسول وبالتالي عصي الله ، فإيمانه باطل والجنة في وجهه موصدة : « ... فلم يقبل الله من مطاعته إلا طاعة من افترض عليه طاعته من أوليائه ، ولم يدخل في جملة المؤمنين به إلا من سلم لمن أمر بالتسليم إليه من أصنفياته »<sup>(3)</sup> . ويقول هنا : التسليم ، أي الإيمان التام دون نقاش ظاهر ولا تساؤل باطن . هذا الرضوخ التام لمشيئة الإمام هو الضامن للنجاة ، حسب ما يقرره جعفر الصادق في هذا التعهد : « أما والله فإنكم بتوليكم إيانا ، كلكم من أهل الجنة ، وإنما الضامنون لكم ذلك عن الله »<sup>(4)</sup> . وكذا يقول الشاعر : [ كامل ]

(1) ذكره زاهد علي ولم يجعل إلى كتب الحديث . وأطرب الأميني : الغدير 10/360 في الاستشهاد له .

(2) زاهد علي : تبيّن .. المقدمة 56 . وانظر : الحبيب الفقي : Les idées philosophiques de l'Ismaélisme , Tunis 1981 , 216.

(3) كـ. الهمة ، 39

(4) القاضي النعمان : كـ. المجالس والمسايرات 402 .

5/24 هذا الذي تُرجى النجاة بحجه وبه يُحط الإصر والأوزار  
، هذا الذي تجدي شفاعته غداً حقاً، وتخمد آن تراه النار

فلا دين لمن لا يحب الإمام ، ومن أبغضه فماله الخسران المبين :

[طويل]

45/22 إمام رأي الدين مرتبطاً به فطاعته فوز ، وعصيائه خسر  
لأن طاعة الإمام هي طاعة الله ، فليس التشابه بين مدح الإمام وحمد  
الله مجرد تقارب لفظي : [طويل]

46/22 أرى مدحه كالحمد لله ، إنه قنوت وتسبيح يحط به الوزر  
وهذه الطاعة كما قلنا ينبغي أن تكون ظاهرة وباطنة : « ينبغي لكافة  
الناس تعظيمهم وإجلالهم في أعينهم وصدورهم ، والتذلل والتواضع  
لهم . . . واعتقاد ذلك التعظيم والإجلال والهيبة »<sup>(1)</sup> . . . لذلك صور لنا  
الشاعر جنود المعز ، أولائك الأبطال المعاوires ، وهم يمرون أمامه خاشعي  
الرؤوس ناكسي الأبصار لا يجسرون على النظر اليه وقد ملئت له قلوبهم  
بالمحبة الخاشعة الصامتة .

### اشتراك هذه المعاني عند ابن هانئ وتميم بن المعز

لئن اشتراك هذه المعاني المذهبية بين قاضي الدولة الفاطمية وشاعر  
المعز ، أي بين الفقيه المنظر المجادل والشاعر الفنان المناصر ، كما رأينا في  
بحر هذا الفصل ، فإنها تشتراك أيضاً بين ابن هانئ وشاعر فاطمي أصلاً ، أي  
من الأسرة نفسها ، وهو تميم ابن الخليفة المعز . وهذه أبيات مدح بها أخاه ،  
ال الخليفة العزيز بالله في مصر ، تشبه إلى حد بعيد معاني شاعرنا ولغته . فاللغة

(1) القاضي النعمان : كـ . الهمة 45 .

صوفية : هناك المجاجة ، والظلل والينبوع ، وهنا الروح القدسي ، والنور اللطيف ، والجوهر النير . أما المعاني ، فربما زادت في التقديس على ما ي قوله صاحبنا . وهو أمر على جانب من الغرابة لأن تميماً كان ولـي عهد المعز ومبـواً للإمامـة فـعـزل لـفـائـدة أخـوـيه عـبـدـالـلهـ ثـمـ العـزـيزـ ، ورـغـمـ ذـلـكـ يـقـولـ فـيـمـ عـوـضـةـ : [ بـسيـطـ ]

روح من القدس في جسمِ من البشرِ  
تناهياً جازَ حدَ الشمسِ والقمرِ  
خلقَ الهيولي ، وبسطَ الأرضِ والمدرِ  
وانتَ للهِ فيهم خيرٌ مؤتمرٌ  
وأنتَ خيرُهُ الغراءُ من مُضرِّ  
مثوىً ، وكنتَ ملكَ الأنجمِ الزهرِ  
بأنها عنك في عجزٍ وفي حصرٍ<sup>(1)</sup>

ما أنتَ دونَ ملوكِ العالمينَ سوي  
نورُ لطيفٍ تناهى منك جوهـرةـ  
معنىً من العلة الأولى التي سبقـتـ  
فـأـنـتـ بـالـلـهـ دـوـنـ الـخـلـقـ مـتـصـلـ  
وأنتَ آيـةـ من نـسـلـ مـرـسـلـهـ  
لو شـئـتـ لم تـرـضـ بالـدـنـيـاـ وـسـاـكـنـهـاـ  
ولـوـ تـفـاطـنـتـ الـأـلـبـابـ فـيـكـ دـرـتـ

وشاعرنا ، حتى وإن هم بتجاوز الحدود المعقولة ، فهو يخفف الإمكانية  
بحرف افتراض ، وكأنه يشعر بأنَّ الغلوّ منه قد يؤخذ مأخذَ المروق والكفر :

[ طويل ]

174/47 ولو أنـيـ أـجـريـ إـلـىـ حـيـثـ لـاـ مـدـىـ من القول ، لم أحـرجـ وـلـمـ أـتـأـمـ  
وـفـعـلـ ، فـهـوـ لـاـ يـتـحـرـجـ مـنـ أـنـ يـعـتـبـرـ أـنـ حـيـاتـهـ المـاضـيـ ، أـيـ قـبـلـ أـنـ يـتـصـلـ  
بـالـمـعـزـ ، كـانـتـ حـيـاةـ خـاسـرـةـ وـأـنـ إـيمـانـهـ كـانـ نـاقـصـاـ ، بـلـ باـطـلـاـ . فـانـتـقـالـهـ إـلـىـ  
الـمـعـزـ فـتـحـ بـصـيـرـتـهـ وـأـنـقـذـهـ مـنـ الضـلـالـ : [ بـسيـطـ ]

20/12 رأـيـتـ مـوـضـعـ بـرـهـانـ يـبـيـنـ ، وـماـ  
21 وـكـانـ مـنـقـذـ نـفـسـيـ مـنـ عـمـاـيـهـاـ  
24 مـاـ أـجـزـلـ اللـهـ دـُخـرـيـ قـبـلـ رـؤـيـتـهـ

. (1) ديوانه 164

## الإمام واجب الوجود

بقيت نتيجةً حتميةً لكلَّ هذه الصفات التي ترفع الإمام عن صف البشر ، وتجعله شفيعاً للسابقين واللاحقين ووسطاً ضرورياً بين العباد وخالقهم : وهي أنَّ الإمام واجب الوجود ، مثل العلة الأولى . والشاعر لا يُغفل هذه المصادرَة ، بل يرددها ويحتاج لها ببراهين مختلفة . فتارة يترجم الآية الكريمة : «**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ**»<sup>(1)</sup> بما يؤكّد أنه لا بدَّ للأمة الإسلامية ، بل للبشرية قاطبة ، من إمام ينير السبيل وينهى عن الضلال ، ويعظ ويزجر :

[بسط]

54/44 **وَلِيُسْ يُنَكِّرُ مِنْ هَادِ لَمَّا تَبَعَّدَ** **غَوْلُ الْمَوَاحِدِ لِلْبَقِيَا عَلَى الْجُمَلِ**  
والمعزَّ نفسه يحتاج بهذه الآية لإثبات وجوب الإمام ولبرير سلطانه على الأرواح والأبدان ، إلا أنه يلحَّ على وظيفة الهدایة : «إنا ندعوهم إلى الله وإن صدُّوا عن السبيل ، ونقِّومُهم وإن آثروا الميل ... فتحن والله هُدَاؤُهم ، في كلِّ عصرٍ مَنْ هَادِ لِمَنْ كَانَ فِي عَصْرِهِ مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْحَقِّ ، وَنَحْنُ هُدَاءُ الْخَلْقِ»<sup>(2)</sup> .

وتارةً يرمُّ إلى وظيفة التنسيق بين أجناس البشر باحتياجهم إلى مترجمٍ يشرح كلام هؤلاء لهؤلاء ، ما دامت المشيئَة الإلهيَّة تقضي بأن تختلف لغاتُ الناس وتباينُ ألسنتُهم : [ طويل ]

178/47 **إِذَا كَانَ تَفْرِيقُ الْلِّغَاتِ لِعَلَمٍ** **فَلَا بُدَّ فِيهَا مِنْ وَسِيطٍ مُتَرَجِّمٍ**  
ويحتاجُ أحياناً بآية كونية : فكما أنَّ الجبال الرواسي يقللها تمسك الأرض وتنبع التفتت والتشتت ، فكذلك الإمام جامعُ للبشرية ضامنُ

(1) الرعد ، 7.

(2) كـ . المجالس والمسايرات 118 .

179/47 **وَآيَةُ هَذَا أَنْ دَحَا اللَّهُ أَرْضَهُ**    وَلَكِنَّهَا لَمْ تَرَسْ مِنْ غَيْرِ مَعْلَمٍ

## عصمة الإمام

هذا الإمام الواجب الوجود هو أيضاً مطلقاً النفوذ ، له حق القتل ، قتل الأفراد لصيانة الجماعة ، وقد ذكرنا البيت الذي بسط فيه هذه الفكرة ، وهي فكرة لا تختص بالعقليّة الشيعيّة ، إذ يُنسب إلى عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) أنه قد يُقدِّم على قتل الثلث لإصلاح الثنين إذا دعت الحاجة إلى مثل هذه الصراوة . إلا أنَّ عمرَ وهو صاحب أول رسالة في القضاء العادل ، ما كان ليقتل قبل المحاكمة والاستابة وضمان حقوق المتهم وربما كان يصفح ويغفو . أمَّا الشيعة الإسماعيلية فعندهم أن الانتقاض على الإمام وإنكار حكمائه إنَّمَا كُبَّار لأنَّ الإمام لا ينطق عن الهوى وأحكامه لا يعترفها نقص من ظلم أو حقد أو تسرع . والمعزز نفسه يؤكّد للنعمان بأنه « ممنوع من الظلم والتعذيب »<sup>(1)</sup> . هذا التزويه عن الظلم هو العصمة التي تتسبّبها طوائف الشيعة إلى الأئمَّة الممنوعين من كلّ نقيبة لأنَّهم يتمتعون بهداية مسترسلة من الله . فاحكمائهم السياسيّة مثلاً ، من إبرام هُدنة مع الإمبراطور البيزنطي ، أو رفض الإصغاء إلى مَبْعوث المنافس الأموي ، أو العفو على ثائر زناتي ، هي في نظر الأتباع قرارات رشيدة حكيمه لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . بنحو هذا المعنى يؤيد شاعرُنا عزلَ تميم عن ولادة العهد وتعويضه بأخيه عبد الله : [ بسيط ]

68/43 **وَلَا خِيَارَكَ فَضْلُ الْوَحِيِّ ، إِنَّكَ لَا تَأْتِي الْمَكَارَمَ إِلَّا مِنْ عَلٰى فَعْلٍ**  
**مَسْتَهْدِيًّا بِدَلِيلِ اللَّهِ تَتَّبِعُهُ وَقَادِحًا لِزِيَادِ الْحُكْمِيَّةِ الْأُولِيَّةِ**

. (1) المجالس والمسايرات 433

## الإمام يُعين بالنص

نفوذ الإمام إذن نفوذ مطلق ، لا في الرعايا فحسب ، بل حتى في الأسرة المالكة . فله أن يولي وأن يعزل ، دون اتباع قاعدة الأسبقية في الولادة . والتعيين يقع بالنص ، أي بتصریح سری أو علني ، منظوق أو مكتوب . وفكرة النص قديمة ترجع إلى اعتقادهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث الغدیر قد نص على خلافة علني من بعده . فكذلك ينص الإمام الزمان على خليفة دون انتخاب ولا مشورة ، حتى الاستشارة الضيقية المحصورة في أفراد الأسرة الحاكمة لا وجود لها<sup>(1)</sup> .

والحكم الفاطمي مستمد ، كما رأينا في أول هذا الفصل ، من شرعية دينية تاريخية ، هي شرعية آل بيت الرسول مؤسس الدولة الإسلامية . والانتفاء إلى الرسول يمر ضرورة بفاطمة وحدها . فالفاطميون مخصوصون دون سواهم بالنسبة الشريف ، كما يؤكّد المعز للنعمان : « وسِلْتُنَا إِلَى اللَّهِ جَدُّنَا مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْخُلُقِ عِنْدَ اللَّهِ . فَمَنْ ذَا يَتَوَسَّلُ بِمَثْلِهِ؟ أَمْ مَنْ ذَا يَحْلُّ مَحَلَّنَا مِنْهُ؟ إِنَّ اللَّهَ أَحَلَّنَا مِنْهُ مَحَلًا لَمْ يُشَرِّكْ مَعَنِّا فِيهِ غَيْرَنَا . . . فَنَحْنُ صَفَوْتُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَأَمْنَاؤُهُ عَلَى عَبَادِهِ ، وَأَئْمَانُهُمْ ، وَأَوْلُو الْأَمْرِ فِيهِمْ »<sup>(2)</sup> . والمعز هنا يقصد أبناء عمومته العباسيين . أما شاعرنا ، فيتجاوز الهاشميين إلى قريش كلها حتى يطرح من الحساب ، لا عبد شمس فحسب ، بل تماماً وعدياً رهط أبي بكر وعمر : [ متقارب ]

61/58 فـما لـقـرـيـشـ وـمـيرـاثـكـمـ وـقد فـرـغـ اللـهـ مـمـا قـضـىـ؟

\* \* \*

(1) يظهر أن بعض هذه التعيينات قد أحدثت اضطراباً في العائلة الفاطمية وانقساماً . انظر سيرة الأستاذ جودر 215 .

(2) المجالس والمسايرات 402 .

يتصل بهذه المعاني العقائدية المذهبية قسمٌ كبيرٌ من شعر صاحبنا يتعلّق بجهاد المعز في سبيل الدين ، مواصلةً لجهاد محمد صلى الله عليه وسلم ضدَّ الكفار . وجihad المعز لا يتّجه إلى النصارى الروم فحسب ، بل إلى المنافسين والمتمرّدين من أهل الإسلام : فخلفاء بغداد ، وخلفاء قرطبة ، والمارقون الخوارج في المغرب ، كلّهم كفار في نظر الدعوة وفي شعر الشاعر ، وقتلهم مشروع بل واجب . وسنعرض لهذا الشعر الحربي بالتفصيل في الفصل الموالي .



# الفصل التاسع

## معاني الشاعر وأغراضه

### المعانى السياسية

يتمثل الجانب الثاني من تشيع ابن هانىء للدولة الفاطمية ، في تحامله العنيف ضد أعداء الفاطميين في الداخل والخارج . وهم ثلاثة أصناف : صنفان يتميان إلى الإسلام ولكنَّ مناواةً لهم للأسرة الشيعية تجعلهم في صفة الكفار : هؤلاء هم العباسيون ببغداد والأمويون بالأندلس . وينضمُّ إلى الأمويين أعداء الداخل ، وهم زعماء القبائل الزناتية الذين لم ينجُوا الحكم الشيعي في استدراجهم إليه ولا في القضاء النهائي على ثوراتهم المتكررة المتتجدة . وهذه القبائل البربرية تدين بالمذهب الخارجي ، وهي مع ذلك تحظى من حكام الأندلس بالدعم المادي والسد المعنوي ، مما جعلها في الواقع حلقةً لهم . لذلك نعرض لتحامل الشاعر على الثوار الداخليين أثناء درسنا لاحتجاجاته ضد الأمويين .

والنصف الثالث من الأعداء تمثله الامبراطورية البيزنطية التي كسبت قوة جديدة وأحرزت انتصارات في الشام منذ أن اعتلى عرش القسطنطينية الدمشقي من الأسرة المقدونية ، فصار خطرُ الروم على دار الإسلام وشيكاً ملازماً ، لا سيما وأنهم يسعون إلى تخلص جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، والمحوض الغربي من البحر المتوسط ، من النفوذ الفاطمي أي من حكم الإسلام .

فوجب على المعز أن يجاهدهم ، ووجب على الشاعر أن يشيد بهذا الجهاد ، وإن كان في الحقيقة لا يميز بين قتال الروم وقتل الأمويين والعباسيين والبربر المتمردين: فكلهم في نظره كفار وقاتلهم جهاد .

وتفاوت حتى الشاعر على هؤلاء الخصوم في الكثرة والعنف . ففي المرتبة الأولى من الكثرة يأتي خلفاء بغداد ، وقد تعرض لهم الشاعر في أربع عشرة قصيدة من القصائد الأربع والعشرين التي مدح بها المعز . ويأتي الأمويون في المرتبة الأولى من عنف اللهجة في عشر قصائد ، ثم البيزنطيون في سبع . إلا أن التحامل على هؤلاء وهؤلاء يتداخل في القصيدة الواحدة دون ميز أو ترتيب ، فلا يصح أن نضم القصائد إلى بعضها بعضاً فنقول : هذه ضد العباسيين فقط ، وهذه ضد الأمويين فقط . وإنما نصفها بصفة تقريبية معتمدين على نسبة التداول .

## التعامل على الأمويين

بمجرد أن حل بال المغرب ، أعلن الشاعر ، في مدحه جوهر الحائبة ، وهي أول شعره المغربي ، انتقامه إلى الدعوة الفاطمية وتسخير طاقته لإعلاء كلمتها ، فحقلت القصيدة بالشعارات الإسماعيلية كما رأينا في الفصل الماضي . ولكنها حفلت أيضاً بالمواقف السياسية : فقد تهجم فيها على زعماء المتمردين على الحكم الشيعي ، وخاصة ابن واسول وأل موسى بن أبي العافية ، وقد وقعا في أسر جوهر ، هاجمُهم وتشفّى منهم وأشار بحمل جوهر نحوهم . ولكن هذه الإشارة إلى صفح القائد لا تخلو من غموض : نفهم تخميناً أنه سرح آل ابن أبي العافية حين تصرعوا إليه بعد أن سد عليهم المنفذ . ويستعمل الشاعر كلمة « سيف » التي قد تقرأ بمعنىين ونطقين : السيف بالفتح ويكون معنى الرحلة التي قصدوها هي الانقطاع عن الشعب والابتعاد عن سلاح جوهر . والسيف بالكسر ، أي ساحل البحر ، فيكون المعنى : قصدوا مبارحة المغرب ، ولكن إلى أين ؟ إلى الأندلس ؟ وفي هذه

الصورة ، كيف يسمح جوهر لأعداء مولاه أن يلتحقوا بعدوه ؟ : [طويل]

56/10 أهبَّ لَهُمْ تِلْكَ الرِّزْعَاعَ لَقَحَا<sup>(1)</sup>  
59 .. صفحَتْ عنِ الْجَانِيَّ مَنَا وَرَافِةً وَتَصْفَحَا  
60 وقد أزْمَعُوا عَنِ ذَلِكَ السَّيفِ رَحْلَةً مُسَرَّحاً

ونفهم أيضاً أنه أبقى على ابن واسول بطلب من شخص يدعوه «ابن أبي سفيان»، وافتضنا أنه قد يعني عبد الرحمن الناصر. ولكن هنا أيضاً نتساءل: كيف يقبل جوهر شفاعة خصم المعز اللدود في الأسير ؟ ثمَّ أنَّ افتراضنا مردود بكون الناصر ، لا سفيانياً ، بل مروانياً :

54/10 رأى ابن أبي سفيان فيها رشاده وعفى على أثر الفساد وأصلاحها  
55 دعاك إلى تأمِّلِه فقبلته ولو لم تداركه بعارفةٍ طحا<sup>(2)</sup>

فإن صح تأويلنا لهذه الأبيات ، تبيَّن لنا أن الشاعر قد فهم سريعاً حقيقة الصراع بين الدولتين : فهو صراع بواسطه متناحرة ، الزناتيون من جانب المروانيين ، وصنهاجة وكتامة في حزب الفاطميين . وقد أشرنا الى موقف جعفر بن حمدون أمير المسيلة وما فيه من ريبة بسبب كراهيته لبني زيري وغيره من طموحهم وخوفه على منصبه في الدولة ، فكان يداري منافسيهم من زناته وربما شجعهم في الخفاء .

وتعنف لهجة الشاعر ضدَّ حكام قرطبة في مدائنه للمعز ، خصوصاً في الفترة الأولى ، اذ لا تزال مشاغل الخليفة متصرفَة إلى شؤون المغرب ولم تتوجه عزيته بعد نحو المشرق . وفي القصيدة التاسعة التي افترضنا أنه أرسلها إليه

(1) أهبت : دعوت وحثت . الرزاعع : الزلازل والمصائب . واللَّقْحُ من الإبل : الكثيرة الولادة . والمعنى : أرسلت عليهم المصائب حسباً متواتلاً .

(2) الضمير في «فيها» يعود على الرقائق التي غلت هذا الشخص المجهول فأعادته إلى رشه . والعارفة هي المنة والمعروف والطهور الهالك . وتداركه مضارع مجروم محذف إحدى الثنائيين . والأثر بضمَّتين : أثر الجرح .

من المسيلة ، يشير الى مصيبة عظيمة نزلت ببني أمية فلبسوا لها أثواب العار  
والفضيحة : [كامل]

وأمّيَةٌ تُحْفِي السُّؤَالَ ، وَمَا لَمْنَ أُودِيَ بِهِ الطُّوفَانُ يُذَكِّرْ نَوْحًا ؟	40/9
فَكَائِنًا صَبَحَتْهُمْ مَائِمًا . . . تَجَاوبُ الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ مَائِمًا	42
لَسُوْا مَعَاهِيمْ وَرُزْءَ فَقِيدِهِمْ كَاللَّابِسَاتِ عَلَى الْحَدَادِ مَسوِحَا	43

ولكنه يشير أيضاً الى ذُعر بني أمية من المعز حتى صاروا يرون خياله في كل مكان :

41 بُهِتُوا فَهُمْ يَتَوَهَّمُونَكَ بَارِزاً      والتسَاجِ مؤْتَلِقاً عَلَيْكَ لَمُوحَا  
فلا ندرى ما المقصود بالفقيد : مجموع الأعون والعساكر الذين خسروهم في محاربة المعز ؟<sup>(1)</sup> أم فرداً عزيزاً كال الخليفة الناصر مثلاً ، وقد مات سنة 350 ، وشاعرنا لا يزال في بلاط بنى حمدون ؟ ويحملنا على هذا التخريج الثاني تحريضه المعز على انتهاز الفرصة للقضاء عليهم قضاء مرمماً بجنود معززين بالملائكة :

44 أَنْفِذْ قَضَاءَ اللَّهِ فِي أَعْدَائِهِ      لُشَرَاحَ مِنْ أَوْتَارِهَا وَتُرِيكَ  
45 بِالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ يَؤْمِهِمْ      جَبَرِيلٌ يَعْنِقُ الْكَمَةَ مُشِيكَ  
وذكر جبريل لا يأتي هنا اعتباطاً : فالشاعر يمثل قتال المعز للأمويين بقتال الرسول صلى الله عليه وسلم للمشركيين يوم بدر . ذلك أن حكم قرطبة لا فرق بينهم وبين أجدادهم الذين قاوموا محمداً ، بل لا فرق بينهم وبين أجدادهم الذين غمسوا أيديهم الآثمة في مجرفة كربلاء . وإن هذا الخلط التاريخي بين وقعتين تفصل بينهما قرابة ستين عاماً ، لغلط مقصود : ي يريد الشاعر به أن يقنع الإمام بأن الظرف مؤاتٍ وأن ساعة الثأر لشهداء الطف قد دقت :

---

(1) قد تفيد صيغة « فعيل » الجمع : « وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ » (التحرير 4).

## فقد الأمويين على آل البيت فقد قدِيم

وكما يتصرف في التاريخ يتصرف أيضاً في حقيقة الواقع : فقد قصر أنصار الرسول على الهاشميين فقط ، سواءً في تذكيره ببدر أو في تخيله مشهد كربلاء . وهذا الحصر أيضاً مقصود : فيه يتمكّن من طرح بقية قريش من الحسبان ، وخصوصاً بنى عبد شمس رهط الأمويين ، ويؤكّد بذلك اختصاص آل البيت وحدهم بالشرعية الخلافية . كما يتمكّن من ضمّ الأمويين الحاليين إلى أجدادهم ، في شركهم ومقاومتهم للدعوة المحمدية الحنيفة . فكما حسّدت العيشمية بنى هاشم على حلول النبوة فيهم وتمتنّتها في أسرتهم حتى يحافظوا على امتيازاتهم الاجتماعية والسياسية في قريش<sup>(1)</sup> فإن عيشمية اليوم تحسد الفاطميين على تأسيسهم دولة من آل البيت بافريقيا . وهكذا لم يتغير شيء في سلوك هؤلاء وأولائك : الكفر والحسدُ والنفاق من جهة ، والشرعية الواضحة والإخلاص للدين والطهارة والتقوى في الجهة الأخرى . ولكن الشاعر ، بوضعه الخصومة الحالية على صعيد الأضغان القديمة ، لا يتبه إلى أن التهمة نفسها قد توجّه إلى أصحابه : فهم أيضاً يعتقدون على المرءاتين لا بسبب الصراع الحالي فقط ، بل بموجب الأضغان المتراكمة منذ بدر . وإن تذكيره بمصرع الحسين وبمقاتل الطالبيين عامّة ، وإلحاحه على آثار الأمويين المتواصلة يجرّ إلى أصحابه أيضاً تهمة التأثر بالأحداث الماضية والمنافسات الجاهلية . ولكن لا عليه : فلئن كان العيشمية من قريش مثل الهاشميين ، فشتان بين الرهطين : هؤلاء مسك صافٍ طاهرٌ ، وأولائك عُودٌ فقد أريجَهُ وعُطِّرَ تبخّرت ريحُه فصار مادةً متعرّفة : [طويل]

(1) انظر كلمة العباس عمّ الرسول لأبي سفيان وهو ينظران إلى جموع المهاجرين والأنصار يوم فتح مكة : إنها النبوة ! [فصل « جفر » في دائرة المعارف الإسلامية ] .

46/11 لعمري لئن كانت قريشاً بزعمها فانا وجدنا طينة المسك تستَّخ<sup>(1)</sup>  
ويعود في هذه القصيدة الحادية عشرة ، وهي معاصرة للناتحة في  
رأينا ، الى الرزء الجسيم الذي أصاببني مروان ، فيصف وقعة الشديد  
عليهم ، ويستخدم الصورة الجاهلية التي تمثل روح الشخص القتيل هدراً  
بطائر شؤم يعكف على قبره مُولولاً حتى يؤخذ بثأره . هذا الطائر الصدي ، أو  
هذه الهامة كما يسمونها، تصرخ اليوم وتستيقى على قبر مرواني ، لعله قبر  
الناصر كما أسلفنا :

33/11 لقد سارت الركبان بالنبي الذي يشيب له طفل وينصات أجلح<sup>(2)</sup>  
34 وضجت له الأصنام ، إن ضجيجها صدى منبني مروان حران يصرخ  
فكان هذا الملك مات كمداً بعد الهزائم التي ألحقها به المعز ، وكأن  
قومه يطلبون الثأر ، ولكن مهلاً ، فإن أجلهم سيحل عن قريب لأن تحرك المعز  
نحوهم مشروط بمحي متزل اليه :

16/11 فمهلاً عداء ! ما على الله معتبر وليس لما يأتي به الوخي منسخ  
وها إن أسطوله على أهبة العبور اليهم :

23/11 وقد وَقَدَ الأسطولُ والبحرُ ، طالبي ندى ، مُزمِعٌ هيجة ، هذا لذا أخ

## وصماتان في تاريخبني مروان

هنا نتوقف قليلاً عند لقب «المروانيين» الذي يطيب للشاعر أن يطلقه  
على الأسرة الاندلسية . فهو لقب تشويهٍ عنده لأنه يشير به الى وصماتين في

(1) سُنْخ (باب فتح) الماء والطيب وغيره : فسد وأنتن .

(2) الأجلح : الضعيف الفاني من الشيخ . والصدى هو الهامة أي روح القتيل وحران : عطشان .  
وانظر في خصوص إيمان الجاهليين بالهامة والصدى رسالة زميلنا محمد عبد السلام : ص 78  
واللسان [ صدي ] . Le thème de la mort,

حياة هذه الأسرة : الأولى هي عداوة جدّهم الحكم بن العاص للرسول وتهكّمه به في جاهليته وحتى بعد إسلامه حتى إنَّ النبيَّ والشيوخين من بعد قد نفُوه إلى الطائف ومنعوه من البقاء بالمدينة أو بمكَّة ، فكان بذلك « لعين » رسول الله ، أي طريده ، وسمِّيَّت سلالته ابتداءً من مروان بن الحكم بـ « آل الطريد ». ولم يرجع الحَكْم إلى مكَّة والمدينة إلَّا في خلافة عثمان ، فكان إرجاعه منبع التهمة إليه في الميل مع قرابتِه .

أما الوصمة الثانية فتتمثلُ في استيلاء الفرع المرواري من أسرة عبد شمس على الخلافة بعد معاوية وذرّيته : فقد سلب مروان بن الحكم الخلافة من عقب معاوية ، فصارت خلافتهم مسلوبةً مرتَّبين : من آل البيت أولاً بعد التحكيم ، ومن الفرع السفياني ثانياً بعد وفاة معاوية الثاني<sup>(١)</sup> .

ويضيف اليهم نقائص أخرى ، منها الجبنُ وسوء تدبير الملك ، وخرق السياسة : يُلقون بجنودهم إلى التهلکة إذ يقابلون بها جيش المعزَّ الظافر ، وينقلبون بعد الهزيمة خاسِئين . ويتسائل الشاعر في تهكم مُلحٍّ عمن يدبُّر دولَّهم : الحَكَامُ أمَّ الحظايا والسراريَّ؟ [طويل]

21/28 كثائبُ شتى النصر رُعنَ أميَّةٌ فاوْجُهُها للخزيِّ أنيقةٌ سُفُعٌ<sup>(٢)</sup>  
23 ... ألا ليَّ شعرِي عنهمُ، أملوْكُهمْ تدبِّرُ أمراً، أم إماهُمُ اللُّكُعُ؟

ولا يتورَّع عن الهجاء البذيء : إن تتوال عليهم الهزائم فلقلة تمرّسهم بالحرب ، ولشن تلوث ثيابهم بالدم ، فليس من دم الحرب ، لا من طعن ولا من ضرب ، وإنما هي دماء المحيض عند هؤلاء الذكران الجبناء [طويل] :

52/37 ولم تذمَّ في حربِ دروعِ أميَّةٍ ولكنَّمُ فيها إماءُ العواركُ<sup>(٣)</sup>

(1) انظر رسالة الدشاوي : 225 Le califat fatimide,

(2) الأسف والعفاء : الأسود المعروف .

(3) الدروع هنا قد تعني القصمان والغلائل زيادة في التشبيه لهم بالنساء . وَعَرَكَت المرأة (باب نصر) : حاضت .

وهي سخرية مفرطة لا تتناسب مع الواقع التاريخي : فالقوة الأموية لم تكن على هذا الجانب من الوهن ، بدليل أن جوهراً لم يقدر على افتتاح سبعة وطنجة منهم ، وأن الأسطول الأموي لم يسكت عن حملة المراكب الفاطمية ضد المرية سنة 956/345 فقد نزل بشواطئ إفريقيا وخرب وأحرق وسبى .

ثم إن المعز لم يفكّر حقيقة في اقتحام الأندلس . فلذلك لا يسعنا إلااتهام الغلو الشعري عند صاحبنا حين نسمعه يتندّر بجهل الأمويين بفنون الحرب ويُسخر من جبنهم :

50/37  
51 وما عرفت كرَّ العجَادِ أميَّةَ      ولا حملت بَرَّ القنا وهو شابٌ  
ولا جرَدوا نصلاً تُخاف شَبَاتُه      ولكنَّ فولاذًا غداً وهو آنِكَ<sup>(1)</sup>

أو يعرّض بسوء احتياطهم في منع ذخيرتهم الحربية أن تسقط في أيدي الفاطميين : [ طويل ] .

24/28  
25 تجأوا عن الحصن المشيد بناؤه      وضاق بهم عن عزم أجنادهم وُسْعَ  
وقد تَفَدَّتْ فيه ذخائرُ مُلِكِهِم      وبما لم يكن ضرًّا فاكتُرُه نَفْعَ

هذه السخرية الثقيلة لا تغنينا في شيء لأنها تغطي التدقيقات التاريخية والمكانية الواجبة دون أن تعوضها : فما هذا الحصن الذي تركه الأمويون للفاطميين ؟ ومتى كان جلاء المروانيين عنه ؟ ونفس الغموض يسود إشاراته إلى « ثغر » مرواني عجزوا عن صونه من الزحف الفاطمي : [ طويل ]

40/3  
لقيَّتْ بني مروانَ جانبَ ثغرِهم      وَحَظُّهُمْ من ذلك خُسْرَ وتتِيبُ  
فأيَّ ثغر يعني ؟ ثغر بحري ؟ فيكون في البيت اشارة الى نزول جديد من الأسطول الفاطمي على سواحل الأندلس ، أي تكرار لعملية المرية ؟ أم هو فقط حصن من حصون المغرب الأقصى لم يثبت لحصر الفاطميين ؟

---

(1) الآنك هو الرصاص اللين أو القصدير ( اللسان ) .

وتكرر الإشارة الى الشغر بدون توضيح ، وإلى العدو دون تعينه ، فلا نعرف هل يعني المقاومة المسيحية داخل اسبانيا وقد بدأت حملات « الاسترجاع » ، فيكون اتهام الشاعر موجهًا الى تقصير الأمويين في الدفاع عن بيضة الإسلام في أرضهم ، أي إخلالهم بفرض الجهاد . يدعونا إلى هذا التأويل إشارة بانتصارات الجيش الفاطمي ضد « الهرقل » أي الإمبراطور البيزنطي ، في القصيدة نفسها التي ينتقص فيها الأمويين :

42/3 وقد عجزوا في ثغرهم عن عدوهم بحيث تجول المُقرّبات اليَعَابِيْت<sup>(1)</sup>  
 43 وجيشك يعتاد الهرقل بسيفه ومن دونه اليَم الغطاطط واللوب<sup>(2)</sup>  
 أو يشير الى محاولة فاشلة من الأمويين دون أن يدقق نوعها فيكتفي بالتشبيه الساخر : [ بسيط ]

24/26 خابت أميّة منه بالذى طلبَ كما يخيب برأس الأقرع المُسْطَ

### الأضغانُ القديمة : السقيفة ، بدر ، كربلاء

هذه الأبيات الهجائية ، الساحرة تارةً والعنيفة غالباً ، تحملنا على الاعتقاد أن عداوة الفاطميين لحكام قرطبة - كما تظهر على لسان شاعرهم الرسمي - لم تكن وليدة الوضع السياسي والعسكري في النصف الأول من القرن الرابع ، أي أنها لم تكن تغدو فقط بالمنافسة السياسية على امتلاك المغرب وفرض الحكم الشيعي على سكانه . صحيح أن للخصوصية العقائدية دوراً في هذه الحملات العسكرية والكلامية : صحيح أيضاً أن الدعوة الإسماعيلية لا تقبل وجود إمامٍ منافسة على بر العدوة الشمالية ، ولكنَّ عنف اللهجة عند الشاعر وإشاراته المتواصلة الى آثامبني أميّة في حق الطالبيين

(1) المُقرّبات : الخيل المقرّبة من البيت استعداداً للحرب . والبعوب منها القوي السريع .

(2) الغطاططُ الكثير الموج ، واللوب ج لوبة : الحَرَّة أي الأرض الغليظة الصعبة .

تضُعُ هذه العداوة في مرتبة تاريخية قديمة : فهي عداوة عريقة لها جذور في حادثة الانتزاع في سقية بنى ساعدة وفي مجزرة كربلاء ، مروراً بوقعة بدر وبمقتل علي في مسجد الكوفة .

فكِلَّما تحدَّث عن شرعية الخلافة تذَكَّر السَّقِيقَة وتوسَع في الحملة ، فلم يُعُدْ يتوجَّه إلى العبَشِمَيَّة فقط ، بل يضمُّ إليهم كافَّة قريش : فهم مسؤولون جمِيعاً عن هذه السُّرقة الأصلية ، أي اغتصاب الخلافة من علىَّ . ويرفض الشاعر نظرية شرعية المفضول مع وجود الأفضل التي بها قبل المسلمين ، وحتى بعض الشيعة منهم ، خلافة أبي بكر - المفضول - رغم وجود الأفضل أي علىَّ ، فيستنكر أن يُعادل الفاضل ، أي المكتمل الصفات الموفي بجميع الشروط ، بالمفضول ، أي الشخص الذي لا شرعية له سوى أنه اختيار وفضل على غيره ، ويجمع في احتجاجه رفضه لشرعية أبي بكر وتهكمه بمزاعم بنى أمَيَّة في استحقاق الخلافة : [ كامل ]

95/41 خَلَدْتُمْ فِي العَبَشِمَيَّة لِعَنَّهُ خُلِقْتُ - وَمَا خُلِقُوا لَهَا - تعجلا  
97 .. فِي مَنْ يَظْنُونَ الْإِمَامَة مِنْهُمْ إِنْ خُصِّلَ أَنْسَابُهُمْ تَحْصِيلًا ؟  
98 منْ أَهْل بَيْتٍ لَمْ يَنالُوا سَعِيهِمْ مِنْ فَاضِلٍ عَدَلُوا بِهِ مَفْضُولا  
ولئن استغرب المرء إقحام العبَشِمَيَّة في خصومة السَّقِيقَة ، ولم يكن لهم  
فيها دور بارز ، فالشاعر يجيئه بأنَّ بنى أمَيَّة متعددون على المكر والخداع :  
مثال احتيالهم ما فعله عمرو بن العاص في وقعة صفين حين سقط من فرسه ،  
واستعدَّ على الإلْجَاهَز عليه : رفع آنذاك ثوبه وكشف عورته فارتَدَ عنه علىَّ<sup>(١)</sup> .  
بهذا التذكير يوسع الشاعر المقارنة بين الفاطميَّين وبنى أمَيَّة : الحياة والجد  
واللوقار والحلُم هنا ، والخبث والمكرُ والخداع والتَّوَسُّل الكاذب ونكaran  
الجميل هناك : [ كامل ]

53/53 أَلْقَتْ بِأَيْدِي الْذَّلِّ مُلْقَى عَمْرِهَا بِالثُّوبِ إِذْ فَغَرَّتْ لَهُ صَفَّيْنُ

(1) المتقربي : وقعة صفين 463 .

والخدية صفة مشتركة عند «بني لؤي» أي قريش قاطبة : فقد اتفقوا جميعاً على نزع الخلافة من الوصي واستخفوا بما قرره له الرسول ، واستهانوا بشهادة مناسك مكة ومشاعرها :

64/53 أَبْنِي لُؤَيَّ، أَيْنَ حِلْمٌ كَالْجَبَالِ رَصِينُ؟  
65 نَازَعْتُمْ حَقَّ الْوَصِيَّ، وَدَوَنْتُهُ  
70 ... لَوْ تَسْأَلُونَ الْقَبْرَ يَوْمَ فِرْحَتُمْ

وإذا ذكر كربلاء ، ازدادت لهجته عنةً فيحرّض الفاطميين على الأخذ بثار شهدائهم ، بل يلوم الفاطميين على قبول مبعوثهم والإجابة عن رسائلهم : فكيف ينسون عداوتهم للرسول وقتالهم له في بدر؟ [ طويل ]

55/37 إِلَهُ تَتَلَوُ كِتَبَكُمْ، وَشَيْوُخُهَا بَدِيرٌ رَمِيمٌ، وَالدَّمَاءُ صَوَاثِكَ؟<sup>(1)</sup>

تلك العداوة التي لم تصدر عن خلaf في العقيدة كما يتوهّم الناس بل عن حسدٍ وغيرة : فقد غبطوكم النبوة وحسدوكم على السلطان الروحي والديني الذي أتاكم به الوحي ، فتأمروا على انتزاع الإمامة منكم :

56/37 هُمْ لَحْظُوكُمْ، وَالنَّبِيَّةُ فِيْكُمْ كَمَا لَحْظَ الشَّيْبَ النَّسَاءُ الْفَوَارِكُ  
وَهَا إِنَّ الدُّنْيَا دَالَتْ فَعَادَ إِلَيْكُمُ الْأَمْرُ، فَعَلِيهِمُ الآنُ بِالانتقامِ مِنْ هُؤُلَاءِ  
الغاصبين ، قتلة الحسين :

58/37 بَنِيْ هَاشِمٌ! قَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ  
59 وَنَادَتْ بَشَارَاتُ الْحَسِينِ كَتَائِبَ تُمَطِّي شِرَاعًا فِيْ قَنَاهَا الْمَعَارِكُ  
وكان من المتوقع أن تخفت حدة اللهجة مع تحول مشاغل المعز من

(1) الله : أناشدكم الله ، في معنى الاحتجاج ، وفي نسخة : أبا الله . والدم الصائب : اليابس .

المغرب إلى الشرق العباسى فيحول الشاعر سبابة من الأمويين إلى العباسيين . وفعلاً نلاحظ شيئاً من هذا التبديل في القصائد التي تتعرض لفتح مصر أو للحرب ضد الروم : فالقصائد 22 و 24 و 27 و 40 لم تذكر فقط بنى أمية . ولكن مشاغل اليوم لا تنسيه العداوة الأصلية الراسخة . وهكذا تعود الحملة على الأمويين على أشدّها في آخر مدة للمعَز ، وهي القصيدة 47 التي بها توج ابن هانئ خدمته للدعوة وختم حياته . وفيها يبلغ الاحتجاج العقائدي ذروته فيجمع الشاعر في لعنة عنيفة موحدة أصحاب السقفة وسفاكى كربلاء ويحرّض المعَز في حماس لا مثيل له على الانتقام والأخذ بالثار : [ طويل ]

127/47 فلا حَمَلتْ فُرسانَ حَرِبٍ جِيادُهَا      إذا لم تَرْهُمْ مِنْ كُمِيتٍ وَأَدَمِ  
128 ولا عَذْبَ الماءِ الْقَرَاحِ لشَارِبٍ      وفي الْأَرْضِ مَرْوَانِيَّةُ غَيْرُ أَيْمَ  
فقد دقت ساعة المُحاسبة وصار للدولة الفاطمية أيامها المجيدة ،  
فليكن لها « يوم هاشمي » مقابل به « يوم يزيد » المسؤول :

129 ألا إنَّ يَوْمًا هاشمِيًّا أَظَلَّهُمْ يُطِيرُ فَرَاشَ الْهَامَ عنْ كُلَّ مَجْهُمْ  
130 كِيمَ يَزِيدُ ، والسبايا طَرِيدَةٌ عَلَى كُلَّ مَوَارِي الْمِلاطِ عَثْمَمٌ<sup>(1)</sup>  
ويذكر المعَز بمشاهد الطفّ الفظيعة حتى لا تكلّ عزيمته في الأخذ  
بثارات الحسين وبنات الأئمة :

131 وقد غَصَتِ الْبَيَادُ بِالْعَيْسِ ، فَوْقَهَا كَرَائِمُ أَبْنَاءِ النَّبِيِّ الْمَكْرُمِ  
فلا تسامح مع من آتى على حرمات النبي ، ولا رحمة لمن لم يرحم  
نساء الحسين وهن يصرخن ويتضرّعن حتى لانت لهن قلوب المطاييا ، ولكن  
قلوب القتلة الأمويين لم تلن :

(1) فراش الهم : الرؤوس والمحطم أصل الرأس ، والعثمّم : البعير الشديد وممار ملاطاه تحركاً واضطرباً من تعّب وخروف ونحوه .

132 ذُعْرَنْ بِأَبْنَاءِ الضَّبَابِ وَأَعْوَجٍ  
... فَمَا فِي حَرِيمٍ بَعْدَهَا مِنْ تَحْرِجٍ

فليقف لهم المعز وقفه المотор وليس أصل شأفة هؤلاء المجرمين :

فَإِنْ يَتْخِرُّمْ خَيْرُ سَبْطِيْ مُحَمَّدٌ فَإِنْ وَلَيْ اَشَارِ لَمْ يَتْخِرُّمْ  
وَطَلَابُ وَتَرَ مَنْكُمْ غَيْرُ نَوْمٍ أَلَا إِنَّ وَتَرَا فِيهِمْ غَيْرُ ضَائِعٍ 137

وَهُنَّ الْأَمْرُ عَلَى الْمَعْزِ : فَمَا أَيْسَرَ الْقَضَاءَ عَلَيْهِمْ ، لَأَنَّهُمْ تَعُودُونَ  
بِعَادَاتِ التَّرْفِ وَالْأَنْحَالِ وَبَعْدُوا عَنْ شَيْمِ الْبَطْلَةِ وَالْجَدِّ :

138 فلم يبق للمقدار إلا تعلّة  
 139 . . . سيف كاغماد السيف ، ودولة  
 140 فتمشون في وشي الدروع سوابغاً  
 141 لديك مداها ، فاحسّم الداء يُحسّم !  
 142 تشتّي دللاً كالقضيب المنعّم  
 143 ويمشون في وشي البرود المُنْتَسِم

وتوسّع ضغينة الشاعر وتصعد الى التاريخ الأول فتشمل في لعنةٍ واحدة سارقي الإمامة يوم السقيفة ، ولا يستثنى منهم أبا بكر التميمي ، وسفاكى دماء العترة المتنحية يوم الطف :

وَإِن جَلَّ أَمْرٌ مِنْ مَلَامٍ وَلُومٍ  
إِلَى رِيمٍ بِالْطَفَّ مِنْكُمْ وَأَعْظَمُ  
وَلُو لَمْ تُشَبِّهِ النَّارَ لَمْ تَضْرُمْ  
وَمَا كَانَ تَيْمِيًّا إِلَيْهِ بِمُسْتَمِ  
وَأَوْلَى بِلَوْمٍ مِنْ أَمَيَّةَ كَلِهَا  
أَنَّاسٌ هُمُ الدَّاءُ الدَّفِينُ الَّذِي سَرَى  
هُمْ قَدْحُوا تَلْكَ الزَّنَادَ الَّتِي وَرَتْ  
وَهُمْ رَشَحُوا تَيْمًا لِإِرْثِ نَبِيِّهِمْ

ويجعل من هذا الانتزاع الأصلي السبب المباشر في مقتل عليٍ : فعل ذلك البغي الأول انجرت كافة المظالم التي تلاحت على أبناء فاطمة ،

(١) شدقم وجديل فحلان مشهوران من إيل المناذرة . والضباب وأعوج من أسماء الخيل العتيقة عند العرب ، ويقال إنهم فرسان لغنى قبيلة طفيل وهو من وصافى الخيل .

والضغينة العصبية الجاهلية هي التي طاردهم في بدر وكرباء ، على السواء :

153 بأسيف ذاك البغي أول سلها أصيـب عـلـيـه ، لا بـسيـف اـبـن مـلـجم  
154 وبالحقد حقد الجاهليـة ، إـنـه إـلـى إـلـآن لـم يـظـعـن وـلـم يـتـرـضـمـ  
155 وبالثـارـ في بـدـرـ أـرـيقـت دـمـاؤـكـمـ وـقـيـدـ الـيـكـمـ كـلـ أـجـرـدـ صـلـدـمـ<sup>(1)</sup>

## مبررات التحامل ضدّ بنى أمية

لنا أن نتساءل عن أسباب هذا العنف إزاء الأمويين كما تساءل غيرنا من الدارسين . فقد فسره المستشرق كريمر<sup>(2)</sup> بأنه صدى للسياسة الفاطمية نحو الدولتين المنافستين : فالعباسية في نظره لا تشکل خطراً كبيراً على الفاطميين لأنَّ خلفاء بنى العباس سجناء محصورون في قصورهم ببغداد ولم يعد لهم وزن سياسي كبير في منتصف القرن الرابع . أمّا الدولة الأندلسية فقد حافظت على قوتها وهيبتها ، حتى بعد وفاة عبد الرحمن الناصر ، بدليل الحملات العسكرية التي ينظمها خلفه الحكم الثاني في الأطراف المغاربية . فلذلك يدعو الشاعر صاحبه إلى استئصال الجرثومة الأموية .

ونحن لا نستبعد هذا التفسير ، ولكن نجعله في مرتبة ثانية من اهتمام المعز ، ونقول : إنَّ القضاء النهائي على بنى أمية كان ولا يزال في نية الخليفة الفاطمي ، بالرغم من انتقال الدولة إلى مصر ، وتحول المشاغل شطر المشرق . ولكن ، فيما يخصّ شاعرنا ، نحتفظ برأينا في أنَّ المبرر الأساسي لهذه الشدة وهذا الحقد القوي هو تراكم الضغائن التي خلفتها فعائل الأمويين ضدَّ آل البيت في قلب كلّ شيعي ، وبالتالي في قلب شاعرنا ، وقد انضاف إليها عنده أحقادٌ خصوصية تولدت عن مضائقتهم له بإشبيلية أو غيرها من مدن

(1) الصِّلْدِمُ مِنْ الْخِيلِ الشَّدِيدِ الْقَوَائِمِ .

Von Kremer: Ibn Hāni', Z DMG 24 (2)

الأندلس في زمن الشباب .

ولنذكر بما ذهب اليه بعض الدارسين المعاصرین ، ومنهم زاهد على ناشر الديوان ، حين عزوا مصراع الشاعر ببرقة الى أيدٍ أموية ، لأن حكام قرطبة في نظرهم ضاقوا ذرعاً بحملات الشاعر العنيفة فدبّروا له هذه الجريمة السياسية . وقد دفعنا هذا الرأي أثناء حديثنا عن ظروف موته<sup>(1)</sup> .

## التهجم على العباسين

لا تقلَّ حدة ابن هانىء ازاء العباسين عنها إزاءبني أمية . وحجّة الشاعر ضدّهم - وهي بدون شك حجّة الدعوة الفاطمية الرسمية - تمثّل في كونهم خانوا التضامن العائلي الذي كان ينبغي أن يجمعهم مع العلوّين في الأسرة الهاشمية . فقد خانوهم باغتصابهم الخلافة بدورهم ، وكانوا توصلوا إلى افتراكها من بنى أمية بمساعدة العلوّين . وإزاء هذه الخدعة لا يسع الفاطميين إلا أن يرفضُوا القرابة التي تربطهم بأبناء عمّهم العباس . وهذا ما يحتاج به الشاعر عليهم ، ولكنه لا يستطيع أن يجرّد بنى العباس من هاشميّتهم ، وهذا الاشتراك في هاشم يقلقه ، فيلتّمس حلّاً للتخلّص من هذه الأصرة المقيّدة : وهو أن يجعلهم في أسفل درك من النسب الهاشمي بالمقارنة مع أبناء فاطمة وهم في أعلى درجاته : [ متقارب ]

وإن كان يجمعكم غالبٌ فإن الوشائظ غيرُ الذرى<sup>(2)</sup>

65/58

ويشعر ابن هانىء بضعف حجّته ، حين جعلهم من الملحقين أو المقحّمين أنفسهم في النسب الذي منه انحدر الرسول وأحفاده ، فلذلك

(1) قال بهذا الرأي أحمد أمين : ظهر الإسلام 3/135 . وذكره أبو القاسم محمد كرو في دراسته عن « ابن هانىء المغربي » ، (تونس 1967) ولم يأخذ به .

(2) الوشیظ في القوم ، وهو وشیظة فيهم : الملحق بهم الدخیل عليهم .

تختطف هاشماً وعبد مناف وقصيًّا فتصعد إلى غالب؛ ولو أسعفه واقع النسب،  
لتصعد بهم إلى فهر واكتفى ببنسبتهم إلى الطينة «التي تسخن» من قريش كما  
فعل بنبي عبد شمس.

## العباسيون أبناء الطليق

لذلك لا يتمادى في هذا الاحتجاج ويتحول إلى حجَّة أخرى هي في نظره أنزى للعباسيين: وهي وصمة الأسر التي علقت بجدتهم العباس بن عبد المطلب في وقعة بدر. فقد شارك في محاربة الرسول في صفوف المشركين ووقع في الأسر ويقي يشن في قيوده حتى رق له النبي فأمر باطلاق سراحه. ومن ذلك اليوم سمي «الطليق» كما سمي الحكم «الطريد». وصار العباسيون أبناء الطليق كما سمي المروانيون أبناء اللعين أو الطريد؛ بل يختصر الشاعر المراحل: فكما أن المعز عنده هو ابن الرسول فإن العباسي المتتصب ببغداد والأموي المتسلط على قرطبة هما الطليق والطريد، يغطان في نومهما ولا يهمهما من أمر الإسلام شيء، في حين أن المعز بيت ساهرًا يفكّر في الدفاع عن بيضة الدين وقد ثلم الروم ثغورها الشامية: [طويل]

61/13 غضِبَ لَهُ أَنْ ثُلَّ بِالشَّامِ عَرْشَهُ      وَادْكَ مِنْ ذِكْرِ الْعَوَاصِمِ عَيْدُ  
62 فَبَثَ لَهُ دُونَ الْأَنَامِ مُسَهَّدًا      وَنَامَ طَلِيقٌ خَائِنٌ وَطَرِيدٌ

هذه النسبة التي ينعت بها الفاطميون أبناء عمّهم، هذه الوصمة التي تشهد عليهم بالعداء الأول للدين الحنيف، هي كافية في نظر الشاعر لدفع أي حق في إمرة المسلمين عن الأسرة العباسية، ويدعمها بأن يجعل تلقيب العباس بالطليق من عمل الرسول نفسه، فهو بهذه الكناية أبعد سلالة العباس عن بيته وفصلُهُم عن العترة المنتخبة: [متقارب]

(1) الضمير في «له» و«عرشه» يعود على دين محمد في بيت سابق. والعواصم هي منطقة أنطاكية وقد احتلها الروم. والعيُد هنا ما يعاود الإنسان ويتناهُ من هموم وأحزان.

بِمَكَّةَ سَمَى الطَّلِيقُ الطَّلِيقَ      فَفَرَقَ بَيْنَ الْقَصْصِيِّ وَالدَّنْسِيِّ  
 شَهِيدِي عَلَى ذَاكَ حُكْمِ النَّبِيِّ      بَيْنَ الْمَقَامِ وَبَيْنَ الصَّفَّا

وَهُذَا الْبَيْتُ الثَّانِي لَا يَخْلُو مِنْ غَمْوَضٍ : فَمَا هُوَ الْحُكْمُ الَّذِي أَصْدَرَهُ  
 الرَّسُولُ بِمَكَّةَ بَيْنَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ وَهَضْبَةِ الصَّفَّا ؟ هُلْ كَانَ قَوْلُهُ فِيهَا تَفْضِيلٌ  
 لِعَلَيْهِ أَوْ وَصِيَّةٌ لِهِ كَوْصِيَّةُ الْغَدَيرِ الَّتِي يَسْتَظْهُرُ بَهَا الشِّعْيَةُ إِلَى الْيَوْمِ ، وَيَرَوُنَ فِيهَا  
 إِقْرَارًا لِلْذَّرِيَّةِ فَاطِمَةَ بَاسْتِحْقَاقِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ خَلَافَةُ الرَّسُولِ عَلَى الْأَمَّةِ  
 إِلْسَلَامِيَّةِ ، وَتَعَلَّقُوا بَهَا وَعَظَمُوهَا حَتَّى جَعَلُوا مِنْ يَوْمِ ذَكْرِهَا - 18 ذِي الْحِجَّةِ  
 مِنْ كُلِّ سَنَةٍ - عِيدًا كَبِيرًا «يُحِيِّيُونَ لَيْلَةَ الذَّكْرِيِّ بِالصَّلَاةِ وَيَصْلُوُنَ فِي صَبِيحَتِهَا  
 رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الزَّوَالِ ، وَشَعَارُهُمْ فِيهَا لِبسُ الْجَدِيدِ وَعَنْقُ الرَّقَابِ وَبَرَّ الْأَجَانِبِ  
 وَالْذَّبَائِحِ<sup>(١)</sup> » .

وَيَدْعُمُ الشَّاعِرُ وَصِيَّةَ الْغَدَيرِ بِمَا يَزْعُمُهُ مِنْ شَهَادَةِ الْقُرْآنِ لِلْعُتْرَةِ  
 الْمُتَخَلَّبَةِ ، وَهِيَهُاتُ أَنْ يَحْرِزَ الْعَبَّاسَ مِثْلَ هَذَا التَّفْضِيلِ ! [طَوْيِل]

17/22      أَفِي ابْنِ أَبِي السَّبْطَيْنِ أَمْ فِي طَلِيقَكُمْ      تَنَزَّلَتِ الْآيَاتُ وَالسُّورُ الْغَرُّ ؟  
 وَهِيَ مَقَارَنَةً مُعْتَادَةً عِنْدَ شُعَرَاءِ الشِّعْيَةِ مِنْ فَاطِمَيْنِ وَغَيْرِهِمْ . فَهَذَا  
 الْخَلِيفَةُ الْعَزِيزُ يَسْتَظْهُرُ بِنَيَّوْهُمْ لِلرَّسُولِ وَيَحْتَاجُ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ بِاغْتَصَابِهِمْ  
 إِرَثَ النَّبِيِّ الْرَّاجِعِ إِلَى أَبْنَاءِ فَاطِمَةَ وَبِعِجزِهِمْ - وَهُمُ الْأَسَارِيُّ عِنْدَ قَوَادِهِمْ مِنْ  
 الْأَكْرَادِ أَوِ الدِّيْلَمِ - عَنِ الْقِيَامِ بِوَاجِبِ الْجَهَادِ : [طَوْيِل]

تَنَقَّلَتِ فِي الْأَنْوَارِ مِنْ قَبْلِ آدَمَ      أَنَا ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ غَيْرَ مَدَافِعٍ  
 رَقَابُ بَنِي حَوَاءَ مِنْ كُلِّ عَالَمٍ      لِيِ الْشَّرْفُ الْعَالِيُّ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ  
 وَمَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ خَيْرُ الْخَوَاتِمِ      بَنَا فَتَحَتْ أَبْوَابَ كُلِّ هَدَايَةٍ

(١) فِي مَوْضِعِ الْغَدَيرِ ، انْظُرْ : التَّوْبِيِّ : نَهَايَةُ الْأَرْبَعَةِ / 177 ، وَالْفَقْرَةُ مِنْهُ ، نَقْلًا عَنْ كِتَابِ  
 «الْغَدَيرُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَدْبُرِ» لِلْأَمْيَنِيِّ ، وَهِيَ مُوسَوِّعَةٌ فِي كُلِّ مَا قَلِيلٌ فِي حَدِيثِ  
 الْغَدَيرِ ، أَوْ حَدِيثِ الْإِخَاءِ أَوْ الْمُؤَاخَةِ .

فقل لبني العباس منْ ضُعْفِ ملکِهم  
بأنَّهُمْ أسرى بآيدي الأعاجم  
غصَبُتم بني مروان ما غصَبُوه من  
مواريثنا، سحقاً لظالم ظالِم<sup>(1)</sup> !

وهذا أخوه تميم يجري المقارنة مباشرةً بين علي والعباس ، بين بطل الإسلام  
في بدر وبين حليف المشركين ، بين العالم بتأويل القرآن والصاد عن تعاليمه ،  
ويختتم بتفضيل أبناء البنت على أبناء العمومة ، [ متقارب ]

أعْبَاسُهَا كَأَبِي حَرْبِهَا  
عَلَيْ ، وَقَاتَلَ نُصَابَهَا؟  
أعْبَاسُكُمْ كَانَ فِي بَدْرِهِ  
يَذُودُ الْكَتَابَ عَنْ غَابَهَا؟  
أعْبَاسُكُمْ شَرَحَ الْمَشَكَلَاتِ  
وَفَتَحَ مَقْفَلَ أَبْوَابَهَا؟  
وَمِنْ لَكُمْ يَا بْنَى عَمِّهِ  
بِمَثْلِ الْبَتُولِ وَأَنْجَابَهَا؟<sup>(2)</sup>

ولا تقتصر هذه الحجة على الشعراء الشيعة ، بل نجدها عند شعراء غير  
معدودين في زمرة الشيعة الرسمية ، وإنما اعرفُوا بعطفهم على العلوين عامة ، ولا  
سيما في هذا القرن الرابع الذي انتشر فيه التشيع فطبع العصر كله بطابعه . فهذا أبو  
فراس الحمداني ( ت 357 / 968 ) أمير منج من قبل سيف الدولة يجري هو أيضاً  
المقارنة ويحتاج لهم بالانتساب المباشر إلى النبي : [ بسيط ]

لا يُطْغِيْنَ بَنِي العَبَّاسِ مَلِكَهُمْ  
بَنُو عَلَيَّ مَوَالِيهِمْ ، وَإِنْ زَعَمُوا  
أَتَخْرُونَ عَلَيْهِمْ ، لَا أَبَا لَكُمْ  
حَتَّى كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ جَدَّكُمْ؟  
... قَامَ النَّبِيُّ بِهَا يَوْمَ الغَدَيرِ لَهُمْ  
وَاللَّهُ يَشْهُدُ وَالْأَمْلَاكُ وَالْأُمُّ  
... ثُمَّ أَدْعَاهَا بَنُو العَبَّاسِ إِرْثَهُمْ  
وَمَا لَهُمْ قَدَّمُ فِيهَا وَلَا قَدَّمَ<sup>(3)</sup>

### العباسيون عبيد بالوراثة

وتكتسي المفاضلة عند شاعرنا وجهة أخرى : لما كانت أعظم حجة على

(1) محمد كامل حسين : في أدب ... 163 .

(2) ديوانه 80 . وانظر كذلك ص 20 من الديوان مقارنة طويلة بين الأسرتين .

(3) ديوانه 256 .

العبّاسين هي انتسابهم المباشر الى الرسول عن طريق فاطمة ، فاطمة الزهراء ، فاطمة البتول ، وهي النسبة التي أكسبت الأئمة هالة القدسية علاوة على إرث النبي ، فإنّ الشاعر ينتقص في المقابل أمّ العباس « نتيله » ويقول : شتان بين نتلة هذه وفاطمة بنت محمد ! وزيادة في التحقير ، يزعم أن نتلة هذه كانت أمّة من رقيق قريش ، وهذا الرق المزعوم<sup>(1)</sup> يحمله على إجراء قياس بين عبوديتها وبين أسر العباس في بدر ، فيستتتجع منه أن نتيله أورثت العباس ، لا حقّ الخلافة كما فعلت فاطمة لأبنائها ، بل عادة الرق والعبودية : [ طويل ]

18/22 بني نتيله ، ما أورث الله نتلة وما نسلت ، هل يستوي العبد والحرّ ؟  
19 وأنّى بهذا ، وهي أغدت برقها أباكم ، فإياكم ودعوى هي الكفر !

وعلّوم أن العبوديّة تقوم حائلًا دون الوصول الى الإمامة : فالأمام ينبغي أن يكون حرّاً ، والعبّاسيون ، بحكم هذا الرق الموروث ، ليسوا أهلاً لخلافة المسلمين . وهكذا تتطاير هذه الحجج التاريخيّة : العبوديّة المفترضة ، ثمّ عداوة العباس للإسلام في بدر وقبل بدر وأسره وإطلاقه ، والتفاوت بين النسب المباشر عن طريق البنت والنسب بعيد عن طريق العمومة ، تتضافر لصرف العّباسين عن الخلافة .

### انخذالهم أمام الروم

ولكنّ الشاعر لا يقف عند هذا الحدّ التاريخيّ القديم ، بل يتتجاوزه إلى موقف الراهن في مقابل بين تخاذل العّباسين ازاء العدوّ البيزنطي وجihad الفاطميين بـراً وبحرّاً لحماية الدين . وأنّما قصرروا في واجب الجهاد لأنّهم ألفوا عادات اللهو والمجون والترف ، بينما يشتغل أبناء فاطمة بإعداد السلاح لمواجهة العدوّ : [ كامل ]

(1) لا ذكر له في ترجمة أسد الغابة 3/164 ، بل تضييف في شأنها: هي أول عربية كست البيت الحرير والديباج .

97/40

ألهٰك صلصلة العوالي كلما  
وِبَدَاكَ حَسْبُكَ : أَن تُجَرِّرَ لِأَمَّةٍ  
98

وإن الهزائم التي لحقت جيش الإسلام بالشام لا تُعزى إلى قُرْةِ العدوِ  
الرومِيِّ بقدر ما تُعزى إلى عجز العُبَاسِيِّين عن المقاومة ، والى اضطرابِ  
دولتهم وتحكمِ موالיהם في ملكهم . ففي حين يَطْأُ الروم أرضَ الإسلام ،  
يقضي العُبَاسِيُّون أوقاتهم على جنوبِ الراحة ، بين الكثُوس والقيان :  
[ طويل ]

46/3 ومن عجب أن تُشجر الروم بالقنا  
47 ونوم بني العباس فوق جنوبِهم ولا نصر إلا قينة وأكاويب<sup>(1)</sup>

وهذا التقصير أوهم الامبراطور أن جميع ملوك المسلمين هم على شاكلةِ  
 أصحابِ بغداد ، فطبع في الوصول إلى الأراضي المقدسة دون تعب . لكنَّ  
اهيئات ! ليس الأئمة الصادقون مثل الأشباح المترنحة ببغداد ، وما المعزُّ  
بالخليفة المغلوب ولا بالملك الأسير بين الأتراك والديالمة ، ولا ملُوكه بلقمةِ  
سائغة للدماسقة : [ طويل ]

32/3 ولكن ، لعل الجاثيلق يَغُرُّ على حَلْبٍ تَهَبْ هُنالك مَهْوُبٌ  
33 وَتَغُرُّ بِأَطْرَافِ الشَّامِ مُضِيًّعٌ وتفريقُ أهواءِ مراضي وتخريبُ

فلا غرو أن يستتجد الدين بابن النبوة ، وأن يستنصر العربُ الأحرارُ  
سلاحَ المعز ، بعد أن أذلُّهم المموالي والمحجَّاب . فيقول سلاح الإمام :  
لَيْكَ ! لَيْكَ ! وقد ملَّ الراحة في الأغماد : [ طويل ]

117/47 وقد سَيَمِّئُ بِيَضُّ الظُّبَى من جُفونها وكانت متى تألف سُوى الْهَامَ سَامِ  
118 وقد غُبِيَّت للدين بـ سَاطُ كَفَهِ إِلَيْهِنَّ في الأفقِ كالمظلومِ

(1) الشناخيب : الجبال الوعرة والأغمار خفر الماء .

119 وللعرب العرباء ذلت خدوذها  
120 وللعز في مصر يُرَد سريره إلى ناعب بالبين ينبع أسمح<sup>(1)</sup>

وتأهب للانتقام لكل مهضوم الجانب من هؤلاء المتنصبين المتسلطين العاجزين الذين شوّهوا وجه الإسلام : عزيز مصر صار غرابةً أسود ، والدولة العباسية يدعى حمايتها ساعدها مقطوع الكفت والذراع فلا يعهد شيئاً ، والقابهم هذه إنما هي ادعاءات وأباطيل . أما العباسي ، فهو كما قال الآخر « لحم على وضم » وكذلك أمراؤه وولاته : دوابٌ سائمة يسوقها حجاب القصر :

121/47 وللمُلْك في بغداد أن رد حكمه إلى عصداً في غير كفت ومعصم  
122 إلى شلو ميت في ثياب خليفة وبضع لحام في إهاب مورم  
124 ... سوامٍ رتاع بين جهلٍ وحيرة وملكٍ مضاع بين تركٍ وديلم

## المعز ناصر الدين

ويالغ الشاعر في التشنيع بعجزهم وخذلانهم للدين ، ويفرط في وصف قصورهم عن المقاومة وقعودهم عن الجهاد . ويقصد بهذا الغلو أن يبرز في المقابل عزيمة المعز وصدق نضاله ، ويظهر للعيان انتصاراته الباهرة على أعداء الدين ، ومن جهة أخرى ليجعل تحرك المعز نحو الشرق ، أي فتح مصر وما سيتبع من فتوحات ، استجابةً لل المسلمين المهددين بالغزو البيزنطي ، لا في الشام وفلسطين والعراق فقط ، بل في مصر أيضاً رغم بعدها النسبي عن الروم : [ طويل ]

68/27 تكاد لها دار السلام تضعضع وقد أشرعت أرض العراقين خيفه  
69 فلم يبق منها جانب يمتئفع وأعطث فلسطين القياد ، وأهلها  
70 وما الرملة المقصورة الحظوظ وحدها

(1) : الغراب الناعق هو كافور .

71 وما ابن عبيد الله يدعوك وحدة      غداة رأى أن ليس في القوس منزعاً<sup>(1)</sup>

وها مصر قد تحررت من رعاتها العاجزين ، وصار أهل العراق والشام  
يتمنون خلاصاً مماثلاً يؤمنون به غائلة العدو في الدين ، ويطمئنون على قبر  
الرسول ومناسك الإسلام وقد أصبحت مهذبة بالزحف البيزنطي . وبهؤل  
الشاعر المشهد عن قصدٍ يجعل الافتراض حقيقةً واقعةً وأمراً مقتضياً :

[ كامل ]

32/30      أيسْرُ قوماً أَنَّ مَكَّةَ غُودَرَةٍ      بِمَجْرِ جَيْشِ الرُّومِ قَاعِّاً صَفَصَفَا؟  
أَوْ أَنَّ مَلْحُودَ النَّبِيِّ وَرَمَسَةً      بِمَدَارِجِ الْأَقْدَامِ يُسَفِّفُ مَسْنَفَا؟

ويعدّ الهزائم التي نتجت عن إخلال العباسين بواجب الجهاد لأنهم  
صاروا عبيداً لمواليهم وخدماً لحجابهم ورضوا بالهوان وأبوا أن يوكّلوا الجهاد  
إلى أهله ، أي إلى آل البيت :

20/30 ما لي رأيت الدين قل نصيرة  
بالمرقين ، وذل حتى خوفا؟  
21 يا للزمان السوء كيف تصرفا؟  
فالفضل المفضول ، والوجه الفقا  
من لم يجد للذل عنكم مصرا؟  
22 يا ويلكم ! أقما لكم من صارخ  
وطريقه من بعد أخرى تستبي  
وتزلزلت أرض العراق تخوفا  
الا قليلاً ، والجاجز على شفا  
23 ... عَبْدَانْ عَبْدَانْ ، وَتَبْعُّ تَبْعَ  
24 ... هلا استعان بأهل بيت محمد  
يا ويلكم ! أقما لكم من صارخ  
25 فمدينة من بعد أخرى تستبي  
حتى لقد رجفت ديار ربيعة  
26 والشام قد أودى ، وأودى أهله  
ولكن مهلا ! إن المخلاص قريب : فجيوش المعز تحركت نحو أرض

الأجداد :

(1) ابن عبيد الله هو النقيب العلوي الذي كلف بالتفاوض مع جوهر عند فتح مصر . ومنزع  
القوس : إمكانية الرمي والحظ هو الحظ .

35/30 هذا المعز ابن النبي المصطفى سيدب عن حرم النبي المصطفى  
41 . . . فكأنني بالجيش قد ضاقت به أرض الحجاز وبالمواسم زلما

ويتصور الشاعر زيارة المعز لقبر أبيه وصعوده منبره وارتداءه البردة  
وتقليده السيف ذا الفقار :

وازدرت قبر أبيك قبر محمد	44/30
ورقيت مزقاها وقمت مقاماً	45
متقلداً سيفين : سيف الله من	46

\*

أطلانا كما أطال الشاعر ، في الاستشهاد لهذا الجانب من الاحتجاج على العباسين . ذلك أن حجة الانتساب المباشر إلى الرسول تصبح حجة ثانوية أمام هذه الحجة الدامغة : قصورهم عن القيام بواجبات الخلافة ، وأولها الدفاع عن الإسلام ودفع خطر الروم المباشر ، والحال أنهم أقرب إلى أرض العدو من المعز ، فكان عليهم أن يبادروا إلى اقتحام بلادهم قبل أن يداهموهم . ولكن انخذالهم جرّنا إلى هذه التبيّحة الغريبة : وهي أن المعز ، على بعده عن الروم ، يهت مسرعاً للقيام بالواجب ، أما بني العباس ، فهم ، رغم متأختمهم لهم ، يتحاشون الاحتكاك بهم : [ طويل ]

66/13 هم بعُدُوا عَنْهُمْ ، على قرب دارِهِمْ وجحفلُك الداني ، وأنث بعيد

## بني العباس مجوس

هناك تهمة أخيرة يوجهها ابن هانئ إلى العباسين : وهي سيطرة العنصر الفارسي عليهم في شؤون الدولة . وقد لا نغير اهتماماً لهذا الاتهام الذي لا يضر المعنيين به لو لا أن الشاعر يساوي ، في قياس متسرع ، بين الانتساب إلى الجنس الفارسي واعتناق المجوسية . وهكذا يجمع عَسْفًا وظلماً

بين الترف الذي ينسبه الخيال الشعبي الى هارون الرشيد، وعبادة النار التي علقت بالأعلام طيلة الخصومة بين العرب والموالي : [ طويل ]

لَكُمْ دُولَةُ الصَّدِيقِ الَّتِي لَمْ يَقُمْ بِهَا نَبِيٌّ ، وَالْأَيَامُ هُوَجٌ رَكَائِكُ  
40/37 إِمَامِيَّةٌ لَمْ يُخْرِزْ هَارُونَ سَعِيَهَا وَلَا أَشْرَكَتْ بِاللَّهِ فِيهَا الْبَرَامِكُ  
وَكَانَ يُمْكِنُهُ ، وَالْحَقُّ يُقَالُ ، أَنْ يَجِدُ فِي أَخْبَارِ الْأَمِينِ مَعَ أَبِي نَوَاسَ ،  
وَفِي النَّزَاعِ بَيْنَ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ ، وَسُيُطْرَةُ الْغَلْمَانِ الْأَتْرَاكُ عَلَى الْخَلْفَاءِ ابْتِدَاءً  
مِنَ الْمُتَوَكِّلِ ، مَنْدُوحةً عَنْ هَذِهِ الْأَبْاطِيلِ فِي خَصْوَصِ خَلِيفَةِ عَظِيمٍ كَالْرَشِيدِ  
وَوَزَرَاءِ مَقْتَدِرِينَ الْمُعَيَّنِينَ مُثْلِ الْبَرَامِكَةِ .

وَكَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْلُكْ مَسْلِكَ أَبِي فَرَاسِ الْحَمْدَانِيِّ مَثُلاً ، حِينَ تَهَكَّمَ  
بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ الْمَالِكَةِ الَّتِي أَنْجَبَتْ ، فَيَمْنَ أَنْجَبَتْ ، أَمْرِيَّةً مَغْتَيَّةً وَأَمْرِيَّاً يَحْتَرِفُ  
الْطَّرَبَ [ بَسِيطٌ ]

مِنْكُمْ عَلَيْهِ أَمْ مِنْهُمْ ، وَكَانَ لَهُمْ شِيْخُ الْمَغْنِيَّةِ إِبْرَاهِيمُ أَمْ لَكُمْ ؟  
تَبَدُّلُ التَّلَوَّهُ مِنْ أَبِيَّاتِهِمْ أَبْدًا وَفِي بَيْوَتِكُمُ الْأَوْتَارُ وَالنَّغَمُ<sup>(1)</sup>

## التحامل على الروم

يَخْصُّ الشَّاعِرُ الْأَبْاطِرُ الْبِيزِنْطِيُّينَ بِجَانِبِ وَافِرٍ مِنْ حَمْلِهِ الْكَلَامِيَّةِ .  
وَلَكِنَّ الْاحْتِجاجَ هُنَا مُخْتَلِفٌ . فَلَا ذِكْرٌ لِلشَّرِعِيَّةِ الْخَلَافِيَّةِ مَعَ هُؤُلَاءِ الْخَصُومِ  
فِي الدِّينِ ، وَلَا لِلنَّسْبِ الْفَاطِمِيِّ أَوِ الْقَرَابَةِ مِنَ الرَّسُولِ . وَإِنَّمَا الْمَوْضِعُ الَّذِي  
يَطْرُقُهُ باسْتِمْرَارٍ هُوَ الْجَهَادُ ، أَيِّ الْحَرْبِ بَيْنَ عَقِيدَتَيْنِ : الدِّينِ الطَّاهِرِ وَالشَّرِعِ  
الْوَاضِعِ مِنْ جَهَةٍ ، وَنَحْلَةِ الشَّرِكِ مِنْ جَهَةِ أُخْرَى .

وَلَئِنْ اتَّصَفَ الصراعُ بَيْنَ الإِسْلَامِ وَالرُّومِ النَّصَارَى عَنْدَهُ بِهَذِهِ الْهَالَةِ مِنْ

(1) ديوانه 259 .

القداسة ، وهي صدى لما يروج في الأوساط الفاطمية ، فإن الطرف البيزنطي لم يُعمل بدوره هذا السلاح الدعائي ، بل كان يعمل على إقناع الشعوب النصرانية بأنَّ الحملات العسكرية التي يقودها الأباطرة ضدَّ ثغور الشام والجزيرة إنما هي نضالٌ في سبيل المسيحية وتمهيد لاسترداد الأماكن المقدسة بفلسطين من أيدي المحتلين العرب . وكذلك تحركات الأسطول البيزنطي في الحوض الأوسط أو الغربي من البحر الأبيض المتوسط : فالغاية منها إيقاع سكَّان إيطاليا وصقلية واقريطش على مسيحيتهم وطرد « الكفار » الأفارقة إلى بلادهم . ولا شكَّ أنَّ العالم النصراني الأوروبي قد فهم أنَّ هذه الغربوب المتواصلة بِرًّا وبِحراً بين الدولتين ، الإسلامية ، سواء كانت عباسية أو فاطمية ، والنصرانية ، هي في الواقع تمهيد للحملات الصليبية التي تنطلق نحو المشرق ابتداءً من القرن الخامس / الحادي عشر . وقد أكدَ المؤرخ ج. شلمبرجي في رسالته عن نقوфор فقايس ، على هذه الصفة الجهادية التي اكتساحتا الصراع لدى الطرفين فقال : « كان الصراع بين الجنسين [العربي والإغريقي] وبين العقدين [الإسلام والنصرانية] متواصلاً ، لا على سفوح جبال الأنضول ، أو ضفاف الفرات فقط ، بل في إيطاليا الجنوبية وجزيرة صقلية أيضاً ، علاوة على سواحل جزيرة اقريطش<sup>(1)</sup> . وكان يصحب الجيش الرومي قساوسة يثبتون عزيمة المقاتلين بخطبهم الحماسية ويتوسلون بصلواتهم إلى الرب حتى ينصر الجيش الرومي<sup>(2)</sup> .

## الروم في لغة الشاعر

يؤكّد شاعرنا ، كلّما ذكر الروم ، على انتسابهم إلى العقيدة المنافسة . فالإمبراطور - وهو الذي تسمّيه النصوص الرسمية « طاغية الروم »<sup>(3)</sup> - هو عنده

(1) شلمبرجي 435... G. Schlumberger: *Un empereur...*

(2) الكتاب المذكور ص 446.

(3) هكذا يدعوه القاضي التعمان بالخصوص في كـ. المجالس والمسايرات .

« الجاثليق » ، وهو لقب يدلّ في الواقع ، لا على الانتساب الى النصرانية مطلقاً ، بل على رتبة كنسية عند النصارى المشرقيين : فالجاثليق هو رئيس الكنيسة النسطورية ببغداد كما أثبته ماريوس كانار<sup>(1)</sup> . ولكنه عند الشاعر لقب صاحب القسطنطينية . فالأسطول الفاطمي يُعدّ نيرانه المحرق لسفن الجاثليق وسفن المروانيين على السواء : [ طويل ]

45/13 تُثبت لآل الجاثليق سعيّرَها وما هي من آل الطريد بعيد وليس هذا التلقيب وهماً من الشاعر أو خلطاً . فهو يستخدم اللفظ في معناه العام ، أي الانتساب الى النصرانية ، بدليل إطلاقه على صاحب حانة طرقوه ليلاً على غرار ما كان يصنعه أبو نواس : [ رجز ]

1/34 وشامخ العرنين جاثليق مروعٍ بمثلنا مطروقٍ ويُجْنح في أكثر الأحيان الى اسم الجنس : الروم ، أي الإغريق أصحاب بيزنطة ، أو إلى لقب قائد الجيش « الدمستق » فيجمع تحت هذه الرتبة الرسمية كافة الجنوш الرومية : [ كامل ]

56/44 لن يستفيق الروم من سكراتهم أنَّ الذي شربُوا رحيقَ سلسلِ 63 .. حَسْبُ الدمستقِ منك ضربُ أهْرَتْ هَدِلٌ مشافِرَهُ وطعنُ آنْجَلُ<sup>(2)</sup>

ويطلق عليهم أحياناً القاباً أخرى ، إما محايدة كالبطاريق أو استهجانية مثل « الأعاجم » أو « المشركين » :

79/44 لم يبقَ فيها للأعاجم ملجاً 82 ... ورجا البطارقُ أن تكون لشغرهم 85 ... ضمِنَ الدمستقِ منك منع حريمها 86 وأراد نصر المشركين بمحفلٍ

(1) م . كانار : توسيع الفاطميين . . . تنبه 145 ص 186 . L'impérialisme . . .

(2) أهْرَتْ : واسع الشدقين ، وهدل المشافر : مسترخيها . شبه الضرب ببعير قويٍّ نهم أكولٍ .

وقد يلْجأ إلى الكنية فيقول «أرض قسطنطين» عوض القسطنطينية كنَيَةً  
عن أرض الشرك : [بسِيط]

45/12 لم يبق في أرض قسطنطين مشركة إلا وقد خصها ثُكُل بمفقود  
أو يشير إلى لون بشرتهم فيطلق عليهم لقب «بني الأصفر» المتداول  
عند العرب في شأنهم<sup>(١)</sup> : [طويل]  
91/13 وأخذُك قسراً من بني الأصفر الذي تذبذب كسرى عنه وهو عنيد  
وربما صعد بهم إلى جدهم الأعلى «هرقل» ، زمنبعثة المحمدية :  
75 فإن هرزاً أسياف الهرقل فإنها إذا شئت أغلال له وقيود  
أو إلى لقب «القيصر» المشترك بين روما الشرقية وروما الغربية :  
65 وما سرّهم ما ساء أبناء قيصر وتلك تراث لم تزل وحقود

## الروم أعداء في الدين

ولكن ، مهما تنوعت عنده ألقابهم ، فهم أعداء في العقيدة وجهادهم  
فرض . وهم أيضاً يضمرون لعقيدتنا العداوة ، بل يظهرونها اليوم وقد اتخذوا  
الصلب شعاراً لهم إذا ما تحركوا لقتالنا . ولكن الله ينصر أولياءه على هذه  
الفئة المشركة : [بسِيط]

49/12 ألقى الدمستُر بالصلبان حين رأى ما أنزَلَ الله من نصر وتأييد  
وينقلب الشاعر إلى مبشر فيدعوهم إلى نبذ عقيدتهم التي تحملهم على

---

(١) يقول عدي بن زيد ، ولكن في مدحهم والتحسر عليهم [خفيف] :  
وبنوا الأصفر الكرام ملوك الـ روم لم يبق منهم مذكور  
ويقول أبو تمام في خاتمة قصيدة عمرورية :  
ابْتَثْ بْنَ الْأَصْفَرِ الْبِمَارَضِ كَاسِمِهِمْ صُفَرَ الْوَجْهِ ، وَجَلَتْ أُوْجَهَ الْقَرَبِ

عبادة بشر يدعونه إلهاً وترى لهم الرهابية : [كامل]

59/44 فليعبدوا غير المسيح فليس في دين التردد عن سيفك مزحلاً

وقد يظن أن هذه الدعوة إنما هي تهكم من الشاعر وتندر ، ولكن لا تستبعد أن تكون صدئاً لمعنى مماثل من الدعاية الرسمية . ذلك أن المصادر الإسماعيلية تسب إلى المعز نفسه «رسالة مسيحية» قيل إنها موجهة إلى الإمبراطور تدعوه إلى الإسلام<sup>(1)</sup> . وهي في الواقع نص باطني في أن الإمام يمكن أن يكون صورة للإله مجسدة في شخصه البشري ، مثلما يعتقد النصارى أن المسيح هو الإله في هيئة بشريّة . ولعل هذا التمثيل للإمام بالمسيح هو الذي حملهم على نعتها بالرسالة المسيحية . وهي ، على كل حال ، مؤلف غير المعز<sup>(2)</sup> بالرغم من أن لهذا الخليفة دوراً هاماً في توجيه الدعاية الفاطمية وربما في تحرير النصوص المذهبية ، كما يشهد بذلك القاضي النعمان<sup>(3)</sup> . وقد زعم باحث إسماعيلي معاصر<sup>(4)</sup> أن كتاب دعائيم الإسلام الذي يجمع حصيلة الفقه الفاطمي ، إنما هو من تأليف المعز نفسه ، لا القاضي النعمان كما يظن الناس . وقد نقل اليهنا القاضي النعمان فصولاً من رسائل المعر إلى طاغية الروم وجانياً من احتجاجه العقائدي يشبه إلى حد بعيد الدعوة التبشيرية .

هذه الدعوة تكتسي أحياناً عند الشاعر صبغة الإعلان المتصر والنخوة المتبخلة : [كامل]

69/40 فلتعلم الأعلام علمًا ثاقبًا أن الصليب - وقد عزرت - ذليل

1) M. Canard: Sources... 289 . وكذلك Massignon: Essai... 19 .

2) انظر فهرس المكتبة الوطنية بباريس ، صنع De Slane تحت رقم 131 .

3) المجالس والمسايرات 366-369 .

4) هو محمد حسن الاعظمي ناشر ترجمة الداعائم بعنوان «تأويل الداعائم» القاهرة 1969 ص 13 من المقدمة .

ولكنَّ الشاعر قد يعترف ضمنيًّا بأنَّ الغلبة ليست دائمًا من جانب المسلمين : فقد يُغلبون في سرعن إلى المعز حتى يأخذ بثأرهم : [طويل] 95/13  
إليك يَفِرُّ المسلمون بأسرهم وقد وُتروا وترأ، وأنت مُقيد

وقد يضع الحرب ، حسب ملاحظة شلومبرجي ، على صعيد الصراع بين جنسين : العرب ، والأعاجم ، وكلمة العجم تُتَّخذ هنا في معنى أصحاب العجمة ، أي الذين لا ينطقون العربية : [كامل]  
58/40 نحرَّت بها العربُ الأعاجِم إِنَّهَا رمح أَمْقَ ، ولهم مصقول<sup>(1)</sup>

### الإشادة بانتصارات المعز عليهم

في هذا الصراع العقائدي ، يهتمَّ الشاعر خاصةً بالجانب العسكري في شيد بانتصارات الأسطول الفاطمي ، وهي انتصارات حقيقة لا يحتاج خيال الشاعر إلى تعظيمها كما كان يفعل بالتحركات المحدودة في المغربين الأوسط والأقصى .

وقد حلَّلنا بعض هذه القصائد التي تعرَّضت للواقع البحري وافتخر فيها الشاعر بقوة السفن المعزية . فبجهادها ملك العرب عنان البحر وافتَّکوا سيادة الأمواج من الروم بعد ألفي عام من سيطرتهم المطلقة كما يقول : [بسيط]  
60/12 قد كانت الروم محذوراً كتائبها تُدنِي البلاد على شاطئ وتبعد  
63 ... وشاغبوا اليمَّ الْفَيِّ حِجْجَةَ كَمَّاً  
64 فالليوم قد طُمِست فيه مسالكُهم من كل لاحِبٍ نهج الفلك مقصود<sup>(2)</sup>

وسيشيد خاصةً بوقعة المجاز التي تبعَت مقتل القائد منوبل فقايس ويصف الغنائم بـأطنابٍ في تهَّكم لاذع بالإمبراطور الذي أرسل عمه منوبل إلى

(1) أَمْقَ : طويل . لَهُمْ : سيف قاطع .

(2) اللاحِبُ : طريق لَحْبٍ ولا حبة : واسحة . والقاريات السَّفَن المطلقة بالقارب ، أي القطران .

الهلاك ، وأهدى هذه الأسلاب النفيسة الى المعز ، ويتندر بهذا الكرم غير المنتظر : [كامل]

31/40 فأثابنا بالعذَّة الأسطول  
33 ... أدى إلينا ما جَمِعْتُ مُوفَرًا  
34 ومضى يَخْفُ على الجانب حَمْلُه ،  
35 نَقْلَتْهُ من بَعْدِ ما وَفَرَّتْهُ :  
36 إِيَّاهَا كَذَاكَ ! فَإِنَّهُ مَا كَانَ مِنْ  
بِرِّ الْكَرَامِ فَإِنَّهُ مَقْبُولٌ !

على أنه يترك أحياناً لهجة التهكم إلى التشفي والشعور بالنحوة والتعالي على هذا الإمبراطور الذي صار مضطراً إلى دفع جزية كالتي تفرض على الذميين : [طويل]

77/13 وبُعْطِيَ الْجِزَى والسلَّمَ عن يَدِ صَاغِرٍ  
78 يَقْرَبُ قُرْبَانًا عَلَى وَجْلٍ فَإِنْ

فالبيزنطي يعطي المال ويعرض السَّلَمَ ، ولعل الشاعر يشير إلى عروض الدمشق التي تقدم بها سفراً إلى المعز ، ومن بينها استعداده لإطلاق سراح عدد من الأسرى المسلمين الذين ظفر بهم الروم في المشرق . وقد راقت الفكرة للمعز لأنَّه رأى في ذلك اعتراضاً يُولِّيه على كافة المسلمين ، شرقاً وغرباً . وقد ذكر بعض هذه السفارات القاضي النعمان في كتاب المجالس والمسائرات : « وأرسل ملك الروم بأموال عظيمة وهدايا جليلة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، ورغب في التوقف عنَّ من يَقِي من الروم بِأَرْضِ قلورِيَّة<sup>(1)</sup> ، على ما قطعه على نفسه يُؤَذِّيهُ عنهم ، وأسرى من أسرى أهل المشرق ليطلقهم في كلّ عام لمدة يسيرة يسأل الهدنة فيها . . . »<sup>(2)</sup> . ولا نجزم بأنَّ القاضي النعمان يتعلّق بالفترة التي تهمَّنا ، أي

(1) قلورية مقاطعة بالجنوب الغربي من إيطاليا في قبالة مضيق مسينا ، ويسمّيها المؤرخون المغاربة « الأرض الكبيرة » .  
(2) ص 167 وص 367 .

بعد سنة 964/353 ، فالسفارات البيزنطية لدى المعز قد تكررت وأبرمت هدنتان على  
الخصوص ، سنة 968/357 وسنة 957/346 . ولكن لا مانع من أن نفترض أنّ السفارة  
التي أوفدها الإمبراطور بقيادة شخص يدعى « نيكولاوس »<sup>(1)</sup> بعد وقعة المجاز  
مباشرة كانت محملةً بعرض مماثلة لما ذكره القاضي النعمان ، خصوصاً إذا ما  
اعتمدنا على طلبهم الإبقاء على أهل قلوريَّة ، وهم المهددون قبل غيرهم بعد هزيمة  
مناصريهم .

علاوة على التهكم والتشفي يجنب الشاعر أيضاً إلى الهجاء الصريح فيرمي  
الروم بالجبن وبجهل فنون الحرب ، كما فعل ببني أمية . فإذا ما بُرِز لهم جيش  
الإمام ، لا تفいでم عساكرهم الجرارة ولا أسلحتهم المتعددة الكثيرة لأنّ الرهبة  
تتملّكُهُم فيغادرون ساحة القتال كأنّ في نيتهم أن يكتفُوا بلمس تربتها تحلاًّ من نذر  
نذروه : [كامل]

48/40 جاؤوا وحشوا الأرض منهم جحفل  
49 ثم انتشروا، لا بالرماح تقصدت  
50 نزلوا بأرضٍ لم يمسوا تربها تحليل  
ويعود إلى السخرية منهم بهذه المقابلة بين أدلالهم بقوتهم وتكبرهم من جهة  
وجبنهم الفطري الذي سرعان ما يعود إلى البروز فيغطي شجاعتهم الكاذبة :  
79/40 الأكثرین تخْمطَا وتتكبِّراً  
80 حتى إذا ارتعض القنا، وتلمظت  
81 رجعوا فأبْلَوْا ذلَّةً ومهانةً وإلى الجبلة يرجع المجبول<sup>(3)</sup>

ويخص الدمستق بالاستهزاء فينعي عليه جهله بالحرب وإلقائه بقاده  
الأسطول إلى الموت لأنّ منويل لم يسمح لهم بالفرّ حيث يجب الفرّ ، وكان

(1) الدشراوي : الخلافة الفاطمية بالمغرب ، 250، 291 .

(2) تقصد : تقصد الرمح وانقصد : انكسَرَ .

(3) التخْمط هو التكبُّر ، وارتعض : تحرّك واضطرب واهتزَّ .

الشاعر لم يتبعه الى ما في أبياته من اعتراف للجيش الرومي بالصمود :

- 25/40      قل للدمستق مُورِدِ الجمع الذي      ما أصدَرْتَه له قنا ونصلُ :  
26      سل رهط منوبلٍ، وأنت غررَتَه:      في أيِّ معركةٍ ثوى منوبلُ؟  
27      منع الجنود من القفول رواجاً      تَبَا لَه بالمندياتِ قفول<sup>(1)</sup>

## جُنُب الدِّمَاسِق وجَهْلُهُم بالحرب

ويتوسَّع في الهجو ، فينفي عنه صفة الْمُلُك ، كأنَّه يعلمُ أنَّ الدِّمَسْتَقَ افتَكَ الإِمْپِراطُوريَّة من أصحابها الشَّرِيعَيْنَ إِثْرَ انقلاب عسكريٍّ . أو لعلَّه يحقرُهُ بين ملوك العصر ، وخصوصاً بالمقارنة مع المُعَزَّ ، فهو قزم بين العمالقة :

- 37/40      رمُّ الْمُلُوك فلم يَبْيُنْ لَكَ بَيْنَهَا      شَخْصٌ وَلَا سِيمَا ، وأنت ضئيلُ  
38      أَتَقْدَمَأَ فِيهِمْ وَأَنْتَ مُؤْخَرٌ؟      وَتَشَبَّهَا بِهِمْ ، وأنت دخيل؟  
39      مَاذَا يُؤْمِلُ جَهَنَّمَ ، فِي باعِهِ قِصَرٌ ، وَفِي باعِهِ الْخِلَافَة طَوْلُ؟

لكنَّ هذه القصيدة الأربعينَ تُطلَعُنا على حقائقٍ تاريخيةٍ لم يستطع الشاعر إخفاءها رغم قدرته على الهجو والانتقاد والاحتياط في تأويل الأحداث : ذلك أنَّ جانباً من الأسرى المسلمين ربِّما اعتنقو دين النصرانية ، إِمَّا عن رهبة أو عن رغبة ، كما لاحظ ماريوس كانار ، وقد نقل عن المسعودي أنَّ بعض هؤلاء المرتدين جَنَدُوا في العسكر الرومية فكان منهم فيلق يضمُّ الثاني عشر ألفَ فارس من العرب<sup>(2)</sup> . ومهمما يكن من أمر هؤلاء الأسرى الذين « برئوا من الإسلام » خوفاً من السيف المسلطة على رقبتهم ، فإنَّ الشاعر لا يقبل لهم هذا العذر ويلومهم على قلة صبرهم :

- 72/40      بَرِئَتْ مِنِ الإِسْلَام تحت سِيُوفِهِ      أَلَا اعْتِدَادَ الصَّبْرِ ، وَهُوَ جَمِيلٌ؟

(1) المندياتُ : ما تتدى له الجبن من فضائح وهزائم ونحوها .

(2) ما . كانار : العلاقات . . . . . Les relations...43

73 سلَكَتْ سَبِيلَ الْمُلْحِدِينَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِ ذَاكِ إِلَى الْحَيَاةِ سَبِيلٌ  
وَيُؤَكِّدُ لَهُمْ أَنَّهُمْ خَسَرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، عَلَوْا عَلَى الشُّرُفِ الْمُضَاعِعِ :  
75/40 فَالْحَرَقَ قَدْ يَقْتَلُ الْحَيَاةَ حَفِيظَةً وَهُوَ الْجَنِيبُ إِلَى الرَّدِيِّ الْمُمْلُوِّلُ  
وَالْخَزِيُّ الَّذِي لَحِقَّهُمْ خَزِيُّ مَضَاعِفٍ ، لَأَنَّهُمْ اسْتَسْلَمُوا إِلَى أَعْدَاءِ  
زَائِفِيِّ الْمُسْلِطَانِ مَكْذُوبِيِّ الْإِقْدَامِ ، أَشَبَهُهُمُ الْلَّقَاحُ مِنْهُمْ بِالْفَحُولِ  
الْمُصَاعِبِ :

76/40 هَلْ كَانَ يُعْرَفُ لِلْبَطَارِقِ قَبْلَ ذَلِكَ بَاسٌ ، وَرَأَيْ فِي الْجَلَادِ أَصْبِلٌ؟  
77 أَنَّى لَهُمْ هِمَّ؟ وَمِنْ عَجَبِ مَمْتَنِي غَدَتِ الْمَلَاقِحُ الْخُورُ وَهِيَ فَحُولُ!  
فِي هَذِهِ الْقُصْدِيَّةِ الْأَرْبَعينِ كَمَا فِي غَيْرِهَا يَهْتَزُ الشَّاعِرُ نَخْنَوَةً وَتَخْمَطُ كَلَمًا  
ذَكْرُ الْمَعَزَّ فِي قَوْتَهِ وَالرُّومِ فِي هَزَائِمِهِ الْمُتَوَالِيَّةِ . وَيُوَسِّعُ خَيَالَهُ إِلَى الْأَفْتَرَاضِ  
غَيْرِ الْمُعْقُولِ ، إِلَّا أَنَّهُ مِنَ التَّصْوِيرَاتِ الْعَادِيَّةِ فِي الْمَلَاحِمِ وَالشِّعْرِ الْحَمَاسِيِّ  
عَامَّةً : فَالْبَحْرُ أَصْبَحَ مِنْ أَنْصَارِ الْإِمَامِ يَغْرِقُ الْأَسْطُولَ الْرُّومِيَّ وَيَلْقَى بِعُسَكِرِهِ  
إِلَى السَّيْفِ الْفَاطِمِيِّ : [كَامل]

88/44 وَالْمَوْجُ مِنْ أَنْصَارِ بَاسِكِ خَلْفَهَا فَالْمَوْجُ يَغْرُقُهَا ، وَسِيفُكَ يَقْتُلُ<sup>(1)</sup>  
وَشِيوخِ الرُّومِ مِنْ هِيَتِهِ صَارُوا يَوْصُونَ أَبْنَاءِهِمْ بِمَسَالِمِهِ : [كَامل]

55/1 جَهَلَ الْبَطَارِقُ أَنَّهُ الْمَلُوكُ الَّذِي أَوْصَى الْبَنِينَ بِسِلْمِهِ الْأَبَاءَ  
وَنَسَاؤُهُمْ يَتَشَاءُمُنَّ بِكُلِّ مَوْلُودٍ ذَكَرٌ لَأَنَّ مَالَهُ الْحَتَمِيُّ هُوَ الْقُتْلُ بِالسَّلَاحِ  
الْإِيمَامِيِّ ، فَهُنَّ جَمِيعًا ثَكَالَى مَلَأَنِ « أَرْضَ قَسْطَنْطِينِ » بِصَرَاخِهِنَّ : [بَسيط]  
44/12 لَوْ كَانَ لِلرُّومِ عِلْمٌ بِالَّذِي لَقِيَتْ مَا هُنَّتُ أُمٌّ بِطَرِيقِ بِمَوْلُودٍ  
45 إِلَّا وَقَدْ خَصَّهَا ثُكُلٌ بِمَفْقُودِ أَرْضٍ أَقْمَتَ رَبِّنِيَا فِي مَاتِهِا يُغْنِي الْحَمَائِمَ عَنْ سَجَعٍ وَتَغْرِيدٍ

(1) ضمير التأنيث يعود على الكتائب البيزنطية .

ومعلوم أن السخرية ، والهُزْءُ التَّقِيلُ وَالْقَهْقَهَةُ الْمُتَشَفِّيَّةُ هي أيضًا من متطلبات الشعر الملحمي ، إلى جانب السباب العالي والتقاذف الغليظ ، حتى إنها صارت تُجمَعُ في الاصطلاح الغربي تحت اسم «الشِّتِيمَةُ الْهُومِيرِيَّةُ» ، نسبة إلى صاحب الإلإيادة . وشاعرنا يلجأ بكثره إلى هذا النوع من التهكم ، فيتساءل مثلاً في براءة كاذبة : [طويل]

29/3 ولم أر زواراً كسيفك للعدى فهل عند هام الروم أهل وترحيب؟

### غَلْبَةُ الرُّومِ فِي الْمَشْرِقِ تُعَزِّي إِلَى انْخِذَالِ الْعَبَاسِيِّينَ

هذه الشواهد الكثيرة من قصائده ضد الروم ، لتن دلت على أن الغرض الأساسي من الحرب هو الجهاد ، فهي تدل أيضًا على اعتقاد الشاعر - ومن ورائه الأوساط الفاطمية - بأن الانتصارات التي أحرزها نقوфор فقاوس في الشام والجزيرة إنما سمحَت له بها الدولة العباسية بخدلانها وانصرافها عن واجب الجهاد ، مما يبرر عزم المعز على الإطاحة بخلافتهم الواهية كما اعتبر الإطاحة بحكام قرطبة ، أولائك الذين تحالفوا صراحةً مع الروم المشركين واستنجدوا بأسطولهم ضد المعرّة<sup>(١)</sup> . فالحروب التي يقودها ضد هؤلاء وأولائك ، مثل الحملات التي قادها ضد المروانيين وأتباعهم ، هي في الحقيقة جهاد واحد يرمي إلى إحلال إمامَة الحق على العالم الإسلامي بأسره ، في انتظار أن يمتد سلطان الأئمة على الكون كله ، لأن الله جعل لهم وراثة الأرض . وهكذا يرى الشاعر في تقبيل المعز التراب عند ورود البشرى بانتصار المجاز ، رمزاً لامتلاك الأرض وبادرةً نحو المآل الموعود : [كامل]

24/40 أنت الذي ترثُ الْبَلَادَ لَدِيهِمْ فَالْأَرْضُ فَأَلْ وَالسَّجْوُدُ دَلِيلٌ

(١) يقول القاضي النعمان : كتب الناصر إلى طاغية الروم يسأله النصرة . . . فأجابه إلى ذلك وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينية ومرَاكب بنى أمية من الأندلس (المجالس والمسابقات ،

## الفصل العاشر

### شاعرية ابن هانىء

أشرنا في الفصلين السادس والسابع إلى الجوانب التقليدية من شعر صاحبنا ، كما تظهر من الأغراض المطروفة أولاً ، وهي المدح والرثاء ، ثم من اتباعه التقسيم القديم للقصيدة . لكن هذه التبعية لم تكن دائمة مطلقة . فكثيراً ما يتحرر مثلاً من الاستهلال الغزلي فيدخل إلى المدح وثباً ، أو ، إذا بدأ باستهلال ، فقد يعوض فيه الوقفة على الاطلال بوصف مشهد ليلى أو عارض من البرق والسحب . وقد يعوض الرحلة المعهودة إلى الممدوح بوصف مجلس لهو أو بتأملات حكمية في انقضاء الشيبة وصروف الزمان .

ورأينا أن شخصية الشاعر لا تكمن في القصائد الكبيرة الرسمية بقدر ما تظهر في المقطوعات الصغيرة والأبيات المرتجلة التي يعبر فيها عن ميوله وأرائه وهواجسه في حرية لا يكتبها الوقوف أمام الخليفة ورجال دولته .

ونعترض في هذا الفصل دراسة شخصية ابن هانىء الشعرية لنقف على ما يبدو عنده تقليدياً مطبوعاً بطبع القدماء ، وما تظهر فيه سمات الطرافة والغنائية الصادقة .

### الأغراض

لو أتّخذنا الأغراض معياراً ، لقلنا إنَّ ابن هانىء مثالاً للشعراء

التقليدَين . ذلك أنَّ المدح يستأثر بالقسم الأوَّل من الديوان : ثلَاث وستون قصيدة من سبعين ، فإذا أضفنا إليها المرائيَّة الثلاث - والرثاء كما يقول أبو هلال العسكريَّي ، إنَّما هو مدح الميت<sup>(1)</sup> - صارت الأُغلبيَّة المطلقة لهذا الغرض القديم المعهود المعروف الذي به عاشت أمَّ من الشعراً ولا تزال .

أمَّا القصائد الأربع الباقيَّة ، فقد حلَّلناها بِإيجاز ، وتوقفنا قليلاً عند القصيدة السادسة والخمسين في الأَكول ، فبَيْنَا قدرة الشاعر على الوصف الساخر وقلنا لعلَّها تشير إلى حادثة واقعية ، سِيمَا وأنَّ الشاعر ذكر رقادة ، وهي المدينة الوحيدة من إفريقيَّة والمغرب التي ذُكرت في كامل الديوان ؛ فقد يكون لقَيَ هذا التَّنور المفتوح كما قال فطاب له أنْ يصف ما هاله منه من قدرة على الالتهام تفكَّهاً وتندرًا ، بعيدًا عن كل رغبة أو رهبة . فلذلك لم نعتبرها هجاءً لفقدان الدافع ، من حقد أو ثأر أو غضبٍ .

## المحاكاة الصرِّيحة

والقصيدة التاسعة والأربعون تخرج أيضًا عن الشعر الرسمي إلا أنها تقليد محض : فهي نوع من « التمرير » يحاكي به الشاعر مغامرات عمر بن أبي ربيعة الغزلية فيجمع المعاني المعهودة ، من مراقبة للْحَمْيَ في انتظار الليل ، ثم ارتياح الحبَّيَة حين بَرَزَ لها وسط الظلام وتسكينه لها بالضم والقبلات : [ طويل ]

11/49  
13 طرقُ فتاة الحَيِّ إذ نام أهْلُها وقد قام ليل العاشقين على قَدْمٍ  
... فسَكَّنت من إرْعادِها ، وهي هُونَةٌ ضعيفةٌ طِيَّ الخضر ، في لحظها سُقُمٌ  
وانتبه الرقيب إليه عند الفجر حين وجب الفراق . فما العملُ ؟ إذا كان

(1) كـ . الصناعتين 137 .

المخزومي يجتهد في مُطْرَفِ الأخت الصغرى ويردّها<sup>(1)</sup> فإذا تعلق الفرزدق بـ «أسباب طوالٍ» فتدلى «من ثمانين قامةً»<sup>(2)</sup> وأفلت من القوم ، فإن صاحبنا يأنف من هذه العجائب النسائية بل يجاهه أهل الفتاة فيسلّ سيفه ويردي الرقيب قتيلاً . ولكنه في آخر القصيدة يعلمنا بأنه لم يقتل أحداً وإنما سار في كلّ هذه الرواية على نهج عمرو . ولعله يعني أمراً القيس وهو أيضاً صاحب مغامراتٍ مع العذراء ، والمرضع ، وربما خلط الشاعر بين أمراء القيس وأبيه الذي يدعى «ابن عمرو حجر»<sup>(3)</sup> .

وكذلك القصيدة الرابعة والثلاثون تقليد ومحاكاة . ولكن هنا يجارى أبا نواس في مغامرة خمرية إلى حانة خارج البلد فيذكر غضب الخمار وقد أوقف من نومه ، وهو بالطبع من أهل الكتاب ، ثمّ طمعه في المال الوفير حين عرف الطلاق ، ثم إشعاع الخمرة وهي تنصب هادرةً من دنّها المبذول ، رقيقةً لطيفةً مثل عقيدة الزناديق : [رجز]

7/34 لم يُيقِّن منها الدَّنْ لسراوِقِ      إلا كياناً ليس بالحقيقة  
مثل يقين الملحد الزنديق      كأنَّه حشاشة المَشْوَقِ

ويختتم التمرين بنصائح سلوكية للندامي على غرار ما يدعو إليه أبو نواس من رفقِ الصديق المتشي :

21/34 لا تجزِّي البرَّ بالعقوقِ      واغْنِ عن العدُوِّ بالصديقِ  
وواصل الصبور بالغبوقِ !

هاتان قصيدتان لا تعبّران عن تجربة واقعية ، ولئن عبرتا عن شيء ، فعن محاولة الشاعر في التخلص من قيود الشعر الرسمي ، وتوجهه إلى خوض مثل

(1) ديوانه ص 100 .

(2) ديوانه ص 261 .

(3) «وَعَزَ تصدِّي قلوبِ الرجالِ ،      وأفلَكَ منها ابنُ عمرو حَجَرَ»  
ديوانه 95 .

هذه المغامرات التي يحرّمُ منها منصبه كشاعر مذهبٍ في بلاط الإمام . وقد تكونان أيضاً محاولةً منه في اختبار قدرته على النظم في القصص الغزلي والخمرى حتى يظهر بمظهر الشاعر المكتمل الآلة ، مثل كبار الأسلاف كعمر والفرزدق وأبي نواس .

وفي هذا الإطار بالذات ، أي موقف ابن هانئ من مشاهير الشعراء ، تدرج القصيدة الحادية والعشرون عن المتنبي . وهي غريبة من ناحيتين : أولاً ، لأنها لا تطرق غرضاً واضحاً ، فهي في آن واحد نقداً أدبياً وهجاءً وفخر . وهي غريبة أيضاً لأن صاحبنا فيها متذبذبٌ إزاء المتنبي بين الانتقاد له والغيرة من منزلته في الشعر عند المعاصرين ، وقد تبنَّى إلى هذا الاضطراب المستشرق الإسباني الكبير فارثيا - قوميَّث في دراسته القيمة لهذه القصيدة .

لكنَّ المقارنة بين المتنبي وابن هانئ ، وقد راجت عند القدماء والمحدثين ، تستدعي مِنَّا وقفة طويلة نرجئها إلى حين .

### أداته الشعرية - القصيدة

نظم ابن هانئ شعره في قصائد متفاوتة الطول تتراوح بين أحد عشر بيتاً ومائة بيت . وتبلغ القصيدة السابعة والأربعون مائةً بيت . وقد عللنا هذا الطول المفرط بافتراض أنها قد تكون أرسلت من الزاب إلى مصر فكانت تتوجه للقراءة المتأنية من الممدوح لا للإنشاد أمامه . وقد جمع فيها الشاعر كل المعاني المذهبية وكل الشعارات الإسماعيلية حتى لكتأنها - وهي آخر ما نظم - وصيَّته إلى من يأتي بعده من شعراء الدعوة . وبقيَّة القصائد لا تتجاوز مائة بيت إلا نادراً : هي سبع من سبعين . والمدائح المعزية بوجه عام أطول من شعر المسيلة . وقد افترضنا أيضاً أن الشاعر ربما كان أكثر تحرراً إزاء الأميرين

الأندلسيين منه إزاء الخليفة الفاطمي فيجيز لنفسه ، من تصرف في حجم المدح وتنوع في الأغراض ، ما لا يتجاوز عليه مع الإمام . هذا مع إمكان افتراض آخر ، وهو أن القصائد الطويلة قد تكون ، مثل الميمية الأخيرة ، نُظمت لترأ على الممدوح لا لينشدها الناظم .

## القوافي

يقسم المعري في البسطة الضافية عن علم القوافي ، التي قدم بها لديوان اللزوميات ، يقسم القوافي إلى ذليلٍ وتغيرٍ وحوشٍ : « فالذليل ما كثُر على الألسن ، وهي عليه في القديم والحديث . والتغير ما هو أقلَ استعمالاً من غيره كالجيم والزاي ونحو ذلك . والحوش التي تهجّر فلا تستعمل »<sup>(1)</sup> . وصاحبنا يبني قصائده على القوافي الذليل في الأغلب ، ولا يصل به حبه للغريب إلى حد تغليب التغير أو الإكثار من القوافي الحوش . ولكنه لا يستنكر من استعمال الرويِّ الصعب . فإذا قارنا قوافيَه بما عند شعراء معاصرِين له أو متَّخرين عنه قليلاً ، كأبي فراس والمتنبي وابن زيدون<sup>(2)</sup> ، ظفرنا بالجدول التالي ، الذي نحصي فيه عدد الأبياتِ المبنية على بعض الحروف غير المأنسنة :

---

(1) ج 37/1 .

(2) المتنبي بشرح العكبري .

أبو فراس ، طبعة صادر .

ابن زيدون ، طبعة رشيد الكيلاني ، القاهرة 1956 .

الروي	ابن هانئه	المتبني	أبو فراس	ابن زيدون
ث	36	0	5	8
ج	39	12	5	0
خ	64	0	0	0
ذ	2	0	0	0
ش	7	36	0	8
ص	46	0	0	0
الجملة	194	48	10	16

فكأنه أفل تحفظاً من هؤلاء الشعراء وأكثر جرأةً في التماس الجرس الغريب الذي قد تستقله الأذن وتمحجه النفس. على أن هذه النسبة العالية في القوافي «التقر» عنده لا تبني أن نسبة القوافي الذلل متقاربة عنده وعندهم ففي المقدمة يأتي روبي الميم تليه اللام والراء والنون الخ . . .

والقافية عنده مطلقة غالباً، ولا يجنح إلى الروي الساكن إلا في سبع قصائد ، أي عشر الديوان تقريباً . ونحن لا نستنتج من هذا شيئاً ، سوى أنه واثق من نفسه لا يخشى إقاوأه أو صعوبته في إعراب أواخر الأبيات .

وختاماً لحديثنا عن القافية ، نقول إننا نرفض الرأي القائل بأن بعض الحروف أوفق من غيرها لبعض الأغراض . وقد أبدى هذه الفكرة الشيخ سليمان البستانى معرب الإلإيادة فقال إن القاف مثلاً أوفق للشعر الحماسى ، والراء واللام أصلح للوصف الخ . . . بل تتبع رأى المعربي في أن الروي «أثبت حروف البيت ، وعليه تبنى المنظومات ، وهو يكون من أي حروف المعجم وقع . . .»<sup>(1)</sup> . فحرية الشاعر في اختيار الروي تامة ولا تُحدِّد إلا بطبيعة الجرس الذي يرتضيه لشعره من جهة ، وهذه قضية ذوقٍ واختيارٍ ،

---

(1) مقدمة اللزوميات ص 6 . أما رأى البستانى فقد نقلناه عن صفاء خلوصى : فن . . . 257 .

وبوفرة المواد التي يكون الحرف المقصود لامها ، ومعلوم أن الكلمات التي تختتم بالظاء أو الخاء أو الغين نادرة قليلة إذا قيست بالكلمات التي لامها باء أو دال أو ميم<sup>(1)</sup> .

## الأوازانُ

يستخدم شاعرنا البحور المتينة الوفيرة المقاطع كالطويل والكامل والبسيط ، وهي التي تأتي عنده في المقدمة :

الطويل : 36 قصيدة ومقطوعة .

الكامل : 33 قصيدة ومقطوعة .

البسيط : 19 قصيدة ومقطوعة .

تليها في نسبة قليلة جداً :

الخفيف : 7 قصائد و 3 مقطوعات .

السريع : 5 قصائد و 4 مقطوعات .

المتقارب : 4 قصائد و مقطوعة واحدة .

الرمل : 4 قصائد و مقطوعتان .

المنسراح : 3 قصائد و مقطوعة واحدة .

الرجز : 3 منظومات و مقطوعتان .

الرمل : مقطوعة واحدة .

وقد تخلّى عن البحور القصيرة كالمجث والمضارع ، وأهمّل المجزوءات ، حتى مخلع البسيط ، فلم ينظم عليها قط ، حتى في الشعر بعيد عن الدعوة والمذهب ، كوصف مجلس أنس أو زهرة رمان أو تغزل بقينية أو غلام . وهنا أيضاً نرفض فكرة التخصص . فكل الأوازان العربية - ما لم

---

(1) ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر ص 247 ، وهو يفترّق القلة ويرفض التناقض الصوتي .

تنقص كمية مقاطعها الى حد أن تصبح مجزوءة أو مشطورة - صالحة لكل الأغراض . دليلنا على هذا الشمول أن المرائي الثلاث نظمت على الكامل فالرمل فالمتقارب ، وأن المتقارب نجده أيضاً في مدحه وفي مقطوعة في الشكوى .

ونتبين «كلاسيكية» شاعرنا، أي أتباعه لستة القدماء في اختيار الأوزان، من هذا الجدول الذي أضفنا اليه أوزان المفضليات والمعلقات العشر ، علاوة على بحور الشعراء الثلاثة الذين اخترناهم نموذجاً للمقارنة :

البحور	ابن هانئ	المتبني	أبو فراس	ابن زيدون	المفضليات	المعلقات
الطوبل	36	58	65	35	45	3
الكامل	33	42	60	25	27	2
البسيط	19	45	32	25	19	3
الخفيف	7	21	15	15	3	1
السريع	5	8	11	11	5	5
المتقارب	4	25	13	10	10	10
الرمل	4	2	7	18	3	3
المنسرح	3	21	3	2	2	2
الرجز	3	10	8			
الوافر	1	46	39	14	18	1
المجثث			5	6		
الهزج			7			

### التقسيم الثلاثي للقصيدة

قئن نقاد القرن الثالث القسمة الثلاثية لقصيدة المدح ، فجعلوا من الوقوف على الأطلال وذكر الأحبة وذكر الرحلة الطويلة الى الممدوح ،

مراحل واجبة قبل الولوج الى المدح<sup>(1)</sup>. وقد ضاق الشعراء بهذه القواعد حتى رأينا المتنبي يسخر من هذا الغزل الواجب : [ طويل ]

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكلٌ فصيحٌ قال شعراً متيمّ؟

وهي قواعد على الحقيقة تأخذ بالعام الأعم والمتداول المتشرك جميع القوانين ، ولا تنفي الشذوذ والخروج عن السنة المتبعة . فكان فحول الأقدمين ينسبون حين يطيب لهم النسيب ، ويتركونه حين لا تشط نفوسهم . وكذلك ابن هانىء ، ينسب أحياناً ، ويترك النسيب أحياناً ، أو يحوّل الاستهلال من الغزل الى الوصف ، كما يظهر من هذا التحليل لعشر من قصائده المعروفة :

1 - القصيدة 9 في مدح المعز . 59 بيتاً مطلعها [ كامل ] :

هل كان ضمَّخ بالعيير الريحا مُرْزَنْ يَهَزُّ الْبَرَقُ فيه صفيحا؟

من بيت 1 الى بيت 10 : نسيب : طيف الحبيب يزور الشاعر المُسَهَّد .

البيت 11 : اشارة خاطفة الى الرحلة الى الإمام بدون وصف .

الأبيات 12- 59 : مدح الخليفة بالمعاني التقليدية والمذهبية .

2 - القصيدة 35 في مدح المعز أيضاً . 41 بيتاً ومطلعها [ خفيف ] :

قمن في مأتمٍ على العشاق ولبسَ الحداد في الأحدادِ

8- 1 : تسيب : الشاعر يبكي رحيل الأحبة .

9- 20 : ذكرى أيام الهناء . وصف أباريق الخمر .

21- 41 : مدح الخليفة .

3 - القصيدة 40 في المعز . 114 بيتاً ومطلعها [ كامل ] :

---

(1) انظر مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة .

يُوْمٌ عَرِيقٌ فِي الْفَخَارِ طَوِيلٌ مَا تَنْقِضِي غَرَرُ لَهُ وَجْهُولٌ  
لَا نَسِيبٌ فِيهَا وَلَا وَصْفٌ لِلراحلَةِ . يَقْتَصِرُ الشَّاعِرُ عَلَى مَدْحِ الْإِمَامِ وَشَتَّمِ  
خَصْوَمِهِ .

- 4 - القصيدة 3 في المعز ، 73 بيتاً ، مطلعها [طويل] :
- أَقُولُ دُمَىٰ وَهِيَ الْحَسَانُ الرَّعَابِبُ وَمِنْ دُونِ أَسْتَارِ الْقَبَابِ مُحَارِبٌ
- 19-1 : نسيب : لوعة الشاعر بعد ترحال الخليط .
- 61-20 : مدح الخليفة بالشيم التقليدية والخصال الإمامية معاً .
- 69-62 : شكوى الشاعر من الحساد .
- 73-70 : عودة إلى المدح .

- 5 - القصيدة 58 في المعز . 86 بيتاً ، مطلعها [متقارب] :
- تَقْدِمْ خَطْيَ أَوْ تَأْخِرْ خَطْيَ فَإِنَّ الشَّبَابَ مُشَى الْقَهْقَرِيِّ
- 11-1 : نسيب .
- 28-12 : وصف الخيل .
- 48-29 : شغف المعز بالصفات الجياد .
- 86-49 : مدح المعز سياسياً ومذهبياً .

- 6 - القصيدة 27 في مدح جوهر . 105 أبيات ، مطلعها [طويل] :
- رَأَيْتُ بَعِينِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ  
وَقَدْ رَاعَنِي يَوْمٌ مِنْ الْحَشَرِ أَرْوَعُ
- 14-1 : عظمة هذا الجيش في العدة والعديد .
- 30-15 : وصف مدقق للعتاد الحربي .
- 105-31 : مدح جوهر بخصاله الإدارية والسياسية والحربيّة ، الإشادة  
بولائه الفاطمي .

7 - القصيدة 43 في المعز . 95 بيتاً ، مطلعها [بسيط] :

كَدَبْكَ أَبْنَ نَبِيِّ اللَّهِ لَمْ يَرُلِ قَتْلَ الْمُلُوكِ وَنَقْلَ الْمُلْكِ وَالْوُدُولِ  
لَا نَسِيبٌ فِيهَا ، وَهِيَ مُخَصَّصَةٌ بِأَكْمَلِهَا لِإِشَادَةٍ بِالْمَمْدُوحِ .

8 - القصيدة 63 في بنى حمدون . 84 بيتاً ، مطلعها [طويل] :

أَلَا أَيَّهَا الْوَادِيُ الْمَقْدَسُ بِالنَّدِيِّ وَأَهْلُ النَّدِيِّ قَلْبِي إِلَيْكُ مُشْوِقٌ

13-1 : تحيَّة الشاعر لجعفر من بعيد .

33-14 : مدح يحيى بالتجربة الحربية .

50-34 : وصف خيل أهداها يحيى إلى شقيقه .

66-51 : خصال جعفر .

75-67 : وفاة الشاعر للأخوين ، وشكراً معروفاًهما .

84-76 : عود إلى مدح بنى حمدون .

فلا نسيب هنا أيضاً ، ولا وصف للراحلة .

9 - القصيدة 57 في إبراهيم بن جعفر . 100 بيت ، مطلعها [كامل] :

الشَّمْسُ عَنْهُ كَلِيلَةُ أَجْفَانُهَا عَبْرِي يَضِيقُ بِسَرَّهَا كَتْمَانُهَا

38-1 : وصف القصر الذي بناه جعفر لابنه .

64-39 : قسم خمري : تحريض على خلع العذار .

93-65 : مدح إبراهيم ، وهو سليل جعفر في المجد .

100-94 : اعتراف بجميل بنى حمدون .

فالنسِيبِ متروك هنا أيضاً ، وكذلك وصف الرحلة والدابة .

10 - القصيدة 39 في يحيى بن حمدون . 43 بيتاً ، مطلعها [كامل] :

فَتَكَاتُ طَرِفِكِ أَمْ سَيْوُفُ أَبِيكِ ، وَكَؤُوسُ خَمَرٍ أَمْ مَرَاشُفُ فِيكِ؟

. 10-1 : نسيب .

. 11-33 : مدح يحيى ، سيف الدعوة المسلول .

. 34-38 : وصف الخيل .

. 39-43 : عود إلى خصال الممدوح الحرية .

فالنسيب يحضر ويغيب في هذه المدائح العشر ، وكذلك القسم الوصفي ، إن وُجد ، فهو لا يتعلّق ضرورة بالرحلة إلى الممدوح ولا يصف الناقة ، بل يحوّله الشاعر إلى وصف مجلس لهو أو إلى وصف خيل أو وصف قصر ؛ وقد يُعرض عنه تماماً .

ولنحلّل الآن في شيءٍ من التفصيل إحدى المرائي ، كمرثية حفيد جعفر ابن حمدون ، وهي دالية ذات 97 بيتاً مطلعها [رمل] :

وهب الدهر نفيساً فاستردا ربما جاد لئيم فحسدا

. 13-1 : خواطر حكمية حول الموت والحياة : خداع الدهر الذي يعطي بيد ويأخذ بالأخرى . شكوى الشاعر من الزمان الذي ابتلاه غير ما مرّة .

. 14-25 : مثال من خداع الدهر : أخذ هذا الطفل وهو صبيٌّ عاجز عن دفعه . ولو عاش لكان فيه فخر العرب جميعاً .

. 26-40 : لوعة أهله وذويه . حتى الأبطال المحتكرون ي يكونه بالدموع الغزير .

. 41-51 : لا قوَّة تثبت أمام الموت ، ولا حتى قوَّة جعفر الحرية .

. 52-64 : دعوة إلى التصبر : الموت مآل كلّ كائن . والتجلّ التحق بالجَدْ وهكذا فالشبل رجع إلى الليث .

. 65-90 : الموت لا يترك حيَاً : لا القويُّ ولا الضعيف ، لا الطيب ولا الخبيث ، الأسد في عرينه ، والنسر في وكره ، الظبية الوديعة والأفعى المخاتلة ، كلّ لا يقيهم الحدثان .

91-97 : عود إلى الخواطر المتشائمة حول حتمية الهاك وقصر الحياة .

وهكذا نرى أن تعلق ابن هانئ بمثال الأقدمين لا يمنعه من الخروج أحياناً عن جادتهم فيسلك مسلك المؤذين الذين جددوا الشعر بمقدار ، مثل البحيري وأبي تمام والمتني . فهو يجمع بين الرصيد الثقافي الموروث عن الجاهليين والصنعة البلاغية التي برز فيها أبو تمام ودونها ابن المعتر في كتاب « البديع » .

### الصنعة البلاغية : الاستعارة وأصناف المجاز

يفرط ابن هانئ في استخدام أساليب المجاز ، من التشبيه العادي البسيط إلى الاستعارة البعيدة الغور . وقد سبق أن ذكرنا بعض النماذج أثناء درستنا للمعاني والأغراض عنده . ونسوق الآن بعض الأمثلة الأخرى ، زيادةً في الاطلاع على أسلوب الشاعر . فهذه مثلاً وسيلة للتعبير عن قصر ليلة الوصال ، يحشر فيها الشاعر ثلاثة تشابيه متالية : [كامل]

19/ ليَسْتَ بِيَاضَ الصَّبَحِ حَتَّى خَلَتُهَا فِيهِ نَجَاشِيَا عَلَيْهِ قَبَاءُ  
20/ حَتَّى بَدَتْ، وَالْبَدْرُ فِي سِرْبَالِهَا فَكَانَهَا خِيفَانَةً صَدَرَاءُ  
21/ ثُمَّ اتَّحَى فِيهَا الصَّدِيقُ، فَأَدَبَرَتْ فَكَانَهَا وَحْشَيَةً عَفَرَاءُ<sup>(1)</sup>

وقد قصد الشاعر إلى الشكوى من سرعة انقضاء الليل التي حملته على ذم كل الليالي بالمقارنة مع ليلة الوصل :

18/ ذَمُّ الْلَّيَالِي بَعْدَ لِيَلْتَنَا الَّتِي سَلَفَتْ، كَمَا ذَمُّ الْفَرَاقَ لِقَاءُ  
فَعَبَرَ عَنْ هَذِهِ السَّرْعَةِ بِالتَّشَبِيهِيْنِ الْآخِيْرِيْنِ ، بِالْفَرْسِ ، وَبِالظَّبَّيْةِ ، وَكَانَ

---

(1) النجاشي : ملك الحبشة ويعني به الأسود . والقباء الرداء . والخيفانة في الأصل الجرادة وصارت تعني الفرس لدقّة مفاصله ، والصدراء ذات البياض على صدرها واتّحى : اتّخذ مكانة والصديق : ضوء الفجر والوحشية : الغزالة .

تشبيه واحدٍ يكفيه ، ولكن تداخل البياض في السواد تدريجيًّا ، فاضطرَّ إلى التمهيد بذكر الخيفانة فأطال المشهد وزاده تفصيلًا . أما تشبيه الظلام الممزوج بنور الصبح بالنجاشيِّ الملتف بعباءة بيضاء ، مع الاستعارة في « لبست الليلة بياض الصبح » ، ففيه مقابلة بين بياض الوصل وسواد الفراق وقد سبقت له المقابلة بين سواد المقلة وبياض سائر العين في مطلع القصيدة ، ولكن في معنى آخر . وهكذا نجد في الأبيات الثلاثة الاستعارة والتشبيه والمقابلة ، إلى جانب المشهد المتواصل ، أي ما يسميه أهل البلاغة « التشبيه التمثيليّ » . ونلاحظ عرضاً أنَّ الشاعر نسيَ الشكوى بعد البيت الثامن عشرَ فاهتمَ بالوصف فقط ، كما طاب له أن يتخيَّله . والشاعر شغوف بوصف النجوم كما تشهد به القصيدة الحادية والثلاثون الآتي تحليلها . والشعر العربيُّ بل اللغة نفسها بوجه عام ، يردد بكثرةِ المقابلة بين البياض ، لون كل خير ، والسود ، عنوانِ كل مصيبة : فلا غرابة أن يعود شاعرنا مراراً إلى وصف الليل وقد بدأت جحافله تفُّرُّ أمم عسكر الصباح ويعمق فكرة الصراع ويستفرغ صورة الحرب ، فيلاحظ تكاثر النجوم مع قدوم الفجر فيتخيل أنَّ الظلام ، وقد أعمجه النور ، نثر تاجه في هربه كأنَّه ملك مهزوم : [كامل]

9/25 والفجرُ من تلك الملاعة ساحبُ  
الليل في منقدَ تلك الأقمشة  
10 قد بات يمطليني سناً ، حتى إذا  
عجل الصباح به ، فلم يتربصَ  
11 ألقى مؤلفة النجوم قلائداً  
من كل إكليلٍ عليه مفاصصٍ

وهنا يشكو بالعكس طول الليل ، ليل المسهد ، ويتوقد إلى الصبح الذي يحلي الهموم ، فأدخل مشاعره في البيت العاشر ، ولكنه اعتمد كما في المثال السابق ، على استعارة الملبوس ، الملاعة للصبح والقمصان للظلام ، وعلى المقابلة البارزة في شكل تعاوني بين شطري البيت التاسع .

والى مثل هذه المحسنات المعنوية وهذه الصور البدعية تتسبَّب مقدمة القصيدة « الفلكية » التي عوض فيها النسيب بوصفٍ مطول لنجوم السماء

وأفلاتها ، ويتصوّر مدقق للأشكال المختلفة التي تُتَّخذها في القبة السوداء :  
27 بيتاً من 71 - لا يخلو واحدٌ من تشبيه أو استعارة أو مشهِّدٍ تمثيليٍ . وقد  
اعطى « النغمة » منذ البيت الأول : فالليلة حسناً ذات شعر دجوجي ، وقد  
تقلّدت في أذنيها كوكب الجوزاء أخراصاً براقةً : [طويل]

1/31 أيلتنا إذ أرسلت وارداً وحفاً      وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شفناً<sup>(1)</sup>

وينتَي بمشهِّدٍ خمرى غزلى يصف الساقى وقد لعبت به المدام هو أيضاً  
فزادته ثنياً على تكِّنِ :

3/31 أغْنَ غضيضاً خفَّ اللَّيْنَ قَدَّهُ      وثقلَت الصهباءُ أجفانَهُ الْوُطْفَا  
4 ولم يُبِقِ إرعاشُ المَدَامَ لَه يَدَا      ولم يُبِقِ إعناتُ الشَّتَّى لَه عِطْفَا

ولكنه لا يطيل التغزل بهذا الغلام ويعود إلى وصف النجوم ، وكأنه يريد  
منه أن يكون بُرهاناً على مقدراته الإبداعية ، ولا ننسى أن القصيدة هي أول  
شعرٍ أنشده بالمسيلة ، فبقاؤه في خدمة الآخرين مشروعٌ باستحسانهما لها .  
فيضع الإطار العام ، وهو الصراع بين الليل والنهار ، والقتال المعهود بين  
الظلمة والنور ، بين جحافل الظلام وجيش الصباح :

10/31 وقد ولَّت الظلماء تقو نجومها

وقد قام جيش الفجر للليل واصطفَا

ثم يأتي التفصيل ، كل كوكب ، وقد استعد للأفول ، يَتَّخذ في السماء  
التي خُطّت بالبياض صورة يترجم لها الشاعر بتشبيه جديد ، بل غريبٍ أحياناً  
في بعض متعلقاته ، كهذه اليد التي لا يزال الظلام يخفّيها فلم تظهر منها إلا  
الإصبع المزданة بالخاتم :

11/31 وقد نجومُ للثريَا كأنَّها خواتيمُ تبدو في بنانِ يدٍ تحفَّى

---

(1) الوارد : الشعر الطويل المنسل .

وتُعود الصورة الحربية ، فهذا الدبَّارُ يُتبعُ الشريًا بخيلهِ وقد كانت الخيلُ  
في كمِينٍ ، تستعدُ لنصرتها :

12/31 ومرَّ على آثارها دَرَانِها كصاحبِ رُدْءٍ كُمِنَتْ خيْلَهُ خَلْفًا

وكذلك الشعري تعبَّرُ على فرسٍ ومعها المرزم كالفرس الجندي ،  
فيخترق الركبُ المجرَّةُ كأنَّهُ تهَيَّبَ نَثَرَ الأَسْدِ وقد تعلَّقَ به السماكَانِ يرومَانِ  
قتله ، إِلَّا أَنَّ الأَعْزَلَ مِنْهُمَا لَا قَبْلَ لَهْ بِهِ فَصَارَ يَقْضِي إِصْبَعَهُ حَسْرَةً :

13/31 وأقبلت الشعري العَبُورُ مَكْبَةً  
14 بمرزِمِهَا الْيَعْبُوبُ تجْنِبُهُ طِرْفَاً  
لتخرقَ من ثَنَيِّ مَجْرَتِهَا سِجْفَاً  
15 تخافُ زَئِيرَ الْلَّيْثِ يَقْدُمُ نَثَرَةً  
وبيَرْبَرَ في الظلماءِ يَسِيفُهَا نَسْفاً  
16 كأنَّ السماكَينَ اللَّذِينَ تَظَاهَرَا  
على لَبْدَتِهِ ضَامِنَانِ لَهُ حَتَّىَ  
17 فَذَا رَامِحُ يُهُوِي إِلَيْهِ سَنَاهَةً  
وَذَا أَعْزَلُ قَدْ عَضَّ أَنْمَلَهُ لَهُفَا

ويواصل التعداد والتفصيل ، كأنَّهُ فلَكِيٌّ يلقى درساً أمام خريطةٍ من السماء بنجومها ، ولكنَّهُ يزيلُ هذا الوهم بسلسلة « كأنَّ » التي تبدأ بها الأحد عشرَ بيتاً الموالية : فأداة التشبيه تُرْجِعُهَا إلى الأدب والفن والخيال ، فنجم الرقيب كالنسر يرقب من وكره الأفق ، أو ينفي ريشَه ، وبنات نعش كما يدلُّ اسمهنَّ طباءً يحملن رشاً ميتاً إلى قبره :

18/31 كأنَّ رقيبَ النجمِ أَجْدَلَ مَرْقُبَ يقلُبُ تحتَ الليلِ في ريشِه طَرْفَاً  
19 كأنَّ بني نعش ونعشًا مَطَافِلَ بوجرَةٍ قد أَصْلَلَنَ في مَهْمِهِ خِشْفَاً

وقد لمَحنا عرضاً إلى ضربٍ من المحسَنات المعنوية ، وهو أن يستخدم الاسم الاصطلاحي في حقيقته اللغوية ، فيتناسى الشاعرُ أنَّ ذلك الاسم فقد صفتَهُ المجازية وصار بمثابة العلم أو الاسم العادي ، إِلَّا أنهُ يرجعُهُ من جديد إلى الحقيقة ويستعمله استعمالاً مجازياً ، كما يفعل المتنبي مثلاً بعبارة « جناح » الجيش فيستخرج منها « الخوافي والقوادم » وقد أخذ الجناح - وهو

مجاز - مأخذ الحقيقة فذكر لوازم الريش<sup>(1)</sup> . وإلى مثل هذه الطريقة يجتمع ابن هانئ في ذكر النجم الراهم فيجعل له رمحاً على الحقيقة ، والنجم الأعزل فيجرّده من السلاح ، والرقيب على مربته وبنات نعش يحملن نعشًا الخ . . . ولا شك أن هذه الطريقة ، إذ تعود بالمجاز - الذي أصبح بالتداول حقيقة - إلى المجاز ، فيها شيءٌ من الطرافـة ، على شرط أن لا تكون مسترسلة دائمة .

ولنلاحظ أيضًا في البيت العشرين ذكر « وجرة » وهي بادية في جزيرة العرب ، مع أن المفروض أن صاحبنا يصف ليلاً مغاربياً، ولا المغرب ولا إفريقية يخلوان من الصحاري والبواقي والظباء . إلا أنه الرصيد الثقافي يعمل عمله في الذاكرة ، وسيكون لنا فيه حديث .

ثم يأتي دور سهيل في انفراده ، والسلها في فتوره ، ومعلى القطب بين رأيته ، والنسر الواقع ، فيجرّد منه صورة الريش المقطوع فلم يقدر على الطيران ، أما أخوه فقد صعد إلى القمر فاقطع منه شطرًا ، وبذلك فسر صفت الواقع والطائر :

- |  |  |
|--|--|
| <p>20 كأن سهيلًا في مطالع أفقِهِ</p> <p>21 كأن سهاماً عاشقَ بين عُودِهِ</p> <p>22 كأن معلَى قطبها فارسٌ له</p> <p>23 كأن قدامي النسر ، والنسر واقع</p> <p>24 كأن أخاه حين دُوَم طائراً</p> | <p>مفاصق إلَفِ لم يجد بعده إلَفًا</p> <p>فآونةً يبدوا ، وأونَةً يخفى</p> <p>لواءان مرْكُوزان ، قد كره الزحفا</p> <p>قصصُن ، فلم تسمُّ الخوافي به ضعفًا</p> <p>أتنى دون نصف البدر فاختطف النصفا</p> |
|--|--|

ويختتم المشهد بعودة إلى القتال بين الليل والنهار ، فقد انهزم الظلام فترنّح كالسکران ، ثم لاذ بالفرار أمام عسکر الفجر ، إلا أن الشاعر في هذه المرة مثل للمقابلة المعهودة بين البياض والسوداد بصراع بين قائد تركي -

(1) في بيته المعروف :

ضممت جناحِيهِم على القلب ضمةً تموتُ الخوافي تحتَهَا والقوائم

والأترك بيضُ - وقائد حبشي :

26/31 كأنَ ظلام الليل إذ مال ميلةً

صريغٌ مدام بات يشربها صرفاً

27 كأنَ عمود الفجر خاقان عسکر

من الترك، نادى بالنجاشي فاستخفى

### التشبيه المقلوب

بعد هذه الأبيات التي يتضمن كل واحد منها تشبيهاً في شكل صورة أو افتراض، يصل الشاعر إلى المدح، مباشرةً دون تدرج في التخلص. ولكن هذا الانتقال السريع ليس خاصية المؤلدين أو المحدثين ، فقد يوجد عند القدماء أيضاً، وإن كان القادة المنظرون يفضلون التخلص التدرجيّ . وقد بدأ شاعرنا بيت التخلص أيضاً بـ «كأنَ» ، فهل اعتبر تكرار الأداة تخلصاً كافياً؟

إلا أنَ الأهم في البيت هو التشبيه المقلوب ، فلواء الشمس ، وقد انتصرت أخيراً على الظلام ، هو الذي يشبه وجه الممدوح وقد تلاؤ حين أبصر بعده :

28/31 كأنَ لواء الشمس غرَّةً جعفرٍ رأى القرنَ فازدادت طلاقته ضعفاً

ومعلوم أن التشبيه المقلوب من الأساليب المحبوبة عند البلاغيين ، لما يرون فيه من تقوية للمماثلة وتأكيد على وجه الشبه ، بصورة تجعل الأمر المتحدث عنه أعظم في الصورة المقصودة من المثل الذي يُتَّخِذ عادةً معياراً لها . وشاعرنا يجنب كثيراً إلى هذا التوكيد كأن يدعى أن البحر هو الذي يشبه الممدوح في جوده : [متقارب]

فأشبهك البحر إن قيل : ذا غطَّم ، وهذا جوادٌ خضمَ 11/50

والتوكيد والتقوية يجران عادةً إلى الغلوّ ، مثلما وقع في البيت التالي

الذى اشترك فيه التشبيه المقلوب مع المبالغة : [كامل]

29/53 لو كان في الطوفان جودٌ يمينه لم يُنجِّ نوحًا فلُكُّه المشحون  
وهنا قد خفَّف المبالغة بحرف الافتراض ؛ ولكنَّه لا يلتمس دائمًا مثل  
هذا التخفيف ، كأنَّ يدعيَ أنَّ جيش الممدوح غطَّى البحرَ بأسره : [كامل]  
حتى إذا غَمَرَ البحارَ كتائباً ... 37/9

فلا تكفيه هذه المبالغة فيضيِّف افتراضًا لعلَّه أقرب إلى التفكك منه إلى  
الجدَّ ، وهو أنَّ هذا الجيش لو شربَ كلَّ واحدٍ من أفراده قطرةً من البحر لتفيد  
ماهُه وجفَّ : 37/9

... لو يرتشفُنْ أَجَاجَهَا لِأَمِيَّحا

وأداة الشرط «لو» ، بوضعها الدلالي الذي جعلها «حرف امتناعٍ  
لامتناعٍ» ، أي تدلُّ على صعوبة - بل استحالة - تحقيق الافتراض ، تسمع  
للشعراء بأنواع من المبالغة المشروعة ؛ فهذا المعزَّ يتصرف في الحظوظ  
والأعمار حتى لكيَّه قادرٌ على إحياء الموتى :

22/9 نَعَشَ الجدودَ فلو يصافحُ هالكَا ما وَسَدَتْهُ يدُ المنون ضريحاً  
ولكنَّه يستغنى أحياناً عن أداة التخفيف هذه ، فتأتي الفكرة غريبةً بل  
مموجحةً : كأنَّ يبررُ عذوبة التقبيل بحلوة الأفواه ، وحلاؤتها مكتسبةً من  
ذكرها لِخصال الممدوح : [كامل]

30/6 قد طَبَّ الأفواه طَبَّ ثَنَائِهِ مِنْ أَجْلِ ذَا نَجْدِ الشَّغورِ عذاباً  
ولا شكَّ أنَّ هذا الإفراط في التخييل وهذا الالتواء في التعبير عن الفكرة  
كانا محبيَّين لدى الجمهور الذي يروج بينه هذا الشعر ، لا فرق بينه وبين  
جمهور بغداد أو حلب . فقد دخلت الصنعة إلى المغرب أيضًا والأندلس ،  
وصارت من العادات والتقاليد التي يتبارى الشعراء في اتباعها وفي توسيعها .

بها الميل الى التكليف نفس اعجاب النقاد طيلة عصور وعصور بهذا التشبيه الذي يبعث على الضحك ، حتى مع العلم أن العقرب هي خصلة الشعر :

وكانَ صفحَةُ خَيْرِهِ وعذارَهُ تُفَاحَةٌ رُمِيَّتْ لِتُقْتَلَ عَقْرَبًا 46/4

## الجناس

تجاوز الصنعة حيز التصور والخيالات إلى حيز اللفظ ، فيختار الشاعر الكلمات التي يتكرر فيها جرسًا مًا ، قصد إحداث وقع خاصٍ في نفس السامع ، كالأكثار من حروف الإطباقي للإشعار بضرب الطبول ونحوها ، أو من حروف الصغير للإيحاء بصلة السيف . ذاك هو الجنس المستحب الذي يرمي إلى تعزيز المعنى بالأصوات المناسبة والأجراس التي تخدمه . ولكن هيهات ، سرعان ما تركوا هذه الغاية وصاروا يقصدون الجنس لذاته ، في نوع من البهنة اللغوية ، خصوصاً إذا ما وافقت المجانسة الخطية مجانسة الأصوات : [ طويل ] .

ترفع عن سجمه فكانَ يُحيي بِيَحْيى صُبْحَةَ الْمُتَلَجِّا 15/8

## الثورية أو اللبس المقصود

وهو أن يستخدم الكلمة في مدلولين مختلفين فتذهب النفس إلى أحدهما مع أن الشاعر أراد الآخر ، مثل الأزدواجية الحاصلة في كلمة « جفن » ، فهو جفن العين ، بقرينة الماء ، أي الدمع ، أم جفن السيف ، بقرينة السلم والأعناق [ طويل ] :

تُرَشِّفُهَا فِي السَّلْمِ مَاءً جَفْوِنَاهَا فَتُجْزِأُ عنْ مَاءِ الْطَّلَى وَالْبَادِلِ 36/42

(1) يحيى مضارع حتى ويحيى ابن حمدون هو ممدوحه .

(2) تجزأ عن : تغنى أو تستغني عن ... وبالآدل ج بآدلة صفحة العنق .

فيتوجه البيت الى فهمين ممكّتين : السيف تشرب دموعها كمدأ ، وكمدّها ناتج عن قعودها عن المعارك . أو هي تشرب دم أغمادها ، انتقاماً لنفسها من بطالتها التي أغلقتها .

وبعد ، هذه النماذج من الصنعة ينبغي أن لا تحملنا على حشر ابن هانىء في مدرسة البديع وجعله من أتباع أبي تمام وابن المعتز لا غير . فالتألق في التعبير والتلطف في تجديد الفكرة ليسا وليدياً القرن الثالث / التاسع ، بل حتى الجاهليون كانوا يسهرون ويقلبون ويحورون حتى يستوّي لهم «الحولي المحكّ» ، ويزعم ابن هانىء نفسه أنه جعل هؤلاء القدماء نصب عينيه فصاروا عنده المثال الذي يُحتذى . على أن إكثاره من هذه الأساليب والمحسنات يخرجه عن صفت شعراء الفطرة والعفوية ويقرّبه من شعراء التعلم والصنعة .

## الازدواج داخل البيت

هو ضرب من الموازنة بين الصدر والعجز يفضي الى تقسيم البيت إلى وحدتين معطوفتين متوازيتين في عدد الكلمات وموازينها ، متماثلتين في المعنى أو مختلفتين . ويسمّيه البلاغيون « رد الأعجاز على الصدور » . وهو امتداد للقاعدةعروضية التي توجب استقلال البيت عن سابقه وعن لاحقه . فالاستقلال هنا يلحق الشطرين أيضاً ، فيختلفان أو يتشابهان في المعنى ، ولكنهما يتساويان في الكثيّة الصوتية : [ رمل ]

فلقد ذَكَرَ مَنْ كَانْ سَهَا      ولَقَدْ نَبَّهَ مَنْ كَانْ رَقْدْ  
فَإِذَا مَا كَدَرَ الْعِيشَ نَمَا      وَإِذَا مَا طَبَّ الزَّادَ نَفَدْ

وقد يؤكّد الشعراء على المماثلة فيجعلون للصدر قافية كما للعجز . لأنّ القاعدة المتّبعة هي أن لا تتمثل القافية في الضرب والعرض إلا في مطلع القصيدة . ولكنّ القدامي كانوا يتصرّفون بحرّية ، فربّما صرّعوا البيت - أي

جعلوا لشطريه نفس القافية - في داخل القصيدة ولا يصرّعون مطلعها . وقد ساق ابن رشيق منه نماذج عند الجاهليين والإسلاميين<sup>(1)</sup> .

هذا النوع من التصريح هو النوع البسيط المتداول . ولكن الشعراء تفتقروا وأغرقو فقسموا البيت ، لا إلى وحدتين متوازيتين فقط ، بل إلى ثلاث وحتى أربع وحدات ، وختموا كل وحدة أحياناً بقافية مماثلة للقافية الختامية ، وابتوجه أهل الصنعة بهذا الاكتشاف فرحبوا به وأطلقوا عليه اسم « التتصريح » . وعند شاعرنا نجد منه أنواعاً، من التقسيم الثاني كما رأينا ، الى الثالثي : [ كامل ]

والزاغية شرّع ، والمشرف بية لمع ، والمقربات صفو<sup>(2)</sup> 15/53  
إلى الرباعي : [ طويل ] .

فؤادك خفاق ، ووكرك نازح 16/3  
وروضك مطلول ، وبأنك مهضوب  
وحتى السادس ، مثلما في هذا البيت الذي يحكي بتفطّعه سرعة  
الحركة في أذني الفرس : [ كامل ]

فتقدما وتنصبا وتشرقا وتحرقا 15/30  
ولَا يكون النجاح حليفه دائمًا ، بل يتورّط أحيانًا في أبياتٍ لا قيمة لها إلّا  
الترانيم المعجمي الذي يضطره اليه طلب القافية الداخلية : [ كامل ] .

وعوابس وقوانس وفوارس 19/45  
وكوانس وأوانس وعقالٌ<sup>(3)</sup>  
والتنويع يلحق المعاني أيضًا فربما كان العطف بين الوحدتين يحمل  
مقابلةً كالمقابلة بين حالي الحرب والسلم عند المعرّ ، الا أنهما حالتان  
تشابهان في أمر : السيول من الدم ، دم الأعداء أو دم الأضحى : [ طويل ]

(1) العمدة 1/175 . قال في الفرزدق : وكان قليلاً ما يصرّع او يلقي بالآ بالشعر .

(2) الزاغية الرماح . والمقربات هي الخيل .

(3) القوانس : الأستة . الكوانس : الظباء في كناسها .

أو ترميان الى نفس النتيجة ، كبيان عتق خيل المعز : [متقارب]

ومن رفقها أنها لا تحس ومن عذوها أنها لا ترى

23/58

هذه الأساليب تعجب النفس إذا وردت لاماً بين الفينة والفينية ، وإذا رمث الى غرض معنوي فتحققته . أما إذا كثرت وتكررت واقتصرت على الرياضة اللفظية والبلهنة العروضية ، فإنها تستقل وتتجهها النفس . هذا ما عبر عنه أبو هلال العسكري بعد أن نقل نماذج من الترصيع المكروه عند القدماء كالخنساء وأبي صخر الهدلي<sup>(2)</sup> . وهذا ما يقع فيه صاحبنا أحياناً : ففي القصيدة الخمسين مثلاً ، صرّع ورصف خمسة وعشرين بيتاً - من خمسة وسبعين - أي ثلث القصيدة !

## لغة الشاعر . طلب الغريب

نبه المرحوم زاهر علي ، شارح الديوان ، الى بعض المفردات من قاموس الشاعر « غير مقيدة في كتب اللغة المتداولة<sup>(3)</sup> » فأحصى منها ثلاثة كلمات . وهي في الحقيقة كلمات عربية ، وأوزانها توافق أوزان الصرف والاشتقاق ، الا أن المدلول الذي يسنده اليها الشاعر يخرج عن المتعارف ، مثل « التاح » - افتعل من لاح يلوح - في معنى المجرد ، أو « استبد » في معنى : وَجَدَ بُدًّا مِنْ كذا ، أي وجد مخرجاً ، فـ « لا نستبد » في البيت التالي تعني عنده : لا نجد حيلة : [متقارب]

(1) الشوى : أطراف البذن .

(2) الصناعتين 392 . قال : « وقد تعاطى نفر من القدماء [ هذا النوع ] ظهر فيه اثر التكليف ، ويان عليه سمة التعسف » . وعرف الترصيع بقوله : « ان يكون حشو البيت مسجوعاً » .

(3) تبيين المعاني ص 59 من المقدمة .

91/14 كلنا نشع من كأس الردى غير أنا لا نرانا نستبد

وهي نماذج ، إن صحَّ شذوذها في المعنى - وهذا يقتضي بحثاً مدققاً مطولاً في لغة الشاعر ومقاييسها الصرفية مع مقارنتها بالعُرف المُعجمي - تدلّ على أنَّ ابن هانىء ، مثل كلَّ المبدعين ، لا يتهيَّب الابتكار الجريء وخلق المدلولات التي لم تدونها المعاجم .

ولكنَّ الغريب الذي نقصده هو الكلمات المهجورة لثقل جرسها ونبأ حروفها مع صحة انتسابها إلى لغة الضاد ، كانَ الشاعر ، وقد أراد أن يفرض نفسه في جميع الأغراض والأساليب التي اشتهرَ بها القدماء ، تعتمد نوعاً من « التمارين الأسلوبية » فأخذ نفسه بصنع شعر بدويٍّ . وقد فاته أنَّ شعراء الحماسة والهذلتين وأصحاب المعلقات لم يعتمدوا إلى معتاص اللفظ ولم يقصدوا إليه قصداً ، بل كثيراً ما يأتي كلامهم سلساً مقبولاً محبوياً مع الجزلة والدقة . وصاحبنا لا يكتفي بالكلمة الواحدة ، بل يثقل البيت بالثنين والثلاث ، فيستغلق الفهم وتشمىء الأذن : [ طويل ]

1/47 أصاحت فقالت : وقع أجرد شيطهم وشامت فقالت : لمع أبيض مخدِّم

مما دفع ابن رشيق إلى الاستنكار فضمَّ شاعرنا إلى « أصحاب الجلة والقعقعة بلا طائل معنى ... وليس تحت هذا كله إلا الفساد ، وخلاف المراد » ويأسف لترك ابن هانىء السليقة وجنوحه إلى التكلف فيضيف : « إذا عمل بطبيعه وعلى سجيته ، دخلَ في جملة الفضلاء . وإذا تكفلَ الفخامة وسلك طريق الصنعة ، أضرَّ بنفسه وأتعبَ سامعَ شعره<sup>(1)</sup> » .

ولا شكَّ أنَّ الطبع خانه ، والذوق خالقه ، حين نظم قصيدةٍ على روى الثناء والخاء ، فالتمس لهما القوافي فاضطرَّ إلى تجريد المعاجم من موادها المختومة بهذين الحرفين ، فانتهى من الثناء أربعاً وعشرين مادةً - من

. (1) العدة 125/1

السعين التي تذكرها المعاجم - واحتار من الخاء ثلاثة وأربعين من مائة وأربع عشرة ، أي اضطر إلى استعمال ثلث المادتين تقريباً ، ولم يعصم الانتقاء من الوقوع في الحوشى النابي كالفرع العجاجىث ، أي الشعر الكثيف : [ طويل ] .

29/7 تورّقت عن دنياك ، وهي غريرة لها مبسم برد وفرّغ جثاجث أو الطخطة ، في معنى ظلام الليل أو ضعف البصر : [ طويل ]  
45/11 رجال أصلوا رائداً فهَدَيْتُم وجَلَيْتُم عنه العماء وطَحَنُخوا

### الرصيد الثقافي المشترك

إن تعلق ابن هانئ بالبداوة لا يتمثل فقط في شغفه باللغظ الجزل والكلمة القوية وحتى الحوشية، وإنما يتعدى أيضاً إلى العادات العربية والتقاليد الجاهلية ، والأعلام المشهورين بشجاعتهم أو حلمهم أو كرمهم ، وأسماء الأماكن التي رددتها الشعراة القدامي ، وحتى أعلام الخيل والإبل . هذا علاوة على التقاليد الأدبية التي صارت بكثرة التداول قواعد راسخة ، كالوقفة الباكية على الأطلال ، والرحلة المضنية إلى الممدوح ، في حرّ الهجير ومخاطر الوحش .

وقد سقنا، أثناء دراستنا لمقدّمات قصائده في الفصل السابع، نماذج كثيرةً من هذا الذي نسميه الرصيد الثقافي لكلّ عربي له نصيب من العلم والمعرفة ، وقد قيل إن الثقافة هي ما يتبقى في أغوار النفس بعد أن ينسى المرء كلّ ما تعلّمه . والعلم الذي يتلقاه الطالب العربي كان إلى عهد غير بعيد يُسْتَمدَّ من «الميثولوجيا» الجاهلية والإسلامية ، أي من روايات أيام العرب وأمجاد القبائل وشجاعة المجاهدين الفاتحين ، وقيم الشعراء الفرسان والمثل العليا السائدة عند شيوخ العشائر ، حتى صارت أسماء حاتم أو كعب بن مامّة

أو هرم بن سنان أو كلبيب وائل أو بسطام بن قيس أعلاماً مندمجةً في الرصيد اللغوي ، كأنها رموز للكرم والشجاعة والعزة<sup>(1)</sup> . فإذا صار الشاعر أو الكاتب إلى مدح جواد ذكر بصفة آلية حاتماً أو هرماً ، وإذا أراد تمثيل الشجاعة استحضر في الحال صورة عنترة أو خالد العameri ، مثلما أن الشاعر المتعزّل إذا ما وصف تثبيت محبوبته مثل قوامها بغضن البان ، وقد لا يعرف ما هو البان ولا رأه قطّ .

وليست هذه الصور الجاهزة ، أو « الكليشيات » كما يقولون استهجاناً ، ليست خاصة بالحساسية العربية . فالملحق الأوروبي يستحضر أيضاً بصفة شبه آلية الرصيد الإغريقي - اللاتيني الذي تلقاه في دروس « الإنسانيات الكلاسيكية » . بقي أن الفرق بينه وبين المتآدب العربي القديم يكمن في أن الفرنسي أو الإيطالي قد يستحضر أيضاً بطولات محلية فرنسية أو إيطالية أو إسبانية ويراجع تاريخ بلاده وأمجاد وطنه . أما الإفريقي في القرن الرابع وحتى بعده ، أما المغربي وحتى الأندلسي ، فلا يحيل ذاكرته إلا إلى الموروث الثقافي فإذا رام تشبيه رصانة الممدوح وحلمه لم يتوجه إلى الجبال القرية منه ، بل إلى جبل رضوى الحجازي أو متالع الطائي . وإذا أشاد ابن هانئ بعظمة السفن المعزية ، المنشأت في البحر كالأعلام ، فالعلم الذي يتبارد إلى ذهنه ليس جبلًا مغربياً ، بل هو ككب المعادي لعرفات : [ طويل ]

39/13 وليس بأعلى كبكت ، وهو شاهق وليس من الصفاح ، وهو صلود  
إذا عظم مناعة الحصن الذي افتحه جعفر ، مثله بحصن المسؤول  
وحوّل جبال كيانة إلى بادية تيماء في جزيرة العرب : [ طويل ]

1/16 بلـى ! هذه تيماء ، والأبلق الفردُ فَسَلْ أجماتِ الأسدِ ما فعل الأسدُ !

(1) انظر في هذا الصدد تحقيقنا للقصيدة الفزارية في الحوليات 10/1973 . وكذلك دراستنا لأدب أيام العرب : الحوليات 20/1980 .

والخيل لا تكون الا من سلالة ذي العقال وأعوج : [ كامل ]

25/24 من آل أعوج والصريح وداحس فيهن منها ميسم ونجار وكذلك الحبيبة ، أسماء أو هند أو أروى ، لا تكون الا أزدية مثله أو طائية متمتعة أو عدوية شامخة .

ولستنا نعيّب على الشاعر المغربي انصرافه عن محیطه ولا نتهمه بخيانة وطنه ولا نرميه بالمسخ الثقافي ، فهو يستحضر ما لقنه ويرجع ما أعطيه ويعتبر أنه يؤدي أمانة إلى أهلها ، والأهل هم كل الشعوب التي تعطيها الثقافة العربية - الإسلامية . ولعله إن هو ذكر جيلاً بأفريقية عوضاً عن يذبل ، أو نهرأ مغربياً بدلاً من الفرات أو النيل ، حكم على شعره بالمحدودية الإقليمية الضيقة وصرفه عن الرواج وأغلق في وجهه الأفهام .

## الميل إلى الأقدمين

اعتماداً على هذه الأزدواجية بين القديم وال الحديث في شعر ابن هانئ ، قد تكون محمولين على وضعه في منزلة وسطى بين مدرسة الجاهليين ومدرسة المؤلفين أصحاب الصنعة . هذا بالرغم من رفضه هو أن ينسب إلى أبي تمام وأضرابه من بعيد أو من قريب ، فقد أعلن عن ميله الأدبي في قصيدة أشاد فيها بفصاحة الممدوح ، فقال إنَّ بيان هذا البكري يؤهله أن يكون صنواً لا للطائيين ولا حتى للفرزدق وجرير ، بل لفحول الأقدمين كعلقمة وامرئ القيس : [ بسيط ]

20/60 ثقفت منه أدبياً شاعراً لسنَا شتى الأعارض محدودَ الأحاجيَ  
22 مستطلعاً لجوابي من بديهتهِ فما يجاوِهُ مثلُ النواسِيَ  
23 من لا يفاخر بالطائِيَ في زمِنِ ولا الخزاعيَ في عصرِ الخزاعيَ  
24 ولا الفرزدق ، والفارغ لهِ ولا جرير ، ولا الراعي التميريَ

25 لكن بعلقة الفحل الذي زعموا في الشعر، أو بأمرىء القيس المراري

وكانه نسي تقليله لأبي نواس في الرحلة الخمرية وللفرزدق أو عمر في المغامرة الغزالية . ولكن هذا التناقض معروف عادي عند من يصدرون الشعارات والبيانات دون أن يوائموها بين المبادئ الطنانة وواقع تجربتهم الشعرية .

ويعود الى الإعلان عنْ يُعجب بهم من الشعراء السابقين فيطرح الحجازيين وشعراء القرن الأول من حسابه ، ولا يرتضي قرناً له إلا عبد بن الأبرص : [ كامل ]

43/25 صنع يؤلف من نظام كواكب طلت لغير كثير والأحوص مبتلجات قيل في أزديها ما قيل في أسدية ابن الأبرص حتى إن بدا منه بعض الترفع عن شاعر جاهلي كما في هذا البيت :  
[ متقارب ]

28/58 ومن أجل ذلك لا غيره رأى الغنوبي بها ما رأى وكان يجيد صفاتِ الجياد وإن بها اليوم عنه غنى فإنما هو ترفع في الظاهر فقط ، فالتأريخ الصحيح يبقى لطفيل صفتة البارزة وهي الإجاده في وصف الخيل والاطلاع على كل خصالها ، إلا أن المعز أيضاً بها عارفٌ وعليها عطوف فصارت في غنى عن الغنوبي .

### ابن هانئ والمتنبي

هذا موقف صاحبنا من شعراء صدر الإسلام والقرن الثالث ، وهذا إعجابه العلني بالفحول الأقدمين . أما موقفه من معاصره الكبير ، أبي الطيب المتنبي ، فلا يخلو من غموض كما سرى بعد قليل . وإن ما يتطرق فيه من

إجاده في المدح وغلو في المعانٰي ومتانة في التعبير وتوسيع في الخيال ، حمل النقاد وأصحاب المختارات الى المقارنة بينهما ، بل جاوز بعضهم المقارنة فاختلق أو تخيل لقاءً بين الشاعرين على شواطئ قابس<sup>(1)</sup> . فالتشابه في الأغراض والأسلوب مبرر أول للمقارنة بين شاعر سيف الدولة وشاعر المعز ، ولكن المبرر الحقيقي هو ميل المشارقة الى اعتبار أنفسهم أوصياء ثقافتين على المغرب ، وشعور المغاربة بأنهم مدينون للمشرق ، وهو منبع الثقافة العربية الإسلامية ، بكل ما لقنه وحفظوه . وهكذا فعبارة « متني الغرب » التي أطلقت على صاحبنا قد تؤول بتأويلين : تأويل الاستعلاء إذا كان أول الناطقين بها مشرقياً ، وذلك بجعل المتني في موقع المشتبه به ، أي المعivar الذي يقام عليه والمثال الذي يحتذى . أو تأويل الغيرة والمنافسة إذا كانت العبارة صادرة عن مغربي ، فكأنه يباهي المشرق بهذا الشاعر الذي وصل إلى مرتبة شاعرهم الكبير رغم اختلاف البيئة وحداثة السنة الثقافية وعجمة المحيط الخ . . . وعلى هذا النمط يمكن أن نبرر أيضاً التماسهم نظيراً للبحترى تارة في ابن دراج القسطلّي وأخرى في ابن زيدون القرطبي وحتى في علي الإيادي التونسي . هذا الاستعلاء المشرقي قد مثّله قوله الصاحب بن عباد حين تصفّح كتاب العقد الأندلسي فقال ، مثل إخوة يوسف : « هذه بضاعتنا رُدْت إلينا »<sup>(2)</sup> . أما الشعور بالنقض والتبعية عند المغاربة فلم يطل ، بل سرعان ما انقلب الى اعتزاز بالأمجاد المحلية وتعلق بفضائل الأندلس كما يظهر من كتابات ابن حزم وابن بسام والشقنقدي ؛ وتتحذ المباهاة أشكالاً فكهة كتفصيل لسان الدين نهر الشنيل الغرناطي على النيل المصري ، لأن حرف الشين في حساب الجمل يساوي ألفاً<sup>(3)</sup> فأصبح للأندلس ألف نيل ! وقربياً منا ، فضل بعض شعرائنا نهر مجردة على النيل لا لشيء إلا لأن النهر التونسي خلُوًّا من التماسح ، فالسباحة فيه آمنة<sup>(4)</sup> .

(1) شذرات الذهب لابن العماد 3/42 تحت سنة 362 . (2) يوسف ، 65 .

(3) إحاطة نشرة عنان 124 و 341 .

(4) ولعل شاعرنا أخذ الملحة من نفع الطيب 1/308 ( الرفاعي ) : « ونهرها نيل بلا تمساح ! » .

ومهما يكن من دوافع هذه المقارنة بين ابن هانئ والمتنبي ، فإن عبارة الممائلة هذه - وهي من كلام ابن خلkan في الأصل - قد أسيء نقلها وأسيء فهمها . فصاحب الوفيات اكتفى بأن قال : « وهو عند المغاربة كالمتنبي عند المشارقة » فقارن بين منزلة الشاعرِين كلَّ عند قومه ، لا بين الشاعرين ولا حَكْمَ بيتهُما ولا قابل الواحِد بالآخر . ولكنَّ العبارة نفقت وراجت حتى صار ابن هانئ يدعى متنبي الغرب وبقي هذا اللقب لاصقاً به إلى اليوم . ولكن لندرس بالتدقيق موقفه من صنوه أو منافيه !

### القصيدة الحادية والعشرون في المتنبي

لقد لفتنا النظر ، بعد قارثيا - قومث ، إلى أهمية هذه القصيدة ، لتحديد موقف ابن هانئ من أبي الطيب . وظروف نظمها مذكورة في التوطئة ، ومفادها أنَّ الشاعر استعار من أديب إفريقي نسخة من ديوان المتنبي مصحوبة بشرح ولكنه أبطأ في إرجاعها وماطل ، فغضب صاحبها واقتضاه بلهجة عنيفة . فنظم الشاعر الأبيات ، يلومه على اساءة الأدب ويتهم بقصوره عن فهم شعر المتنبي فضلاً عن شرحه . والقصيدة بعد هذا لا تخلو من غموض ، وكثير من أبياتها يضطرنا إلى التأويل والافتراض .

يبدأ الشاعر بالإشارة إلى علو صيت الشاعر بإفريقية ، ولكنه صيت مبني على سو فهم لشعره ، واندفاع نحو الشهرة العابرة . أما هو ، فلا يرسل الأحكام جزافاً واعتباطاً ولا ينساق مع الهوى السائد : [بسيط]

- 1/ تنبئه المتنبي فيكم عُصرا ولو رأى رأيكم في شعره كفرَا<sup>(1)</sup>
- 2 مهلاً ! فلا المتنبي بالنبي ، ولا أعدّ أمثاله في شعره السُّورَا ثم يستغرب ادعاء الخصم أنه لقيَ المتنبي وأخذ عنه الديوان مشافهةً ،

---

(1) اخترنا قراءة « تنبئه » عوض « تنبأ » وقد وردت القراءتان في النسخ .

مع أنَّ الشرح الذي صنفه لا يخدم قطْ شهرة المتنبي نظراً لما فيه من تحريف لللفظ والمعنى ، ومن تحريراتِ مصححة :

3/21 تهتم علينا بمرأه، وعلَّكم  
لم تدركوا منه لا عيناً ولا أثراً  
أوريثموه حميد الذكر إن ذكرا  
تُعلوا له عندنا ذكرأ ولا خطرا  
ما يضحكُ الثقلين ، الجنّ والبشرًا  
في حالٍ ، وزعمتمْ أنه حصرًا  
شافهتموه ، فهل شافهتمُ الحجرًا ؟

4 هذا ، على أنكم لم تنصفوه ، ولا  
5 ويلعنه شاعرًا أحملتموه ، ولم  
6 فقد حملتم عليه في قصائده  
7 صفحتم اللفظ والمعنى عليه معاً  
8 إذ تقسّمون برأس العير أنكم

ويؤكّد على جهل هذا الشارح المدعى العلم ويسخر من شرحه المزعوم  
الذي كان يشنّي المتنبي عن قول الشعر ويزهّده فيه لو قرأه :

إنا نرى عظةً فيكم ومعتبراً  
فاوغضتمُ العير في فحواه والحمدرا  
ما بات يعمل في تحبيره الفكرأ<sup>(1)</sup>)  
كالأعجميَّ أتى لا يفصح الخبرا

9/21 فما يقول لنا القرطاس ويلكم ؟  
10 شعرًا أحطتم به علمًا كأنكم  
11 فلو أصاخ اليكم سمع قائله  
12 أريتموني مثالاً من روایتكم

ثم يذكر أنه سهر عليه الليلي - على الشرح في رأينا - يصلح ويقوم  
ويصوب ، حتى كاد يستوي شرحاً مقبولاً ، فإذا بالشخص يتقاضاه في  
إلحاح وعنجهية :

حتى ردتُ اليه السمع والبصرًا  
حتى إذا ما بهرَ الشَّمْسَ والقَمَرَا  
ومن معاريضكم ما يشبهُ الضجرًا  
إذا أتت زمراً أردفتُمْ زمرا

13/21 أصمّ أعمى ، ولكنّي سهرت له  
14 كانت معانيه ليلاً فامتعضت له  
15 ضجرتُمْ ، وأتانا من ملامكم  
16 تترى رسائلكم فيه ورسُلَّكم

(1) في جميع النسخ : لو يصيغ ، ولا يستقيم المضارع مع الإشارة في البيت 18 الى أن المتنبي مات . فلذلك حولنا الفعل الى الماضي . على أن هذا الإصلاح لا يعني الافتراض ضرورة للزمن الماضي .

17 فلو رأى ما دهانى من كتابكُم وما دهى شعره منكم ، لما شَعَرَا  
 18 ولو حرصتم على إحياء مهاجتهِ كما حرصتم على ديوانيه ، نُشرا  
 فاضطر إلى إرجاعه برمته - بعد أن حاول استبقاء أجزاء منه لمزيد من  
 الشرح ؟ - فيقي منقوصاً مشوهاً ، وعلى كل حال ، ما كان الخصم ليتغافل به  
 نظراً لضعف بصره بالشعر وسطحية تفكيره وفساد ذوقه :

19 هُبُوا الكتاب رددناه برمته فمن يردد لكم أذهانكم أخْرَاً ؟  
 20 لئن أعدتُ عليكم منه ما ظهرَ فما أعدتُ عليكم منه ما استترَ  
 21 أعرتموني نفيساً منه في أدمٍ فَمَنْ لَكُمْ أَنْ تَعَارُوا الْبَحْثُ وَالنَّظَرُ !!

هذه القصيدة تدفعنا إلى استخلاص الملاحظات التالية ، وقد سبق  
 قارئاً - قوميت إلى البعض منها :

1 - أنَّ ديوان المتنبي قد وصل إلى افريقيَّة مبكرًا ، في حياة الشاعر أو  
 بعد وفاته (965/354) بقليل .

2 - أنَّ الأوساط الأدبية بإفريقيَّة تعلقَت بالديوان وطلبت له الشروح  
 وأعجبت بصاحبِه ، وربما زهدت بالتالي في الشعراء المحللين ، ومن بينهم  
 ابن هانىء .

3 - أنَّ شاعرنا ، رغم تحفظه إزاء شهرة المتنبي ، قد سهر الليلَيَّ في  
 دراسة شعره وربما اعترض أن يؤلف شرحاً على الديوان أو شرع فيه فعلًا ،  
 حسب ما نفهم من الأبيات 14-13 و 20-19 . ولا ذكر لهذا الشرح عند  
 المترجمين للشاعر ، فلعله لم يتجاوز حدَ النية والعزم . وعلى كل حال ، فإنَّ  
 ابن هانىء يعترض بأنه درس هذا الديوان مدة طويلة وسهر عليه وعالجه ظاهراً  
 وباطناً . وفي هذه الممارسة ما قد يفسر الشبهة الكبير الذي يُلاحظُ في شعر  
 الشاعرين ، أي يؤيد فكرة التأثر بالمتنبي ، إن لم نقل تقليل المتنبي .

4 - أنَّ ابن هانىء متذبذب إزاء أبي الطيب : لا يشاطر الناسَ إعجابُهم

المفرط به ، ولا يتجاسر على انتقاده صراحةً .

5 - لعل الاهتمام بالمتني المتمثل في هذه القصيدة بالذات ، هو السبب في تلقيب شاعرنا بـ «متني الغرب» ، بقطع النظر عن عبارة ابن خلكان . فيكون اللقب صادراً عن اعتزاز من المغاربة بشاعرهم وتباهٍ به - لكم متنيكم ولنا متنينا - وأيضاً عن خوفِ من منافسةٍ ممكّنةٍ من شعراء قادمين من المشرق . وهذا الخوف هو الذي ولد في نظرنا خرافات اللقاء بين الشاعرين على خليج قابس . وبواحدُ المنافسة قد تمثلت في المدحّة التي أرسلها الصنوبرى من حلب إلى جعفر بن حمدون .

6 - ليس من السهل أن نبتئ في مسألة تأثر ابن هانىء بالمتني . فما يلاحظ من تشابه في شعرهما ليس بالضرورة نقلًا أو تقليداً أو محاكاً ، وإنما هو في بعض القصائد تشابه في المعاني والأغراض تولد عن تشابه في الظروف والحالات ، كالقصائد الجهادية مثلًا : فالخصم هو الرومي هنا وهناك ، والدافع هو الجهاد ، والرمزُ هو التوحيد أو الشرك . على أن السلاح قد يختلف : فإن ابن هانىء يلحّ في وصف الأسطول والنار الإغريقية . أما التشابه في الافتخار بالشاعرية والشكوى من الحساد ، فليست هذه معانٍ خاصة بالشاعرين ، بل لا يخلو شاعر محظوظ عند مدوح من حساد ومنافسين ، وكذلك الأمر في التأملات الحكمية - تلك التي سماها ابن هانىء «أمثالاً» ولم يعتبرها آياتٍ وسوراً - فهي من الرصيد الفلسفـي المشترـك عند كـافة البشر .

7 - لكن ، لا يسعنا إلا أن نتساءل ، عندما نقف على مماثلةٍ شبه تامةً ، لا في المضمون فقط ، بل وفي العبارة أيضاً كاستخدام صيغة «فعول» في الأكل والشرب وإسنادها إلى جيش المسلمين عند الشاعرين :

المتنبي : [ طويل ]

أغرَّكمْ طول الجيوش وعرضها؟ على شرُوبِ للجيوش أكولُ! <sup>(1)</sup>

(1) على هو سيف الدولة ، والخطاب للروم .

ابن هانىء : [كامل] 80/40  
حتى إذا ارتعص القنا، وتلمّظت حربُ شروب للنفوس أكول...  
أو الاتفاق في وصف جيش العدو بالكثرة والجلبة :  
المتنبي : [طويل]

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمام  
ابن هانىء : [كامل]

جاووا ، وحشو الأرض منهم جحفل لجُب ، وحشو الخافقين صهيل  
نتساءل فحسب ، ولا نتهم صاحبنا بالسطو على معاني غيره . ولا  
نستبعد على كل حال التأثر بديوانِ درسه بإمعانٍ .

على أن هناك فرقاً أساسياً بين الشاعرين : ابن هانىء شاعر عقيدة  
ومذهب، آمن بالدعوة الإسماعيلية فسخر لها طاقاته ولم يسخرها لغيرهما . أما  
المتنبي فشاعر أمراء وملوك متعددين مختلفين، طلب النفوذ والجاه وسخر  
عقبريته لمدح من هُم دونه، طمعاً في الوصول إلى مبتغاه فلا قوة تحرّكه غير  
الطموح الشخصي .

### غنائية ابن هانىء

لعلنا ظلمنا الشاعر بإلحاحنا على الجوانب التقليدية في شعره ، كأننا  
نفيينا عنه كلّ حساسية ذاتية وكلّ طرافة . والحال أنه ، على الرغم مما تضطّره  
إليه وظيفته لدى المعزّ كشاعر رسمي للدولة والدعوة ، من كبيٍّ لعواطفه  
واقتصارٍ على ما يروق للممدوحين ، فإنه يتخلّص بين الفينة والأخرى من  
كابوس المقولات الرسمية فتَبَرُّز على صفحات الأبيات الإحساسات  
المكظومة ، كالشفقة والرحمة والحسنة . وقد وجدنا من هذه الحساسية مثلاً  
في مدحه جوهر التي تعرض فيها إلى أسر ابن واسول ومقتل ابنه ، ذلّكم

القضيب البانع الذي قطع<sup>(1)</sup> : [ طويل ]

45/10 ولا كابنه أذكى شهاباً بمعركٍ  
 وأجمح في ثني العنانِ وأطمها  
 46 مَرَّتْ لَكَ فِي الْهَيْجَاءِ مَائَةَ شَبَابٍ  
 يَدُّ فَجَرَتْ مِنْهُ جَدَالَ سُيَّخَا  
 47 وَأَثَكَلَتْهُ مِنْهُ الْقَضِيبَ تَهَضِّرَتْ  
 أَعْالِيهِ ، وَالرُّوْضُ الْمَفَوْفُ صَوْحًا<sup>(2)</sup>

هذا الترجم الخافت على الغصن المكسور والروض الذي جفت دليلاً  
 على أن الشاعر قد تغلبه العاطفة فيتكلّم بقلبه غير أبي لما يكون من ممدوحه من  
 تساؤل أو استنكار .

ولكن الغنائية ليست بالضرورة متৎساً للعاطفة المكبونة . فحتى في  
 الإشادة بخصال الممدوح ، إذا كانت علاقة الشاعر به علاقة ود صادق وولاء  
 مطلق ، يمكن أن تبرز غنائية من نوع آخر : التعلق المتين والخشوع الشبيه  
 بعبادة المؤمن لربه أو خضوع العاشق لمحبوبه ، كما يظهر من هذا الدعاء  
 الذي ختم به آخر قصائده : [ طويل ]

171/47 فلا برحة ترى عليكم من الوري  
 صلاةً مصلٍ أو سلام مسلم

ومن هذا الالتزام الذي لم تسمح له المقادير بتحقيقه :  
 182/47 واني ، وإن شط المزار ، لراجع إلى ود قلب في ذراك مخيّم

(1) انظر الفصل الخامس ص 162 .

(2) مرى بعرى (باب ضرب) الدم : أجراء وتهضرت الأغصان : تهدلت وانكسرت وصُوْخَ  
 النبُّ : يس .

## الحقد على خصوم الإمام

ومن الغنائية كذلك، الضعينة على أعداء الفاطميين ، وهي كراهية لم يسلم منها حتى الشیخان أبو بکر وعمر . وقد رأينا في حملته العنيفة على أصحاب السقیفة ومشترکی بدر وسفاقی کربلاء، حقداً لا يمكن أن يكون مکذوباً مفتعلًا، بل هو صادر عن نفس لا تزال تستفظع التکیل الذي سلط على آل البيت منذ وفاة الرسول :

144 / وأولى بلومٍ من أمية كلها  
إإن جلَّ أمرُ من ملامٍ ولومٍ

145 أنسٌ هُم الداءُ الدفينُ الذي سرَى  
إلى رمَّمٍ بالطفِ منكم وأعْظمُ

146 هُم قَدْحُوا تلك الزناَد التي وَرَتْ  
ولو لم تُشبَّ النارُ لم تتضَرَّمٍ (2)

## التهكم بهم

ومن الغنائية أيضاً التندر بالخصوم: المروانيون الذين لا يعرفون من الدماء إلا دم المحيض ، والعباسيون في انحلالهم بين القیان والغلمان وعجزهم عن كل حركة لأنهم لحم على وضم ، والروم الذين دأبوا على تنفيل

(1) جیب المحب هنا قلب وصدره والرجل الحرام : المُحَرَّم والمُهَيَّن : الذي ينادي ربَّه بالدعاء الخفي .

(2) انظر الفصل التاسع / 281- 284.

المعز بالهدايا المتالية من حيوش وعتاد حتى اضطر الشاعر إلى حيث الإمام  
على قبولها من هذا الدمستق الججاد : [كامل]

46/ ذَرْهُ يجْمِعُ الْفَلَكَ كَتِبَهُ  
فَهُوَ الْتَّكَوُنُ وَجَمِيعُهُ الْمَفْلُوْلُ  
65 وَهُوَ الَّذِي يُهْدِي حُمَّةَ رِجَالِهِ  
نَفَّالاً إِلَيْكَ، فَهَلْ لَدِيكَ قَبُولُ؟

## التأملاتُ الحكيميةُ

تنطِّقُ الغنائمةُ أيضًا في الأبيات الحكيمية التي تتخللُ المرائي وبعض المدائح، من تسؤال في الحياة والموت ، وشكوى من الدهر وصروفه ، وتحسّر على الشباب الذي يمضي ، وهلع الإنسان أمام نهاية المحتملة . وهي معانٍ معروفة متداولة ، وخاصية الحكماء أن تنطق عن كل لسان في كل عصر ومكان ، ولقد سبق إليها فحولٌ كلبيد بن ربيعة وأبي ذؤيب الهمذاني . ولا يكتفي شاعرنا بتردیدها على وجه تقريري ، بل يتلمس لها التمثيل والتوصير ، كما فعل في هذه المشاهد الحيوانية التي تشعر بأنّ الفناء مكتوب على كل حيٍّ مهما كان قويًا ومهما اعتصم وتحصن : [رمل]

66/ لو مُعافٍ من خطوب عوفيت  
لقوّةٌ بين هضابٍ ونجدٍ  
67 ترتبي مرهوبةً تحسبُها  
كوكب الليل على الليل رَصَدْ  
68 تلك ، أو مغفرةً في حالٍ  
تأمين الإنس إذا الوحش شَرَدْ  
70 ... حيث لا النازل معهودٌ ، ولا  
الماء مورودٌ ، ولا القلب ثَمَدْ  
71 تلك ، أو وحشيةً أدمانةً  
انبتت أنقاءً رَمَلٍ وعَقَدْ  
74 ... وهي في ظلِّ أراكِ مائدٍ  
ترتدي المَرَدْ إذا ذابَ الْوَمَدْ  
82 ... تلك ، أو أيامٍ خفيفٍ وطُؤُهُ  
يربأ القُفَّ كَلُوءًا مَا هَجَدْ  
83 بات يُدْنِي حُمَّةً من حُمَّةٍ  
وهو يطوي مَسَدًا فوقَ مَسَدْ  
87 .. ذاك ، أو جبارٌ غَيْلٌ أَشِبٍ  
طرَدَ الأَسَادَ عَنْهُ وانفَرَدْ

88 نازِلٌ كُرِسِيًّا أَرْضٍ، هَابَةً مَلِكُ الْخَابِلِ فِيهَا إِذْ مَرُّدُّ. . .<sup>(1)</sup>

لكنَّ هَذِهِ الْخَوَاطِرُ لَيْسَتْ بَعِيدَةً الْغَوْرُ فَلَا يَوْصِلُهَا الشَّاعِرُ إِلَى التَّسَاؤِلِ فِي كِبَرِيِّ الْقَضَايَا الْإِنْسَانِيَّةِ كَسْبِ وَجُودِهِ فِي الْكَوْنِ ، وَمِنْزَلَةِ أَفْعَالِهِ مِنْ حَتْمِيَّةِ الْأَقْدَارِ ، وَازْدَوْجِيَّةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . فَابْنُ هَانِئٍ لَيْسَ فِي لِسُوفَأَ مَا وَرَائِيًّا ، فَكَأَنَّهُ حَصَرَ أَفْقَهَ الْعَقَائِدِيَّ فِي الإِيمَانِ بِالدُّعُوَّةِ الشَّيْعِيَّةِ وَرَبَطَ مَصِيرَهُ بِالْأَئْمَةِ ، فَلَا نِجَاهَ إِلَّا بِهِمْ : [مِتَّقَارِبٌ]

79/58 لِيَعْرُفَكَ مَنْ أَنْتَ مِنْ جَاهَهُ إِذَا مَا أَنَّقَ اللَّهَ حَقَّ التَّقْنِيِّ  
80 كَانَ الْهُدَى لَمْ يَكُنْ كَائِنًا إِلَى أَنْ دُعِيَتْ مُعِزَّ الْهُدَى

### تَدِينَهُ

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا عَنِ الدِّينِ ، فَكَثِيرٌ مِنْ مَعَانِيهِ وَصُورِهِ وَحَتَّى تَعْبِيرِهِ مُسْتَمدٌ مِنَ الْقُرْآنِ . وَقَدْ لَا تَكُونُ هَذِهِ حَجَّةٌ عَلَى إِيمَانِهِ ، إِذْ حَفْظُ الْقُرْآنِ وَمَعْرِفَةُ عِلْمِهِ جُزءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ ثَقَافَةِ الْمُسْلِمِ ، وَلَا سِيمَاءُ فِي الْعَصُورِ الْمُتَقْدِمَةِ . وَلَكِنَّ التَّضَمِينَ الْقَرَآنِيَّ عَنْهُ يَتَكَرَّرُ وَيَتَرَدَّدُ بِدَرْجَةٍ تَنْفيُ أَنْ يَكُونَ مَجْرَدُ اسْتِثْمَارٍ لِرَصِيدِ مُورُوثٍ . نَسْمَعُهُ مُثَلًا يُقْسِمُ بِالْعَصْرِ عَلَى وَلَائِهِ لِلْمَمْدُوحِ : [طَوِيلٌ]

19/18 فَلَا تَسْأَلُنِي عَنْ زَمَانِي الَّذِي خَلَأَ  
فَوَالْعَصْرِ ! إِنِّي قَبْلَ يَحِينِ لَفِي خُسْرٍ !

أَوْ يَشْبَهُ حَبَّ الْمَعْزَ لِلْخَيْلِ بِحَبَّ سَلِيمَانَ لَهَا فِيْضَمَنَ الْحَادِثَةِ الَّتِي رَوَاهَا

(1) الْلَّقْوَةُ أَنِّي التَّسَرُّ وَالْمَغْفِرَةُ أَنِّي الرَّعْلُ تِيسُ الْجَبَالُ وَالْأَدْمَانَةُ الظَّبِيبَةُ وَالْأَئِمَّةُ الْأَنْفُعُ وَجَبَارُ الْغَيْلِ : الْأَسْدُ . عَدَدُ هَذِهِ الْحَيْوَانَاتِ وَوَصْفُهَا فِي وَدَاعِهَا أَوْ فَوْتِهَا أَوْ خَيْبَهَا وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْصِمُهَا مِنَ الْمَوْتِ وَلَا يَعْفِفُهَا مِنَ الْخَطُوبَ . وَانْظُرْ فِي عَيْنِي أَبِي فَؤَيْبِ مَشَاهِدَ مَمَاثِلَةً .

القرآن [ص، 31-33]: «إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعُشِّيِّ الصَّافِنَاتُ الْجَيَادُ ، فَقَالَ : إِنِّي أَحْبَبُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ . رُدُّهَا عَلَيَّ ! فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ». مع فارقٍ واحدٍ ، وهو أنَّ المعزَّ لا يطيبُ خاطره لمثل هذه التضحية : [خفيف]

39/35 أَنَّتِ أَصْفَيْتُهُنَّ حُبَّ سُلَيْمًا نَّ قَدِيمًا لِلصَّافِنَاتِ الْعِتَاقِ  
40 لو رأى ما رأيَتْ مِنْهَا إِلَى أَنْ تَسْوَارِي شَمْسَ سِجْفَ الْغَسَاقِ  
41 لَمْ يَقُلْ : رُدُّهَا عَلَيَّ ! لَا يَظْفُرُ فَقُّ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ

وفي مناسبة أخرى ، يستشهد بالتضامن بين موسى وأخيه هارون لحضور الأخوين الاميرين على التفاهم والإخاء : «قال : رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَآخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي آشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي» (طه 25-32) فيقول :

[طويل]

64/18 لِعَمْرِي لَقَدْ أَيْدَتْ يَوْمَ الرَّوْعَى بِهِ  
كَمَا أَيْدَتْ كَفَاكَ بِالْأَنْمَلِ الْعَشَرِ  
65 لِذَلِكَ نَاجَى اللَّهُ مُوسَى نَبِيُّهُ  
فَنَادَى أَنِّي أَشْرَحْ مَا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي  
66 وَهَبْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَخِي أَسْتَعِنْ بِهِ  
وَشَدَّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكَهُ فِي أَمْرِي !

## التغنى بالجمال

حاولنا فيما سبق أن نبين أنَّ غنائمة ابن هانىء قد تبرُّزُ حتى في القصائد المدحية : الإشادةُ بفضائل الإمام قد تبع من مجَّة صادقةٍ ، والتحامل على الخصوم قد يترجم عن كراهيةٍ فطريةٍ . وقد لفتنا النظر إلى ما يتخلل الاستهلالات أحياناً من شعور بالجمال ، جمال دوحةٍ منتصبةٍ في الأرض

البراح ، أو جمال ناقةٍ قويةٍ القوائم وئيدة الخطوط ، أو شعشعة البرق في سحابٍ بعيدٍ ، أو سكون ليلةٍ مغمرةٍ . ونريد أن نختتم هذا الفصل بأنموذج بديع من وصفه للخيل ، وله فيه باعٌ طويلاً .

هذه الجياد يمثلها بالحسان الواثقات من سلطانهن على القلوب  
بجمالهن الذي لا تغلبه الأردية المفروقة : [طويل]

6/23 يمشيَّنْ مِشَيَ الغانِيَاتِ تَهَا دِيَاً      عليهنَّ زَيُّ الغانِيَاتِ مُشَهَّرَا  
7 وَجَرَرَنَ أَذِيَالَ الْحَسَانِ سَوَابِغاً      فَعَلِمْنَ فِيهنَّ الْحَسَانَ تَبَخْتُرَا  
ثُمَّ يَفْصِلُ الْوَاهِنَّ فِي ثَرَاءِ لُغْوِيٍ عَجِيبٍ ، لَعَلَهُ مُسْتَمَدٌ مِنَ الْمَعَاجِمِ ،  
ولكته رغم ذلك يعبر عن إدراك حادٍ لجمال الألوان والأشكال :

11/23 وما خَلِتُ أَنَّ الرَّوْضَ يَخْتَالَ مَاشِيَاً      ولا أَرَى فِي أَظْهَرِ الْخَيلِ عَبْرَا  
هذا المشهدُ الإجماليَّ ، ثُمَّ يأتِي التفصيل :

12/23 غَدَةً غَدَتْ عَنْ أَبْلَقِي ، وَمَجْزَعِي  
13 وَمِنْ أَدْرَعِي قدْ قُتِّعَ اللَّيْلُ حَالَكَا  
14 وَأَشْعَلَ وَرْدِيَّ ، وَأَصْفَرَ مُذْهَبِي  
15 وَذِي كُمْتَةٍ قدْ نَازَعَ الْخَمْرَ لَوْنَهَا  
16 مُحَجَّلَةً غُرْرَا ، وَزُهْرَا نَوَاصِعاً  
مثُلُّ هَذَا الْحُسْنِ دَلِيلٌ عَلَى حِكْمَةِ الْبَارِيِّ فِي خَلْقِهِ ، وَهَكُذَا يَقُوْدُنَا  
تَأْمُلُ الْخَلِيقَةِ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْخَالِقِ :

20/23 أُفَكَهُ مِنْهَا الطَّرْفُ فِي كُلِّ شَاهِدٍ      بَأَنَّ دَلِيلَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَا بَرَأَنِي

## الفصل الحادي عشر

### تأثير ابن هانئ

من المتوقع أن شاعرًا سياسياً مذهبياً مثل ابن هانئ ، سخر طاقته الواسعة لخدمة دولة دخيلة ونحلة مارقة ، سيلقى من أهل افريقيا والمغرب الستين السخط والانتقاد . ويخشى أن تكون الأحكام فيه مختلطةً فيغلب فيها العداء المذهبيُّ الحياد والإنصاف . وقد بلغ التورع ، كما رأينا ، حدَّ الطرح لبعض قصائده ، كالرابعة والعشرين الرائية ، من بعض نسخ الديوان .

وفي هذا الفصل نعتزم استعراض الأحكام التي قيلت في صاحبنا ، سواءً في معتقده أو في شاعريته . وفي قسم ثانٍ نتبع سيرورة ديوانه في المغرب والشرق . ثم ندرس ميراث الشاعر الأدبي ، أي تأثيره في الشعراء المعاصرين له أو اللاحقين ، كما نحاول البحث عن ورثة له بالفعل ، أي : هل كانت له أسرة؟ هل خلفَ عقباً؟ وفي نهاية الفصل نشير إلى الصورة الهزليَّة التي اتخذتها شخصية ابن هانئ في بعض المصادر ، ونحاول تفسيرها .

### الأحكام المذهبية

مرَّ بنا حكم ابن شداد مؤرخ القيروان ، وقد يشمل نقدُه المادح والممدوح معًا لأنَّ المعزَّ في نظره شجع شعراءه على الغلوّ<sup>(1)</sup> . ونقلنا أيضًا

(1) انظر الفصل الثامن ، 241 .

حكم ابن شرف . وهو ، في قساوته ، لا يُستغرب من أدب قبروني نشأ في بيئة تلهج بعده الشيعة ، خصوصاً بعد أن خلع الحكام الصنهاجيون الولاء الفاطمي . والكتاب الذين عابوا عليه غلوه كثيرون ، وأهواؤهم مختلفة ومشاغلهم ؛ فلا يُتهمون جميعاً بالتقرب إلى أعداء الفاطميين بالتهجم على شاعر «المشارقة» المفضل . هذا الحميدى في الجذوة وابن دحية في المغرب<sup>(1)</sup> ، وما أندلسياً يكتبه في المشرق ، يتقدّم على استنكار «غلوه واستهتاره» . وهذا ابن سَام في الذخيرة<sup>(2)</sup> يعلق على بيت لابن مَقَانِ الأشبواني ، وهو : [خفيف]

وإذا ما رُفِعْت رايُه خفتْ بين جناحيْ جبرئين  
فيلاحظ الشبه بينه وبين بيت ابن هانىء الذي استفظعه الكثير من النقاد:  
[كامل]

29/41 أمديّها من حيث دار ، لشَدَّ ما زاحمتْ حول ركباه جبريلاً  
ويقول : « حَسَدَ ابنَ هانِيَّ فِي هذِيَانِه ، وَتَقِيلَه فِي خَذْلَانِه ». والمتّرجمون ليسوا به أرفق وكذلك العلماء<sup>(3)</sup> . وابن خلّكان يأسف لما شاب الديوان « من الغلو في المدح والإفراط المفضي إلى الكفر »<sup>(4)</sup> . وتبعه الذهبي وأبو الفداء ومُتَّمِّمه ابن الشحنة<sup>(5)</sup> .

وليس لدينا أحكام من مؤلفين شيعيين قدامي . غير أنه من المفترض أن رأيهم فيه ، لو وصلنا ، ما كان يختلف كثيراً عن رأي الشيعة المعاصرين من إسماعيلية واثني عشرية . فهم لا يرون في غلوه كفراً ، ومعانٍ المدح في

(1) جذوة المقتبس ، ترجمة 157 . والمطرب ، 192 .  
793/2 (2)

(3) الكامل - 46/7 .

(4) الوفيات - ترجمة 640 .

(5) روض المناظر - 31/2 . وتوفي ابن الشحنة سنة 815/1412 .

نظرهم تصدر عن اعتقاد صادق راسخ بمبادئ الشيعة . هذا زاهد على ، شارح الديوان ، ينزعه عن الكفر ، ويفسّر الغلوّ بخصوصيات التوحيد الإسماعيلي الذي «يتزهّ الباري المبدع عن جميع التّعوّت والصفات» ويُوقعونها «على المبدع الأوّل ، وهو الأمر والكلمة» . والإمام يقوم مقام الأمر والكلمة ، فلا حرج أن يطلق الشاعر على الإمام صفتَي الواحد والقهار<sup>(1)</sup> . على أن هذا الباحث الرصين يعترف ضمنياً بإفراط الشاعر ، اذ يحتاج بستة الشعراء في المبالغة ، ولا سيما المتبني .

وينحو الإسماعيلي عارف تامر في دفاعه عنه نفس المنحى : فما يبدو للقاريء العادي مبالغة وغلوا ، ليس كذلك ، انما هو صدى التكوين الفلسفـي الذي يتلقاه كل اسماعيلي<sup>(2)</sup> .

كذلك حسن الصدر (ت 1934) يرى أنه « صحيح الاعتقاد ، وهو بريء من كل سوء وغلوّ . وأنه رجل شيعي مُجاهر بالتشييع بغض لخصوم علي عليه السلام ... حتى قتل على التشيع»<sup>(3)</sup> .

ومهما تبأنت هذه الآراء ، فإن أصحابها يكادون يُجمعون على صدق الشاعر في ولائه واعتقاده . لم نر واحداً من القدماء اتهمه بالتزلف الكاذب جرياً وراء المال . ولكن هذه التهمة نجدها عند بعض الدارسين في عصرنا مثل حسن ابراهيم حسن في تاريخه للدولة الفاطمية : «... إن ابن هانئ أصبح شيعياً متھمساً لهذا المذهب استدراراً لكرم الفاطميين ، لا حباً في عقائدهم واستمساكاً بها»<sup>(4)</sup> .

(1) تبيان المعاني ، المقدمة 58.

(2) عارف تامر : ابن هانئ ، دراسة - 62 وفصل ابن هانئ في دائرة معارف البستانى 4/112 .

(3) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ، 206 .

(4) ص 441 . وقد أعاد الفكرة نفسها في الدراسة التي ألفها مع طه أحمد شرف عن المعز ، ص

ومن يتفكر في ندرة المطالب المالية في مدائنه - على عكس المتبنّى مثلاً - ثم في قصرِه مَدْحُه على المعز وقواده وولاته ، أي على قوم تجمعه بهم عقيدة واحدة ، ومن يدرس بالخصوص قضيّته الأخيرة ، تلك المطولة القوية التي حملها وفأه ومحبّته ، لا يسعه إلا أن يتزّهُ عن الطمع والطموح والتظاهر بما لا يبطن .

## الأحكام الأدبية

تنزّه الأحكام في خصوص شاعريته عن التّعامل المذهبّي . فربّ ناعٍ عليه كفره يعترف له في المقابل بمتانة التعبير وسعة الخيال وجمال الصور . ويتميز بالإنصاف والاعتadal النقاد المحترفون مثل ابن شرف ، فلقد ذكر ما له وما عليه : « أما ابن هانئ ... فرعديُ الكلام ، سرديُ النظام ، متين المبني ، غير مكين المعاني ... إلّا أنه إذا ظهرت معانيه ، في جزالة مبانيه ، رمى عن منجنيق ، يؤثر في التّيق »<sup>(1)</sup> . فيعترف له بالإجاده إذا تمكّن من معالجة المعاني ، ويعيب عليه القعقة اللفظية .

والجلبة اللفظية أيضًا مع التكليف والصنعة ، هي ما عاشه ابن رشيق : « وكانت عند أبي القاسم مع طبعه صنعة ؛ فإذا أخذ في الحلاوة والرقّة ، وعمل بطبعه وعلى سجيته ، أشبه الناس ، ودخل في جملة الفضلاء ، وإذا تكّلّف الفخامة ، وسلك طريق الصنعة ، أضرّ بنفسه ، وأنّع سامع شعره »<sup>(2)</sup> .

هذه المساوىء هي في نظر الفتح بن خاقان محسن وفضائل ، فيُطرّيه بدون تحفظ : « علق خطير ، وروض أدبٌ مطير . غاص في طلب الغريب حتى أخرج دره المكتنون ، وبهرج بافتانه فيه كلّ الفنون ... اعتمد فيه

(1) مسائل الانتقاد، 40 . وفي رواية : « نجدي الكلام » . والنبيق قمة الجبل .

(2) العمدة 2/ 124.

التهذيب والتحرير، واتبع في أغراضه الفرزدق مع حرير. فلذلك حسد العراق عليه المغرب وأخذت الشرق الغصة». وإن في أسلوب الفتح نفسه دليلاً على تغلب نزعة البهرج والتعمّل بكامل أقطار المغرب. وكان ذلك بعيد وفاة ابن هانىء فنسبت إليه هذه الأساليب وأسندت إليه طريقتها. يقول ابن بسام في ترجمة أحد شعراء المائة الخامسة: «وكان يميل إلى طريقة محمد بن هانىء . على أن أكثر أهل وقتنا ، وجمهور شعراء عصرنا ، إليها يذهبون ، وعلى قوله وجدهم يضربون<sup>(1)</sup> ». وقد ذكر زميلنا الشاذلي بو يحيى هذه الطريقة وحدد نشوئها بزمن وفاة الشاعر ، فقال فيها وفي صاحبها : «ابتدأ هذا الشاعر أسلوباً جديداً سبّبه الإفريقيون طيلة أجيال . . . وصار شعره المحور الذي يتجمع حوله الإنتاج الشعري ، وساعدت شهرته أهل المغرب على التخلص من مركب النقص إزاء المشرق [ إذ ] صار بمقدور المغاربة أن ينجُوا مُتَّبِعاً»<sup>(2)</sup> .

هذا التحرر من التبعية هو الذي عناه صاحب المطعم إذ ذكر غصة الشرق وشرقه . ولكن من جهة أخرى يعيّب عليه تجرؤه على الدين ، فيقول ، غير آبه بالفارق الرمزي بين طرف المقارنة : « سلك مسلك الموري ، وتجرد من التدين وغري . وأبدى الغلو ، وتعدى الحق المجلو ، فمجنته الأنفس ، وأزوجهه الأندلس ، فخرج على غير اختيار . . . »<sup>(3)</sup> وهكذا نظر بسبب آخر لهجرته - أو طرده - من الأندلس : التطاول على الدين والإفراط في التحرر العقلي ، على غرار صاحب اللزوميات ( الذي ولد بعد وفاته بعام ) . وعلى ذكر أبي العلاء ، نذكر بأنه هو أيضاً عاب عليه المبالغة : « كان من شعرائهم المُجيدين ، وكان يغلو في مدح المعزّ غلواً عظيماً»<sup>(4)</sup> . كما عاب عليه ،

(1) الذخيرة 2/ 799.

(2) Vie littéraire . . . المقدمة 31.

(3) مطعم الأنفس ، 84.

(4) رسالة الغفران ، 453.

حسب روایات المترجمين ، الجلبة اللفظیة ، کالرھی تطھن القرون<sup>(۱)</sup> ، والإغراق في الصنعة مع قلة المعنى فصارت أبياته أبعاراً ملفوفة في ورق الفضة<sup>(۲)</sup> .

فالطريقة التي نسبت اليه لم تعجب إذن جميع الناس . هذا الحمیدي مثل ابن رشيق يعترف له بالموهبة القوية ولكن يستتبع الجلبة ، وكذلك ابن دحیة ، يغلب مساوئه على المحاسن : « ... ربما صدرت عنه درر تُلحّه بالشعراء الكبار ... وبقية شعره قفاع وجماع ، وثالثة الأثافي ، والرسوم البلاع » .

هذا بخصوص اللفظ . فلتنتظر الأن في مواقفهم من صوره وخیاله : ابن سعید يعظم صورة التفاحة والعقرب : [ کامل ] .

وكأنَّ صفة خدّه وعداره تفاحةٌ رُميَتْ لقتُلَّ عقرَباً 46/4

حتى جعل البيت في مختاراته المرقصات المطربات . ولكن ، في مختاراته الأخرى ، يفضل عليه الشاعر الوزیر ابن عمار ويجري هذا التفضيل على ذكر القصيدة الفلكية ، فهو لم يستغفها ، رغم كثرة التشبيه فيها ، كما استساغ رائیة ابن عمار في عباد أمیر اشبيلية<sup>(۳)</sup> . والغريب في الأمر أن كثيراً من المصادر تجعل من ابن عمار تلميذاً - في الشعر - لابن هانیء<sup>(۴)</sup> .

## أحكام معاصرة

نجد نفس القسمة عند الدارسين المعاصرین . فالذین ينقدونه يتوجهون

(1) ذکره ابن خلکان ، ترجمة 640 .

(2) ذکره الصفدي : الوافي ، عدد 240 . وقد فسر الصفدي تحامل المعری عليه بتعصّبه للمتبّع دون غيره .

(3) رایات المرزین . رقم 77 ص 55 .

(4) انظر عبد الواحد المراكشي - المعجب 111 .

إلى مبالغاته وضجيج قاموسه وتکلفه المفرط . ذاك موقف منير ناجي في الدراسة التي خصصها له وناقشها بمدريد ، وهي الحق يقال ، أغزر مادة وأنفذ بحثاً من دراسة الشيعي السوري عارف تامر ، إلا أن منير ناجي غالب السليبيات ، أو اعتبر من السليبيات ما لم يكن للشاعر فيه حيلة ، كقصر الشعر على المدح ، أو غلبة الرصيد الثقافي الموروث عن الشرق على معانيه وصوره ، أو انحسار غنائته لأنه لا هم له إلا طلب المال<sup>(1)</sup> . وهي لعمري أحکام منحازة ، بدليل المقارنة الختامية التي يجريها بين ابن هانئ والمتبنّى ؛ فالفضل والغلبة للمتبنّى طبعاً ، وكان الباحث لم يعر أي اهتمام للميزة الأساسية عند شاعرنا ، ألا وهي التحرّب .

والذين يطرونه يعتمدون على خياله الزاخر ، ولغته الثرية وتراثيه المتينة وللين التعبير أو شدّته بحسب الموضوع والغرض . ذاك ما يفهم من هذا النص لقسطاكي الحمصي [ ت 1941 ] الذي علق به على أبيات من القصيدة السابعة والعشرين في وصف جيش جوهر : « لا يصف هذا الوصف إلا ابن هانئ متبنّى الغرب ، أو من هو مثله ، فيأتي على ذكر دقيق الموصوف وجليله ، ويقرب بعيده ويحيط بمجموعه ، حتى يمثل لكل المشهودات كأنك تراها . . . بل يصف لك الأخلاق من لطيفة وكثيفة حتى تحسب أصحابها أشخاصاً ماثلةً بين يديك . . . »<sup>(2)</sup> .

واهتم فاسيلياف مؤرخ الحرب بين بيزنطة والعرب ، بوصفه للأسطول ، فرأى فيه المبالغة والتلوّح<sup>(3)</sup> ، وكريمر في دراسته عنه لاحظ القوة في التعبير ، ووفرة الخيالات مع تصريح نادر المثليل<sup>(4)</sup> .

(1) منير ناجي : ابن هانئ 231 .

(2) من كتابه « منهاج الوراد في علم الانتقاد » ص 198 ، نقلأ عن : عبد الحفيظ دياب : التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد القاهرة 1968 ص 110 .

(3) فاسيلياف : بيزنطة والعرب 303 .

(4) كريمر : ابن هانئ ZD MG 1924 .

أما فصل « ابن هانىء » بدائرة المعارف الإسلامية ، الذي كتبه زميلنا فرحات الدشراوى ، فيرفع الشاعر إلى مرتبة « أول شاعر عظيم بالمغرب » ويؤكّد على ولائه الشيعي الذي به تفسّر رُموزهُ وبيّن ميلهُ إلى الإفراط والمغالاة . ويبدو أن صاحب الفصل لم يعلم بوجود طبعة زاهد على لليديوان . ومن جهة أخرى ، كنا نتوقع من هذا الزميل وقد خصّص أطروحته للخلافة الفاطمية بالمغرب ، أن يعمق دراسته لأغراض ابن هانىء ومعانيه حتى نزداد فهماً للأحداث والواقع والسفارات والعلاقات في مدة المعز ، لكنه اهتم - وهو المؤرخ - بالمصادر التاريخية خاصة ، وهذا في نظرنا ظلم للمصادر الأدبية ، فقد تعين المؤرخ على استجلاء ما قد يغمض عند المؤرخين ، وحتى على اكتشاف ما لم يذكروه ، كالذي افترضناه - ولعلنا توهمناه - من تعين المعز لابنه عبد الله على ولاية إفريقية<sup>(1)</sup> .

## سيرة الديوان

لا ندرى هل جمع ابن هانىء شعره في حياته ، شأن معاصره المتنبّى . وإذا ما اعتبرنا أن أطول قصائده ، القصيدة السابعة والأربعين ، لم يفرغ من نظمها الآ قبل مقتله بقليل ، أمكننا الافتراض بأنّ مختلف القصائد والمقطوعات لم تُجمع وتربّب الآ بعد وفاته بكثير ، خصوصاً وأنّ الوسط الإفريقي ، بعد رحيل المعز إلى القاهرة وانتصار الولاة الصنهاجيين بديلاً من الدولة الشيعية ، كان يتّظر أن تقطع الدولة الجديدة الصلة العقائدية مع الفاطميين ، بل كان يحثّها على ذلك . وفي هذا الجوّ من العداء للشيعة والحق عليهم ، لا نظنّ أن أحداً كان يجسر على جمع شعر داعيهم ونصرتهم . فإذا اضطرّ الأديب المُتنبّى ، والمؤلّف الجامع ، إلى الاستشهاد بشيء من شعره ، اختار ما لا غلوّ فيه ولا تقديس : وهكذا لم ينتق منه الحصري في زهر الأداب إلا أوصافاً بريئة

(1) انظر الفصل الخامس 154 .

للخيل ، أو السفن ، فجمع ستة وثمانين بيتاً ، ولكن الأقل منها مأخوذ من المدائح المعزية .

أول إشارة إلى حجم الديوان نجدها عند الحميدى ، ولكنه لا يشعرنا هل رأى ذلك الشعر مجموعاً في ديوان . ونستنتج من نادرة رواها المقري<sup>(1)</sup> أن الديوان كان معروفاً بالأندلس في أواخر القرن الخامس : فقد كان ابن رزين (ت 496) ملك السهلة يستمع إلى قراءة من ديوان ابن هانىء ، فتعذر القارئ في فهم كلمة « حرام » فقسمها شطرين فضحك القوم .

وأول شهادة بوجود الديوان بإفريقية أتتنا من مخطوط تونس 1 . وقد ذكرنا مزايا هذه النسخة<sup>(2)</sup> . وأهم مزاية لها أنها نقلت عن نسختين : واحدة هي الأصل ، وتاريخها سنة 608/1211 . فهي أقدم نسخة تذكر من الديوان . فقد جاء في خاتمة هذا المخطوط : « الحمد لله . ذكر محمد بن القاسم كاتب الأصل المنقول منه السفر المقابل منه هذا ، أن هذا ما صبح لديه ووقع اليه من شعر أبي القاسم في عجز ربيع الآخر الذي من سنة ثمان وستمائة » .

والثانية نسخة تتضمن قصائد ومقطوعات خلت منها النسخة الأصل ، نسخة 608 ، فضم كاتب المخطوط هذه الزوائد إلى ما نقله عن نسخة 608 وعنون كل إضافة بعبارة « وقال من غير الأصل المنقول عنه » . فلذلك جاءت مخطوطة تونس 1 أكمل من غيرها .

ولعل الإضافات والزيادات نقلت من نسخة أندلسية كالتي كانت عند ابن رزين : ذلك أن البيت الذي تعذر النديم في قراءته هو من إحدى المقطوعات الإضافية التي لا توجد في غير هذا المخطوط . فالنسخة الإفريقية - نسخة 608 - كانت ناقصة بالمقارنة مع نسخة ابن رزين : فهل يعني هذا أن النسخة -

---

(1) نفح الطيب 3/407 نادرة 198.

(2) انظر الفصل الثاني ص 34 ، والحوالىات 6/1969 ص 79-81.

أو النسخ - الأندلسية كانت تتضمن شعراً لا يوجدُ في النسخة - أو النسخ - الإفريقية ؟ فإن صَحَّ هذا يوماً باكتشافات جديدة ، فهل يُعزى نقصان النسخة الإفريقية إلى عملية تطهير من الشعر الماجن والأبيات المسفة<sup>(1)</sup> ؟

أم هل نفسَر زيادة النسخة الأندلسية بافتراض أنها ربما تضمنت شيئاً من الشعر الذي نظمه صاحبنا في الأندلس ، وهو هذا الشعر الخليل بالذات ؟ وبعد ، فهذا افتراض لا يمكن تحقيقه بما لدينا من وثائق . وهو ، على كل حال ، يدعو إلى التفكير والتمحيص بقدر ما دعانا إليه افتراض منير ناجي في أنَّ الأقسام الخمرية من قصائده إنما هي شعره الأندلسي<sup>(2)</sup> .

أما وجود الديوان بالمشرق ، فتشهد به ضمنياً عبارة ياقوت إذ يلاحظ ، في خصوص القصيدة الثالثة والخمسين ، أنها أطول قصائده جمِيعاً ، فهي تربو على الثمانين بيتاً<sup>(3)</sup> . والعبارة تدلُّ أيضاً على أنَّ هذا الديوان كان ناقصاً : فنحن نعلم أنَّه في صورته الحالية يتضمن خمس عشرة قصيدة تتجاوز كل واحدة ثمانين بيتاً . وجميع الشواهد التي ساقها ياقوت من شعر ابن هانئ مستخرجة من قصائد لا تتجاوز ثمانين بيتاً ، وكذلك الشأن في خصوص المختارات التي نقلها ابن خلkan وابن سعيد ، وجميع هؤلاء كانوا يكتبون في القرن السابع . ولكن لا تستخرج بالضرورة أنَّ الشرق كان لا يعرف من الديوان إلا نسخاً جزئية . بل الأغلب على الظنَّ أنَّ ابن سعيد قد اطلع على نسخة كاملة تامة - أي مثل مخطوطه تونس 1 - لأنَّه في مغربه ينقل إحدى المقاطعات الإضافية التي انفرد بها مخطوط تونس 1 .

وفي القرن الموالي استخدم الدواداري وابن فضل الله العمري ( ت 1348/748 ) نسخاً أكمل من نسخة ياقوت ، إذ ينقلان أبياتاً من القصيدة السابعة

(1) وهي التي نشرت بالحواليات 9/1972 ص 75 .

(2) انظر الفصل الثاني ص 51 .

(3) معجم الأدباء ، ترجمة 27 .

والأربعين ، أطول القصائد على الإطلاق . ثم إنَّ صاحب مسالك الأبصار ينقل<sup>(1)</sup> أبياتاً من القصيدة السبعين هي الأبيات التي نقلها الحصري في زهر الأداب . وكان الديوان يعرض للبيع في أسواق القاهرة حسب خبر أورده ابن حجر (ت 1449/852) في خصوص فقيه تونسي يدعى ابن القوبع (ت 1337/738) كان يتضمن نسخة من الديوان بسوق الكتب<sup>(2)</sup> .

وليس وجود الديوان في المكتبات أو الأسواق هو وحده الدليل على شهرة صاحبه . فذكر اسمه أو نقل شيء من أبياته أو تضمين شطر أو بيت من أبياته في قصيدة ، كلَّ هذا قد يعبر أيضاً عن ذيوع صيته بين الأدباء والمتعلمين . ويبدو أنَّ شهرته بلغت أوجها في العصور التي يصطدح على تسميتها بـ « عصور الانحطاط » ، لندرة النباء والمبدعين فيها .

وقد تكون شهرة سيئة ، كأنَّ يُستشهد بصاحبنا في أمور انحرافية ماجنة .  
هذا ما يجيب به بعض شعراء مصر لاتهامه : [خفيف]

أنا دعني وما تراه فساداً فإمامي فيما ارتكبْت ابن هانى<sup>(3)</sup>  
ولكنَّ الأغلب أن يذكر اسمه في معنى الإشادة والإطراء ، حتى يخيل إلينا أنَّ شعره أصبح منذ القرن الخامس مثلاً يحتذى ، كما يدلُّ عليه هذا البيت الذي أورده ابن سعيد مع البيت السابق : [وافر]

وندمان ينادمني بشعر بيته به على شعر ابن هانى  
وصارت البلدان تتجاذبه بعد أن أزعجه ومجنته . فقد رأينا الفتح بن خاقان يرجعه إلى بلاده فيقول : « زدت به الأندلس وتأهت ، وحاسنت

(1) مسالك الأبصار مخطوط 2327 ورقة 7 وجه .

(2) الدرر الكامنة 4/491 ، ترجمة 491 . وقد نقل الخبر الوزير السراج في الحلل السندينية 3/699 .

(3) ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) 246 .

بِدَائِعِهِ الْأَشْمَسْ وَزَاهَتْ » . وكذلك يرى فيه الشقدي مفخرة للأندلس . في حين أن ابن حزم يطبق معياراً أكثر رصانة : ينسب الرجل إلى البلد الذي آواه حتى موته . فأبُو علي القالي الوافد من المشرق إلى الأندلس ، يعتبر أندلسيّاً . أما ابن هانىء فينسب إلى ما هجر إليه<sup>(1)</sup> .

وغلبت شهرته صيت الملوك والأمراء الذين مدحهم ، فصاروا يعرفون به كأن يقول المقربي معرفاً جعفر بن حمدون : « وهو الذي مدحه ابن هانىء »<sup>(2)</sup> وهذا تفضيل مشروع ، وإن كان لا يغني من جوع ، لأصحاب الأقلام على أصحاب السيف .

وكذلك التقليد والمحاكاة ، هُما عنوان الشهرة : فكم قلدوا مثلاً القصيدة الحادية والثلاثين الفائية ! مثلما فعل أحد النساك في عصر المقربي : نظم قصيدة مطولاً في نعل الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) على وزن قصيدة النجوم ورويها فقال في بعض أبياتها : [ طويل ]

وَمَا أَنَا فِيهِ كَالَّذِي قَالَ هَازِلًا : أَلْيَلْتَنَا إِذْ أَرْسَلْتَ وَارِدًا وَحْفًا<sup>(2)</sup>  
ويقول ابن بسام إن أهل الأندلس كانوا معجبين بها خاصة ، فانبى كثير من الشعراء للنسج على منوالها ، « منهم أبو الريبع القضايعي في تشبيهات كثيرة « بكأن » « احتذى فيها طريقة محمد بن هانىء الأندلسي وسلك سبيله فضل عنها »<sup>(3)</sup> . واعتذر الشقدي بطولها الذي ثناه عن نقلها برمتها<sup>(4)</sup> ونقل منها أبو البقاء الرندي ( ت 1284/684 ) أبياتاً « من أحسن ما قيل في وصف البدر والهلال والنجوم »<sup>(5)</sup> .

(1) فتح الطيب 1/293 و 297 . و 3/164 .

(2) أزهار الرياض 3/275 .

(3) الذخيرة 3/508 .

(4) فتح الطيب 4/186 .

(5) قطعة من كتابه « الوافي بعلم القرافي » ، نشرها جعفر ماجد بالحواليات 6/1969 ص 181 .

وذاع صيت القصيدة في المشرق أيضاً فنظم ابن سنان الخفاجي (466/1073) قصيدة في الموضوع نفسه ، فانتقلت هذه الفائدة من المحاكاة الى المعارضات<sup>(1)</sup> . وصار يكتفى بذكرها إذا أشير الى ابن هانىء . بل رأينا بعض المخطوطات تقتصر على نقلها دون غيرها .

وتليها في الشهرة القصيدة العشرون التي كثيراً ما استحسنوا مطلعها :  
[كامل]

1/ فتقت لكم ريحُ الجلاد بعنبر وأمدّكم ريحُ الصباح المسِّير  
2 وجنتِمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعَ يَانِعَمْ بالنصر، من ورق الحديد الأخضر

أعجبوا بما فيها من استفراغ للصورة الحربية الممتزجة بمشهد الطبيعة :  
رؤوس الأعداء ثمارًأينعت ونضجت فقطفها الممدوح بسيوف عريضة كالورق  
النضر الأخضر ، مع المقابلة بين الشمر الناضج والحديد الذي لا يزال أخضر  
أي قوياً على قطوفٍ أخرى موالية ، مع تضمين الإشارة القرآنية البعيدة في  
البيت الأول : وهي تسخير الرياح لخدمة الجيش الغالب ، وهو معنى جارٍ على  
لسان شاعرنا ، لا سيما في الإشادة بالأساطول الفاطمي . هذا الرصف لصور  
بلاغية كثيرة في بيت أو بيتين هو الذي جعلهم يلهجون بمثل هذا الشعر  
ويتسابقون إلى محاكاته . وهو الذي جعل ابن حجة الحموي [ت 837/1433] يفضلها  
حتى على «قفـا نـبـك»<sup>(2)</sup> ، وحمل شاعراً حلبياً يدعى الكوراني  
(1056/1646) على أن يضمّنها في شعره :

فتَقَ العِذَارَ بِخَدِّهِ فَكَانَمَا فتقت لكم ريحُ الجلاد بعنبر<sup>(3)</sup>

وصيت ابن هانىء بلغ الى شعراء عصرنا الحاضر : أحمد شوقي سمي

(1) الدواداري ، كنز الدرر 6/241 .

(2) خزانة . . . 123 .

(3) المحجـي (ت 1111/1700) : ريحـانـة الـلـبـاء ، 2/617 .

بيته بالقاهرة « كرمة ابن هانئ » وهو الذي أصبح اليوم متحفًا يزوره . والغناء الشعبي اتخذ شاعرنا مثالاً للحب الوفي وقرنه بمحجون ليلي . يقول المغني المغربي الحاج التهامي الهرولي في أغنية « محبوب القلب » :

نشبه في الحب قيس وابن سهل وابن هانئ

هذا ، وقد أشرنا إلى الشعراء الذين يتبعون « طريقة » ابن هانئ وقد ذكر منهم ابن بسام طائفة مثل القضايعي والدارمي وابن البين ، كما ذكر المراكشي في المعجب أبا عبد الله محمد بن حبّوس الذي كان يطلب اللفظ الفخم والتركيب المتينة والصور البليغة ، ولكنـه ، كما قال ، لا يصل إلى درجة ابن هانئ من الطبع والحلوـة<sup>(1)</sup> . وكذلك كان شاعر بنـي عبـاد ، ابن عـمار ، الذي مر ذكرـه .

## عقب الشاعر

قلنا إن حياة هذا الرجل يكتنـفـها الغموض : فلا شيء ثابتـاً صحيحاً عن فترتها الأندلسية ، وشعره بـالـبـلـيرـة أو غـرـنـاطـة أو إـشـبـيلـيـة أو مـحـيـلـة من الكـتبـ ومن الذـاكـرـة . ولـسـنـا بـأـوـفـرـ حـظـاً في خـصـوصـ فـتـرـتـهـ المـغـرـبـيـةـ وـالـإـفـرـيقـيـةـ : قبلـ كلـ شـيـءـ ، أـيـنـ كـانـ يـقطـنـ ؟ـ أـبـالـمـسـيـلـةـ ؟ـ أـمـ بـالـقـيـرـوانـ .ـ الـمـنـصـورـيـةـ معـ الـخـلـيـفـةـ ؟ـ كـنـاـ نـأـمـلـ أـنـ نـجـدـ شـيـئـاـ مـنـ أـخـبـارـهـ عـنـ القـاضـيـ النـعـمـانـ فـيـ كـتـابـ المـجـالـسـ وـالـمـسـاـيـرـاتـ الـذـيـ نـشـرـ أـخـيـراـ ،ـ وـقـلـنـاـ :ـ هـذـاـ كـتـابـ بـمـثـابـةـ الـمـذـكـرـاتـ الـتـيـ يـسـجـلـ فـيـهـ كـبـيرـ قـضـاءـ الدـوـلـةـ أـقوـالـ إـلـمـامـ وـتـحـرـكـاتـهـ الـخـاصـةـ وـالـعـامـةـ .ـ وـلـكـنـ خـابـ الـأـمـلـ :ـ لـمـ يـذـكـرـهـ مـرـرـةـ وـاحـدـةـ وـلـاـ اـسـتـشـهـدـ بـيـتـ منـ شـعـرهـ !ـ فـحـوـلـنـاـ أـمـلـنـاـ إـلـىـ كـتـابـ الدـاعـيـ اـدـرـيـسـ «ـ عـيـونـ الـأـخـبـارـ»ـ الـذـيـ اـسـتـخـدـمـ كـتـابـ النـعـمـانـ كـثـيرـاـ .ـ إـيـذـاـ بـهـ يـوـردـ كـثـيرـاـ مـنـ شـعـرـ صـاحـبـنـاـ ،ـ وـلـكـنـ فـيـ غـيـرـ رـبـطـ صـحـيـحـ

. (1) المعجب 183

بالأحداث : على سبيل المثال ، ينقل جانباً كبيراً من القصيدة الأربعين اللامية في الإشادة بانتصار المجاز ، ولكنه يلصقها بالواقعية القديمة التي دارت سنة 956/345 ، والشاعر آنذاك لم يغادر بعد بلاده . ثم هو لا يذكر شيئاً عن حياته في البلاط ، لا حادثة ، ولا إنشاد ، ولا مكافأة ، ولا خصومة ، ويقتصر على نقل التوطئات المبهمة التي نجدها في الديوان<sup>(١)</sup> .

وقد افترضنا ، بناء على أبيات في قصيده الأخيرة ، أنه كان يقطن بالزاب بصفة مسترسلة ، إذ أنه اعتذر على مفارقة المعز ببرقة - مؤقتاً - بواجب الرجوع إلى الزاب بسبب «قطرين في قصي من النوى» وقلنا : لعله يعني عياله ، ولو كان يسكن القيروان ، فما حاجته بالرجوع إلى المسيلة ، خصوصاً وقد فارقها أصحابها منذ ستين ؟

ثم ، هل كان له أسرة ؟ زوجة وأولاد وأهل ؟ نحن نعلم أن الشعراء والأدباء المتصلين بأصحاب السلطان لا يتسلطون في هذا الموضوع . فما علمنا مثلاً بأنّ المتبيّن أنجب ولداً إلا في حادثة قتله . أما شعره ، فلا شيء فيه من هذا ، وكذلك شعر أصحابنا .

فلذلك فوجئنا حين وجدنا في كتب الأدب أنّ له عقباً ، لا في معنى التلاميذ المقلّدين ، بل في معنى النسل ، وأنّ هذا النسل كان يحترف الشعر هو أيضاً : وأول ذكر لابن هانىء آخر ، نجده عند الشعالي في تتمة اليتيمة<sup>(٢)</sup> حيث يورد بيته منسوبين إلى شاعر يُدعى جعفر بن هانىء الأندلسى . والبيتان مثبتان في مخطوط تونس 1 باسم محمد بن هانىء أصحابنا . فافتراضنا أنّ الشعالي قد يكون وهو وخلط بين جعفر بن هانىء هذا وشاعر مصرى يدعى محمد (بن إبراهيم) بن هانىء ، خصوصاً وأنّ جعفر بن هانىء مجهول في جميع المصادر ، في حين أنّ محمد بن إبراهيم بن هانىء معروف ، نقل له

(١) عيون الأخبار ، السبع السادس الذي نبوى نشره عن قريب ان شاء الله .

(٢) تتمة اليتيمة 34/1 .

العماد الأصفهاني في شعراء مصر طائفة غزيرة من الأبيات ، وهي أبيات على طريقة ابن هانىء ، لا سيما قصيدة فاتيحة من جنس القصيدة الفلكية رَصَعها هو أيضاً بسلسلة من التشابيه المبدوعة بـ « كأنّ » ، إلّا أنها لا تصف النجوم ، بل الأزهار<sup>(١)</sup> .

ومحمد بن إبراهيم هذا ليس من ورثته في الأدب فحسب ، بل هو من عقبه الفعليّ ، فهو ، حسب شهادة العmad ، سليل ابن هانىء الأندلسى المغربيّ ، مات في آخر مدة الوزير ابن رزىك ، أي قبل سنة 1164/560 . ويضيف صاحب الخريدة أنه هم بوضعه مع شعراء المغرب والأندلس ، مما يحملنا على الظنّ بأنّ هذا الشاعر المصري لم يكن مصريّ المولد والنشأة ، بل رحل إلى خدمة الفاطميين بالقاهرة من موطنه الأندلس . هذا الأصل الأندلسى يدعمه ما نجده عند ابن ظافر (1216/613) من صريح الإعلان بانتسابه إلى شاعرنا : « ... ولو لم يكن له مما يمثّ به إلا انتسابه إلى أبي القاسم بن هانىء شاعر هذه الدولة ، ومُظهِر مفاخرها ، وناظِم مأثيرها ، لكتفى . فكيف ، وفيه هذا الأدب الغضُّ النضيرُ ، والشعرُ الذي لا نَدَ له ولا نظير؟ »<sup>(٢)</sup> . وهكذا يكون ابن هانىء العفيف أو « المحدث » كما يدعوه ابن ظافر ، قد حقّق ما رايه جده الأعلى ، وهو الالتحاق بالدولة الفاطمية بالقاهرة .

وهناك حفيد آخر لشاعرنا ، كشف لنا عن نسبة المؤرخ ابن القنفذ القسطنطيني (ت 1407/810) ، ألا وهو البهاء زهير شاعر الأيوبيين . قال : «وفي هذه السنة [1258/656] توفي بالقاهرة الصاحب بهاء الدين زهير ابن محمد المهلبي ، الحجازي المولد والمنشأ ، المصري الدار . ويُذكر أنه من ولد محمد بن هانىء الأندلسى شاعربني عبيد المشهور ، وأن والده انتقل من سبعة إلى مكة المشرفة ، وولد بها ، وبها نشا وتآدب ، وسار إلى الديار

(1) الخريدة ( مصر ) 1/248.

(2) بدائع البدائة ، بولاق 1860/1278 ، ص 224 .

المصرية . . . »<sup>(1)</sup> وابن قنفذ هو الوحيد الذي ذكر له هذا النسب ، ولكن ذكر مدینة سبطة يحملنا على قبول قوله كما سيظهر بعد قليل ، بالرغم من أن مؤرخي الدولة الأيوبية ، ودارسي شعرائها مثل جودت الركابي<sup>(2)</sup> لم يؤيدوه . ولكن البهاء زهير مهليبي أزدي مثل صاحبنا ، أفيکفي هذا الاشتراك لربطهما بحسبٍ مباشرٍ ؟

وهناك ابن هانىء ثالث ذكره المقرىء فيمن رحل من إشبيلية إلى سبطة<sup>(3)</sup> ، وهو فقيه مؤرخ يدعى أبي عبد الله محمد بن هانىء اللخمي السبتي . فهو يمني - لخمي - وإشبيلي الأصل مثل صاحبنا ، واستقر سبطة التي عاش بها والد البهاء زهير حسب قول ابن قنفذ . فهل كان هذا الفقيه حفيداً أيضاً لشاعر المعز ؟ ونلاحظ بهذا الصدد أن المستشرق الإسباني بونس بوافس نسب إلى صاحبنا كتاباً في التاريخ ، وهو بدون شك من تأليف الفقيه السبتي<sup>(4)</sup> .

## تدهور شخصية ابن هانىء

بعد هذه الخواطر حول تأثير ابن هانىء الفعلى ، يجدر بنا أن نتوقف قليلاً عند الصور الخرافية أو المضحكة التي انحدرت إليها صورته في كتب الأدب وعند المترجمين الذين قد لا يمحضون ما يقع إليهم من أخبار فيقبلون ما يلفقه الخيال الشعبي حول الأعلام الذين اشتهروا بخاصية ما ، كالجاحظ وشغفه بالكتب ، وأبي نواس ومجونه ، وابن الرومي وطيرته ، والموري وذاكرته العجيبة .

(1) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، 121.

(2) في دراسته عن الشعر في العهد الأيوبية وفصل « بهاء الدين زهير » بدائرة المعارف الإسلامية .

(3) نفح الطيب 6/245.

(4) Ensayo . . . . ترجمة 37 و 273 ( محمد بن علي بن هانىء ) .

ففي جانب الروايات الخيالية ، نجد توطئة القصيدة الثالثة والخمسين  
التي يقول الديوان انها أول ما أنشده بالقيروان : [كامل]

1/ هل من أعقَّةِ عالِجٍ يبرِّئُ  
أَمْ مِنْهُمَا بَقَرُّ الْحَدْوَجِ الْعَيْنُ؟<sup>(1)</sup>

ويضيف أنَّ المعزَّ أمرَ الشاعر « بدست قيمته ستةَآلاف دينار . فقال :  
يا أمير المؤمنين ، ما لي موضع يسع الدست إذا بسط ، فأمر له ببناء قصر ،  
فغرم عليه ستةَآلاف دينار ، وحمل إليه آلة تشكل القصر والدست قيمتها ثلاثةَ  
آلاف دينار ». فهذه خمسة عشر ألفاً من الدنانير المعزَّية ، وكانت ثقيلة  
بالمقارنة مع غيرها . وأعجب من هذا المبلغ أن يكافيء الممدوح شاعره لا  
نقداً بل بضاعة . وأعجب منه أن يبدأ بالزرابي قبل الدار . وكنا نتوقع بعد هذا  
أن يعطيه العجارية والغلمان ويُعمر له الدار !

وبعد ، نقبل من التوطئة أنَّ القصيدة أول شعر له أمام المعزَّ ، فتكون  
القصائد السابقة - كالحادية عشرة - أرسلت إلى المعزَّ من المسيلة ، ولكن لا  
نقبل بقية الخبر بسبب مساحتها العجيبة التي لا تتفق مع ما عرفناه من المعزَّ ومن  
الشاعر معاً ، لا سيما وأنَّ الديوان انفرد وحده بهذه الخرافات .

توطئة أخرى تقدم لنا منه عجيبة وغريبة ، ولكن بقصد الإطراف ، هي  
توطئة القصيدة العشرين التي أعجبت الأدباء كثيراً كما بينا . ينفرد بهذه  
المقدمة مخطوطاً تونس ت 2 رقم 15850 وتونس 3 رقم 15890 فيقولان : « وهي  
[القصيدة] التي امتحنَ بها وأنشدَها ارتجالاً ومات حال إنشادها رحمه الله  
تعالى » ويضيفان : « ولها قصة ». وكنا نود أن نعرف هذه القصة الأخرى ،  
حتى نفهمَ كيف حبيَّ بعدها حتى التحق بالمعزَّ وعاشره مدةً ثم صاحبه حتى  
برقة حيث لقي حتفه النهائي ، وحتى نفهم بالخصوص الدوافع إلى اختلاق

---

(1) عالِجٍ يبرِّئُ موضعان بجزيرة العرب ، والأعقَّةِ ج عقيق : مسلل الماء . والبَقَرُ العَيْنُ :  
الحسناوات مثل البقر الوحشى والحدوج : هرادي الطعائن .

مثل هذه الخرافة : هل أراد صاحبها أن يستدلّ على قدرة الشاعر في الارتجال ؟ ولكن ، أي قدرة ، إذا حمله الجهد إلى القبر بمثل هذه السرعة ؟ أم أراد أن يستنكر قساوة الامتحان ؟ ولكن هل فرض عليه المدحوم هذا المقدار القاتل : ثمانية وثلاثين بيتأ في الحين والحال ؟

والرأي عندنا أنَّ الرواية ليست لا شيعية ولا سنية ، وإنما هي محاولة لتجسيم صورة الشاعر الباهتة وتلوينها بشيء من السماكة والحركة ، إلا أنَّ الراوي لم يقدر المرمى فتجاوز الغرض .

أما الرواية الهزلية ، فعند ابن سعيد وابن العماد . صاحب المغرب يصوره لنا وهو يخاطل حاجب جعفر بن حمدون حتى يدخل على الأمير ، فيضطر إلى التنكر في زي بهلول فيستظرفه الحاجب - دون أن يعرفه - فيدفعه إلى مولاه حتى يُضحكه وهناك يخلع ابن هانئ حمه المستعار ويندفع منشداً قصيدة النجوم ، فيقول جعفر مبهوراً : أنت ابن هانئ !<sup>(1)</sup> واستظرف الخرافة الدواداري أيضاً فأثبتها في كنزه<sup>(2)</sup> .

ابن العماد يخبرنا بلقاء بين ابن هانئ والمتني : هنا أيضاً يتنكر مواطنه في هيئة مسكين ذي أطماء يسوق أمامه شاة عجفاء ويعترض منافسه وهو قاصد أمير قابس تارك كافوراً فيقول له ، مشيراً إلى الدابة الهزيلة : هذا ما كافأني به على مدحي . فيفهم المتني أنَّ هذا البحر الذي وصفوه له إنما هو ساقية ، فيعود أدرجه ، فيفرح ابن هانئ وقد أمن المنافسة<sup>(3)</sup> . وقد بلغت الحكاية إلى مسمع اليافعي قبل أن تصل إلى صاحب الشذرات ، فاكتفى بأن قال : ما سمعنا أنَّ المتني دخل المغرب قط<sup>(4)</sup> ، ولكنه لم يستغرب الخرافة .

(1) المغرب ، ترجمة 409.

(2) كنز الدرر 6/241.

(3) شذرات الذهب 3/41.

(4) مرآة الجنان 1 / ورقة 230.

وهكذا فالصورة التي تقدمها الحكاياتان من شخص ابن هانئ هي وسط بين نوادر جحا وأخبار أبي نواس . وابن العماد - عن قصد أو غير قصد - يكتي صاحبنا بكتبة أبي نواس « مثل الشاعر العراقي » ، وبهذا الخلط يتضح المعنى : شاعران يكتيان بأبي نواس . وأبو نواس يحمل في الذهنية الشعبية سحنة من المُلْحِ والنوادر ، فتحوّل هذا الجانب الهزلّي بصفة طبيعية إلى النواسي المكذوب ، أي صاحبنا .

ولا نتهم أخيراً خصوماً له ستين ولا أنصاراً شيعتين ، لأن نقول :  
الصور المضحكة هي انتقام من مؤلفين قبروانين مالكيين من هذا الذي أله  
الدخلاء المشارقة المارقين . أو نقول : إنَّ الصور الخرافية كالهبات السنّية أو  
الارتجال المتبع بسكتة قلبية هي من صنع الشيعة ، تعظيمًا لكرم المعز من  
جمة ولعقرية شاعره من جهة أخرى .

لا نتهم أحداً ، بل نكتفي بالرأي الذي افترحناه قبيل الساعة : هي  
محاولات مغالية - وبالتالي غير ناجحة - لإعطاء صورة محسومة ملموسة فيها  
ألوان الحياة ، لهذا الشاعر الغامض المبهم الغريب .

## الخاتمة

حين شرعنا في هذا العمل ، كانت تحدونا رغبتان : أن نلتمس أولاً من دراسة هذا الشعر المذهلي مزيداً من المعلومات عن الدولة التي نظم في الإشادة بها ، وذلك اعتماداً على التواصل الوثيق بين الأدب والتاريخ ، وخاصة في بيئتنا العربية الإسلامية .

ثم أن نبرر - أو نزيّف - الشهرة الواسعة التي نالها هذا الشعر طيلة العصور التالية : فهل له من القيمة الذاتية ما يُثري الأدب العربي عامّة ، والمغربي خاصّة ؟ أم كان الإعجابُ بابن هانىء نتيجة لزععة المباهلة الإقليمية التي حاول بها المغاربة أن يتحرّروا من الشعور بالتبعيّة نحو الشرق ؟

وكذا نأمل أيضاً ، علاوة على هاتين الغايتين ، أن نلقيّ أضواءً جديدة على شخصيّة هذا الرجل الذي يكتنفه الغموض بالرغم من وصوله إلى منصب الداعية الرسمي لأعظم دولة إسلاميّة في القرن الرابع .

والآن ، وقد وصل عملنا إلى نهايته ، يحق لنا أن نقيّم النتائج :

في خصوص ترجمته ، نقول إنها نتائج متفاوتة : لم نصل إلى جديد فيما يخصّ الفترة الأندلسية من حياته وبقينا ، مثل سابقينا ، في دائرة القلن والتخيّل ، في كلّ ما يهمّ شبابه ، وأسرته ، وهانئاً أباه الداعي الغريب أو

المزعوم ، وخروجه طوعاً أو كرهاً من إشبيلية . ولم نفهم بالخصوص كيف مُحِي شعره الأندلسي من الذاكرة حتى لم يبق لنا منه ، ولو بيت واحد ثابت ، مع أنَّ إنتاجه الشعري بموطنه الأول كان ولا شكَّ غزيراً ، كما تشهد له به المدحُّة الجيدة التي توجه بها إلى جوهر حال وصوله إلى بر العدوة .

أما الفترة الإفريقية ، فلthen وضحتنا بعض جوانبها ، فإنَّ مناطقَ كثيرة منها لا تزال مهمَّةً : مثلاً ، كم دامت إقامته بالمسيلة ؟ أي ، متى دخل في خدمة المعز ، حتى نحدد بالضبط المدة التي صحب فيها الخليفة وعاصر الأحداث ؟ ثمَّ ، ما هي حقيقة علاقته بالإمام ؟ هل كان يقطن بجنبه بالقيروان ، أم كان يأتيه لماماً من المسيلة ؟ وهل كان له ما يشده إلى المسيلة ، أي أهلٌ ورهط وخلان ؟

كما بقي بعض ممدوحيه مجهولين لدىنا بصفة تامة : الشيباني وأحمد بن زائدة ، أو مفترقين إلى مزيد من التعريف كأفلح الناشب أو طاهر والحسين الأميرين الفاطميين .

وبقينا نستغرب عزوفه عن مدح ولادة وقواد مشهورين مقتدررين كالأمراء الكلبيين بقصليَّة والصنهاجيَّين بأشير : أَبْعَدَ المسافة بين الزاب وصقلية ؟ أم للعنصرية الخفية والصريحة بين العرب والبربر ؟

وفي المقابل ، تمكَّنا ، على ضوء ما أسعفتنا به مخطوط تونس 1 من قطع ذاتية مجهولة ، من كشف الجوانب المخفية من شخصية الشاعر ، كالانحراف المكتوب ، والشذوذ الجنسي ، والميل إلى اللهو ، والإسفاف في المطارحات الإخوانية ، مما يدعم الرأي القائل بأنَّ قتلَه كان « في مشربة على صبي » أو أنَّ موته كان بعد سكر شديد ضلَّ معه الطريق .

أما شعره ، فقد حاولنا أن نظهر خاصيَّته الأساسية : وهي الجانب السياسي العقائدي الذي يرفعه ، في مضمار الدعاية الحزبية ، إلى مستوى المؤلفات « النظرية » المختصة مثل كتب القاضي النعمان أو الداعي إدريس ،

ويجعل من صاحبه شاعرًا متدرجاً عن جدارة في سلسة الشعراء المذهبيين الذين خدموا قضية أو تعلقوا بفكرة ، ابتداءً من الثالث الأموي وخصوصهم الزبيريين أو الخارج ، إلى شعاء الوطنية والمقاومة اليوم ، وبرهنا على أن الشعر قادر على الدفاع عن فكرة سامية والإقناع بقضية مشروعة ، بقدر ما هو قادر على التعبير عن عواطف القلوب وأحساس النفس . فشعر ابن هانئ ، في دفاعه عن شرعية الدولة الفاطمية ، واستدلاله على أحقيتها بإمرة المؤمنين ، وخصوصاً في حملته العنيفة ضد الأعداء والمنافسين ، أقوى لهجة وأشد تأثيراً من قصائد التحس والتفجع التي عرف بها الشعر الشيعي في أيامه الأولى . وللائل أن يقول إنه كان في مأمنٍ من غضب هؤلاء الخصوم لا يحتاج إلى تقىة أو مداراة لأنَّه كان محروساً بدولة قوية متألقة متصرة . ونجيب بأنَّ مثل هذا الشاعر كان يصرخ بنفس الشعارات ويصدع بنفس المبادئ ، في نفس القوة ونفس العنف ، لو قُدر له أن يعيش تحت حكم عباسي أو أموي ، وقد فعل مع هؤلاء فأزعجه ونفوه ، مثل اللاجئين السياسيين اليوم .

وفيما عدا ذلك ، فإنَّ شعره يلفت الانتباه بخاصيتين : ميل الشاعر إلى الجزالة في اللفظ والقوة في التعبير ، مما حمل إليه تهمة التقوّع والجلبة الفارغة ، وشغفه بالصور والخيالات وكلَّ أصناف الصنعة البلاغية ، مما يجعل منه رائداً لمدرسة البديع في المغرب .

هذه الصنعة ، هذا التطبع من جهة ، وهذه القعقة اللفظية من جهة أخرى - وإن كانتا ظرفتين عابرتين ، لا تشوبان كافة شعره - تطمسان في الأغلب غائية الشاعر فتبهت الجوانب الذاتية الفطرية الصادقة من حساسيته وتفكيره .

رمضان 1404 / جوان - حزيران 1984



## **الفهارس العامَة**

- 1 - فهرس الآيات المضمنة في الأبيات
- 2 - فهرس الأعلام والمفاهيم .
- 3 - فهرس البلدان والأماكن
- 4 - فهرس الكتب المذكورة في المتن
- 5 - فهرس المراجع العربية وغير العربية
- 6 - فهرس المواضيع



# ١ - فهرس الآيات المضمنة في الأبيات

الصفحة	الآية	السورة
114	﴿... آلَآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ...﴾	يوسف ، 51
343	﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ...﴾	ص ، 33-31
343 ، 187	﴿قَالَ رَبُّ أَشْرَحَ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ...﴾	طه ، 32-25
145	﴿... كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ...﴾	
183	﴿الْبَرَّةُ ، 183﴾	
333	﴿هَذِهِ بِضَاعَتْنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ...﴾	يوسف ، 65
114	﴿وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَى .. مِنْ حَلِيلِهِمْ﴾	
148	﴿عِجْلًا جَسَدًا لَهُ حُوَارٌ ...﴾	الأعراف ، 148
342	﴿وَالْعَصْرُ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ !﴾	العصر ، 2-1
266 ، 128	﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ﴾	الرعد ، 7



## 2 - فهرس الأعلام والمفاهيم

أسقطنا عبارات « ابن » و « أبو » و « بنو ». فابن هانئ يطلب في الهاء وبنو حمدون في الحاء .

وأضربنا عن ذكر الأعلام الذين يتزدّد ذكرهم كابن هانئ والمعزّ ، أو اكتفينا بالإحالـة إلى أهمـ الصفحـات المـتعلـقة بـهـمـ ، مثل جـوـهـرـ وـبـنـيـ حـمـدـونـ . وكـذـاـ نـفـعـلـ بـأـسـمـاءـ الـأـماـكـنـ .

وأتصـرـنـاـ عـلـىـ أـسـمـاءـ الـمـتنـ دـوـنـ الـهـوـامـشـ .

- |  |   |
|--|---|
| آدم عليه السلام : 287 .                          | أ |
| بنو الأصفر : 297 .                               |   |
| الأعشى : 116 .                                   |   |
| أعوج (في س) : 331 .                              |   |
| أفلح الناثب : 96-92 .                            |   |
| الإلياذة : 310 .                                 |   |
| أماري (ميقال) : 171 .                            |   |
| أمرؤ القيس : 180 ، 307 ، 210 ، 206 ، 181 ، 331 . |   |
| أمرؤ القيس (في س) : 332 .                        |   |
| الأميني : 151 .                                  |   |
| الإنجيل : 262 ، 240 ، 260 .                      |   |
| الإيادي (علي) : 7 ، 21 ، 82 ، 123 ، 157-8 .      |   |
| أبو أيوب بن مخلد : 85 .                          |   |
| ابن الأبار : 10 ، 14 ، 16 ، 35 ، 44 ، 101 .      |   |
| إبراهيم بن جعفر بن حمدون : 191-180 .             |   |
| إبراهيم الرياحي : 36 ، 37 .                      |   |
| البرقطي (أو : البروطى) : 158 .                   |   |
| الأبلق : 147 ، 192 .                             |   |
| ابن الأثير : 18 ، 132 ، 171 ، 249 .              |   |
| أحمد بن أبي بكر الجذامي : 117 .                  |   |
| أحمد بن دينار : 174 .                            |   |
| أحمد بن زائدة : 103-102 .                        |   |
| الأحوص : 332 .                                   |   |
| الأدارسة : 119 .                                 |   |

## ب

- . 288، 267
- . التوراة : 260 ، 262
- . التيفاشي : 23
- . تيم (رهط أبي بكر) : 128 ، 268 ، 283
- ث**
- . العالبي : 359 ، 197
- ج**
- . الجاثليق : 54 ، 290
- . جبريل : 151 ، 260 ، 274
- . ابن الجبلي : 145
- . جعفر بن هانئ : 199 ، 359
- . جرير : 331 ، 349
- . العفراط : 118
- . جعفر بن حمدون : 88-83 ، 179-200
- . جعفر الصادق : 258 ، 263
- . جعفر بن فلاح : 19 ، 58 ، 80 ، 119 ، 166
- . جعفر بن منصور اليمن : 82
- . «الجفر» : 258
- . جودر : 21 ، 86 ، 147
- . جوهر الصقلي : 92-88
- ب**
- . بابك الخزمي : 174
- . البارود » : 175
- . البتول : 247 ، 288 ، 289
- . البحريّ : 101 ، 174 ، 227-9 ، 317
- . البرامكة : 294
- . ابن سَام : 182 ، 333 ، 346 ، 349 ، 356-8
- . البستاني (سلیمان) : 310
- . البوس (حرب) : 97
- . بشار : 208
- . ابن بشكوال : 10
- . أبو بكر الصديق : 280 ، 283
- . بكل بن وائل : 63 ، 97
- . يلقين بن زيري : 60 ، 87 ، 104 ، 169 ، 194

- . البهاء زهير : 360-1
- . البهرة : 43
- . بهلول بن راشد : 194
- . بُرنس بوافس : 361
- . بو يحيى (الشاذلي) : 349
- . بنو بويه : 166
- . برم الثاني : 38
- . ابن البين : 358

## ح

- . ابن حاتم الأزدي : 129 ، 126
- . الحاكم الفاطمي : 250
- . ابن حبّوس : 358
- . بنو الحجاج : 115 ، 125
- . ابن حجر العسقلاني : 355

## ت

- . تامر (عارف) : 347 ، 351
- . ابن نغري برجي : 19 ، 135
- . أبو تمام : 101 ، 200 ، 317 ، 325
- . تميم بن المعز : 24-5 ، 132 ، 130 ، 122 ، 134
- . ابن حجر العسقلاني : 169 ، 156 ، 134 ، 5-242 ، 198

- . حجر أكل المرار : 307 ، 180
- . ابن حجّة الحموي : 357
- . «الحرافات» : 174
- . الحروريّة : انظر : الخوارج
- . ابن حزم : 356 ، 333 ، 182
- . حسن (حسن ابراهيم) : 347
- . الحسان : 5 ، 118 ، 152
- . الحسن بن عمّار الكلبي : 171
- . الحسين : 282 ، 248 ، 275
- . الحسيني (زيد بن المنصور) : 33
- . الحسيني (عبد الرحمن) : 33
- . الحصري : 355 ، 352 ، 157 ، 21
- . ابن حفصون (عمر) : 125
- . الحكم الثاني : 17 ، 18 ، 87 ، 185 ، 196
- . 284 ، 243
- . الحكم بن العاص : 277
- . الحلوي الداعي : 85
- . ابن حماد : 18 ، 48 ، 89 ، 153
- . بنو حمدون : 196-180 ، 88-83
- . ابن حمديس : 176
- . حميد الدين علي : 43
- . الحميدي : 11 ، 13 ، 15 ، 353 ، 346
- . ابن حوقل : 126
- . ابن حيّان : 17
- خ**
- . ابن خاقان (الفتح) : 13 ، 38 ، 43 ، 88 ، 114
- . 355 ، 348 ، 116
- . بنو خزر : 193 ، 162-3 ، 81 ، 60 ، 170-168
- . ابن الخطيب (لسان الدين) : 15 ، 16 ، 18
- ر**
- . الراعي التميري : 331
- . ابن الرايس : 159
- . ابن خلدون : 19 ، 86 ، 120 ، 181 ، 251
- . 258
- . ابن خلّكان : 5 ، 6 ، 15 ، 19-15 ، 23 ، 28 ، 41 ، 44
- . 107 ، 139 ، 134 ، 132 ، 122 ، 114 ، 111 ، 107
- . 354 ، 346 ، 337 ، 334 ، 166
- . النساء : 327
- . الخوارج : 192 ، 191 ، 146
- . أبو الحير (الزنديق) : 126
- د**
- . الدارمي : 358
- . الداعي إدريس : 82 ، 358
- . الدباغ : 159 ، 144
- . ابن دحية : 15 ، 346
- . ابن دراج : 11 ، 333
- . الدشراوي : 78 ، 84 ، 169
- . دعبد الخزاعي : 7 ، 331
- . الدنجاوي : 36
- . «الدمستق» : 172 ، 302-296
- . الدواهاري : 25 ، 133
- . ابن أبي دينار : 20
- ذ**
- . الذهبي : 19 ، 20 ، 114
- . ذو الفقار : 98 ، 152-150 ، 244-5
- . أبو ذؤيب الهذلي : 230
- . ذو يزن : 25
- ن**
- . الراعي التميري : 331
- . ابن الرايس : 159
- . حجر أكل المرار : 307 ، 180
- . ابن حجّة الحموي : 357
- . «الحرافات» : 174
- . الحروريّة : انظر : الخوارج
- . ابن حزم : 356 ، 333 ، 182
- . حسن (حسن ابراهيم) : 347
- . الحسان : 5 ، 118 ، 152
- . الحسن بن عمّار الكلبي : 171
- . الحسين : 282 ، 248 ، 275
- . الحسيني (زيد بن المنصور) : 33
- . الحسيني (عبد الرحمن) : 33
- . الحصري : 355 ، 352 ، 157 ، 21
- . ابن حفصون (عمر) : 125
- . الحكم الثاني : 17 ، 18 ، 87 ، 185 ، 196
- . 284 ، 243
- . الحكم بن العاص : 277
- . الحلوي الداعي : 85
- . ابن حماد : 18 ، 48 ، 89 ، 153
- . بنو حمدون : 196-180 ، 88-83
- . ابن حمديس : 176
- . حميد الدين علي : 43
- . الحميدي : 11 ، 13 ، 15 ، 353 ، 346
- . ابن حوقل : 126
- . ابن حيّان : 17

- السيطان : 287، 248، 248  
 سخنون : 259، 144  
 السراج (الوزير) : 20  
 سعد بن عبادة : 124  
 سعدون الورجيلي : 7  
 ابن سعيد (علي بن موسى) : 15، 16، 169، 132، 119، 52، 350  
 . 363، 354-5  
 ابن أبي سفيان : 273  
 السلاوي الناصري : 20  
 سليمان النبي : 343  
 المسؤول : 330، 191  
 سمرة (أخت المعرّ) : 82  
 ابن سنان الخفاجي : 357  
 سهل الوراق : 250، 157  
 السيد الحميري : 7  
 سيف الدولة : 20، 79، 118، 156، 160، 181، 177  
 ش  
 ابن شاكر الكبي : 38  
 شاهين عطيه : 42  
 ابن الشحنة : 346  
 ابن شداد الصنهاجي : 16، 17، 22، 241، 251-249  
 ابن شرف : 21، 16، 116، 120، 241، 346  
 . 348  
 الشريفان الرضي والمرتضى : 248، 249  
 الشقنقدي : 182، 193، 333، 356  
 سلمبرجي (ق.) : 20، 171، 173، 295  
 شوقي (أحمد) : 357  
 أبو الربع القضاعي : 356، 358  
 ابن رزيك : 360  
 ابن رذين : 137، 353  
 ابن رشيق : 14، 21، 116، 134، 326، 348، 350  
 الركابي (جودت) : 361  
 «رمأة المسك» : 199  
 الرندي : 356  
 روح بن حاتم : 110  
 ابن الرومي : 361  
 رينو (هـ) : 175  
 ز  
 زاهد علي : 24، 31، 33، 35، 39، 41، 43، 44  
 سهل الوراق : 134، 198، 203، 261، 285  
 . 327، 347  
 الزاوي (طاهر أحمد) : 92  
 الزجالى : 115  
 ابن أبي زمور : 198  
 زناته : 78، 86، 103، 163، 168، 170  
 . 273، 193، 194، 190  
 الزهار (لطفي) : 42  
 الزهرا ، (فاطمة) : 247، 248  
 الزهراني : 23  
 ابن زولاقي : 91  
 ابن زيدون : 309، 312، 333  
 زيري بن مناد : 60، 87، 194  
 زين العابدين (علي) : 261  
 س  
 السبائي (أبو إسحاق) : 146

# ع

- ابن أبي العافية (آل موسى) : 47، 117.  
 . 161، 272، 273.  
 . 18، 259، «العامة» : 126، 115.  
 . 358، 350، بنو عباد : 289-285، العباس بن عبد المطلب : 248.  
 عبد الرحمن الناصر : 53، 115، 125، 273، 274، 276، 284.  
 أبو عبد الله الداعي : 249، 84، 192، عبد الله بن سليمان : 24، 198.  
 عبد الله بن محمد (وال صنهاجي) : 170.  
 عبد الله بن المعز : 168-170، 265، 267.  
 . 352.  
 عبد الوهاب (ح. ح.) : 38، 37، 22، «العشمية» (بنو أمية) : 280، 275.  
 عبيد بن الأبرص : 332.  
 عبيد الله المهدى : 7، 18، 85، 92، 108.  
 . 251، 235، 249، 155، 125.  
 العتقى : 158.  
 عثمان بن أمين : 189.  
 عثمان (بن عفان) : 277.  
 عتى (رهط عمر) : 268.  
 ابن عذاري : 18، 124.  
 أبو العرب : 125.  
 عروس المؤذن : 144.  
 العزيز الفاطمى : 130، 169، 287، 264-5.  
 العسكري (أبو هلال) : 306، 327.  
 عضد الدولة البوهيمى : 291.

الشيباني (أبو الفرج) : 100-96.  
 الشيخان : 126، 128، 130، 268، 277.  
 . 340.  
 الشيرازي (هبة الله) : 145.

# ص

- الصاحب بن عباد : 333.  
 أبو صخر الهذلي : 327.  
 الصدر (حسن) : 347.  
 الصفدي : 19، 111.  
 صلاح الدين الأيوبي : 175.  
 صنهاجة : 78، 87، 90، 147، 176، 194، 266، 273.  
 الصنوبرى : 120، 337.

# ض

- الضيى : 11.  
 ابن أبي الضياف : 37.  
 ابن الضيف : 13.

# ط

- طاغية الروم (الدمستق) : 298، 295.  
 طاهر والحسين (أخوا المعز) : 189، 82.  
 . 366، 197.  
 الطريد (أو اللعين) : 296، 286، 277.  
 طفيل الغنوى : 214، 332.  
 الطليق (العباس) : 248، 286.  
 الطمشيش : 199.  
 طئىء : 205.

# ظ

- ابن ظافر : 200، 360.

- الفرزدق : 208، 255، 307، 308، 331، 332، 333، 349
- ابن الغرضي : 10
- الفزارى الشاعر : 82، 158، 159، 250
- ابن فضل الله العمري : 354
- فوندرهايدن : 89
- ق**
- القادر العباسي : 249، 251
- قارثيا - قوميث : 6، 308، 334، 336
- « ابن قاضي برقة » : 96
- القاضي النعمان : 70، 90، 130، 147، 151، 240، 242، 244، 246، 248، 254، 258، 259، 263، 268، 301، 306، 329، 358
- القالى (أبو علي) : 356
- القائم الفاطمى : 85، 94، 120، 133، 143، 158
- ابن القتار : 82، 157
- ابن قتيبة : 206
- القرامطة : 80
- بنو قرة : 93
- قططاكي الحمصي : 351
- قطسطنطين : 78، 303
- قغضب : 25
- القلقشندى : 165
- ابن القنفذ : 360، 362-363
- ابن القويع : 355
- ك**
- كافور الإخشيدى : 57، 80، 155، 180، 213، 291، 363
- العكيرى : 23، 44، 45
- علقمة الفحل : 206، 331، 332
- علم الإسلام الداعي : 144
- علي الإيادى : انظر : الإيادى
- علي بن حمدون : انظر : بنو حمدون
- علي بن أبي طالب : 78، 98، 126، 128، 248، 250، 261، 268، 152-150، 280، 283-4، 347، 287-8
- علي بن يحيى الصنهاجى : 176
- علية بنت المهدى : 294
- العماد الأصفهانى : 13، 137، 360
- ابن العماد الحنبلى : 16، 32، 138، 363-4
- عمار بن ياسر : 124
- ابن عمار (الشاعر الوزير) : 350، 358
- العمان : 5، 118
- عمر بن الخطاب : 267
- عمر بن أبي ربيعة : 203، 207-8، 306-8
- عمر بن عليه السلام : 242، 247، 262
- عمرو بن العاص : 280
- « العواتك » : 247-8
- عيسى عليه السلام : 242
- ف**
- فاسيلياڤ : 351
- فاطمة الزهراء : 79، 235، 247-8، 268
- فاطمة الزهراء : 289، 285، 287، 283
- الفتح بن خاقان (الوزير العباسي) : 228
- أبو الفداء : 19، 346
- أبو فراس الحمدانى : 23، 208، 288، 294

- مرغوليوث : 44 .
- مروان بن الحكم : 277 .
- المرزوقي : 159 .
- مريم بنت عمران : 247 .
- ابن مسرة : 125 .
- المسعودي : 302 .
- «المشارقة» : 12، 115، 126، 144، 146، 146 .
- «المظلة» : 143، 149 .
- معاوية بن أبي سفيان : 78، 277، 179 .
- ابن المعتز : 325، 317 .
- المعتزلة : 256، 241 .
- المعري : 361، 349، 310 .
- المعز الفاطمي : 83-75 .
- مغراوة : 193، 170 .
- ابن مقاناً : 346 .
- المقدسي : 126 .
- المقرئي : 14، 138، 353 .
- المقرiziي : 12، 19، 58-9، 64، 91، 101 .
- ، 249، 240، 169، 165، 154 .
- ابن ملجم : 284، 128 .
- المقسّي (أبو الفضل) : 146 .
- المناذرة : 181 .
- المنصور الفاطمي : 85-6، 77، 143 .
- ، 146، 257، 240، 192-3 .
- ، 158، 180 .
- منويل فقاس : 302-299 .
- ابن المهنـب : 102-100 .
- المهـلب بن أبي صفرة : 14، 109 .
- موسى عليه السلام : 187، 193 .
- ، 253 .
- 343 .
- ابن كافـي (عامل برقة) : 145 .
- كانـار (مارـيوس) : 20، 85، 153، 193 .
- الـكـلـبيـون : 80، 147، 171-2 .
- كتـامـة : 90، 142، 192، 273 .
- كـثـير عـرـة : 332 .
- كريـمـر (فـونـ) : 351 .
- كـلـيـبـ وـائـلـ : 97، 330، 180 .
- كنـدـةـ : 180 .
- الـكـورـانـيـ : 357 .
- ل**
- لـيدـ : 230 .
- لـيـدـ : 341 .
- الـلـعـنـ : انـظـرـ : الـطـرـيدـ .
- لـقـمانـ : 230 .
- م**
- مارـسيـ (جـورـجـ) : 228 .
- ماـسـيـ (هـنـريـ) : 165 .
- ماـسـينـيـونـ (لوـيسـ) : 6، 77 .
- مالـكـ بنـ أـنـسـ : 126 .
- الـمـالـكـيـ (أـبـوـ بـكـرـ) : 144-5، 157 .
- الـمـنـتـبـيـ : 338-332 .
- محمدـ بنـ إـبرـاهـيمـ بنـ هـانـيـ : 19، 111 .
- ، 137 .
- 359، 199 .
- 360 .
- محمدـ بنـ حـمـدـونـ : انـظـرـ : بـنـوـ حـمـدـونـ .
- محمدـ بنـ الحـنـفـيـةـ : 247 .
- محمدـ بنـ القـاسـمـ (ناسـخـ) : 353 .
- الـمـراـكـشـيـ (عبدـ الواـحـدـ) : 358 .
- مرـضـيـ بنـ عـلـيـ : 175 .

ميكيائيل : 260

## ن

ناجي (منير) : 354، 51

«النار الإغريقية» : 337، 174، 171-2

نافع (قاري المدينة) : 126

نتلة (أم العباس) : 289، 294

نفور فقلس (الدمستق) : 171، 79، 20

. 304، 295

أبو نواس : 27-8، 203، 51، 200

. 364، 361، 332، 307-8

نوح (صاحب الفلك) : 323، 237

نيكولاوس (سفير الروم) : 301

## هـ

هارون (أخوه موسى) : 343، 187

هارون الرشيد : 294، 174، 255

هاشم (عمر) : 42

«الهامنة» : 276

ابن هانئ الحفيد : محمد بن إبراهيم

## و

ابن واسول : 47، 90، 117، 119، 162، 272،  
. 338

الوهرياني : 105-103

## ي

اليافعي : 32، 16-7، 363

ياقوت : 16، 18، 132، 134، 354

يعيسى بن حمدون : انظر : بنو حمدون .

أبو يزيد صاحب الحمار : 77، 85، 125،  
. 192-3، 158، 146

يزيد بن حاتم المھاھي : 110

يزيد بن معاوية : 282

يعقوب : 254

يوسف النبي : 254، 333

يونس (ذو النون) : 261

### ٣ - فهرس البلدان والأماكن

- أ
- برقة : ١٣٦-١٣٢، ١٤٥، ١٩٧، ١٣٨-٩، ٢٤٥ . ٣٦٢، ٣٥٩ . ٢٨٥
  - برقة ثمود : ٢٠٦ . ١٨٩
  - البصرة (بالغرب) : ١١، ٥٦، ٦٠، ١٢١، ١٦١ . ٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٩، ٢٧١-٢ . ٢٨١-٢، ٢٩٦، ٢٨٩، ٢٨٦
  - بغداد : ٧، ١٢، ١٣٥، ٤٧ . ٤١
  - بنغازي : ١٣٥، ٤٧ . ١٢٥
  - بوشتر : ٤١
  - بولاك (طبعة) : ٤٦، ٤١-٢
  - بيروت (طبعات) : ١٧٠ . ٣٥٨، ٣٥٠، ٢٨٤، ٣٦٦-٣٦١
  - بيزنطة (القسطنطينية) : ١١٢، ١١٦ - ١١٤، ١٢٥، ١١٠ - ١٠٧، ٨٨، ١٤، ١٢٧
- ت
- التأفیلات : ١١٧ . ٢٣٩، ٢٤٢، ٩٧، ٩٠، ٢٤٥
  - تاھرت : ٣٥ . ٣٦٢، ٣٧، ٤، ٣، ٢، ٣٣٠
  - تونس ١ (مخطوط) : ٣٥ . ١٩٢، ١٩٣، ٣٦
  - تونس (مخطوط) : ٣٤٠ . ٢٧٩-٨١
- ب
- باريس (مخطوط) : ٣٢، ٢٨ . ٨٤
  - بجاية : ٣٤٠ . ٢٧٩-٨١
  - بدر (غزوة) : ١٥١، ٢٤٨، ٢٤٥ . ٣٤٠، ٢٨٦، ٢٨٤

# ح

- حلب : 7 ، 20 ، 54 ، 80 ، 116 ، 120 ، 290 .  
 حيدر آباد : 31 ، 39 ، 43 .  
 الحيرة : 181 .

# ش

- شط الحضنة : 85 ، 192 .  
 الشنيل : 333 .

# ص

- الصعبيد : 93 .  
 صفين : 280 .  
 صقلية : 18 ، 20 ، 55 ، 79 ، 81 ، 89 ، 366 ، 295 ، 271 ، 174 ، 170-1 .

# ط

- طبرمين : 171 .  
 الطف : 128 ، 202 ، 274 ، 340 .  
 طنجة : 78 ، 90 .

# ع

- «العواصم» : 286 .

# غ

- الغدير (انظر : خم)  
 غرناطة : 358 ، 107-8 .

# ف

- فاس : 47 ، 59 ، 90 ، 117 ، 245 .  
 الفرات : 7 ، 237 ، 295 .  
 فراقيس : 61 .  
 الفسطاط : 116 ، 138 ، 139 .

# ق

- قباس : 17 ، 132 ، 333 ، 363 .

# خ

- خرازي (يوم) : 180 .  
 الخصوص (وقعة) : 151 .  
 خم (غدير) : 143 ، 151 ، 268 ، 287-8 .

# د

- الدلتا (البحيرة) : 93 .

# ر

- رضوى (جبل) : 7 ، 147 ، 330 .  
 رقادة : 85 ، 92 ، 108 ، 164 ، 236-7 .  
 رمطة : 53 ، 81 ، 171 .  
 الرملة : 291 .  
 ريو (ريمة) : 171 .

# س

- سبتا : 78 ، 90 ، 119 ، 278 ، 280 .  
 سجلماسة : 163 .  
 سرت : 31 ، 39 ، 43 .  
 سردانية : 134 ، 138 .  
 السقينة : 128 ، 279 ، 283-280 .  
 سكون : 107 .  
 سلمية : 85 .  
 السهلة : 137 ، 353 .  
 سيناء : 193 .

- القاهرة : 18، 61، 89، 81، 95، 138-134  
 المجاز (وقدة) : 174-171  
 المسيلة : ذكرت كثيراً : 85  
 مسينا (مجاز) : 20، 55، 81، 171  
 المعاضيد (جبال) : 192، 85  
 مكة المكرمة : 154-5، 168، 255، 277، 281، 360، 292، 287  
 مجردة : 333  
 مدريد (مخطرط) : 33، 28  
 المرج : 135  
 المنصورية : ذكرت كثيراً .  
 المهدية : 59، 108، 147، 155، 206، 240  
 مني : 192  
**ن**
- النيل : 58، 80، 91، 167، 331، 333  
**و**  
 «الواحات» : 93  
 الوادي المالع : 158
- القاهرة : 18، 61، 89، 81، 95، 138-134، 170، 165  
 قرطبة : 14، 17، 53، 87، 103، 112، 125، 134، 161، 189، 243، 251  
 قريطن : 295، 79  
 القدسية : 89، 170، 271، 296-7  
 قلورية : 81، 170-1، 300-1  
 القيروان : ذكرت كثيراً : 48-58، 122-126، 144-146، 191-196، 206، 239-249  
 . 260

## ك

- كبك (جبل) : 147، 330  
 كربلاء : 128، 244، 274-5، 282-279  
 . 340، 284  
 الكوفة : 128، 280  
 كيانة : 85، 191-2، 195

## ي

- يشرب : 186، 225، 251، 277  
 يذيل (جبل) : 47، 331

## م

- متالع (جبل) : 330  
 المتحف البريطاني (مخطرط) : 34، 43



## ٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن

- تبين المعاني (زاهد علي) : 43 .  
تممة اليقينة (الشعالي) : 199 ، 359 .  
تخليص الذهب (ابن الخطيب) : 15 .  
التكاملة لكتاب الصلة (ابن الأبار) : 10 ، 14 ، 107 .

### ج

- جذوة المقتبس (الحميدي) : 11 ، 12 ، 14 .  
الجمع بين الصحيحين (الحميدي) : 13 .  
الجمع والبيان (ابن شداد) : 16 ، 134 ، 139 .  
241 .

### ح

- الحلل السنديّة (الوزير السراج) : 20 .

### خ

- خريدة القصر (العماد الاصفهاني) : 137 .  
360 .  
خطط المقرizi : 240 .

### أ

- إتحاف أهل الزمان (ابن أبي الصياف) : 37 .  
الإخاطة (ابن الخطيب) : 15 ، 16 ، 22 .  
أخبار ملوك بنى عبيد (ابن حماد) : 18 ، 249 .  
إرشاد الأريب (ياقوت) : 16 .  
الاستقصاء (الناصري السلاوي) : 20 .  
افتتاح الدعوة (القاضي النعمان) : 84 .

### ب

- بغية الملتمس (الضبي) : 11 .  
البيان المغرب (ابن عذاري) : 18 .

### ت

- تاريخ الإسلام (الذهبي) : 20 .  
تاريخ الدولة الفاطمية (حسن إ. حسن) : 347 .  
تاريخ العلماء والرواة (ابن الفرضي) : 10 .  
التبیان في شرح الديوان (العکبری) : 45 .

د

دعائم الإسلام (القاضي النعمان) : 143 .  
العملة (ابن رشيق) : 21، 158 .

الديباج الخسرواني (البيضاوي) : 23 .

ذ

الذخيرة (ابن سَام) : 182، 346 .

ر

رسالة في فضائل الأندلس (ابن حزم) :  
182 .

الرسالة إلى الحسن القرمطي (المعز) : 77 .  
رسالة الشقدي : 182 .

الرسالة المسيحية : 77، 298 .  
رياض النفوس (المالكي) : 144، 158 .

ز

زهر الآداب (الحضرمي) : 21، 352 .

س

سيرة الأستاذ جوزر : 21، 89، 92، 101، 142 .  
185 .

ش

شدرات الذهب (ابن العماد) : 16، 363 .

ص

ك. الصلة (ابن بشكوال) : 10 .

ط

طبقات أبي العرب : 125 .

ع

العقد الفريد (ابن عبد ربّه) : 333 .  
العملة (ابن رشيق) : 21، 158 .  
عيون الأخبار (الداعي إدريس) : 82، 358 .  
عيون التواريخ (ابن شاكر) : 38 .

ف

فهرسة ابن الخير : 112 .

ق

فراسة الذهب (ابن رشيق) : 14، 16، 110،  
134 .

القصيدة الفزارية : 158 .

قلائد العقيان (الفتح بن خاقان) : 14 .

ك

الكامل (ابن الأثير) : 18 .

ل

اللزوميات : 309، 349 .

م

المجالس والمسائرات (القاضي النعمان) :  
358، 300، 142 .

المجالس المستنصرية : 144 .

المجالس المؤيدية : 144 .

مرأة الجنان (اليايفي) : 16 .

مسالك الأبصار (ابن فضل الله) : 354 .

مسائل الإنقاذ (ابن شرف) : 16 .

المطروب من أشعار أهل المغرب (ابن  
دحية) : 15 .

- مطعم الأنفس (ابن خاقان) : 88، 38، 13-4 . المؤنس (ابن أبي دينار) : 20، 92 .
- معالم الإيمان (الدباغ / ابن ناجي) : 144 .
- المعجب (عبد الواحد المراكشي) : 358 .
- المغرب في حل المغارب (ابن سعيد) : 349 .
- المحضيات : 312 .
- المقتبس (ابن حيان) : 17-8 .
- موطأ مالك : 126 .
- الوافي بالوفيات (الصفدي) : 19، 111 .
- وفيات الأعيان ( انظر : ابن حلكان في فهرس الأعلام ) .
- ن
- ف
- و
- نفح الطيب (المقربي) : 14، 43، 137 .



## 5 - فهرس المراجع العربية وغير العربية

### باللغة العربية

ربّنا المراجع على أسماء مؤلفيها ترتيباً أبجدياً بقطع النظر عن « ابن » و« أبو ». فابن هانئ يأتي في الهاء ، وأبو الطيب في الطاء . وجعلنا بين قوسين سنة الوفاة .

### أ

ابن الأثير (1260/658) :

- التكملة لكتاب الصلة ، مدرید 1889 .

- الحلة السيراء ، نشر حسين مؤنس ، القاهرة 1963 ، في جزأين .

ابن الأثير (1233/630)

- الكامل في التاريخ ، القاهرة 1353/1934 في 9 مجلدات .

إدريس عماد الدين الداعي (1468/872) : عيون الأخبار ، السبع السادس ، مخطوط .

الاصطخرى (957/346)

المسالك والممالك ، القاهرة 1961 .

الأعظمي (محمد حسن) : الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والأئمّة عشرية ، القاهرة ، 1970 .

امرأة القيس : ديوان ، نشر السنديوني ، القاهرة 1053 .

أمين (أحمد) : ظهر الاسلام ، 4 أجزاء ، القاهرة 1957 .

**الأمسيي النجفي** (عبد الحسين أحمد) : الغدير في الكتاب والسنة والأدب ،

بيروت 1977

**أنيس (ابراهيم)** : موسيقى الشعر ، القاهرة ، 1965.

## ب

**الباخرزي** (1074/467) : دمية القصر ، بغداد 1970.

**البحترى** : ديوان ، نشر البرقوفى 1329/1911.

- ديوان ، نشر حسن كامل الصيرفى ، ذخائر العرب عدد 34.

ابن بسام (1147/542) :

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، تونس - ليبيا

. 1975

**البكري** (1094/487)

المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، الجزائر 1857.

**البلاذري** : أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، القاهرة 1959.

## ت

**تامر (عارف)** : - ابن هانىء ، سلسلة الأعلام ، بيروت 1961.

- ابن هانىء ، فصل بدائرة معارف البستانى 112/4.

**ابن تغري بردي** (1470/874) : النجوم الزاهرة ، القاهرة 1933 .

**أبو تمام** : ديوان ، تحقيق محمد عبده عزام ، ذخائر العرب رقم 5 .

**تميم بن المعز الفاطمي** : ديوان ، القاهرة 1957.

## ث

**الشعالبي** (1038/429) : كتاب تتمة اليتيمة ، تحقيق عباس اقبال ، طهران

. 1934/1352

- يتيمة الدهر ، القاهرة 1352/1934.

## ج

**جوذر (سيرة الأستاذ)** ، نشر محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة . القاهرة ، د.ت.

## ح

- ابن حجر العسقلاني (1448/852) :  
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - حيدر آباد 1931/1350.
- ابن حجة الحموي (1433/837) : خزانة الأدب وغاية الأدب ، القاهرة 1887/1304.
- ابن أبي حجلة التلمساني (1375/776) :
- سکردان السلطان (مع كـ. المخلاة للعاملي) القاهرة 1957.
- حسن (حسن إبراهيم) : تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة 1967.
- حسن (علي إبراهيم) : تاريخ جوهر الصقلي ، القاهرة 1933.
- محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي ، 1970 .
- الحضرمي (1022/413) : زهر الأداب ، القاهرة 1953.
- ابن حماد (1230/628) : أخبار ملوكبني عبيد وسيرتهم ، الجزائر 1927.
- الحميدي (1095/488) : جذوة المقتبس ، تحقيق محمد بن تاویت ، القاهرة 1952.
- ابن حیان ( 469 / 1076) : المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، نشر عبد الرحمن الحجّي ثم محمود علي مكي (1973) ثم بدر و شلميما (1979) .

## خ

- ابن خاقان (الفتح) - (1134/529) :
- قلائد العقيان ، نشر سليمان الحريري ، باريس 1860 .
- مطمح الأنفس ، القاهرة 1325/1905.
- ابن الخطيب (1375/776) لسان الدين :
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، نشر عبدالله عنان ، القاهرة
- أعمال الأعلام ، قسم نشره حـ.ـ عبد الوهاب ، بالرمـو 1910.
- قسم نـشر بمـدـريـدـ ، 1956 (بـتحـقـيقـ رـفـائلـ مـركـاسـ).
- الخفاجي (الشهاب) - (1658/1069)

- ريحانة الألباء ، نشر عبد الفتاح الحلو ، القاهرة 1967 .
- ابن خلدون (1406/808) : كـ. العبر ، بيروت 1958 .
- ابن خلkan (1282/781) : وفيات الأعيان ، القاهرة 1948 .
- خلوصي (صفاء) : فن التقسيط الشعري والقافية ، بيروت 1966 .
- ابن خير (1179/575) : فهرسة ما رواه عن شيوخه ، مدريد 1894 .

## د

- الدباغ (1297/696) / ابن ناجي : معالم الإيمان ، تونس 1320/1902 .
- ابن دحية (1265/663) : المطرب من أشعار أهل المغرب ، القاهرة 1954 .
- ابن الدواداري (1335/736) : كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السادس ، نشر صلاح الدين المنجد ، القاهرة 1961 .
- ابن أبي دينار (1698/1110) : المؤنس في أخبار افريقيا وتونس ، تونس 1868/1236 .

## ذ

- الذهبي (1348/748)
- تاريخ الإسلام ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ، رقم 1581 .
  - العبر في تاريخ من عَبر ، الكويت 1961 .

## ر

- ابن رشيق (1063/456)
- العمدة ، القاهرة 1955 .
  - قراصنة الذهب ، نشر الشاذلي بوبحيري ، تونس 1972 .

## ز

الزبيدي (989/379) :

طبقات النحوين واللغويين ، نشر محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة . 1954

ابن زيدون : ديوان ، نشر رشيد الكيلاني ، القاهرة 1956 .

## س

السراج (الوزير) [1736/1149] :  
الحلل السنديّة في الأخبار التونسيّة ، نشر محمد الحبيب الهيلة ،  
تونس 1970-1974 .

- ابن سعيد المغربي (1286/685) :  
- رایات المبرّزين : نشر فارثيا قوميّث ، مدريد 1942 .  
- عنوان المرقصات ، نشر عبد القادر محداد ، الجزائر 1949 .  
- المغرب في حلّي المغرب ، نشر شوقي ضيف ، القاهرة 1955 .  
- قسم منه خاص بمصر ، نشر زكي محمد حسن ، القاهرة 1953 .

ابن سهل الجياني : نوازل الأحكام . . . مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس  
رقم 18394 .

## ش

ابن شاكر الكتبني (1362/764) :  
- عيون التواریخ ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 1588 .  
- فوات الوفیات ، القاهرة 1957 .

ابن الشحنة (1412/813) : روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر (طبع  
بهاشم مروج الذهب) القاهرة 1885/1303 .

ابن شرف القيرواني (1067/460) : مسائل الانتقاد ، نشر شارل بلا ، الجزائر  
. 1953

## ص

- الصدر (السيد الحسن) : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ، بيروت 1981 .
- الصفدي (764/1363) : الوافي بالوفيات ، نشر ريتز ، فيسبادن 1962 ، ومخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم 13318 .
- الصنوبري : ديوان ، نشر إحسان عباس ، بيروت 1970 .

## ض

- الضبي (599/1203) : بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس نشر كوديرا ، مדרيد 1884 .

## ط

- الطالبي (محمد) : تراجم أغلبية ، تونس 1968 .
- الطرّازي (فيليپ) : تاريخ الصحافة العربية ، بيروت 1914 .
- الطرسوسي (مرضى) : ك. تبصرة الألباب ، نشر كلود كاهين ، صحيفة الدراسات الشرقية (B.E.O.) مجلد 12 ، دمشق 1947-1948 .

## ظ

- ابن ظافر الأزدي (613/1216) : بداعي البدائه ، بولاق 1278 .

## ع

- العاملي (1031/1622) : كتاب المخلافة ، القاهرة 1957 .
- عبد الوهاب (ح.ح.) : تاريخ الأدب التونسي ، تونس 1966 .
- ابن عذاري (712/1312) : البيان المغرب ، نشر ليثي بروفنسال وكولان ، ليدن 1948-1951 .

- أبو العرب التميمي (333/945) : طبقات علماء إفريقية ، نشر محمد بن أبي شنب ، الجزائر 1332/1917 .

المسكري (1010/400) : ك . الصناعتين ، القاهرة 1971 .  
العماد الأصفهاني (1201/597) : خريدة القصر - (قسم شعراء مصر) ، القاهرة  
1959 .

- (قسم شعراء المغرب) تونس 1966/1972 .
- . ابن العماد الحنبلي (1678/1089) : شذرات الذهب ، القاهرة 1931 .
- العمري (ابن فضل الله) [1348/748] :
- مسالك الأبصار ، نشر أحمد زكي ، القاهرة 1924 .
- قسم المغرب ، ترجمة ديمومين ، باريس 1927 .
- الباب 17 : شعراء الجانب الغربي ، مخطوط المكتبة الوطنية باريس  
1327 .

علي (زاهد) الحيدرابادي : تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانىء ، القاهرة  
1933/1352 .

## ف

- أبو الفداء (1331/732) : المختصر في أخبار البشر ، القاهرة 1325/1907 .
- أبو فراس الحمداني : ديوان ، بيروت 1966 .
- الفرزدق : ديوان ، نشر الصاوي ، القاهرة 1354/1936 .
- ابن الفرضي (1013/403) : تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ، القاهرة 1954 .

## ق

- ابن قتيبة (889/276) : الشعر والشعراء ، المقدمة ، نشر ديمومين ، دمشق .
- القلقشندی (1418/821) : صبح الأعشى ، القاهرة 1963-1972 .
- القمي (عيّاس) : الكنى والألقاب ، النجف 1970 .
- ابن قنفذ القسطنطيني : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تونس 1968 .
- الوفيات ، نشر بيريس 1939 .

ك

ابن كثير (1373/774) : البداية والنهاية ، القاهرة 1932 .

م

العالكي (1061/453) : رياض النفوس- ج 1 نشر حسين مؤنس ، القاهرة 1951 . ج 2 ، مخطوط القاهرة رقم 116 ، مخطوط باريس رقم 2153 .

- نشر البشير البكوش في 3 أجزاء ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1984- 1981 .

المتنبي : الديوان بشرح العكبري ، القاهرة 1956 .

مجهول : ك . العيون والحدائق ، الجزء الرابع في قسمين ، تحقيق عمر السعدي ، دمشق 1973 .

المحيبي : (1699/1111) : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر ، القاهرة 1967 .

- نفحة الريحانة ، نشر عبد الفتاح الحلو ، القاهرة 1967 .

المراكشي (عبد الواحد) (1250/647) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، القاهرة 1949 .

المقدسي (988/378) : أحسن التقاسيم ، نشر شارل بلا - الجزائر 1950 .

المقربي (1631/1041) : أزهار الرياض في أخبار عياض ، القاهرة 1942 .  
- نفح الطيب ، القاهرة 1949 .

- نفح الطيب نشر احسان عباس ، بيروت 1968 .

المقرizi (1441/845) :

- اعتاظ الحنفاء ، نشر جمال الدين الشيّال ، القاهرة 1948 .

- الخطط (المواعظ والاعتبار) . بولاق 1898/1316 .

- ك. الذهب المسبوك فيمن حجَّ من الخلفاء والملوك ، نشر الشيّال ، القاهرة 1955 .

- المعرّي (1057/449) : اللزوميات ، بيروت .
- رسالة الغفران ، تحقيق بنت الشاطئ ، القاهرة 1950 .
- مكي (محمود علي) : التشيع في الاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد 2,1/1954 .
- ابن منظور (1311/711) : أخبار أبي نواس ، القاهرة 1924 .
- المنقري (نصر بن مزاحم) [828/212] : وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1365 .

## ن

- ناجي (منير) : ابن هانئ الأندلسي ، بيروت 1962 .
- الناصري السلاوي (أحمد) : ك. الاستقصاء ، الدار البيضاء ، 1954 .
- القاضي النعمان (974/363) : - افتتاح الدعوة ، نشر وداد القاضي ، بيروت 1970 .
- تأويل الدعائم ، نشر محمد حسن الأعظمي ، القاهرة 1969 .
- دعائم الإسلام ، نشر آساف فضي ، القاهرة . .
- المجالس والمسايرات ، نشر كلية الأداب ، تونس 1978 .
- ك. الهمة ، نشر محمد كامل حسين ، القاهرة 1951 .
- أبو نواس : ديوان ، بيروت 1962 .

## ي

- اليافعي (عفيف الدين) [1367/768] : مرآة الجنان . . مخطوط دار الكتب الوطنية ، تونس رقم 13443 . 13444 . وطبعة بيروت الثانية ، 1970 .
- ياقوت الحموي : (1230/627) :
- إرشاد الأريب (معجم الأدباء) نشر الرفاعي ، القاهرة 1939 .

- Amari (Michele):** – B.A.S. (Biblioteca arabo-sicula), Leipzig 1957.
- Su i fuochi di guerra... Roma 1871.
- Blachère (Régis):** – Histoire de la littérature arabe, Paris 1952-1966.
- Bouyahia (Chedli):** – La vie littéraire en Ifriqiya sous les Zirides, Tunis 1972.
- Brunschvig (Robert):** – Fiqh fatimide et Histoire de l'Ifriqiya, in Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, tome 2, Alger 1957.
- Un aspect de la littérature historico-géographique de l'Islam; mélanges Gaudefroy-Demombynes, Paris 1945.
- Canard (Marius):**
  - L'autobiographie d'un chambellan du Mahdi 'Ubayd Allah, Hespéris 1952.
  - Cérémonial fatimide et cérémonial byzantin; Byzantion 21 (1951).
  - Une famille de partisans puis adversaires des Fatimides en Afrique du Nord, in Mél. d'Hist. et d'Archéol. de l'Occ. musulman, t. 2, Alger 1957.
  - Histoire de la dynastie des Hamdanides... Alger 1951.
  - L'impérialisme des Fatimides et leur propagande, A.E.I.O.A. 6/156.
  - La procession du Nouvel an chez les Fatimides, A.E.I.O.A. 1952.
  - Vie de l'ustad Jawdhar, Alger 1958.
- Dachraoui (Farhat):**
  - Le califat fatimide au Maghreb, Tunis 1981.
  - La captivité d'Ibn Wāsūl... in: Cahiers de Tunisie 1956.
  - La Crète entre Byzance et mu'izz, in Cahiers de Tunisie, 1959.
  - Contribution à l'Histoire des Fatimides en Ifriqiya, Arabica 8.
  - Tentative d'infiltration chiite en Espagne musulmane, al-Andalus 23/1958.
- Fournel (H.):** – Les Berbers, Paris 1881.
- Garcia-Comez (E.):** – Poemas arábigo-andaluces, Madrid 1940.
- Mutanabbi et Ibn Hāni; Mélanges W. Marçais; 1950.
- Guyard (St.):** – Fragments relatifs à la doctrine des Ismailis, Paris 1874.
- Idris (H.-R.):** – La Berbérie Orientale sous les Zirides, Paris 1962.
- Contribution à l'Histoire de l'Ifriqiya, Revue des Etudes Islamiques 1935-36.
- Ivanow (W.):** – A guide to Ismaili literature, London 1933.
- Ismaili traditions concerning the rise of Fatimids, Bombay 1942.
- Kremer (A. von):** – Ibn Hāni', in Z.D.M.G. 24.

- Lévi-Provençal** (E.): – Fragments sur les Berbères au moyen-âge, Rabat 1934.
- Histoire de l'Espagne musulmane; Paris 1950-53.
- Luya** (A.): – La Risāla d'al-Šaqūndī, Hesperis 22/1936.
- Marçais** (G.): – La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen-âge, Paris 1946.
- Manuel d'art musulman, Paris 1926.
- Massé** (H.) – Le poème d'Ibn Hāni' sur la conquête de l'Egypte; Mélanges d'Hist. et d'Archéol. de l'Occident musulman, 1957.
- Massiéra** (P.): M'sila du 10<sup>e</sup> au 15<sup>e</sup> siècle, Cahiers de Tunisie no. 85/ 86.
- Massignon** (Louis): – Esquisse d'une bibliographie garmate, 1922.
- Monès** (Husayn): – Le malékisme et l'échec des Fatimides en Ifriqiya; Mél. Lévi-Provençal, Paris.
- Pellat** (Ch.):- Ibn Hazm, bibliographe et apologiste de l'Esp. musul. al-Andalus 19/1954.
- Pérès** (H.): – La poésie à Fés sous les Almoravides, Hespéris 18/1 (1934).
- La poésie andalouse en arabe classique au 11<sup>e</sup> siècle, Paris 1953.
- Pons Boigues** (F.): – Ensayo bio-bibliográfico, Madrid 1898.
- Quatremère** (M.): – Mémoires historiques sur la dynastie des Fatimides Journal Asiatique, 1836.
- Vie du calife Moezz; Journal Asiatique 1836-37.
  - Observations sur le feu grégeois, Journ. asiat. 1850.
- Reinaud** (H.): – De l'art militaire chez les Arabes, Paris 1848.
- Du feu grégeois; Mélanges H. Reinaud.
- Rikābi** (J.): – La poésie profane sous les Ayyubides, Paris 1949.
- Scnlumberger** (Gust): – Un empereur byzantin au 10<sup>e</sup> siècle: Nicéphore Phocas, Paris 1890.
- Vassiliev** (A.A.): – Byzance et les Arabes, Bruxelles 1935-50.
- Zbiss** (Mustapha-Sulaymān): – Mahdia et Sabra-Mansuriyya, Journal asiatique, 1956.



## ٦ - فهرس المباحث

5 .....	تمهيد . . . . .
9 .....	الفصل الأول : مصادر ترجمة ابن هانئ . . . . .
- 16 -	كتب الرجال الأندلسية . . . . .
- 10 -	كتب الرجال الشرقيّة . . . . .
17 .....	كتب التاريخ . . . . .
- 21 -	كتب الأدب . . . . .
- 22 -	المخطوطات . . . . .
31 .....	الفصل الثاني : ديوان ابن هانئ . . . . .
- 39 -	النسخ المخطوطة . . . . .
- 32 -	النسخ التونسية . . . . .
- 34 -	النسخ الأخرى . . . . .
- 39 -	ترتيب القصائد في المخطوطات . . . . .
- 41 -	طبعات الديوان . . . . .
- 42 -	شرح زاهد علي . . . . .
- 43 -	محاولة ترتيب القصائد ترتيباً زمنياً . . . . .
- 46 -	القصائد الإفريقية . . . . .
- 52 -	مدادع ولادة المعز . . . . .
65 .....	ملحق 1 : مخطوطات الديوان مرتبة ترتيباً زمنياً تقربياً . . . . .
68 .....	ملحق 2 : قصائد الديوان مرتبة بالتقريب ترتيباً زمنياً . . . . .
75 .....	الفصل الثالث : ممددوحو الشاعر . . . . .
- 75 -	المعز لدين الله . . . . .
- 83 -	أميرالزاب . . . . .
- 88 -	جوهر الصقلي . . . . .
- 92 -	أفلح الناشر . . . . .
- 96 -	أبو الفرج الشيباني . . . . .
- 100 -	أبو عبد الله بن المهدب . . . . .
- 102 -	أحمد بن زائدة . . . . .
- 103 -	الوهرياني . . . . .

**الفصل الرابع : ترجمة ابن هانىء . . . . . 107**

- هانىء أبوه - 108 - الأصل المهمبى - 109 - تاريخ ميلاد  
الشاعر - 110 - نشأة الشاعر - 112 - أسباب تركه الأندلس - 114 -  
ابن هانىء بالمغرب وافريقيا - 117 - تشيع ابن هانىء - 124 -  
تضارب الأقوال في ظروف وفاته - 132 .

**الفصل الخامس : الإشارات التاريخية في الديوان . . . . . 141**

- الحياة بيلات المعز - 141 - الاحتفالات وظهور الإمام - 148 -  
المظلة - 149 - الخيل - 149 - السيف ذو الفقار - 150 - الناج - 152 -  
العرش - 153 - مدى حظوة الشاعر لدى المعز - 156 - حروب  
المعز : في المغرب - 160 - فتح مصر - 164 - تعين ابنه عبد الله  
على ولاية افريقيا والمغرب - 168 - الحرب ضد بيزنطة - 170 -  
الأسطول العربي ، النار الإغريقية - 172 .

**الفصل السادس : الإشارات التاريخية (تابع : قصائد المسيلة . . . . . 179)**

- البلاط الحمدوني - 179 - حياة اللهو - 183 - أحداث البلاط - 184 -  
الولاء الفاطمي - 186 - مدى الوفاق بين الآخرين - 187 - حملات  
الآخرين ضد أعداء الخلافة - 190 - بقية شعره . . . . .

**الفصل السابع : أغراض ابن هانىء ومعانيه : المعاني التقليدية . . . . . 203**

- المدح - 203 - الاستهلالات - 204 - وصف الراحلة والتخلص إلى  
المدح - 210 - وصف الطبيعة - 214 - المجالس الخمرية - 217 -  
شكوى الدهر - 219 - معاني المدح : الكرم - 221 - الحلم - 223 -  
البلاس والقوة - 225 - مدح الامهات - 234 .

الرثاء . . . . .	229
الهجاء . . . . .	235

## **الفصل الثامن : أغراض الشاعر ومعانيه (تابع) المعاني العقائدية المذهبية . . 239**

- تدرّجه في اعتناق المذهب - 239 - موقف أهل السنة من غلوّ الشاعر في ولائه - 240 - المعاني المذهبية في شعره المغربي - 242 - قصائد المسيلة - 243 - تشيع السلاح أيضاً - 244 - مدائح الشيباني - 244 - مدحّة أفلح الناشر التونية - 245 - التأكيد على النسب الفاطمي - 247 - بين المثبت للنسب الفاطمي والقادح فيه - 249 - إرث الرسول مادي ومعنوي - 251 - الإمام هو محور الخلقة - 252 - قدسيّة الإمام - 256 - علم الإمام - 258 - شفاعة الإمام تناول السابقين واللاحقين - 261 - معرفة الإمام واجبة - 263 - اشتراك هذه المعاني عند ابن هانئ وتميم بن المعز - 264 - الإمام واجب الوجود - 266 - عصمة الإمام - 267 - الإمام يعيّن بالنص - 268 .

## **الفصل التاسع : معاني الشاعر وأغراضه (تابع) - المعاني السياسية . . . 271**

التحامل على الأمويّين - 272 - حقد الأمويّين على آل البيت حقد قديم - 275 - وصمتان في تاريخهم - 276 - الأضغان القديمة : السقيفة وبدر وكرلاء - 279 - مبررات التحامل على بني أميّة - 284 - التهجم على العباسيّين - 285 - بنو العباس أبناء الطليق - 286 - هم عبيد بالوراثة - 288 - انخذالهم أمام الروم - 289 - المعز ناصر الدين - 291 - الدولة العباسيّة دولة مجوسية - 293 - التحامل على الروم - 294 - الروم في لغة الشاعر - 295 - الروم أعداء في الدين - 297 - انتصارات المعز عليهم - 299 - جبن الدماق

وجهمهم بالحرب - 302 - غلبة الروم في المشرق سببها خذلانبني العباس - 304 .

الفصل العاشر : شاعرية ابن هانىء ..... 305
الأغراض - 305 - المحاكاة الصريحـة - 306 - أداته الشعرية -
القصيدة - 308 - القوافي - 309 - الأوزان - 311 - التقسيم الثلاثي للقصيدة - 312 - الصنعة البلاغية : أصناف المحاجـ - 317 - التشبيه المقلوب - 322 - الجناس - 324 - التورية أو اللبس المقصود - 324 - الازدواج داخل البيت - 325 - لغة الشاعر ، طلب الغريب - 327 - الرصيد الثقافي المشترـك - 329 - الميل الى الأقدمين - 331 - ابن هانىء والمتبنـى - 332 - القصيدة الحادـية والعشرون في المتبنـى - 334 - غنائـة ابن هانىء - 338 - الحقد على خصوم الإمام - 340 - التهـكم بهـم - 340 - التأملات الحكمـية - 341 - تديـنة - 342 - التغـني بالجمال - 343 .
الفصل الحادي عشر : تأثير ابن هانىء ..... 345
الأحكام المذهبـية - 345 - الأحكـام الأدبـية - 348 - أحـكام معاصرـة - 350 - سيرورة الـديوان - 352 - عـقب الشاعـر - 358 - تـدهور شخصـية ابن هانىء - 361 .
الخاتمة .....
فهرس الآيات .....
فهرس الأعلام والمفاهيم .....
فهرس البلدان والأماكن .....
فهرس الكتب المذكورة في المتن .....
فهرس المراجع .....
فهرس المواضـيع .....



---

## وَارِدُ الغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ / الْجَيْبُ الْمَسِيْحِيُّ

شارع الصوراتي (العماري) — الحمراء — بناءة الأسود  
تلفون 340131 - 340132 — ص.ب. 113-5787 بيروت — لبنان

---

---

الرقم 85/1/3000/50

---

التنفيذ: أبيجد غرافيكس

---

الطباعة: مؤسسة نزيه كركي

---

